سلسلة تحقيق التراث

الأنوار الجلية

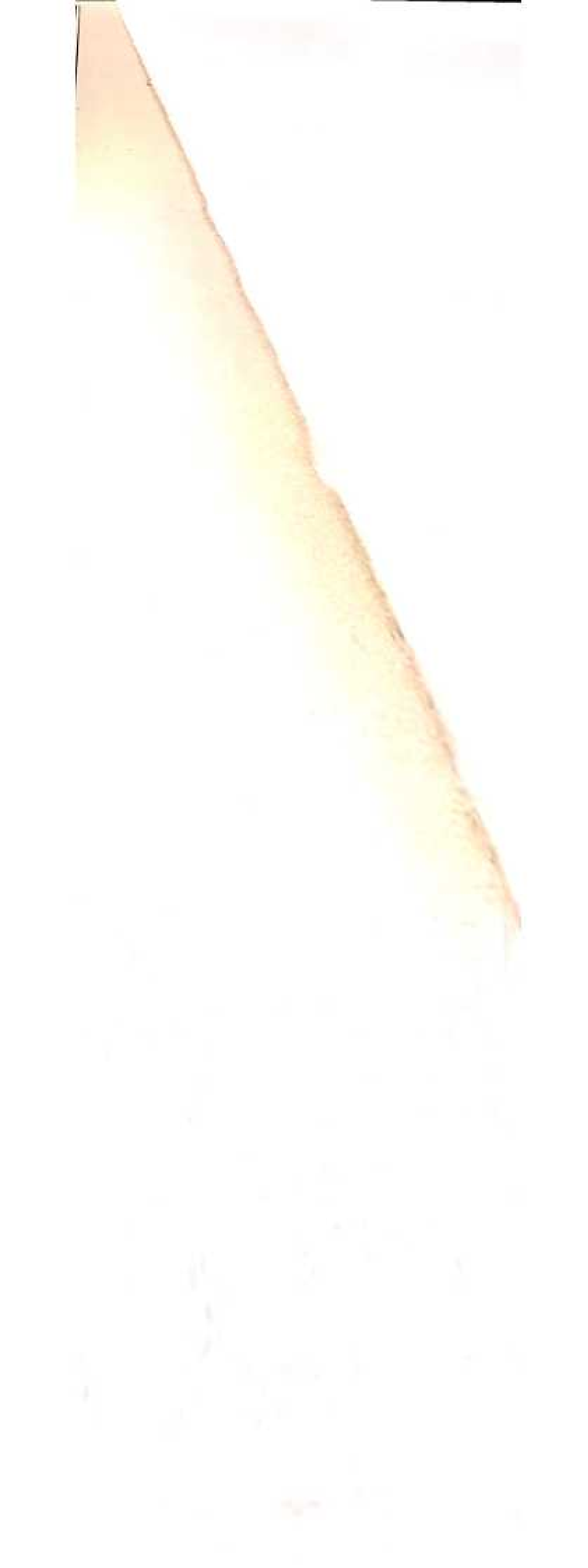
في أخبار الدولة المرابطية



للمؤرخ الغرناطي أبي بكر يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري
المعروف بابن الصيرفي
(المتوفى سنة ٥٥٧هـ / ١١٦١م)

أعاد بناءه وحققه وقدم له
أ . د / محمد على دبور
دكتوراه من جامعة كومبلوتنسي بمدريد (إسبانيا)
وأستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة





الأنوارُ الجَلِيَّة

في أخبَار الدَّولَة المُرابطِيَّة

للمؤرِّخ الغرناطيِّ أبي بكر يحيى بن محمد بن يُوسف الأنصاريّ،

المعروف بابن الصَّيْرَفِيّ

(المتوفَّى سنة ٥٥٧ هـ/ ١١٦١ م)

أعادَ بناءَهُ وحقَّقَهُ وقدَّمَ لَهُ ووضع فهارسه

أ.د/ محمَّد علِي دبُّور

دكتوراه من جامعة كومبلوتنسي بمدريد

(إسبانيا)

وأستاذ التَّاريخ الإسلامي والحضارة الإسلاميَّة

بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الطبعة: الأولى

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

اسم الكتاب: الأَنْوَارُ الجَلِيَّةُ فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ المُرَابِطِيَّةِ

أَعَادَ بِنَاءَهُ وحَقَّقَهُ وقَدَّمَ لَهُ وَوَضَعَ فَهَارِسَهُ أ.د/ محمَّد عَلِي دَبُّور

المقاس: ١٧ x ٢٤

عدد الصفحات: ٣٠٠

اسم الناشر: دار النابغة للنشر والتوزيع

رقم الإيداع: ٩٧٥٨-٢٠١٨

الترقيم الدولي: ٠ - ١٣٦ - ٧٩٩ - ٩٧٧ - ٩٧٨



دار النابغة للنشر والتوزيع

طنطا - سبرباي - أمام مجمع كليات جامعة طنطا
ت: ٠٠٢٠١٠٦٤١٠٤٥٦١ - ٠٠٢٠١٠٦٤١٠٤٥٦١ - ٠٠٢٠٤٠٣٤٥١٣٥١

darelnapegha@yahoo.com

الأنوارُ الجليّة

في أخبار الدّولة المُرابطِيّة

للمؤرّخ الغرناطيّ أبي بكر يحيى بن محمّد بن يُوسُف الأنصاريّ،

المعروف بابن الصّيْرَفيّ

(المتوفّى سنة ٥٥٧ هـ/ ١١٦١ م)

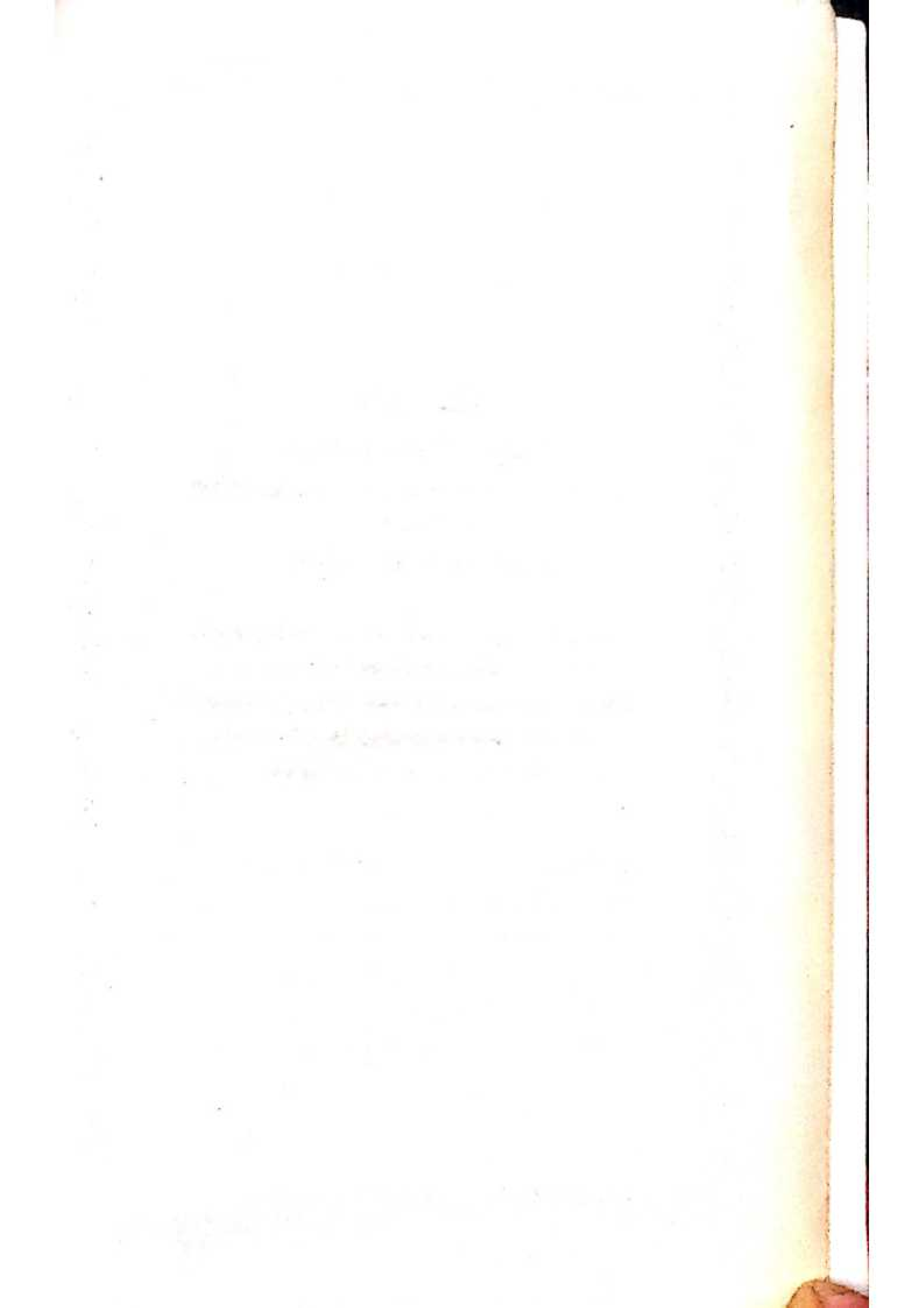
(أعادَ بناءَهُ وحقّقهُ وقدّمَ لهُ ووَضعَ فهارسَهُ)

أ.د/ محمّد عَلى دَبّور

دكتوراه من جَامِعَة كومبلوتنسي بمدريد (إسبانيا)

وأستاذ التّاريخ الإسلامي والحضارة الإسلاميّة

بكليّة دار العلوم - جامعة القاهرة



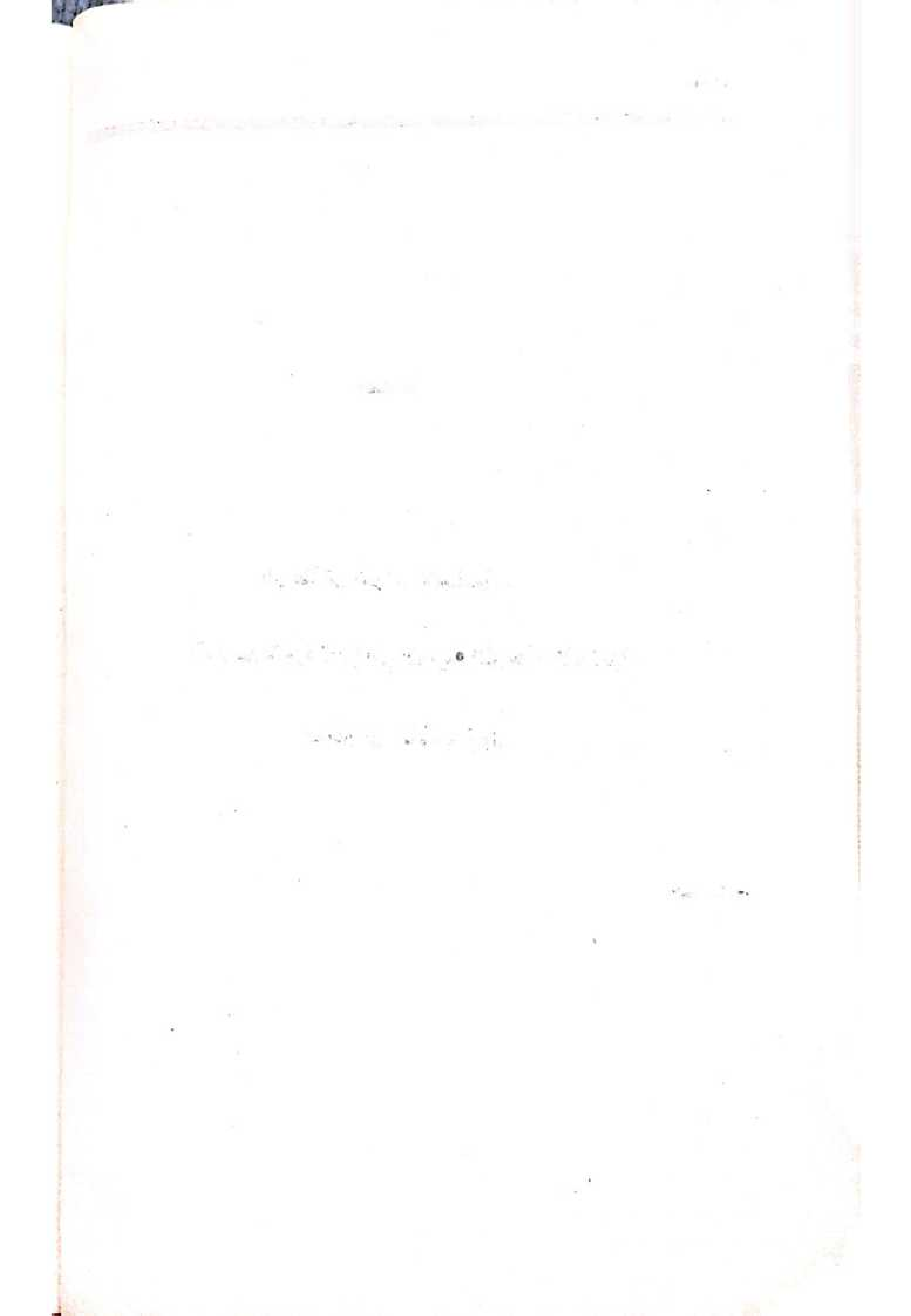
إهداء

إلى عاشقي التراثِ الأندلسيّ....

أقدمُ لهم باكورة تحقيقاتي للنصوص التاريخيّة الأندلسيّة....

عَساهم أن يَتلقَّوْهُ بالقبولِ

محمد ذبّور



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وخاتم النبيين، ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سار على هديه، واتبع سنته، واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد،،،،،،

فقد كانت دولة المرابطين من الدول التي نالها قدرٌ كبير من الظلم والغبن والتشويه، ولعل حظها يشبه إلى حدٍّ كبير حظ دولة بني أمية في المشرق، فقد حاول أعداء الأمويين الذين تولوا الحكم من بعدهم أن يلصقوا بهم كل نقيصة، وأن ينسبوا إليهم كل تخلف، بل وصل الأمر إلى حد الاتهام في العقيدة والتشكيك فيها، وهذا ما حدث مع المرابطين تمامًا، وربما في صورة أشد وأعنف، فقد اجتهد "ابن تومرت" مؤسس حركة الموحدين في أن ينفر الناس والمجتمع المغربي بأسره من المرابطين، فاتهمهم بالتقصير في شتى المجالات، بل واتهمهم في عقيدتهم فنسب إليهم التجسيم، وسماهم بالمجسمين، وبعد فترة بدأت دعايته تؤتي أكلها حتى تمكن من إسقاطهم وإقامة نظامه السياسي على أنقاض دولتهم.

ثم انتقلت هذه العداوة إلى أقلام بعض المؤرخين ومن سار في ركابهم من المستشرقين، فاتهموا المرابطين بالتحجر الفكري، والتشدد الديني، والتخلف العلمي، وزعموا أن العلوم والمعارف تراجعت في عهدهم بصورة كبيرة، وأن الشعر والشعراء لم يعد لهم مكان في دولتهم نتيجة جهلهم وعدم فهمهم للغة العربية، كما نسبوا إليهم القسوة في المعاملة نتيجة بداوتهم واعتيادهم على حياة الصحراء التي جعلتهم لا يعرفون إلا الغلظة أسلوبًا والقسوة منهاجًا.

كما يضاف إلى سلسلة الاتهامات الموجهة إلى المرابطين ظلمهم وإجحافهم بغير المسلمين الذين يعيشون تحت سلطانهم من اليهود أو النصارى، فقد زعم البعض أن هؤلاء عانوا الشيء الكثير من الظلم والاضطهاد والإقصاء والتمييز تحت حكم المرابطين.

هذه سلسلة من الاتهامات والتلفيقات التي أُلصِقَت بالمرابطين، بدأها بعضُ المؤرخين الذين دانوا للموحدين بالولاء، وكانت تربطهم ببعض خلفائهم روابط الصداقة والودّ، ثم تلقّفتها زمرةٌ من المستشرقين الذين يُكِنُّون الكراهية والعداء لكل حكم إسلامي يحفظ على المسلمين وحدتهم، ويدفع عنهم كيد أعدائهم، وهذا ما كان من المرابطين، فقد أنقذوا الوجود الإسلامي في الأندلس من الانهيار والضياع، وأبقوا على المسلمين وحدتهم وقوتهم في مواجهة القوى النصرانية في الشمال فكان جزاؤهم من المستشرقين ومن سار في ركابهم الاتهام والتلفيق والكراهية والعداء.

وكان لغياب المصادر التاريخية الأصيلة التي كُتبت عن المرابطين- سواء في عصرهم أو بعدهم- دورٌ كبير في إشاعة تلكم الأجواء القاتمة التي أحاطت بتاريخ هذه الإمبراطورية العظيمة، بل كان لهذا الغياب دورٌ في تحويل الافتراءات والتلفيقات التي أُلصِقَت بها إلى ما يشبه المسلمات التاريخيَّة بسبب غياب ما يدحضها أو يكذبها ويمحو أثرها.

إن السبب الرئيس فيما حاق بالمرابطين من الظلم والتلفيق هو ندرة المصادر التاريخية الأصيلة التي كُتبت في زمنهم ورصدت أيامهم لحظة بلحظة وسجلت إنجازاتهم يومًا بيوم وعامًا وراء عام، وتغلغل مؤلفوها في دهاليز الحياة المرابطية ليكتبوا عن تفاصيلها، وعاش بعضُ هؤلاء المؤرخين في دواوين الحكم المرابطي أو قريبًا منها ليكونوا شاهد عيان على كل الأحداث ومجريات الأمور في تلكم الإمبراطورية الإسلامية مترامية الأطراف.

ولا شك أن سبب هذه الندرة هو ضياع معظم هذه المصادر المعاصرة للدولة المرابطية، فأصبحت هذه المصادر في طيّ النسيان، ولم يبق منها سوى نصوص متفرقة وشذرات مبعثرة ونتف مبثوثة في ثنايا بعض المصادر التاريخية الأخرى التي كُتب لها البقاء، وبالتالي فقد فقدنا بضياعها تراثًا تاريخيًا نفيسًا كان من الممكن أن يضيء كثيرًا من الجوانب القاتمة والغامضة والمجهولة في تاريخ أسرة المرابطين في المغرب والأندلس، ويكشف عن تفاصيل مهمة للعديد من الأخبار الموجزة والمختصرة التي أوردتها المصادرُ اللاحقةُ لهم.

ومن أهم المؤرخين الذين عاصروا دولة المرابطين وكتبوا مؤلفاتهم في عصرهم، لكن مؤلفاتهم الآن- للأسف- صارت في حكم المفقود: المؤرخ والأديب أبو عبد الله محمد بن الخلف بن الحسن بن إسماعيل الصدفي، المعروف بابن علقمة (ت ٥٠٩ هـ/ ١١١٦ م)، وهو من أهل بلنسية، وكتابه واحد من المؤلفات النادرة التي كُتبت في الحوادث التي ألمت ببعض المدن الأندلسية في عصر المرابطين، وقد ألفه ليصف لنا تلك الكارثة التي نزلت بمدينة بلنسية، والأحداث المروعة والمأساة المفزعة التي حلت بها عندما حاصرها السيد الكمبيادور (El Cid el Campeador)، واستولى عليها سنة (٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م)، وكان عنوان هذا الكتاب: "البيان الواضح في المُلِمِّ الفادح"[١]، وكان ابن علقمة- كما يقول ابن عذارى- ممن شهد الموطن وكان في الحصار[٢].

وكذلك كان للقاضي عياض بن موسى اليحصبيّ (ت ٥٤٤ هـ/ ١١٤٩ م) بعضُ المصنفات التاريخية التي فُقدت من بين ما فُقد من تراث الغرب الإسلاميّ النفيس، منها كتابه: "تاريخ المرابطين"، وقد انتهى فيه إلى سنة أربعين وخمسمائة، قال

(١) انظر: ابن الأبار: التكملة، ١/ ٤١٢، الترجمة رقم ١١٦٥.
(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ٤/ ١٤٨.

وكذلك أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن وزمر الحجاري الصنهاجي (ت ٥٥٠هـ/ ١١٥٥ م)، من أهل مدينة الفرج بوادي الحجارة، وكتابه المعروف باسم: "المسهب في فضائل المغرب"[(١)]، وقد جاء هذا الكتاب في ستة أجزاء، تحدث فيه الحجاريُّ عن فضائل أهل المغرب والأندلس، ويسوق فيه تراجم النابهين من رجال الأندلس وأهم حوادثها منذ الفتح إلى سنة ٥٣٠ هـ/ ١١٣٠ م، مع نماذج من شعرهم وأطراف تاريخية وبعض معلومات جغرافية، وقد نقل إلينا المتأخرون منه الكثير ولاسيما المقري في نفح الطيب، حيث ينقل منه عشرات الشذور في مختلف المواطن[(٢)].

وكذلك المؤرخ أبو مروان عبد الملك بن موسى الوراق (كان حيًّا سنة ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠ م)، وكتابه هو: "المِقْبَاس في أخبار المغرب والأندلس وفاس"[(٣)]، سجل فيه كثيرًا من تفاصيل الحياة السياسية لدولة المرابطين لا نجدها في غيره من المصادر، ولذا كان كتابه من المصادر المهمة التي اعتمد عليها كلُّ مَن جاءوا بعده من المؤرخين اللاحقين.

---

(١) انظر: ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلى المغرب– تحقيق: د. شوقي ضيف– دار المعارف– القاهرة–ط ٤، د.ت، ٢/ ٣٥. ابن الخطيب: الإحاطة، ٣/ ٤٣٥. المقري: نفح الطيب، ٣/ ١٨٣. د. حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون في الأندلس–مقال بمجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد– ج ٧–٨، ١٩٥٩–١٩٦٠ م، ص ٣٤٦–٣٤٧. ابن سودة: دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ص ١٨٥، وذكره في موضع آخر بعنوان: (المسهب في أخبار المغرب)، ص ١٨٦.

(٢) انظر: أ. محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس– العصر الثالث: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس– القسم الأول: عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية، ص ٤٥٠. وراجع: آنخل جونثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٧٣.

(٣) انظر: د. محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث–مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر–الدار البيضاء، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٣ م، ١/ ٢٤، ٤٧. في حين ذكر ابن سودة أن عنوان الكتاب هو: "المقباس في أخبار المغرب وفاس" مُسقطًا كلمة "الأندلس"، وذكر أن الكتاب كان متداولاً بمكناسة الزيتون بين طلبة العلم في ذلك الوقت، فقال: "أخبرني بعض الأصدقاء أنه رآه تامًّا بمكناسة الزيتون في مجلد وسط بيد بعض الطلبة". انظر: دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ص ٧١–٧٢.

ذلك ابنُ خاتمة في المزية[1]، وله أيضًا "الجامع في التاريخ"، أو "جامع التاريخ"[2]، إلا أن المقري التلمساني ينبه القارئ إلى احتمالية أن يكون هذا الكتاب الأخير هو نفسه كتاب "تاريخ المرابطين" المذكور، وأن القاضي عياض انتهى منه سنة ٥٤٠ هـ/ ١١٤٥ م، ونقل عن ابن حمادو البرنسي[3] ما يضمه هذا الكتاب من موضوعات فقال: "وقال ابن حمادو البرنسي: إنه ألف كتاب جامع (في) التاريخ، فأربى على جميع المؤلفات، فيه أخبار الملوك بالأندلس والمغرب من دخول الإسلام إليها، واستوعب فيه أخبار سبتة وقضاتها وفقهائها وجميع ما جرى من الأمور فيها، واستوعب أخبار الدولة الحسنية[4].

---

(١) المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض-تحقيق: سعيد أحمد أعراب ود. عبد السلام الهراس- منشورات صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المغرب والإمارات، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م، ٥/ ٥، وكتاب المزية المذكور لابن خاتمة هنا عنوانه الكامل: (مزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية)، وهو كتاب مفقود أيضًا.

(٢) الذهبي: تذكرة الحفاظ-تصحيح: عبد الرحمن بن يحي المغلمي- دار الكتب العلمية- بيروت، ١٣٧٤ هـ ٤/ ٩٧. حاجي خليفة: كشف الظنون، ١/ ٥٣٨. البغدادي: هدية العارفين، ١/ ٨٠٥. المقري: أزهار الرياض، ٥/ ٦. ابن سودة: دليل مؤرخ المغرب الأقصى-دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت-ط ١، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م، ص ٩٧.

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن حمادو (ابن حمادوه) البرنسي، من أهل سبتة، ومن تلاميذ القاضي عياض، وكان من أهل العلم والأدب والنباهة، توفي بفاس سنة ٥٦٤ هـ/ ١١٦٨ م، وله كتاب في التاريخ تحت عنوان: (المقتبس في أخبار المغرب والأندلس). انظر: المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض-تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي-مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٩ م، ١/ ٣٦. ابن سودة: دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ص ٣٦. وقد نقل عنه الذهبي في كتابه (تاريخ الإسلام) مؤلفات القاضي عياض، فقال: "وقال الفقيه محمد بن حمادة السبتي، رفيق القاضي عياض......". انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام-حققه وضبط نصه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف-دار الغرب الإسلامي-بيروت-ط ١، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م، ١١/ ٨٦١.

(٤) المقري: أزهار الرياض، ٥/ ٦. وانظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ١١/ ٨٦١. العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ٩/ ٣٨٣. ابن سودة: دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ص ٩٧.

وكذلك أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن وزمر الحجاري الصنهاجي (ت ٥٥٠هـ/ ١١٥٥ م)، من أهل مدينة الفرج بوادي الحجارة، وكتابه المعروف باسم: "المسهب في فضائل المغرب"[١]، وقد جاء هذا الكتاب في ستة أجزاء، تحدث فيه الحجاريُّ عن فضائل أهل المغرب والأندلس، ويسوق فيه تراجم النابهين من رجال الأندلس وأهم حوادثها منذ الفتح إلى سنة ٥٣٠ هـ/ ١١٣٠ م، مع نماذج من شعرهم ، أطراف تاريخية وبعض معلومات جغرافية، وقد نقل إلينا المتأخرون منه الكثير ولاسيما المقري في نفح الطيب، حيث ينقل منه عشرات الشذور في مختلف المواطن[٢].

وكذلك المؤرخ أبو مروان عبد الملك بن موسى الوراق (كان حيًّا سنة ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠ م)، وكتابه هو: "المِقْبَاس في أخبار المغرب والأندلس وفاس"[٣]، سجل فيه كثيرًا من تفاصيل الحياة السياسية لدولة المرابطين لا نجدها في غيره من المصادر، ولذا كان كتابه من المصادر المهمة التي اعتمد عليها كلُّ مَن جاءوا بعده من المؤرخين اللاحقين.

---

(١) انظر: ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلى المغرب– تحقيق: د. شوقي ضيف– دار المعارف– القاهرة–ط ٤، د.ت، ٢/ ٣٥. ابن الخطيب: الإحاطة، ٣/ ٤٣٥. المقري: نفح الطيب، ٣/ ١٨٣. د. حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون في الأندلس–مقال بمجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد– ج ٧–٨، ١٩٥٩–١٩٦٠ م، ص ٣٤٦–٣٤٧. ابن سودة: دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ص ١٨٥، وذكره في موضع آخر بعنوان: (المسهب في أخبار المغرب)، ص ١٨٦.

(٢) انظر: أ. محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس– العصر الثالث: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس– القسم الأول: عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية، ص ٤٥٠. وراجع: آنخل جونثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٧٣.

(٣) انظر: د. محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث–مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر–الدار البيضاء، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٣ م، ١/ ٢٤، ٤٧. في حين ذكر ابن سودة أن عنوان الكتاب هو: "المقباس في أخبار المغرب وفاس" مُسقطًا كلمة "الأندلس"، وذكر أن الكتاب كان متداولاً بمكناسة الزيتون بين طلبة العلم في ذلك الوقت، فقال: "أخبرني بعض الأصدقاء أنه رآه تامًّا بمكناسة الزيتون في مجلد وسط بيد بعض الطلبة". انظر: دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ص ٧١–٧٢.

والمؤرخ أبو عامر محمد بن أحمد بن عامر البلوى السالمى الطرطوشى (ت ٥٥٩هـ/ ١١٦٤ م)، وأهم مؤلفاته كتابه "درر القلائد وغرر الفوائد في أخبار الأندلس وأمرائها وطبقات علمائها وشعرائها"[١]، وهو أكبر كتبه وأكثرها ذكرًا في المصادر، مما يدل على مدى ثقة المؤرخين المعاصرين والمتأخرين في الكتاب وصاحبه، والأهم من ذلك أن له كتابًا آخر وثيق الصلة بدولة المرابطين هو كتاب: "أخبار الفتنة الثانية بالأندلس"، بدأه من سنة ٥٣٩ هـ/ ١١٤٤ م، ورتبه على السنين، وبلغ به سنة ٥٤٧ هـ/ ١١٥٢ م[٢]، وقد سمَّاه ابن عبد الملك المراكشي: "الفتنة الكائنة على اللمتونيين بالأندلس سنة أربعين وما يليها قبلها وبعدها"، وذكر أن السالمي اختصره في كتاب سمَّاه: "عبرة العبر وعجائب القدر في ذكر الفتن الأندلسية والعدوية بعد فساد الدولة المرابطية" بخط مؤلفه الأديب التاريخي أبى عامر السالمى[٣]"، وهو عنوان مهم للغاية يدل على مدى قرب المؤلف من أحداث عصره ومعايشته لها، لكن هذا الكتاب أيضًا يُعد في حكم المفقود، ومع فقده فقدنا كنزًا تاريخيًّا مهمًّا عن فترة حرجة من تاريخ دولة المرابطين، وبدايات دولة الموحدين في المغرب والأندلس.

وكذلك المؤرخ أبو عمرو حمزة بن علي بن خلف بن مسعود المحاربي الغرناطيّ، ويُعرف بابن الأُسَيْود، وقد ألف كتابًا مهمًّا في (تاريخ الفتنة)، خصصه لفترة الفتنة التي انقرضت بها دولة المرابطين، وقد ذكره ابن سعيد الأندلسي في المُغرب، وذكر أن له كتابًا في تاريخ الفتنة التي انقرضت بها دولة الملثمين في الأندلس[٤]، وقال عنه ابن الأبار في (التكملة): "جمع في دولة الملثمة تاريخًا لم يُظهره في حياته، وذهب (اختفى)

(١) انظر: البيان المغرب، ٢/ ١٢٨. ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ٢/ ٤٩٥، الترجمة رقم ١٣٦٨. فرانز روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين، ص ٦١٩-٦٢٠.

(٢) انظر: المقري: نفح الطيب، ٣/ ١٨١. وراجع: آنخل جونثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٤١-٢٤٢.

(٣) انظر: ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، السفر السادس، ص ٧-٩، الترجمة رقم ٧.

(٤) ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلى المغرب، ٢/ ١١٨.

بعد وفاته، سمعت شيخنا أبا عامر ابن نذير يذكر أنه عرضه على أبيه القاضي أبي العطاء، فأشار عليه بإخفائه..."[1].

ومن بين هذه المؤلفات المفقودة أيضًا كتاب: "نظم اللآلى في فتوح الأمر العالي"[2] للمؤرخ أبي علي حسن بن عبد الله بن حسن الكاتب، المعروف بابن الأشيري التلمساني (ت ٥٦٩ هـ/ ١١٧٣-١١٧٤ م)، الذي كان يعمل في أول الأمر كاتبًا لتاشفين بن علي بن يوسف، ثم أصبح كاتبًا في ديوان الموحدين، فعرف بالكاتب[3]، وكتابه يشمل تاريخ الدولتين المرابطية والموحدية، وبالتحديد أخريات دولة المرابطين وبدايات الدولة الموحدية، والصراع بينهما.

وأيضًا المؤرخ أبو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع بن عمر الغافقي (ت ٥٧٥ هـ/ ١١٨٠ م)، وكتابه المهم: "المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب"[4]، وقد ذكر كثيرًا من أخبار المرابطين وأحوالهم مما لا نجده في مصدر آخر[5].

ثم يأتي كتاب "القَبَس"[6] لأبي الحسن عليّ بن حمادُه الصنهاجي (ت ٦٢٨ هـ/ ١٢٣١ م)، وقد نقل عنه المؤرخون اللاحقون العديد من الأخبار المتعلقة بالصراع بين

---

(١) ابن الأبار: التكملة، ١/ ٢٢٥، الترجمة رقم ٧٥٠.

(٢) ابن الأبار: التكملة (طبعة العطار)، ١/ ٢٧٠، الترجمة رقم ٧١٨.

(٣) انظر: نظم الجمان لابن القطان، ص ١٧٦، تعليق رقم ٣. الحلل الموشية، ص ١٣٠، حاشية رقم ٣٣. الحلة السيراء لابن الأبار، ٢/ ١٩٣.

(٤) انظر: ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلى المغرب، ٢/ ٨٨، الترجمة رقم ٤٠٥. المقري: نفح الطيب، ٢/ ٣٧٩، وقد ذكر الكتاب بعنوان (المعرب) بالعين المهملة، ولعله تصحيف. البغدادي: هدية العارفين، ٢/ ٥٣٦. آنخل جونثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٤٢.

(٥) منذ ثلاث سنوات قام الدكتور عبد السلام الجعماطي بجمع نصوص هذا الكتاب وتوثيقها وإخراجها للنور تحت عنوان: كتاب المغرب في محاسن المغرب- تأليف المؤرخ الأندلسي أبي يحيى اليسع بن عيسى بن حزم الغافقي الجياني (ت ٥٧٥ هـ/ ١١٨٠ م)- دراسة وجمع وتوثيق: د. عبد السلام الجعماطي- دار الأمان بالرباط- ط ١، ١٤٣٦ هـ/ ٢٠١٥ م.

(٦) انظر: مفاخر البربر، ص ٦٥. بروفنسال: نص جديد عن فتح العرب للمغرب-صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد-سنة ١٩٥٤، ص ٢٠٥، حاشية رقم ١. وراجع: د. محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب، ص ٤٨.

المرابطين والموحدين[1]، وخبرًا عن مقتل (تاشفين بن عليّ)[2]، ولذا كان كتابه من الكتب المهمة التي أرخت لأخريات دولة المرابطين، لكنه للأسف يُعد- كذلك- من الكتب المفقودة.

ثم يأتي كتاب "الأَنْوَار الجَلِيَّة فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ المُرَابِطِيَّة" للمؤرخ الغرناطي أبي بكر يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري، المعروف بابن الصَّيْرَفِيّ (المتوفي سنة ٥٥٧ هـ/ ١١٦١ م)، وهو يُعد الكتاب الوحيد- فيما نعلم- الذي ألفه صاحبه للتأريخ لأسرة المرابطين، وبالتالي فإنه يندرج تحت كتب "تاريخ الأسر"، وهي الكتب التي اهتمت بالتأريخ للأسر الحاكمة في تاريخ الإسلام، حيث ينبيء عنوانه عن هذا الاتجاه.

لقد كان ابن الصَّيْرَفِيّ من رجالات البلاط المرابطي، ومن هنا فقد كان شاهد عيان لما يدونه من أحداث ويصفه من معارك، لكنه- للأسف- من المصادر المفقودة، وفقدنا بضياعه المصدر الوحيد الذي كنا نأمل أن يضيء لنا كثيرًا من الجوانب المجهولة في تاريخ دولة المرابطين في المغرب والأندلس.

ونظرًا لأنه المصدر الوحيد الذي كُتب عن تاريخ هذه الأسرة بصورة مباشرة، فقد كان هذا هو الحافز لنا على الاهتمام بهذا الكتاب ومحاولة جمع واستقصاء نصوصه المبثوثة في ثنايا المصادر التي اعتمدت عليه ونقلت عنه في محاولة للوصول إلى نسخة قريبة من الكتاب الأصلي.

---

(١) البيان، ٤/ ٨٣، ٩٨، ٩٩.

(٢) البيان، ٤/ ١٠٤.

عَملُنا في الكتاب:

إن النصوص المتفرقة من أي كتاب تشبه إلى حدٍّ كبير الصورة الفوتوغرافية الممزقة المبعثرة، فتجد كل جزء منها في ناحية، وبالتالي لا نستطيع تحديد ملامحها ولا معرفة صاحبها، لكن عندما نجمع شتات تلكم الصورة، ونضع كل جزء منها في مكانه الصحيح والمناسب نبدأ في تحديد ملامحها ورؤيتها بشكل أوضح وأفضل، ويكون الاستمتاع بها أكثر وأنفع.

كذلك الحال مع نصوص الكتب المفقودة، كلما اجتهدنا في جمعها ولم شتاتها، وضم بعضها إلى بعض، ووضع كل نصٍّ في مكانه الصحيح، وسياقه التاريخي المناسب كلما وصلنا إلى صورة أوضح للحقبة التاريخية التي تتكلم عنها هذه النصوص، وكنا إلى الحقيقة التاريخية أقرب، واستطعنا أن نحكم عليها بصورة أعدل وأكثر إنصافًا.

إن الجهد الذي يُبذل في سبيل إكمال الصورة التاريخية وجمع نصوص أحد المصادر التاريخية المفقودة جهد شاق وعسير، ويحتاج إلى كثير من الحيطة والحذر، والصبر والدأب في آن واحد، لكن هذه المشقة تهون في سبيل الوصول إلى الهدف الكبير الذي نتوخاه من هذا العمل الجليل.

حجمُ الكتاب:

أما عن حجم كتاب (الأَنْوَار الجَلِيَّة)، فيبدو أنه كان من الحجم الصغير، ويظهر من كلام المؤرخين أنه لا يزيد عن مجلد واحد، فلا نعلم أحدًا ممن ذكروا الكتاب تكلموا عن حجمه كما اعتدنا في الكلام عن مثل هذه النوعية من المؤلفات التاريخية، ولو كان حجمه كبيرًا، فمن المؤكد أنه كان سيلفت أنظار المؤرخين اللاحقين فيمدوننا بهذه المعلومة المهمة، لكننا لم نعثر على شيء كهذا، وإذا وضعنا في الاعتبار ما وصف به ابنُ الخطيب هذا الكتاب حين أطلق عليه مُسمًّى: "التاريخ الصغير" لابن الصَّيْرَفِيِّ،

حيث صدَّر أحد النصوص بقوله: "قَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ فِي تَارِيخِهِ الصَّغِيرِ"[(١)]، تأكدنا تمامًا أن هذا الكتاب كان – بالفعل – من الحجم الصغير.

كما أن النصوص المتبقية منه تدل على أن صاحبه كان حريصًا على نقل صورة موجزة مختصرة عن تاريخ دولة المرابطين، ولم يكن يجنح إلى الاستطراد والتطويل والإسهاب، وقد وقفنا على عدد من النصوص التي يشير فيها ابن الصَّيْرَفِيِّ صراحة إلى منهج الإيجاز والاختصار الذي اتبعه في تصنيف كتابه.

المنهج في جمع نصوص الكتاب وترتيبها:

لقد قمتُ بجمع نصوص الكتاب من كل المظان التاريخية التي نقلت عنه واعتمدت عليه، ووقفت على نوعين من النصوص؛ الأولى: نصوص انفردت بها بعض المصادر ولم تتكرر في مصادر أخرى، والثانية نصوص تكررت في أكثر من مصدر، أما الأولى فقد وضعناها كما هي، خاصة إذا كانت منسوبة صراحة إلى مؤرخنا ابن الصَّيْرَفِيِّ، واجتهدنا– ما وسعنا الاجتهاد– في تقويم هذه النوعية من النصوص وترميمها بصورة علمية مناسبة، وأما الثانية، فنظرًا لتعدد النص الواحد في أكثر من مصدر مع بعض الاختلاف في الألفاظ والزيادة أو النقصان، فقد قررتُ الاعتماد على النص الأكمل والأصوب، أو النص الذي ذكر ناقلُهُ صراحة أنه نقله عن مؤرخنا ابن الصَّيْرَفِيِّ، فبعض هذه النصوص جاءت مشوهة مبتورة وناقصة وفيها كثير من السقط، ثم بدأنا في إكمال هذا النص باختيار الألفاظ الأكثر مناسبة للمعنى والسياق التاريخي واللغوي، وتصويب ما يحتاج إلى تصويب، والتعريف بما يحتاج إلى بيان وتوضيح، ووضعنا الفروق المختلفة بين النصوص في حواشي الكتاب.

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٦٣.

كما قمتُ بترتيب النصوص ترتيبًا زمنيًا كما هو معتاد في المصادر التاريخية، خاصة وقد عرفنا من نصوص (الأَنْوَار الجَلِيَّة) أن صاحبه كان يعتمد منهج الترتيب الحولي (على السنين)، وبهذا فإن هذا الترتيب يتسق مع منهج المؤلف في ترتيب أحداث كتابه، وفي حال فقدان التاريخ وضعنا النص في سياقه التاريخي المناسب للترتيب الزمني وتسلسل الأحداث.

أما من حيث منهج انتقاء النصوص المتبقية من الكتاب، وتمييز كلام ابن الصَّيْرَفِيّ من غيره، فلحسن الحظ فإن أغلب النصوص التي عثرنا عليها كانت منسوبة صراحة إلى مؤرخنا ابن الصَّيْرَفِيّ، سواء ذكر الناقل كلام ابن الصَّيْرَفِيّ حرفيًا، وفي هذه الحالة كان يقول: "قال ابن الصَّيْرَفِيّ"، أو ذكر مضمونه وفحواه، وفي هذه الحالة كان يقول: "هكذا ذكر ابن الصَّيْرَفِيّ في تاريخه"، أو يعبر بألفاظ أخرى عن كلام مؤرخنا ابن الصيرفي.

لكن من المهم هنا أن نشير إلى أن بعض المؤرخين الكبار كابن عذاري المراكشي وابن الخطيب الغرناطي كانا– في بعض الأحيان– ينقلان العديد من النصوص عن ابن الصَّيْرَفِيّ دون إشارة إلى مصدرهما، لكنهما – لحسن الحظ– كانا يتبادلان الإحالة إلى المصدر فيما بينهما، بمعنى أنه– في أحايين كثيرة– إذا سكت أحدهما عن ذكر مصدره لنص ما كان الآخر يذكر هذا المصدر لنفس النص، فكان هذا يساعدنا كثيرًا في نسبة العديد من النصوص إلى مؤرخنا ابن الصَّيْرَفِيّ.

كما أن بعضهم أحيانًا كان ينقل عدة صفحات متوالية عن ابن الصَّيْرَفِيّ ولا يذكر مصدره إلا في نهاية هذا النقل بقوله: "هكذا ذكر ابن الصَّيْرَفِيّ"، وبالتالي فقد وجدنا فقرات كثيرة لم يذكر الناقل فيها مصدره، ومن هنا فقد تحرينا الدقة قدر الإمكان في التعامل مع هذه النصوص، فبعضها عرفنا أنها من كلام ابن الصَّيْرَفِيّ من خلال مصادر أخرى أثبتت لنا ذلك، وبعضها عرفنا أنه من كلام ابن الصَّيْرَفِيّ من خلال تشابهها في الصِّياغة والألفاظ والروح ومعايشة نصوص ابن الصَّيْرَفِيّ الأخرى، وهذا

تكرر كثيرًا عند المؤرخ ابن عذاري المراكشي الذي نكاد نجزم أنه كان أكثر نقلاً عن ابن الصَّيْرَفِيِّ من ابن الخطيب الغرناطي.

ولم نرجح نسبة عدد من النصوص إلى ابن الصَّيْرَفِيِّ إلا بوجود قرينة تدل على ذلك؛ كوجوده بين عدد من النصوص لابن الصَّيْرَفِيِّ دون أن يتخللها نقلٌ عن مؤرخ آخر، أو تطابقه في الألفاظ مع نص آخر لابن الصَّيْرَفِيِّ في مصدر آخر، أو وجود أبيات شعرية لابن الصَّيْرَفِيِّ في نهاية النص تدلنا على أن ابن الصَّيْرَفِيِّ كان شاهد عيان للحدث، ومن ثم يترجح أن يكون النصُّ له.

كما أننا اطرحنا العديد من النصوص التي داخلتنا الريبة فيها- وإن كان حدسنا ينسبها إلى ابن الصَّيْرَفِيِّ- حتى لا ننسب لمؤرخنا ما لم يقله، أو نخلط بين كلامه وكلام غيره من المؤرخين.

المنهج في تقويم النصوص وترميمها:

وبعد أن استقر رأينا على نصوص الكتاب، وقمنا بترتيبها ترتيبًا زمنيًّا كما أشرنا، بدأنا في عملية تقويم النص وترميمه، فبدأنا بضبط النصِّ بالشكل، خاصة ما يتعلق بأسماء الأماكن والأشخاص، واجتهدنا في ذلك قدر الإمكان، ووضعنا علامات الترقيم من نقط وفواصل وحاصرتين ..... في مواضعها المناسبة حتى يُقرأ النص بطريقة صحيحة، أو لتسهيل قراءته.

كما عملنا على تصويب رسم بعض الألفاظ أو الأعلام البشرية والجغرافية الواردة في المتن والتي جاءت مُصَحَّفة أو مُحَرَّفَة في النصوص المطبوعة التي اعتمدنا عليها، أو تلك التي اعتاد الكثيرون على كتابتها بطريقة غير سليمة.

ثم عَرَّجنا على ترميم النص وإكماله، وأضفنا في بعض الحالات بعض الكلمات أو الحروف، أو حذفنا البعض من أجل إقامة النص ومناسبة السياق، ومعالجة الاضطراب الحاصل أحيانًا في بعض النصوص، ووضعنا ما اخترناه أو ما رأيناه

مناسبًا لإقامة النص في متن الكتاب بين حاصرتين، ثم وضعنا الفروق الأخرى للنصوص في حواشي الكتاب.

كما أننا- في بعض الأحيان- أبقينا على بعض العبارات التي ذكرها الناقلُ شرحًا أو توطئة لكلام ابن الصَّيْرَفِيِّ؛ لأننا رأينا أن السياق يقتضي وجودها، أو أنها مناسبة كبداية للنص، ووضعناها بين حاصرتين، وأشرنا في الحواشي إلى أنها ليست من كلام ابن الصَّيْرَفِيِّ حسب اعتقادنا.

كذلك أسقطنا من النُّقُول بعض الزيادات أو التعقيبات التي كانت تأتي لشرح كلام ابن الصَّيْرَفِيِّ أو للمقارنة بين ما ذكره ابن الصَّيْرَفِيِّ وما هو كائن في عصر المؤرخ الناقل، وهذا كان يتكرر أحيانًا عند المؤرخ ابن الخطيب الغرناطيّ، فكثيرًا ما كان يُعقِّب على كلام ابن الصَّيْرَفِيِّ أو يذكر ما طرأ على بعض الأماكن من تجديدات أو اندثار في عصره (القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلاديّ).

كما اجتهدنا في الترجمة لأعلام المرابطين الواردة أسماؤهم في المتن ترجمة وافية تحيط بجوانب العَلَمِ المترجَم له، وأحلنا على تراجمهم في كتب التراجم والطبقات متى تيسر ذلك، وحاولنا أيضًا قدر الإمكان التعريف بالأعلام الجغرافية، من حواضر وأمصار وقرى وحصون وجبال وأنهار حسب المعلومات المتاحة في المصادر المعاصرة لمؤرخنا ابن الصَّيْرَفِيِّ أو القريبة من عصره.

كلمة ختامية:

وفي الختام أقول إن ما وصل إلى أيدينا من نصوص كتاب (الأنوَار الجَلِيَّة) ليست هي- بالضرورة- جميع النصوص المتبقية من الكتاب، وإنما بذلنا جهدنا في استقصاء وجمع الروايات والنصوص المبثوثة في ثنايا المصادر المغربية والأندلسية قدر الإمكان، وقد يكون هناك نصوص أخرى لم نصل إليها، لعل الزمن يكشف عنها، فنتعرَّف عليها ونتوصل إليها من خلال المصادر المختلفة الأخرى تاريخية كانت أو غير تاريخية، مطبوعةً كانت أو مخطوطةً.

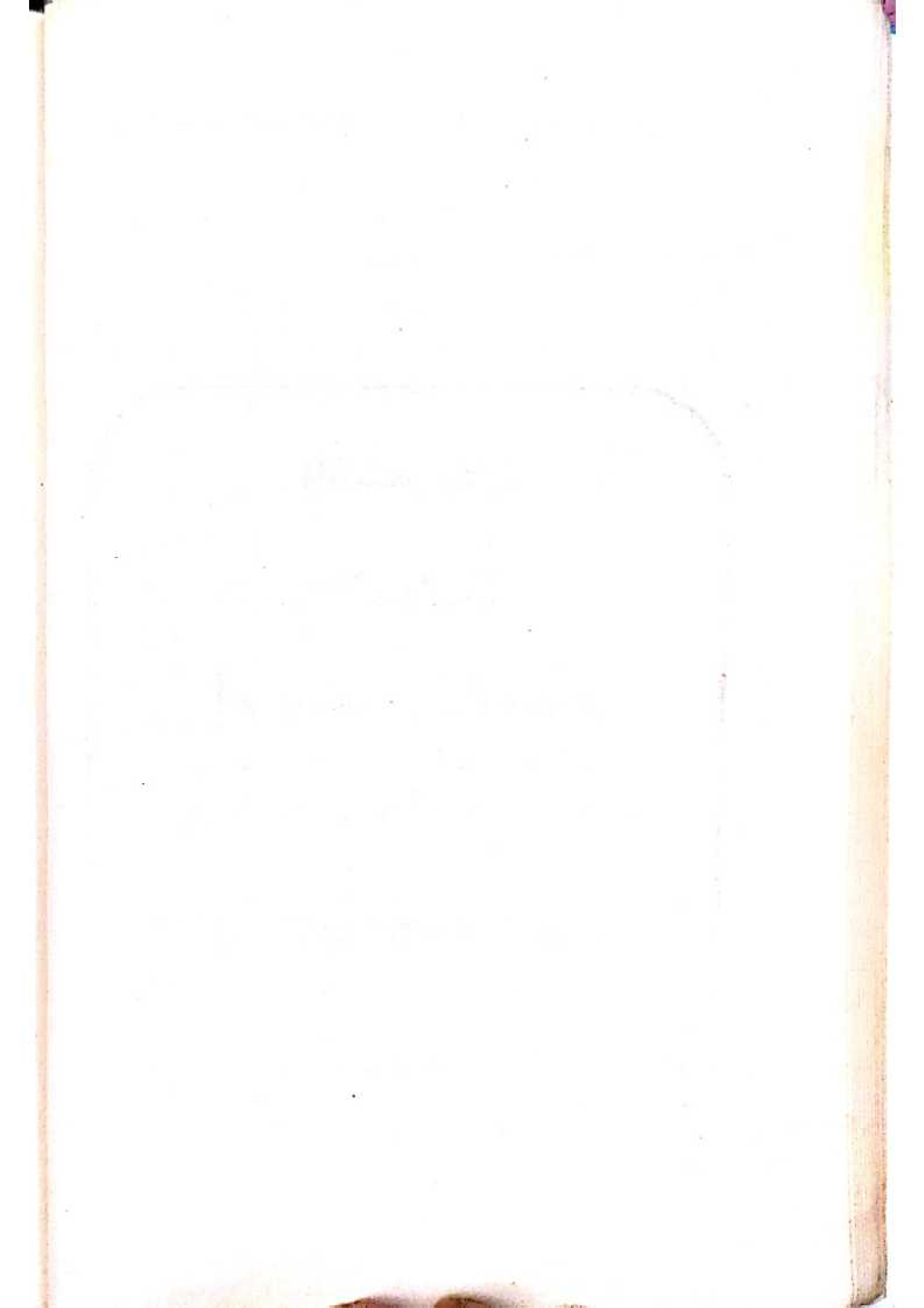
وأخيرًا، فهذا هو كتاب: (الأنوَار الجَلِيَّة فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ المُرَابِطِيَّة) لابن الصَّيْرَفِيِّ يظهر لأول مَرَّة؛ ليتوفر بين أيدي الباحثين المهتمين بتاريخ المغرب والأندلس بصفة عامة، والمهتمين بتاريخ المرابطين بصفة خاصة بعد أن اجتهدتُ في جمع شَمْل نُصُوصه المُتَفَرِّقة ورَتَّبْتُها وضَبَطْتُها وعَلَّقْتُ عليها وشَرَحْتُ غامِضَها، لتكون أيسرَ في المطالعة والاستفادة منها، آمِلاً أن أكون قد وُفِّقْتُ فيما قَصَدْتُ إليه من بذل الجهد وشدة العناية والاهتمام، راجيًا من مُطالعيه إسداء النُّصْح والتَّنْبِيه على ما فيه من هَفَوَاتٍ، والتَّجَاوز عما يكون قد تسرَّب إليه من هَنَاتٍ، فالكمال لله وحده، وهو المسئول سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، إنه ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾.

أ.د. محمَّد عَلِي دَبُّور
مكَّة المكرَّمة في: رجب ١٤٣٩ هـ / أبريل ٢٠١٨ م

القسم الأول

الدراسة

أَبُو بَكْر ابن الصَّيْرَفِيِّ الْغَرنَاطِيّ وكتابُهُ الأنوَارُ الجَلِيَّة



المبحث الأول

أبو بكر ابن الصَّيرَفِيّ

حياته ومؤلفاته

المبحث الأول
أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيّ
حياته ومؤلفاته

توطئة:

تأخذ دراسةُ حياة الشَّخصيات البارزة والمهمَّة في المجتمع أهميةً كبيرةً في تاريخنا الإسلاميّ، وهذه الأهميةُ تنبعُ من كونها تحقِّقُ إحدى غايات دراسة التَّاريخ، ألا وهي ربط الماضي بالحاضر من خلال وضعها بين أيدينا كنموذج يمكن الإفادةُ منه في الحياة المعاصرة، فضلاً عن ذلك فإنَّ البحثَ عن هذه الشَّخصيات يُعَدُّ كشفًا عن حالة التَّطور الحضاريّ الذي مرتْ به الدولةُ العربية الإسلاميةُ خلال هذه الحِقبَة من تاريخهَا، كما تكْمُن أهميةُ البحث في تاريخ هذه الشَّخصيات في أنها تضع بين أيدينا صورةً مصغَّرة ودقيقةً عن المستوى الفكريّ للعصر الذي عاصروه وعاشوا فيه، إذ لا يمكنُ فهم العصر إلا على أساس دراسة الشَّخصيات البارزة فيه والتَّعرُّف على تأثيرها في المجتمع.

وما أشرنا إليه يأخذ بُعْدًا خاصًا في التَّاريخ الأندلسيّ الذي لا يزالُ تراثه بحاجة إلى المزيد من الدراسَات للكشف عن جُهود علمائه ورموزه في المجالات العلميَّة المختلفة، ولمعرفة حجم الإضافات التي قدَّمها الأندلسيون للتُّراث العلميّ الإسلاميّ بشكل خاصٍّ، وللتُّراث الإنسانيّ بشكل عامٍّ، فقد شهد التَّاريخُ الأندلسيُّ نهضةً فكريةً بدأت في النِّصف الثاني من القرن الثالث الهجريّ/ التاسع الميلاديّ، ونشطتْ في القرون اللاحقة بشكل واضح وكبير، بل واستمرتْ حتى نهاية الوجُود الإسلاميّ في الأندلس، برزتْ في هذه النَّهضة وخلالها شخصياتٌ كثيرةٌ أدَّت دورًا مهمًّا في تحديد مسارات ذلك التَّاريخ برسمها للواجهة الفكرية له من خلال إسهامهم في تأسيس العديد من العلوم وتطويرها مثل عُلوم الحديث، والفقه، والتَّاريخ، والجغرافية وغيرها.

ونحن اليوم بصدد إضافةِ حلقة مفقودة في سلسلة أعلام الكتابة التاريخية في الفردوس المفقود، والتّعرُّف على واحدٍ من بين مؤرخي الأندلس الذين كان لهم إسهامٌ وافرٌ في هذا المجال، وهو المؤرخُ والشاعرُ أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ الغرناطيُّ الذي كُنّا – قبل هذه الدراسة – نجهلُ عنه الكثيرَ والكثير من المعلومات والبيانات.

فقد كان من قَدَرِ تراثنا ضياعُ الكثير من كُنوزه ونفائسه، وأصبحنا– للأسف– نجهلُ كثيرًا من المعلومات عن العديد من الشّخصيات المرموقة التي لا نعرف دورَهَا ونشاطَهَا إلا من خلال النُّتف اليسيرة المبثوثة في ثنايا كُتب التّراجم والتّاريخ وغيرها، وهذا الفقرُ في المعلومات لا ينبغي أن يَثْنِيَ عزمَنا عن ضرورة مواصلة البحث والتنقيب للكشف عن جوانب هذه الشّخصيات، والوقوفِ على قيمتها التّاريخية وما قدَّمته للتُّراث الإسلاميِّ من نفائسَ وكنوزٍ.

وكان من هؤلاء المجهولين في تاريخ الأندلس (أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ) مؤرخُ دولة المرابطين في المغرب والأندلس، حيث كان من الشّخصيات التي تنوعتْ معارفُها وتعددتْ أنشطتُهَا، فقد جمع بين التّاريخ والأدب، فكان مؤرخًا مُبَرِّزًا ترك لنا العديد من المؤلفات التاريخية المهمَّة، كما كان شاعرًا متميزًا حاز قصب السَّبْق في العديد من الصُّور الشِّعرية والفُنون الأدبيَّة[1].

بالإضافة إلى ذلك فقد كان من الذين خاضوا غمار السِّياسة إلى جانب العديد من أمراء دولة المرابطين في المغرب والأندلس، وكان من أهل الثِّقة عند هؤلاء الأمراء

---

(١) تجدر الإشارة هنا إلى تلكم الدراسة التي قام بها الدكتور/ محسن إسماعيل محمد تحت عنوان: (أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ: الشاعر والمؤرخ)، المنشورة بمجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد – المجلد الثامن والعشرون– مدريد ١٩٩٦ م، ص ٨٣-٩٧. وقد تركزت هذه الدراسة حول الشخصية الشعرية لأبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ، فتحدثت عن إبداعاته الشعرية، وبراعته في فن التوشيح في الأندلس، بل صنفته الدراسة المذكورة من كبار الوشاحين في عصره، ولم تتعرض للحديث عن شخصيته التاريخية ومؤلفاته ومنهجه في هذا الميدان الذي خصصنا له هذه الدراسة.

ومن المقرَّبين إليهم، له كلمةٌ مسموعةٌ، ورأيٌ موثوقٌ به، وشخصيةٌ لها حضورُها في العديد من المواقف والمشاهد، وبالجملة فقد كان من أبرز الشَّخصيات العلميَّة والسياسيَّة في البلاط المرابطيِّ في الغرب الإسلاميِّ.

لكل هذه الاعتبارات رأينا – من خلال هذه الدراسة – ضرورةَ بذل المزيد من الجهد للكشف عن جوانب هذه الشَّخصية الألمعيَّة المتميِّزة، مع التَّركيز على الجانب التاريخيِّ لديها؛ لمعرفة ما قدمتْهُ للمكتبة الإسلاميَّة من مؤلفاتٍ تاريخيةٍ، والوقوفِ على منهجها التاريخيِّ في معالجة وصياغة ما عاصرتْهُ من أحداثٍ من خلال نُصُوص كتابه المفقود: (الأَنْوَار الجَلِيَّة فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ المُرَابِطِيَّة).

فمَن هو أبو بكْر ابن الصَّيْرَفِيِّ؟

أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ واحدٌ من مُؤرخي الأندلس المعروفين في القرن السَّادس الهجريِّ/ الثَّاني عشر الميلاديِّ، بل هو من كبار طبقة المؤرِّخين في عصره رغم قلَّة المعلومات المعرُوفة عنه؛ نظرًا لضياع كُتبه ومصنَّفاته المتعدِّدة الاتجاهات والفُنون، وسنحاول في السُّطُور التَّالية التَّعرُّفَ على شخصية هذا المؤرِّخ، فنبحثُ عن حياته الشَّخصيَّة، ونشاطه السِّياسيِّ، وأهم ما تركه لنا من تراثٍ تاريخيٍّ له قيمتُهُ الكبرى التي ظهرتْ بوضوحٍ في المصادر التي نقلت عنه واعتمدت على كتبه التَّاريخيَّة.

١- حياته الشخصية:

- **اسمه كاملاً وكنيته ولقبه:**

أجمع المؤرِّخون وأصحابُ كُتُب التَّراجم على أن اسْمَه كاملاً: يحيى بن محمَّد بن يُوسُف الأنصاريّ، وكنيته أبو بَكْر[1]، ويُعرف بابن الصَّيْرَفِيّ[1].

(١) ذكره صاحبُ الحلل المَوْشِيَّة بكنية (أبي زكرياء) عند إيراده لإحدى قصائده في الأمير أبي محمد تاشُفين بن علي، وذكره بالكنية نفسها ابن سودة في دليل مؤرخ المغرب الأقصى، مخالفَيْن بذلك ما ذكره جميعُ من

• بلده وموطنه الأصليّ:

عُرِفَ بالغَرناطيّ، نسبةً إلى مَوْطنه الأصليّ ومسقط رأسه غَرْنَاطَة (Granada)[٢]، فهو من أهلها بلا خلافٍ بين المؤرخين، حيث وُلِدَ بها سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م[٣].

ترجموا له، وذكروا أن كنيته (أبو بكر). انظر: الحلل المَوْشِيَّة في ذكر الأخبار المَرَّاكُشِيَّة – تحقيق: د. سهيل زكّار و أ. عبد القادر زمامة– نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة– الدار البيضاء – ط ١، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م، ص ١٢٤. ابن سودة المري: دليل مؤرخ المغرب الأقصى– دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت– ط١، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م، ص ٨٣، الترجمة رقم ٤٤٧. لكن يبدو أن كل مَن كان يُسمّى (يحيى) كان يُكْنى بإحدى الكنيتين أو كلتاهما معًا، ونظرة سريعة إلى كل مَن كان اسمه (يحيى) من الأندلسيين تثبت ذلك.

(١) لم تذكر المصادرُ سببَ تلقيبه بهذا اللقب، لكنَّ كثيرين في التاريخ يُعرفون بهذا اللقب أيضًا؛ لأن أباهم أو أحد أجدادهم كان صيرفيًّا، يعمل في تصريف الدَّراهم والدَّنانير، أو في سوق الصيارفة، وربما كان الأمر كذلك مع مؤرِّخنا هنا، يقول ابن خلكان: "والصَّيْرَفيُّ بفتح الصاد المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعدها فاء، هذه النسبة مشهورة لمن يصرف الدنانير والدراهم". انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان– حققه: د. إحسان عباس– دار صادر– بيروت– د.ت، ٤/ ١٩٩.

(٢) غرناطة (Granada): مدينة من أهم المدن الإسبانية، وتقع في الجنوب الشرقي من إسبانيا، محمية من الشمال بمرتفعات مطلة على نهر الوادي الكبير (Guadalquivir)، ومن الجنوب نهر شنيل (Genil) الذي ينبع من جبال "سييرا نيفادا" (Sierra Nevada)، وتبعد عن البحر بنحو ٧٠ كلم، وارتفاعها عنه بنحو ٧٣٨ م، واسمها مأخوذ من كلمة "جراناذا Granada" الإسبانية، التي تعني شجر الرمان وثماره، أو من كلمة غرناطة العربية التي تعني "تل الغرباء"، وهي إحدى المدن القديمة في كورة إلبيرة (Elvira)، وتقع على بعد ٦ أميال منها إلى الجنوب الشرقي، وفي زمن الفتنة خلت كورة إلبيرة وانتقل أهلها منها إلى غرناطة، وقد مدَّنها وحصَّن أسوارها وبنى قصبتها حبُّوس بن زيري الصنهاجي، ثم خلفه ابنه باديس بن حبُّوس فكملت في أيامه وعَمُرت حتى لحقت بأمصار الأندلس المشهورة، واشتهرت بالزراعة والعديد من الصناعات، ومن أهم معالمها: حي البيازين وقصر الحمراء وجنة العريف وغيرها، وقد عاشت غرناطة فصولا مختلفة من التاريخ حتى صارت الحاضرة الأخيرة للمسلمين في الأندلس على يد بني نصر (أو بني الأحمر) إلى أن سقطت في أيدي النصارى في (٢ من شهر ربيع الأول سنة ٨٩٧ هـ/ ٢ من شهر يناير سنة ١٤٩٢ م) على يد الملكين الكاثوليكيين فرناندو وإيزابيلا، وبسقوطها طويت صفحة الوجود الإسلامي في الأندلس. انظر: ابن غالب: فرحة الأنفس، ص ٢٤. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ٢٣، ٢٩. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٢٤٤. أ. عنان: الآثار الأندلسية الباقية، ص ١٦٠ وما بعدها.

(٣) انظر: ابن الزبير: صلة الصِّلة، القسم الأخير– تحقيق: ليفي بروفنسال– الرباط، ١٩٣٨ م، ص ١٨٣، ترجمة رقم ٣٦١. ابن الخطيب: الإحاطة– تحقيق: أ. محمد عبد الله عنان، ٤/ ٤٠٧. ابن الأبار: التكملة– تحقيق: د. عبد السلام الهراس– دار الفكر للطباعة– لبنان، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ٤/ ١٧٣، الترجمة رقم ٥٠٨.

• **مناقشة تاريخ وفاته:**

اختلف المؤرِّخون وأصحابُ كُتُب التَّراجم في تحديد سنةَ وفاته، فذكر ابنُ الأبار البلنسيّ أنه تُوفى بمدينة أُورِيُولَة الأندلسيَّة (Orihuela)[1] من أعمال مُرْسِيَة (Murcia)[2]، حيث كان قد انتقل إليها في أُخريات حياته، ووافته المنيةُ بها سنة ٥٥٧ هـ/ ١١٦١ م، وهو ابنُ تسعين سنةً أو نحوهَا، وكان من المعمَّرينَ[3]، وقد تابعه على ذلك حاجِّي خليفة، وإسماعيلُ البغداديُّ، وخيرُ الدين الزركليّ، وعمر رضا كَحَّالة وابن سَوْدَة المري وغيرُهم[4].

---

(١) أوريولة (Orihuela): مدينة أندلسية قديمة واسمها يعني: الذهبية، وتسمى أيضًا: تدمير باسم صاحبها تدمير بن عبدوس (Teodomiro BErgobado) الذي كان يحكمها أيام الفتح الإسلامي، كما أطلق اسمه على كورة تدمير كلها، وكانت أوريولة عاصمة تلك الكورة، وتقع هذه المدينة على ضفة نهر شقورة (Rio Segura)/ النهر الأبيض، وتتميز قصبتها بالامتناع والحصانة، وأرضها بالخصب والنماء، فكانت كثيرة الخيرات، عظيمة الغلات، وتتصل بساتينها ببساتين مرسية (Murcia) التي تبعد عنها ١٢ ميلاً، بينما تبعد عن قرطاجنة (Cartagena)-التي تعتبر ميناءها على البحر الأبيض المتوسط- بنحو ٤٥ ميلاً، وبعد تاريخ حافل بالأحداث والتقلبات وبعد ضعف الموحدين عقد واليهم على مرسية محمد بن علي بن هود صلحًا مع ملك قشتالة وسلمه أوريوله بموجب هذا الصلح سنة ٦٤٠ هـ/ ١٢٤٢ م. انظر: البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص ٦٢. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٢٨٠. العذري: نصوص عن الأندلس، ص ١٠. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٥٧-٥٥٨.

(٢) مرسية (Murcia): مدينة تقع شرق الأندلس وفي جنوب شرق إسبانيا على ضفاف نهر شقورة (Segura)، وتطل على البحر الأبيض المتوسط. وهي عاصمة منطقة مرسية، وكانت-قديمًا- تمثل قاعدة كورة تُدمير، وقد بناها جابر بن مالك بن لبيد عامل تدمير زمن الأمير عبد الرحمن الأوسط، وقد سقطت نهائيًا في أيدي النصارى سنة ٦٤١ هـ/ ١٢٤٣ م. انظر: العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٦. ذكر بلاد الأندلس لمؤلف مجهول، ص ٧٥-٧٦. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٥٩. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨١-١٨٣. أ. عنان: الآثار الأندلسية الباقية، ص ٩٩.

(٣) ابن الأبار: التكملة (تحقيق: د. عبد السلام الهراس)، ٤/ ١٧٣، الترجمة رقم ٥٠٨.

(٤) انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان- د.ت، ١/ ٢٧٩. إسماعيل البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين والمصنفين- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان، ١٩٥٥ م، ٢/ ٥٢٠. خير الدين الزركلي: الأعلام، ٩/ ٢٠٨. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ١٣/ ٢٣٠. ابن سودة المري: دليل مؤرِّخ المغرب الأقصى، ص ٨٣، الترجمة رقم ٤٤٧.

بينما ذكر الغرناطيان أبو جعفر ابن الزُّبير ولسانُ الدين ابن الخطيب أنه "تُوُفِّيَ بغرناطة في حدود سنة ٥٧٠ هـ/ ١١٧٤ م، أو قبلَ ذلك، عن سنٍّ عاليةٍ"[١].

وهنا نلاحظ أن ما قدَّمه الغرناطيَّان ابنُ الزُّبير وابنُ الخطيب يشي بأنهما لم يقفا على تاريخ الوفاة تحديدًا، أو لا يعرفانه على وجه التحديد، وأنَّ ما ذكراه إنما هو تاريخٌ تقريبيٌّ وليس التاريخَ الدقيق لوفاة مؤرِّخنا أبي بكرابن الصَّيْرَفِيِّ، لذا فقد استعمل ابنُ الزُّبير في تعبيره كلمة: "في حدود"، ثم لكي يخرج من عهدة هذه الرواية زاد فقال: "أو قبل ذلك"[٢]، وهو تعبيرٌ يشيرُ إلى أنه من المحتمل أن يكون ابنُ الصَّيْرَفِيِّ قد توفي قبل هذا التَّاريخ (وهو سنة ٥٧٠ هـ/ ١١٤٧ م)، بينما اكتفى ابنُ الخطيب بقوله: "في حدود"[٣].

في حين قدَّم لنا ابنُ الأبَّار تاريخ الوفاة دون ترددٍ أو شكٍّ، فقال: "وسكن بأُخرةٍ من عُمُره أوريُولَة من أعمال مُرْسِيَة، فتوفي بها سنةَ سبعٍ وخمسين وخمسمائة..."[٤].

كما أضاف إلينا إضافةً مهمَّة حين تكلَّم عن عُمُره يوم وفاته فقال: "وهو ابنُ تسعين سنةً أو نحوها"، فلو أضفنا هذا العُمرَ إلى تاريخ الميلاد الذي أمدنا به ابنُ الزُّبير فيما سبق - وهو سنة ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٤ م - فإنَّ تاريخ الوفاة سيكونُ سنة ٥٥٧ هـ/

---

(١) انظر: ابن الزبير: صلة الصلة، القسم الأخير- تحقيق: ليفي بروفنسال- الرباط، ١٩٣٨ م، ص ١٨٣، ترجمة رقم ٣٦١. ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة- تحقيق: أ. محمد عبد الله عنان- مكتبة الخانجي بالقاهرة- ط ١، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م، ٤/ ٤١٥. ونقل السيوطي عنهما هذا الرأي في كتابه: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة- دار الفكر- بيروت- ط٢- ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م، ٢/ ٣٤٣، ترجمة رقم ٢١٤٣.

(٢) ابن الزبير: صلة الصلة، القسم الأخير- تحقيق: ليفي بروفنسال- الرباط، ١٩٣٨ م، ص ١٨٣، ترجمة رقم ٣٦١.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١٥.

(٤) ابن الأبار: التكملة (تحقيق: د. عبد السلام الهراس)، ٤/ ١٧٣، الترجمة رقم ٥٠٨. وراجع أيضًا: شمس الدين الذهبي: المستملح من كتاب التكملة- تحقيق: د. بشار عواد معروف- دار الغرب الإسلامي- تونس- ط ١، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م، ص ٤٠١، الترجمة رقم ٨٤٨.

١١٦١ م، وهو التَّاريخ الذي ذكرهُ ابنُ الأبَّار لوفاة مؤرِّخنا أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ كما رأينا، ومن ثَمَّ فإن كلامَه يكون أدقَّ مما ذكره الغرناطيان ابنُ الزُّبير وابنُ الخطيب؛ لأن التَّاريخ الذي ذكراه – وهو سنة ٥٧٠ هـ/ ١١٤٧ م – سيجعل عُمُرَ مؤرِّخنا عند وفاته مائة وثلاث سنوات، وليس تسعين سنةً كما ذكر ابنُ الأبَّار.

وإزاءَ هذه المعطيات فإني أطْمئنُّ تمامًا إلى التَّاريخ المباشر والمؤكَّد الذي ذكره ابنُ الأبَّار لوفاة مؤرِّخنا أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ وهو سنة ٥٥٧ هـ/ ١١٦١ م، وأتركُ جانبًا ما ذكره الغرناطيان ابنُ الزُّبير وابنُ الخطيب؛ لأنه تاريخٌ مبنيٌّ على الاحتمال والشكِّ والتردد، بالإضافة إلى أنه لا يتوافقُ مع معلومة عُمُر مؤرِّخنا عند وفاته والتي قدَّمها لنا ابنُ الأبَّار.

• مكانتُهُ العلميةُ والأدبيةُ والتاريخيةُ:

كان ابنُ الصَّيْرَفِيِّ واحدًا من أكابر عُلماء غرناطة في النِّصف الأول من القرن السادس الهجريِّ/ الثاني عشر الميلاديِّ، وقد حظي باهتمام وتقدير أدباء الأندلس ونقَّادها، مما يدلُّ على علوِّ منزلته ورفعة مكانته عندهم، ولا شكَّ أن ما كان يمتلكُه من مؤهلات وملكات كانت وراء هذا التقدير وذاك الثناء الجميل، فقد برع – رحمه الله – في كثير من المجالات العلمية، والفنون الأدبية، فكان "نسيجَ وحدِهِ في البلاغة والجزالة، والتَّبريز في أسلوب التَّاريخ، والتملُّؤ من الأدب، والمعرفة باللغة والخبر"[١]، ومن أهل المعرفة بالأدب والعربية والفقه والتَّاريخ، ومن الكُتَّاب المجيدين، والشُّعراء

---

(١) انظر: ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤٠٧.

المطبوعين المُكْثِرين[1]، وقد أثنى عليه المؤرِّخُ الكبيرُ عبدُ الرحمن بن خلدون وأطلق عليه: "شاعر لَمْتُونَة وأهل الأندلس"، وأورد له بعضَ الأشعار كما سنرى بعد ذلك[2].

كما أثنى عليه أيضًا بلديُّهُ الغرناطيُّ المشهور المعروف لسانُ الدين ابن الخطيب، وأفرد نصًّا مهمًّا لشخصيته الأدبيَّة والعلميَّة وبراعته في الناحيتين، وما يتميز به من ملكاتٍ وصفات جعلته يتصدَّرُ النخبةَ الثقافية والأدبية في عصره بلا مُنازع، فقال عنه: "كان آيةً باهرة، ومعجزةً ظاهرة، عُرِفَ إحسانُه، وأصابَ الغرضَ لسانُه، بَهَرَت أنوارُ أقسامه فاجْتُلِيَتْ، وسُطِّرَتْ بدائعُ معانيه وتُلِيَتْ، مع تحقُّق الآداب، واتِّساعٍ في اللغات وحفظ الشعر والأنساب، مَدَحَ الدولَ والملوك، ونظمَ على أجيادهم تلك الدُّرر في السُّلوك، وله في الدولة اليُوسُفِيَّة مدائحُ؛ لاختصاصه بأربابها وتعلُّقه بأسبابها"[3].

ومما يدل على مكانته العلميَّة العالية وتقدير المؤرِّخين اللاحقين له ما حلاَّه به صاحبُ كتاب الحُلَل المُوْشِيَّة- وهو من أهل القرن الثامن الهجريّ/ الرابع عشر الميلاديّ- حيث وصفه بـ(الفقيه الكاتب)[4].

---

(١) انظر: ابن الزبير: صلة الصلة، القسم الأخير، ص ١٨٣، ترجمة رقم ٣٦١. السيوطي: بغية الوعاة، ٢/ ٣٤٣، ترجمة رقم ٢١٤٣.

(٢) ابن خلدون: المقدمة – تحقيق: د. على عبد الواحد واف- طبعة: لجنة البيان العربي- القاهرة – ط ٢ مزيدة ومنقحة، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧م، ٢/ ٧٢٣-٧٢٦. ولَمْتُونَة هي القبيلة البربرية التي ينتمي إليها المرابطون، حيث ينحدر المرابطون من هذه القبيلة التي هي فخذ من صنهاجة، أعظم قبائل البربر وأوفرها رجالاً، وتنقسم صنهاجة إلى سبعين قبيلة منهم: لَمْتُونَة، وجدالة، ومسوفة، ولمطه، ومسراته، وتكلاتة، ومنداسة، وبنو وارث، وغيرهم.

(٣) ابن الخطيب: جيش التوشيح – حققه وقدم له وترجم لوشاحيه: هلال ناجى- وأعدَّ أصلاً من أصليه: محمد ماضور- مطبعة المنار- تونس ١٩٦٧ م، ص ١٢٠. ويقصد هنا بالدولة اليوسفية دولة المرابطين، وقد نسبها إلى مؤسسها الحقيقيّ الأمير (يوسف بن تاشفين).

(٤) الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ١٢٤.

كما يبدو أنه كان لمؤرِّخنا ابن الصَّيْرَفِيِّ باعٌ طويلٌ ومعرفة دقيقة بالسلوك الإنسانِيِّ والحكم والمواعظ الملوكيَّة والسِّياسة الشرعيَّة، مما هيأ له أن يكون مستشارًا لأمراء المرابطين، يُلْقي عليهم- من خلال مديحه لهم- حكمه ومواعظه ونصائحه السِّياسيَّة، ولم يكن الشعرُ فقط هو الوسيلة الوحيدة التي كان يبثُّ من خلالها هذه النَّصائحَ وتلك التوجيهات، بل وضع كتابًا فريدًا في هذا المضمار، هو كتاب (تقصِّي الأنباء في سياسة الرُّؤساء)[1]، وسيأتي الحديث عنه فيما بعد.

• شيوخُهُ:

أتيح لأبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ أن يتتلمذ على نُخْبة من علماء عصره الأجلاء، ويأخذ عنهم مختلفَ العلوم والفنون والمعارف، حتى صار نسيجَ وَحْدِهِ في العديد منها، فقد ذكر السُّيُوطيُّ أنه أخذ عن القاضي المعروف أبي بكر ابن العربيِّ[2]، وكذلك أشار بلديُّهُ الثاني ابن الزُّبير الغرناطيُّ - في صلته - إلى شيوخ أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ بصورة أوسعَ، فقال: أخذ عن أبي الحسن ابن مُغيثٍ[3]، وأبي بكر ابن العربيِّ، وأبي مروان ابن بُونُهْ[1]، وغيرِهم[2].

---

(١) انظر: ابن عذاري: البيان المغرب (تحقيق ومراجعة: د. إحسان عباس)، ٤/ ٤٩.

(٢) السيوطي: بغية الوعاة، ٢/ ٣٤٣. وأبو بكر ابن العربيّ هو الفقيه والقاضي والأديب والرحالة المعروف محمد بن عبد بن العربي، من أهل إشبيلية ومن كبار علمائها، وكانت له رحلة إلى المشرق، لقي فيها كبار العلماء المشارقة وأخذ عنهم، ثم عاد إلى الأندلس بعلم كثير لم يدخله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق، وتوفي على مقربةٍ من مدينة فاس المغربية ودفِن بها سنة ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨ م. انظر: انظر: ابن العربي: قانون التأويل- دراسة وتحقيق: محمد السليماني- منشورات دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة، ومؤسسة علوم القرآن ببيروت- ط١، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م، ٤١٥-٤١٩. سعيد أعراب: مع القاضي أبي بكر ابن العربي- دار الغرب الإسلامي- بيروت - ط١، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م، ص ١٨٧-١٩١.

(٣) هو شيخ قرطبة المعظم في وقته أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث، من أكابر الحفاظ في عصره، مشاورًا في الأحكام، بصيرًا بالرجال وأسمائهم وأزمانهم، وثقاتهم وضعفائهم، وله معرفة بعلماء الأندلس وملوكهم وسيرهم وأخبارهم، أخذ الناس عنه كثيرًا، ولد في رجب سنة ٤٤٧ هـ/ ١٠٥٥ م، وتوفي في جمادى الآخرة

٢ـ عصرُهُ: الأوضاعُ السِّياسيَّة والبيئة الثَّقافيَّة:

شهد أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ فترة تُعَدُّ من أزهى عُصُور المسلمين في الأندلس على المستويين السياسيِّ والثقافيِّ، ولكي نتعرَّف على شخصيته ونحسنَ الحكمَ عليها لابد أن نعرف الأوضاعَ السِّياسيَّة التي عاصرها وشارك في أحداثها، وكذلك البيئة الثقافيَّة التي عاشها ونافسَ فيها، وكان من أبرز رجالها، ونجمًا في فلكها، وسنحاول في السُّطور التَّالية أن نتعرَّف على الظُّروف التي أحاطت بابن الصَّيْرَفِيِّ وأثَّرت في شخصيته السِّياسيَّة والعلميَّة.

• أولاً: الأوضاع السِّياسيَّة:

ما بين تاريخ الميلاد (٤٦٧ هـ/ ١٠٧٤م)، وتاريخ الوفاة الذي رجَّحْناه (٥٥٧هـ/ ١١٦١ م) فترةٌ طويلةٌ بلغت تسعين سنةً هي عُمُر مؤرِّخنا أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ الغرناطيِّ، وإذا تأملنا هذه الحقبةَ ألفيناها تمثِّل فترةً مهمَّة من تاريخ دولة المرابطين في المغرب والأندلس، بل تمثِّل قمةَ تاريخ هذه الدولة الكبرى وأوج قوتها، حيث كانت قد بسطت نفوذها على الأندلس بعد أن نجحت في توحيد بلاد المغرب تحت سلطانها، وأصبحت القوة السياسية الكبرى في هذين القطرين بلا منازع، ولعلنا نؤكد هنا أن أبا بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ قد أصبح يدرك ما حوله من أحداث ويتعايش معها

سنة ٥٣٢ هـ/ ١١٣٧ م. انظر: ابن بشكوال: الصلة (تحقيق: د. بشار عواد معروف)، ٢/ ٣٣٧-٣٣٨، الترجمة رقم ١٥١٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢٠/ ١٢٣.

(١) هو أبو مروان عبد الملك بن بُونُهْ بن سعيد بن عصام بن محمد بن ثور القرشي العبدري، من أهل غرناطة، وسكن مالقة وولي قضاءها، ويُعْرَف بابن البيطار، وكان من أهل المعرفة بصناعة الحديث والعناية بالتقييد، توفي بمالقة سنة ٥٤٩ هـ/ ١١٥٤ م، وقد قارب الثمانين، وكان مولده سنة ٤٦٢ هـ/ ١٠٦٩ م. انظر: الضبي: بغية الملتمس (تحقيق: أ. إبراهيم الإبياري)، ص ٤٨٩، الترجمة رقم ١٠٦٣. ابن الأبار: التكملة (تحقيق: د. عبد السلام الهراس)، ٣/ ٧٨، الترجمة رقم ١٨٩. المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ص ٢٥٥، الترجمة رقم ٢٣٠. ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة- السفر الخامس، ص ١٥-١٦، الترجمة رقم ٢١.

(٢) انظر: ابن الزبير: صلة الصلة، القسم الأخير، ص ١٨٣، ترجمة رقم ٣٦١.

ويتابعها عندما انضوت الأندلس رسميًّا تحت حكم المرابطين سنة ٤٨٤ هـ/ ١٠٩١ م، حيث كان قد بلغ السابعة عشرة من عمره، وأعتقد أنها سن تؤهله لتلك المتابعة وذاك التعايش مع الأحداث والتقلبات السياسية من حوله.

ويُعَدُّ القرنُ السادس الهجريّ/ الثاني عشر الميلاديّ- الذي عاش فيه أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيّ ما يقارب سبعة وخمسين عامًا- عصر اليقظة الأخيرة في تاريخ الأندلس الإسلاميّ، عصر الصحوة الذي سبق عصور الاضمحلال المتصلة التي تبدأ من أول القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وهي صحوة قصيرة عنيفة سبقتها إرهاصاتٌ أنبأت عن عود الإسلام الأندلسيّ إلى النصر والعزة بعد ذلك الانكماش المستمر الذي عاناه طوال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلاديّ عقب زوال الخلافة الأموية الأندلسية[1].

وفي تلك الحقبة شهد أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيّ جهودَ يوسف بن تاشُفين لتوحيد بلاد المغرب، وجهودَهُ لإنقاذ بلاد الأندلس من خطر النصارى، وانتصاراته المتتابعة عليهم، وكان أولها انتصاره الكبير في معركة الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦ م[2] بعد

---

(١) انظر: د. حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين-مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م، ص ٥.

(٢) وقعت هذه المعركة بالقرب من مدينة بطليوس في سهل تسميه الروايات الإسلامية "سهل الزلاقة"، بينما تسميه الروايات النصرانية "سَكْرَالْيَاس" (Sacralias)، فكانت إحدى المعارك الشهيرة في تاريخ الأندلس، وحلقة في سلسلة الحروب الصليبية التي واجه بها الغرب المسيحي المسلمين هناك، وكانت في يوم الجمعة (١٢ من رجب سنة ٤٧٩ هـ/ ٢٣ من أكتوبر سنة ١٠٨٦ م) على أرجح الآراء، وانتهت بانتصار المسلمين انتصارًا عظيمًا كسر شوكة النصارى مدة من الزمن، وأعاد للمسلمين مجدهم وعزهم في بلاد الأندلس مرة أخرى. انظر عن هذه المعركة وتاريخها واختلاف المؤرخين في تحديده: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٤٩. ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ٢/ ٥٤٦. الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ٤٠. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٠/ ١٥٤. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٧/ ٧١٧. المراكشي: المعجب، ص ١٣٥. ابن خلدون: العبر، ٦/ ١٨٦. ابن الأحمر وآخرون: بيوتات فاس الكبرى، ص ٣٠.
- A. G. Palencia: Historia de la España Musulmana, p. 84.
- M. G. Remiro: Historia de Murcia Musulmana, p. 133.
وانظر: مناقشة المستشرق الهولندي رينهارت دوزي لاختلاف هؤلاء المؤرخين، وسبب هذا الاختلاف في كتابه: المسلمون في الأندلس- ترجمة د. حسن حبشي، الجزء الثالث، حواشي الفصل الثاني عشر، حاشية رقم ٢٨ من ص ٢٠١. وانظر أيضًا: د. حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٢٨١-٢٨٢. والتاريخ الراجح ما ذكرناه في المتن أعلاه.

عام واحد من سقوط مدينة طليطلة Toledo[(١)] في يد ألفونسو السادس Alfonso VI ملك قشتالة (سنة ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م)، فكان هذا النصرُ "إيذانًا بتحول حاسم في مجرى تاريخ الغرب الإسلامي كله، فقد وقف تيار الغزو النصرانيّ، وبدأت فترة استرداد إسلامية، استعادت فيها جيوشُ المرابطين كثيرًا مما فقده المسلمون خلال السنوات الماضية، واقتربت جيوشُ الإسلام من طليطلة تناوشها وتحاول استعادتها"[(٢)].

وقد أمدنا ابنُ الصَّيْرَفِيِّ بنصٍّ مهم مُفْعَم بعبارات الثناء والمديح لأمير المسلمين يوسف بن تاشُفين، متكلمًا عن بعض صفاته الشخصية، فقال: "كَانَ رَحِمَهُ اللهُ خَائِفًا لِرَبِّهِ، كَتُومًا لِسِرِّهِ، كَثِيرَ الدُّعَاءِ وَالاسْتِخَارَةِ، مُقْبِلاً عَلَى الصَّلاَةِ، مُدِيمًا لِلاسْتِغْفَارِ..."، ومُعَرِّجًا على الكلام عن منهجه في الحكم، فقال: "... وَيَحُضُّ عَلَى الْعَدْلِ، وَيَصْدَعُ بِالْحَقِّ، وَيُعَضِّدُ الشَّرْعَ، وَيَحْزِمُ فِي الْمَالِ، وَيُولَعُ بِالاقْتِصَادِ فِي الْمَلْبَسِ وَالْمَطْعَمِ وَالْمَسْكَنِ"، وكذلك طريقته في معاقبة المخالفين، فقال: "أَكْثَرُ عِقَابِهِ لِمَنْ تَجَرَّأَ أَوْ تَعَرَّضَ لانْتِقَامِهِ الاعْتِقَالُ الطَّوِيلُ وَالْقَيْدُ الثَّقِيلُ وَالضَّرْبُ الْمُبَرِّحُ، إلا مَنِ انْتَزَى أَوْ شَقَّ الْعَصَا فَالسَّيْفُ أَحْسَمُ لانْتِثَارِ الدَّاءِ"، مشيرًا أيضًا إلى اهتمامه بأمور الرعية، فقال: "وَما زَال

---

(١) طليطلة (Toledo): مدينة أندلسية عريقة في القدم تقع على بعد ٧٥ كم من العاصمة الإسبانية مدريد (Madrid)، وتقع على مرتفع منيع تحيط به أودية وأجراف عميقة، تتدفق فيها مياه نهر تاجُه (Tajo)، ويحيط وادي تاجُه بطليطلة من ثلاث جهات مساهمًا بذلك في حصانتها ومنعتها، واسم طليطلة تعريب للاسم اللاتيني "توليدوث" (Tholedoth)، وكان العرب يسمونها (مدينة الأملاك)؛ لأنها كانت دار مملكة القوط ومقر ملوكهم، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس، وقلَّ ما يُرى مثلها إتقانًا وشماخة بُنيان، وكانت أول المدن الأندلسية سقوطًا في أيدي النصارى، حيث أخذوها سنة ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م، على يد ألفونسو السادس (Alfonso VI) ملك قشتالة. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤/ ٣٩-٤٠. ذكر بلاد الأندلس لمؤلف مجهول، ص ٤٧-٤٨. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٥١-٥٥٢. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٣٠-١٣٥.

(٢) د. حسين مؤنس: المرجع السابق، ص ٦.

إِلَى أَنْ لَقِيَ اللهَ مُجِدًّا فِي الأُمُورِ، مُلَقَّنًا لِلصَّوَابِ، مُسْتَحِبًّا حَالَ الجِدِّ، مُؤَدِّيًا إِلَى الرَّعَايَا حَقَّهَا مِنَ الذَّبِّ عَنْهَا، وَالْغِلْظَةِ عَلَى عَدُوِّهَا، وَإِفَاضَةِ الأَمْنِ والعدل فيها"، ومحددًا لنا الوقت الذي اتخذ فيه لنفسه لقب (أمير المسلمين) فقال: "تَسَمَّى بِأَمِيرِ المُسْلِمِينَ لَمَّا احْتَلَّ الأَنْدَلُسَ وَأَوْقَعَ بِالرُّومِ[(١)]، وَكَانَ قَبْلُ يُدْعَى الأَمِيرَ يُوسُفَ..."[(٢)].

وعندما توفي يوسف بن تاشُفين في أول المحرم سنة ٥٠٠ هـ/ ٢ من سبتمبر سنة ١١٠٦ م ترك لابنه عليّ بن يوسف دولة واسعة الأطراف، وصف سعتها ابن أبي زرع وصفًا دقيقًا وشاملاً، وأنهى وصفه بقوله: "وملك من البلاد ما لم يملكه والده، لأنه وجد البلاد هادئة، والأموال وافرة...."[(٣)]، وأثنى عليه ابنُ خلدون فقال: "وقام بالأمر من بعده (أي من بعد يوسف بن تاشفين) ابنُه عليّ بن يوسف فكان خير ملك، وكانت أيامه صدرًا منها وادعة..."[(٤)].

ولكن هذا العهد الموصوف بالهدوء شهد أخطر حركة وُجِّهت للمرابطين، وهي ثورة المهدي ابن تومرت ضدهم في المغرب، حيث كان لها أثر كبير في اضطراب أحوالهم في المغرب والأندلس على السواء، حيث ركز المرابطون جهدهم الحربي لمقاومته في بلاد المغرب، وانشغلوا به عن الأندلس، بل سحبوا منها معظم قواتهم وجيوشهم، فضلاً عن الأسلحة والمؤن والأموال، لصد عدوانه وإيقاف غاراته، وفقدت الأندلس بذلك كثيرًا من حماتها المدافعين عنها، فكان ذلك "أعظم فساد حا

(١) يشير هنا إلى معركة الزلاقة التي كانت سنة ٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦ م.

(٢) راجع هذا النص عند ابن الخطيب في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٣٤٩-٣٥٠. وقد وردت متفرقات من هذا النصّ في البيان المغرب لابن عذاري (تحقيق ومراجعة: د. إحسان عباس)، ٤/ ٤٦.

(٣) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس- دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط، ١٩٧٢ م، ص ١٤٤.

(٤) تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر- بتحقيق: أ. خليل شحادة ومراجعة: د. سهيل ذكار)، ٦/ ٢٥٠.

بالأندلس، واختل أمرها عليهم"[١]، وعبر ابن خلدون عن هذا التراجع فقال: "وفشل ريحُ لمتونة بالعدوة الأندلسية، وظهر أمر الموحدين وفشت كلمتهم في برابرة المغرب"[٢].

كما كان من سوء حظ المرابطين أنهم في الوقت الذي شغلوا فيه عن الأندلس بحروب "ابن تومرت" بدأت إسبانيا النصرانية انتفاضتها الكبرى ضد المسلمين في الأندلس، وتوحدت قيادتها تحت حكم "ألفونسو الأول"Alfonso I (المحارب) El Batallador ملك "أراجون" و"قشتالة" و"ليون"، وبلغ الصراع الإسلامي النصراني في عهده ذروته، وتفانى في حرب المرابطين تفانيًا لا مزيد عليه، فكان "أشد ملوك الفرنج بأسًا، وأكثرهم تجردًا لحرب المسلمين، وأعظمهم صبرًا"[٣].

وينفرد مؤرِّخُنَا ابن الصَّيْرَفِيِّ بنصٍّ طويل ومهمٍّ عن تفاصيل تلكم الحملة الكبرى الواسعة التي شنها ألفونسو الأول (المحارب) على مدن الأندلس سنة ٥١٩ هـ/ ١١٢٥ م، وهذا النص لا نجد له نظيرًا في المصادر التاريخية الأخرى، بل نقله عنه كل مَن جاءوا بعده من المؤرخين، مثل ابن عذاري المراكشي وابن الخطيب الغرناطي وصاحب الحلل الموشية.

وإزاء هذا الوضع المتفاقم وقع المرابطون بين قُطْبَي الرحى؛ ثورة "ابن تومرت" عليهم في بلاد المغرب، واتحاد الممالك النصرانية في الشمال الإسباني ضدهم، فكان

---

(١) انظر: الحلل الموشية لمؤلف مجهول (تحقيق: د. سهيل زكار وأ. عبد القادر زمامة)، ص ١٢٠.

(٢) تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر - بتحقيق: أ. خليل شحادة ومراجعة: د. سهيل ذكار)، ٦/ ٢٥١.

(٣) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ- دار صادر- بيروت - ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م، ١١/ ٣٤، وعن غزوته لمعظم المدن الأندلسية واختراقه الأراضي الإسلامية في الأندلس دون أن يجد مقاومة حاسمة، راجع:

- Francisco Codera: Decadencia y Desaparición de los Almorávides en España – Zaragoza, 1899, p. 13-16.

ذلك من أهم عوامل ضعفهم العسكري، حيث تشتت قواتهم بين العدوتين، وبدأت نُذُر ضياع دولتهم تلوح في الأفق، فانتهز النصارى هذه الفرصة، فكثفوا غاراتهم على كثير من المدن الأندلسية حين علموا عجز الإمارة المرابطية عن الدفاع عنها، حتى تغلبوا على كثير من هذه المدن رغم الجهود الكثيرة التي بذلها علي بن يوسف للمحافظة على ملك المرابطين[١].

وبعد وفاة علي بن يوسف بن تاشفين سنة ٥٣٧ هـ/ ١١٤٢ م بدأ الخط البياني لقوة المرابطين في الهبوط السريع، حيث ترك هذا المُلك العريض والحافل بالمشاكل والمصاعب لابنه أبي محمد تاشفين بن علي[٢]- وهو الأمير المرابطي الذي لازمه مؤرخُنا أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيّ كثيرًا، وحضر معه معظم غزواته الحربية، ونظم فيه كثيرًا من أشعاره وقصائده مادحًا إياه- وكان أبو محمد تاشفين شابًّا حسن الاستعداد، قال عنه ابنُ الخطيب: "وكان تاشُفين قد ولاه أبوه الأندلس، وأسكنه غرناطة، وكان بطلاً شجاعًا، جميل الهيئة، سالكًا طريق الشريعة، مستقيم الأحوال، عظيم العفاف، لم يشرب مسكرًا، ولا استعمل أهواء، ولا تلبس بشيء مما تلبس به الملوك، ورزقه الله عز وجل من الظهور على العدو وتوفيق الرأي في حربه، فهزم الجيوش، وفتح الحصون، ولم ينهض إلا ظاهرًا، ولا صدر إلا ظافرًا"[٣].

---

(١) انظر: الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ١١٩، وراجع مقال: أويثي ميراندا: "علي بن يوسف وأعماله في الأندلس- مجلة تامودا- العدد السابع- تطوان، ١٩٥٩ م، ص ٧٧-١٢٢.
- A. Huici Miranda: Ali b. Yusuf y sus empresas en Al-Andalus – en Tamuda- Núm. VII - Tetuán, 1958-1959, pp. 77-122.

(٢) يرى البعض أن وفاة علي بن يوسف هو نهاية الإمبراطورية المرابطية، انظر:
- Francisco Codera: Decadencia y Desaparición de los Almorávides en España – Zaragoza, 1899, p. 27.

(٣) ابن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط- القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام- تحقيق: د. أحمد مختار العبادي وأ. محمد إبراهيم الكتاني- نشر وتوزيع دار الكتاب- الدار البيضاء (المغرب)، ١٩٦٤ م، ص ٢٥٦-٢٥٧.

وهنا نجد مؤرخنا ابن الصَّيْرَفِيِّ يُكْثِر من الثناء على أميره تاشُفين بن عليّ ويصفه لنا بأروع العبارات وجميل الألفاظ، فيقول عنه: "وَكَانَ بَطَلاً شُجَاعًا، أَحَبَّهُ النَّاسُ، خَوَاصُّهُمْ وَعَوَامُّهُمْ، وَحَسُنَتْ سِيَاسَتُهُ فِيهِمْ"[1]، كما يصف ورعه وحبه للخير فيقول: "وَلَمَّا قَدِمَ غَرْنَاطَةَ أَقْبَلَ عَلَى صِيَامِ النَّهَارِ، وَقِيَامِ اللَّيْلِ، وَتِلاَوَةِ الْقُرْآنِ، وَإِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ، وَإِنْشَاءِ الْعَدْلِ، وَإِيثَارِ الْحَقِّ"[2]، وسيأتي معنا عند تحقيق نصوص الكتاب ما أبدعه ابنُ الصَّيْرَفِيِّ من قصائد شعرية في مدح تاشفين بن عليّ وإبراز سياساته الحربية وانتصاراته العسكرية في معاركه ضد نصارى الشمال الإسباني.

لكن رغم كل هذه الاستعدادات وتلكم الصفات إلا أن الظروف التي تولى فيها تاشُفين بن عليّ مقاليد الأمور كانت عسيرة تحتاج إلى رجل ذي تجربة أوسع، ثم إن ابن تومرت استعمل أساليب غاية في العنف والقسوة والبعد عن المألوف في محاربة المرابطين، معتمدًا على قبائل أكبر وأضخم وأقوى من قبائلهم[3]، لذلك فقد انشغل الأمير تاشُفين بمحاربته وأهمل بلاد الأندلس، وفي ذلك يقول ابن الخطيب: "واستثقل الأمير تاشفين أمر الأندلس بعد موت أبيه بما دهمه من حرب المهدى واستيلائه على المغرب، فلم يُلْقِ إلى الأندلس رأسًا"[4].

وظلت ظروف المرابطين تتحول من سيء إلى أسوأ، وتتوالى عليهم الهزائم من كل ناحية إلى أن سئمهم المسلمون في الأندلس، وهزمهم الموحدون في المغرب، وقضوا

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٤٨.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٤٩.

(٣) انظر: د. عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح: المسلمون في المغرب والأندلس، دراسة في المعالم السياسية والمنجزات الحضارية من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن التاسع الهجري- دار الهاني للطباعة والنشر، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٦ م، ص ٢٧٢.

(٤) ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثاني-تحقيق وتعليق: ليفي بروفنسال- دار المكشوف- بيروت- ط٢، ١٩٥٦ م، ص ٢٤٧.

على دولتهم بقتل إسحاق بن علي بن يوسف- آخر أمراء المرابطين- بمراكش[1] سنة ٥٤١ هـ/ ١١٤٦ م ليُطْوَى بذلك تاريخُ دولة المرابطين التي لم يكد يصل عمرها إلى قرن كامل من الزمان[2].

عاش أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيّ هذه الأحداث وشاهدها وشارك فيها، كما شهد كذلك قيام دولة الموحدين وثورة المهدي ابن تومرت ضد أوليائه المرابطين، ومدى التأثير السلبيّ لهذه الثورة على الوضع السياسي للمرابطين، ونجاح ابن تومرت بأسلوب الدعاية في كسب الكثير من الأنصار[3]، وكان على رأسهم عبد المؤمن بن علي (٥٢٤-٥٥٨ هـ/ ١١٣٠-١١٦٣ م) مؤسس دولة الموحدين بالمغرب والأندلس الذي وصل إلى مكان الصدارة بعد وفاة ابن تومرت، وتمكن بالنشاط العسكري المتزايد من تحقيق المزيد من الانتصارات على المرابطين إلى أن تمكن من الوثوب على مراكش عاصمة المرابطين.

ولم يكتف بذلك، بل وسّع ميدان تحركاته وعمل على السيطرة على المغرب الكبير، فعبرت قواته إلى الأندلس وأحكمت السيطرة عليه، وتمكن عبد المؤمن بذلك من إكمال تكوين البنيان السياسي لدولة الموحدين، ليصبح - بحق - المؤسس الحقيقي

---

(١) مَرَّاكُش: إحدى الحواضر المهمة في المغرب الأقصى، تقع في سفح جبل الأطلس الكبير في بسيط من الأرض، أسسها أمير المرابطين يوسف بن تاشفين سنة ٤٥٩ هـ/ ١٠٦٧ م، ثم اختط سورها ولده علي سنة ٥١٤ هـ/ ١١٢٠ م، ودخلها الموحدون في ١٨ من شوال سنة ٥٤١ هـ/ ٢٤ مارس سنة ١١٤٧ م، وهي مدينة طيبة التربة، عذب ماؤها، كثيرة الزرع والضرع، وهي أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وأعناب وفواكه وجميع الثمرات، وأكثر شجرها الزيتون. انظر: الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول- نشر وتعليق: د. سعد زغلول عبد الحميد- طباعة ونشر دار الشئون الثقافية العامة-بغداد، د.ت، ص ٢٠٨-٢١٠.

(٢) تاريخ ابن خلدون-(تحقيق: أ. خليل شحادة- ومراجعة: د. سهيل ذكار)، ٦/ ٢٥٢. وراجع: د. طاهر راغب حسين: التطور السياسي للمغرب من الفتح الإسلامي إلى آخر القرن العاشر الهجري- دار النصر للتوزيع والنشر بجامعة القاهرة، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٥ م، ص ٢٣٧. د. عبد الفتاح فتحي: مرجع سابق، ص ٢٧٢-٢٧٣.

(3) A. Huici Miranda: *Historia Politica del imperio almohade*, Tomo I, pp. 24-25.

لتلك الدولة، وبعد حياة حافلة بالنشاط السياسي والعسكري وافته المنية سنة ٥٥٨ هـ/ ١١٦٢ م؛ ليكون أول وآخر أمراء الموحدين الذين عاصرهم مؤرخُنا أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ، فقد توفي ابنُ الصيرفي قبل وفاة عبد المؤمن بن عليّ بعام واحد، أي في سنة ٥٥٧ هـ/ ١١٦١ م، وهو التاريخ الذي أمدنا به ابنُ الأبار ورجَّحْناه فيما سبق.

وبالجملة، فهذه هي أهم الأحداث السياسية التي شهدها أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ، وكما نرى فإنه عاصر تلكم الفترة التي تمثل قمة التطور السياسي الذي شهده المغرب والأندلس في عهد هاتين الدولتين الكبريين في تاريخ الغرب الإسلامي بما فيها من صراع داخلي بين هاتين القوتين، وخارجي مع الممالك النصرانية في شمال إسبانيا، ولا شك أن هذه الأحداث الزاخرة كان لها أثر كبير على كتابته التاريخية وصياغته لأحداث تلك الفترة كما سنرى بعد ذلك من خلال نصوص كتابه موضع الدراسة: (الأَنْوَار الجَلِيَّة فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ المُرَابِطِيَّة).

- **ثانيًا: البيئة الثقافية:**

شهد الأندلسُ في عصر المرابطين نهضةً علمية متميزة كانت امتدادًا لتلكم النهضة العلمية التي شهدها في عصر ملوك الطوائف الذي يعد من أزهى عصور المسلمين في الأندلس في مجالي الفكر والحضارة، وقد استمرت هذه النهضة بسبب استقرار أوضاع الأندلس سياسيًّا تحت حكم المرابطين مع ما صاحبها من أمن وهدوء كان له أبعد الأثر في نمو الحركة الثقافية، بالإضافة إلى تشجيع المرابطين للعلم والعلماء، بل شارك بعض أمرائهم ورؤسائهم في الدرس والتحصيل[1].

ومن هنا تعددت الجوانب الفكرية والثقافية التي عرفها الأندلس في عصر المرابطين، وعاصرها مؤرخُنا أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ؛ ففي العلوم الشرعية برز عددٌ من

---

(١) انظر الأمثلة على ذلك في: النبوغ المغربي في الأدب العربي لعبد الله كنون- بيروت- ط١، ١٩٦١، ١/ ٧٣ وما بعدها.

العلماء الذين تبحروا في علوم الشريعة المختلفة، وكان منهم القاضي الشهير أبو الوليد ابن رشد الجدّ القرطبي (ت ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦ م)[1]، من أقطاب مذهب الإمام مالك بالأندلس، وكذلك أبو الحسن البرجي (ت ٥٠٩ هـ/ ١١١٦ م)[2]، وابن الحاج الشهيد (ت ٥٢٩ هـ/ ١١٣٤ م)[3] صاحب النوازل المشهورة.

وهناك علماء جمعوا بين الفقه والحديث والتفسير أو الفقه والأدب، ومن هؤلاء أبو بكر ابن عطية المحاربيّ (ت ٥١٨ هـ/ ١١٢٤ م)[4] كان من المحدثين المتميزين، وكان ابنه أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عطية المحاربيّ (ت ٥٤١ هـ/ ١١٤٦ م)[5] قد جمع بين الفقه والحديث والتفسير والأدب، ويغلب عليه العلم

---

(١) انظر في ترجمته: البيان والتحصيل، ١/ ٣٠-٣١. ابن بشكوال: الصلة (تحقيق: د. بشار عواد معروف)- دار الغرب الإسلامي- تونس- ط١، ٢٠١٠ م، ٢/ ٢١١-٢١٣، الترجمة رقم ١٢٧٠. الضبي: بغية الملتمس-دار الكاتب العربي (الهيئة المصرية العامة للكتاب حاليًا)- القاهرة-سلسلة المكتبة الأندلسية (٦)، ١٩٦٧ م، ص ٥١، الترجمة رقم ٢٤. ابن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية-المطبعة السلفية-القاهرة، ١٣٤٩ هـ/ ١٩٣٠ م، ص ١٢٩، الترجمة رقم ٣٧٦، وسيترجم له ابن الصيرفي في كتابه (الأنوار الجلية)، لكنه سيجعل تاريخ وفاته سنة ٥١٩ هـ/ ١١٢٥ م، وهو تاريخ غير صحيح.

(٢) انظر في ترجمته: ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي- تحقيق: أ. إبراهيم الإبياري- دار الكتاب المصري بالقاهرة ودار الكتاب اللبناني ببيروت-ط ١، ١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩ م، ص ٢٧٨-٢٧٩، الترجمة رقم ٢٥٣.

(٣) انظر في ترجمته: ابن الأبار: المعجم، ص ١٢٣-١٢٤، الترجمة رقم ١٠٢. ابن بشكوال: الصلة (تحقيق: د. بشار عواد معروف)، ٢/ ٢١٥-٢١٧، الترجمة رقم ١٢٧٨. وسيترجم له ابن الصَّيْرَفِيّ في كتابه (الأنوار الجلية)، ذاكرًا حادثة اغتياله بالمسجد الجامع بقرطبة كما سيأتي معنا في القسم الثاني الخاص بتحقيق نصوص الكتاب.

(٤) انظر في ترجمته: ابن بشكوال: الصلة (تحقيق: د. بشار عواد معروف)، ٢/ ٧٨، الترجمة رقم ٩٨١. الضبي: بغية الملتمس، ص ٤٤٠-٤٤١، الترجمة رقم ١٢٧٧.

(٥) انظر في ترجمته: فهرست ابن عطية-تحقيق: محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي-دار الغرب الإسلامي-بيروت-ط١، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م، ص ٢ وما بعدها. ابن الأبار: المعجم، ص ٢٦٥-٢٦٧، الترجمة رقم ٢٤٠. ابن بشكوال: الصلة (تحقيق: د. بشار عواد معروف)، ٢/ ٤٨٧، الترجمة رقم ٨٢٨. الضبي: بغية الملتمس، ص ٣٨٩-٣٩٠، الترجمة رقم ١١٠٣.

بالتفسير، وبه اشتُهر، ووضع تفسيرًا للقرآن تحت عنوان: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، ومن الذين نبغوا في علم الحديث كذلك القاضي الشهير أبو علي الصدفي المعروف بابن سكرة أو ابن الدرَّاج (ت ٥١٤ هـ/ ١١٢٠ م)[١].

ومن الذين برزوا في علم القراءات والتفسير أبو الحكم عبد الرحمن بن أبي الرجال اللخمي الإشبيليّ (ت ٥٣٠ هـ/ ١١٣٥ م)[٢]، وكذلك أبو جعفر أحمد بن علي الباذش (ت ٥٤٠ هـ/ ١١٤٥ م)[٣].

أما عن رجال اللغة العربية الذين نبغوا إبان عصر المرابطين في الأندلس فمنهم ابن السِّيد البطليوسيّ (ت ٥٢١ هـ/ ١١٢٧ م)[٤] كان إمامًا في النحو، عالمًا بالأدب، وأبو بكرابن السراج النحويّ (ت ٥٤٩ هـ/ ١١٥٤ م) أحد أئمة العربية ومن المبرزين فيها.

وفي الفلسفة نبغ عدد من العلماء المشهورين كان من بينهم أبو بكر ابن الصائغ المعروف بابن باجّة (ت ٥٣٣ هـ/ ١١٣٨ م)[٥]، وكذلك ابن طُفيل (ت ٥٧١ هـ/ ١١٧٥ م)[١].

---

(١) انظر في ترجمته: ابن الأبار: المعجم، مقدمة المحقق، ص ٤. ابن بشكوال: الصلة ·تحقيق: د. بشار عواد معروف)، ١/ ٢٠٥-٢٠٧، الترجمة رقم ٣٣٠. الضبي: بغية الملتمس، ص ٢٦٩، الترجمة رقم ٦٥٥. ابن مخلوف: شجرة النور الزكية، ص ١٢٨-١٢٩، الترجمة رقم ٣٧٣.

(٢) انظر في ترجمته: ابن مخلوف: شجرة النور الزكية، ص ١٣٢.

(٣) انظر في ترجمته: ابن مخلوف: السابق، ص ١٣٢. وراجع: آنخل جونثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي-ترجمة: د. حسين مؤنس- مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة، ١٩٥٥ م، ص ١٨٦.

(٤) انظر: آنخل جونثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص ١٨٧.

(٥) انظر في ترجمته: ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء-دار الثقافة-بيروت-ط٣، ١٤١٠ هـ/ ١٩٨١ م، ٣/ ١٠٠-١٠٣. ابن خلكان: وفيات الأعيان (تحقيق: د. إحسان عباس)، ٤/ ٤٢٩-٤٣١، الترجمة رقم ٦٧٠. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب-دار إحياء التراث العربي-بيروت-د.ت، ٤/ ١٠٣. آنخل جونثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص ١٢٢.

أما عن علم التاريخ الذي برز فيه مؤرخنا أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيّ فقد نبغ فيه مؤرخون آخرون بارزون، عاصروه ونالوا المكانة السامقة نفسها في هذا الفرع من العلوم، كان من بينهم ابن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ/ ١١٤٧ م)(٢) صاحب كتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، وأبو محمد الرُّشَاطيّ (ت ٥٤٢ هـ/ ١١٤٧ م)(٣) صاحب كتاب "اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار"، وابن وَزْمُر الحِجَارِيّ (ت ٥٥٠ هـ/ ١١٥٥ م)(٤) صاحب كتاب "المُسْهِب في فضائل أهل المغرب"(٥)، وأبو عامر السالميّ (ت ٥٥٩ هـ/ ١١٦٣ م)(٦) صاحب كتاب:

---

(١) انظر في ترجمته: عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب–تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي–دار الكتاب–الدار البيضاء–ط٧، ١٩٧٨ م، ص ٢٣٩–٢٤٢. الزركلي: الأعلام–دار العلم للملايين–بيروت–ط٧، د.ت، ٦/ ٢٤٩.

(٢) انظر في ترجمته: المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب–تحقيق: د. إحسان عباس–دار صادر– بيروت–ط ١، ١٩٦٨ م، ٢/ ١٢٣. آنخل جونثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٨٨ وما بعدها. بروكلمان: تاريخ الأدب العربي– نقله إلى العربية: د. السيد يعقوب بكر– راجع الترجمة: د. رمضان عبد التواب–دار المعارف– القاهرة، د.ت، ٦/١٠٨–١٠٩.

(٣) انظر في ترجمته: ابن الأبار: المعجم، ص ٢٢٣–٢٢٤، الترجمة رقم ٢٠٠. الضبي: بغية الملتمس، ص ٣٤٩، الترجمة رقم ٩٤٣. ابن بشكوال: الصلة (تحقيق: د. بشار عواد معروف)، ١/ ٣٨٧–٣٨٨، الترجمة رقم ٦٥١، وقد جعل وفاته سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م)، وأظنه قد وهم في ذلك؛ إذ يخالف بذلك جهرة من ترجموا له.

(٤) انظر: آنخل جونثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٧٢–٢٧٣.

(٥) ذكره آنخل جونثالث بالنثيا بعنوان: (المُسْهِب في غرائب المغرب). انظر: تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٧٢–٢٧٣.

(٦) انظر في ترجمته: ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة (تحقيق: د. عبد السلام الهراس)، ٢/ ٢٦–٢٧، الترجمة رقم ٧٦. الضبي: بغية الملتمس، ص ٥٣، الترجمة رقم ٣١. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين–مؤسسة الرسالة– بيروت– ط١، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م، ٣/ ٧١. فرانز روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين– تحقيق: د. صالح أحمد العلي–مؤسسة الرسالة– ط ٢، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م، ص ٦١٩–٦٢٠.

- F. Pons Boigues: Ensayo Bio-Bibliográfico sobre los Historiadores y Geógrafos Arábigo-Españoles – Madrid, 1898, Trad. Núm. 1187, pp. 226-227.

"درر القلائد وغرر الفوائد في أخبار الأندلس وأمرائها وطبقات علمائها وشعرائها"[(١)]، وكتاب: "أخبار الفتنة الثانية بالأندلس"، بدأه من سنة ٥٣٩ هـ/ ١١٤٤ م، ورتبه على السنين، وبلغ به سنة ٥٤٧ هـ/ ١١٥٢ م[(٢)]، وقد سمّاه ابن عبد الملك المراكشي: "الفتنة الكائنة على اللمتونيين بالأندلس سنة أربعين وما يليها قبلها وبعدها"، وذكر أن السالمي اختصره في كتاب سمّاه: "عبرة العبر وعجائب القدر في ذكر الفتن الأندلسية والعدوية بعد فساد الدولة المرابطية" بخط مؤلفه الأديب التاريخي أبي عامر السالمي[(٣)]"، وكذلك الحافظ الكبير ابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢ م) صاحب كتاب "الصِّلَة"[(٤)].

ولو ذهبنا نتتبع بقية النُّخبة العلمية والثقافية التي ذخرت بها البيئة الأندلسية التي عاصرها مؤرخُنا أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيّ لضاق بنا المقام، ولكن ما ذكرناه يكفي لإعطاء صورة واضحة عن هذه البيئة المتميزة وعن الشوامخ الذين عايشهم مؤرخنا وعاصرهم، ودخل معهم في حلبة المنافسة العلمية والثقافية، فتأثر بهم وتأثروا به،

---

(١) انظر: البيان المغرب، ٢/ ١٢٨. ابن الأبار: التكملة (تحقيق: د. الهراس)، ٢/ ٢٦. فرانز روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين، ص ٦١٩-٦٢٠.

(٢) انظر: المقري: نفح الطيب، ٣/ ١٨١. وراجع: آنخل جونثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٤١-٢٤٢.

(٣) انظر: ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، السفر السادس، ص ٧-٩، الترجمة رقم ٧.

(٤) انظر في ترجمته: ابن الأبار: التكملة (تحقيق: د. الهراس)، ١/ ٢٤٨-٢٥٠، الترجمة رقم ٨٥١. المعجم، ص ٩١-٩٢، الترجمة رقم ٧٠. ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب-تحقيق وتعليق: د. محمد الأحمدي أبو النور-دار التراث للطبع والنشر-القاهرة، د.ت، ص ١١٦. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٢/ ٢٤٠-٢٤١، الترجمة رقم ٢١٧. آنخل جونثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٧٣-٢٧٥. وقال المقري عن ابن بشكوال: "وأبو القاسم خلف بن بشكوال له كتاب في تاريخ أصحاب الأندلس من فتحها إلى زمانه، وأضاف إلى ذلك من أخبار قرطبة وغيرها ما جاء في خاطره، وله كتاب الصلة في تاريخ العلماء....". انظر: نفح الطيب، ٣/ ١٨١.

واعترف بفضلهم، واعترفوا بمكانته وألمعيته وتفوقه في مجالات علمية عديدة، كان منها على وجه الخصوص مجالا التاريخ والأدب.

٣- ابن الصَّيْرَفِيِّ كاتبًا ووزيرًا في بلاط المُرَابِطِين:

اشتهر ابنُ الصَّيْرَفِيِّ بأنه كان واحدًا من كبار رجالات الدولة المُرَابِطِيَّة، وكاتبًا لأمرائها، ومعروف أن خطة الكتابة آنذاك كانت تمثل جزءًا من العمل السياسي، حيث يعمل الكاتبُ في ديوان الإنشاء الخاص بالدولة، وهو لسان حالها والمعبِّر عن سياساتها وتوجهاتها في حالات السلم والحرب والعلاقة مع الرعية، ولا يرتقي إلي هذا المنصب المهم إلا مَن تثق الدولة فيهم وفي أمانتهم وكفاءتهم.

كما لا يصل إليها أيضًا إلا النوابغُ الذين تميزوا في الناحيتين اللغوية والأدبية، وكان ابنُ الصَّيْرَفِيِّ واحدًا من هؤلاء بشهادة مَن ترجموا له، فقد وصفه ابن الأبار بأنه: "كان من الأدباء المُتَقَدِّمين....."[١]، وكرر وصفه بالأديب في موضع آخر وهو ينقل عن تاريخه فقال: "مِنْ تَارِيخِ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ الصَّيْرَفِيِّ الأَدِيبِ......"[٢].

ووصفه ابن الخطيب بـ"الكاتب المؤرِّخ"[٣]، وذكر- نقلاً عن أبي القاسم الملاحيّ- بأنه "من الكتاب المُجِيدِين...كتب بغرناطة عن الأمير أبي محمد تاشُفين..."[٤].

---

(١) ابن الأبار: التكملة (تحقيق: د. عبد السلام الهراس)، ٤/ ١٧٣، الترجمة رقم ٥٠٨، والحاشية رقم ٢ من الصفحة نفسها. الذهبي: المستملح من كتاب التكملة- حققه وضبط نصه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف- دار الغرب الإسلامي- تونس- ط ١، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م، ص ٤٠١، الترجمة رقم ٨٤٨.

(٢) ابن الأبار: التكملة (تحقيق: د. عبد السلام الهراس)، ١/ ٣٤٣، الترجمة رقم ١٢١٦. وترجم له أيضًا ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة- السفر السادس، ص ٣٣١، الترجمة رقم ٨٧٠.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥٠.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤٠٧.

ويتضح من عنوان كتابه- الذي أفرده لتاريخ هذه الدولة وهو (الأَنْوَار الجَلِيَّة فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ المُرَابِطِيَّة)- مدى ارتباطه بهذه الدولة وأمرائها، ومعرفته بدقائق سياساتها وسير حكامها معرفة دقيقة، فقد تبوأ مكانة مرموقة في هذه الدولة، حيث عمل كاتبًا للأمير المرابطى أبى محمد تاشُفين بن على بن يوسف بن تاشفين[1] عندما كان أميرًا على غرناطة منذ سنة (٥٢٣ هـ/ ١١٢٨ م)، وسيمدنا ابنُ الصَّيْرَفِيّ بنص مهم عن وصول الأمير تاشفين إلى غرناطة واليًا عليها وما اتخذه من إجراءات حربية واستعدادات عسكرية تنبئ عن شخصية متميزة، مفعمة بالنشاط والحيوية، فقال عنه: "وَلِيَ غَرْنَاطَةَ الأَمِيرُ تَاشُفِينُ، فَوَافَاهَا فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ لِذِي حِجَّةٍ سَنَةَ ثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ، فَقَوَّى الحُصُونَ، وَسَدَّ الثُّغُورَ، وَأَذْكَى الْعُيُونَ عَلَى الْعَدُوِّ، وَآثَرَ الجُنْدَ، وَلَمْ يُكْبِرْ إِلَّا الجِدَّ، وَلَمْ تَنَلْ عِنْدَهُ الحُظْوَةَ إِلَّا بِالْغَنَاءِ وَالنَّجْدَةِ"[2].

كما صاحبه أيضًا عندما صار أميرًا للمسلمين- بعد وفاة والده عليّ بن يوسف- منذ شهر رجب (٥٣٧ هـ/ ١١٤٢ م) حتى وفاته في ٢٧ من رمضان سنة (٥٣٩ هـ/ ١١٤٥ م)[3]، وكتب فيه شعرًا كثيرًا قال عنه ابنُ الخطيب- نقلاً عن أبي القاسم الملاحي-: "وله فيه نظمٌ حَسَنٌ"[4].

وقد أظهرت القصائدُ التي نظمها ابنُ الصَّيْرَفِيّ - وهو شاعر كبير أيضًا - للإشادة بالأمير تاشُفين وبأعماله الحربية ووقائعه المظفَّرة في الأندلس مدى حبه

(١) ذكره آنخل جونثالث بالنثيا بكنية (أبي حامد)، ولعله وهم منه، فنحن لم نعرف أحدًا ممن ترجم له ذكره بهذه الكنية، وإنما الكنية المعروفة له هي (أبو محمد). انظر: آنخل جونثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٤١.

(٢) انظر: ابن عذاري: البيان المغرب (تحقيق ومراجعة: د. إحسان عباس)، ٤/ ٨٠.

(٣) انظر في ترجمته وأعماله في الأندلس وانتصاراته الكبيرة: الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ١٢١- ١٣٤. ابن عذاري: البيان المغرب (تحقيق ومراجعة: د. إحسان عباس)، ٤/ ١٠٤. ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤٠٧.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤٠٧.

الشديد لهذا الأمير وإعجابه بشخصيته، حيث كان ابنُ الصَّيْرَفِيِّ مصاحبًا له في معظم غزواته الحربية وأنشطته العسكرية.

ولا شك في أن هذه المصاحبة وتلك الملازمة كان لها أثرٌ كبير في تدوين ابن الصَّيْرَفِيِّ للأحداث التاريخية التي وردت في مؤلفاته التاريخية، خاصة في كتابه الأَنْوَار الجَلِيَّة، فقد كان شاهد عيان لما يكتب ويدوِّن، وهذا – بلا شك – سيعطي معلوماته قيمة كبيرة وثقة عالية؛ لأنها معلوماتٌ دَوَّنَهَا مَن رآها رأي العين، وأحداثٌ سجلها مَن عاشها يومًا بيوم ولحظة بلحظة، ولذا فإن ما أورده في مؤلفاته التاريخية من روايات ونصوص ستكون أوثق مما كتبه غيره عن هذه الفترة المهمة من تاريخ دولة المرابطين في المغرب والأندلس.

كما يتصل أيضًا بالجانب السياسي في حياة ابن الصَّيْرَفِيِّ هذا اللقب الذي أطلقه عليه لسان الدين ابن الخطيب، فقد أطلق عليه لقب (الوزير)، فقال: "الوزير أبو بكر يحيى الصَّيْرَفِيّ"[1]، ومعنى ذلك أن ابن الصَّيْرَفِيِّ ارتقى إلى منصب الوزارة، ويبدو أنه جمع بين الكتابة والوزارة كما كان معهودًا في العهد المرابطيّ في المغرب والأندلس، فقد عُرف كثيرون بلقب (ذي الوزارتين)- ومنهم ابن الصَّيْرَفِيِّ لا شك- لجمعهم بين منصبي الكاتب والوزير في آنٍ واحد.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه رغم اشتغال ابن الصَّيْرَفِيِّ في ديوان الإنشاء المرابطي وعمله كاتبًا للأمير أبي محمد تاشُفين بن عليّ كما ذكرنا آنفًا إلا أننا لم نعثر له- فيما بين أيدينا من مصادر- على مكاتبات أو رسائل ديوانية كما هو معهود ممن عملوا كُتَّابًا في ديوان الدولة المُرَابِطِيَّة كأبي عبد الله ابن أبي الخصال وأبي بكر ابن القصيرة وأبي محمد ابن عبد الغفور وبني القَبْطُرنة وغيرهم من الكتاب المشهورين في دولة المرابطين في المغرب والأندلس، ولا نجد- للأسف- تفسيرًا لغياب هذه الرسائل وتلك المكاتبات

---

(١) ابن الخطيب: جيش التوشيح، ص ١٢٠.

إلا أن تكون قد ضاعت مع ما ضاع من تراث هذا المؤرخ الغرناطي الكبير، ولعل الزمن وجهود الباحثين تكشف عنها لاحقًا.

٤- مؤلفاته الأدبية والتاريخية:

كان أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيّ شاعرًا ومؤرخًا في آنٍ واحد، ويظهر من نصوص كتابه موضع الدراسة تميزه وتألقه في الناحيتين، وسنحاول في السطور التالية أن نميط اللثام عن كل جانب من هذين الجانبين لتتضح لنا معالم هذه الشخصية الألمعية المتميزة.

أ- ابن الصَّيْرَفِيّ شاعرًا:

أشار بعض مَن ترجموا لابن الصَّيْرَفِيّ إلى مكانته الشعرية والأدبية وحضوره المتميز في هذين الجانبين، ومن ذلك ما قاله عنه ابن الأبار البلنسي، حيث أشار إلى تميزه الأدبي والشعري وقربه من أمراء الدولة المُرَابِطِيَّة بقوله: "كان من الأدباء المُتَقَدِّمِين والشُّعراء المُجَوِّدِين،.....وكان من شعرائها وخُدَّام[1] أمرائها...."[2]، ووصفه ابن الخطيب- نقلاً عن أبي القاسم الملاحي- بأنه كان من "الشُّعراء المَطْبُوعِين المُكْثِرِين..."[3]، وكذلك ما ذكره حاجي خليفة في كتابه كشف الظُّنُون، حيث قال عن مكانته الشعرية في دولة المرابطين: "وكان من أعيان شُعرائها"[4].

ومن خلال القصائد الشعرية المبثوثة في المصادر المختلفة التي احتفظت لنا بالتراث الشعريّ لابن الصَّيْرَفِيّ يتضح بجلاء أنه كان من الشعراء الكبار في عصره،

---

(١) عند الذهبي: (ومُدَّاح أمرائها) بدلاً من: (وخُدَّام أمرائها)، انظر: تاريخ الإسلام، ١٢/ ١٣٥، الترجمة رقم ٢٧٢.

(٢) ابن الأبار: التكملة (تحقيق: د. عبد السلام الهراس)، ٤/ ١٧٣، الترجمة رقم ٥٠٨، والحاشية رقم ٢ من الصفحة نفسها. الذهبي: المستملح من كتاب التكملة- حققه وضبط نصه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف- دار الغرب الإسلامي- تونس- ط ١، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م، ص ٤٠١، الترجمة رقم ٨٤٨.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤٠٧.

(٤) حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ١/ ٢٧٩.

وقد أجاد في العديد من الفنون الأدبية، كالشعر والنثر والموشحات والأزجال، وقد درس البعضُ هذا الجانب لديه بما يغني عن التكرار هنا[1].

وقد اجتهدنا في جمع قصائده الشعرية التي نظمها في الأمير تاشُفين بن عليّ، وقمنا باستكمالها من المصادر المختلفة، وضبطنا ألفاظها وشرحناها، ورممنا نصها، ونسبنا كل قصيدة إلى بحرها، وبلغ عدد الأبيات التي جمعناها له نحو مائة وسبعة وثمانين بيتًا، سيراها القارئ في القسم الثاني الخاص بتحقيق نصوص الكتاب.

ب- ابن الصَّيْرَفِيّ مؤرِّخًا:

لم يكن الجانبُ الشعريّ (الأدبيّ) هو الجانبَ الوحيدَ الذي أجاد فيه ابنُ الصَّيْرَفِيّ، بل أظهرت المصادرُ التي ترجمت له واهتمت بتراثه أنه كان أيضًا مؤرخًا كبيرًا، تعددت مؤلفاته التاريخية، وحظيت تلك المؤلفات بثقة عالية لدى المؤرخين اللاحقين، بدليل نقلهم عنها واعتمادهم عليها بصورة أساسية، خاصة فيما يتعلق بعصر المرابطين، وكان من أهم مؤلفاته التاريخية والأدبية التي ورد ذكرها في المصادر:

١. الأَنْوَارُ الجَلِيَّة في أَخْبَار (مَحَاسِن) الدَّوْلَة المُرَابِطِيَّة:

ولا شك أن هذا الكتاب يُعَدُّ من أهم كتب أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيّ، حيث يرتبط اسمه به كثيرًا، فإذا ما ذُكر ابن الصَّيْرَفِيّ ذُكر معه هذا الكتاب، وقد ذكر صاحبُ كتاب "مفاخر البربر"[2]، وابن الخطيب في الإحاطة[1]، وصاحب كتاب "الحلل

---

(١) انظر: د. محسن إسماعيل محمد: أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيّ: الشاعر والمؤرخ – مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد – المجلد الثامن والعشرون- مدريد ١٩٩٦ م، ص ٨٣-٩٧. وقد تركز البحث حول الإبداعات الشعرية لأبي بكر ابن الصَّيْرَفِيّ، وكذلك براعته في فن التوشيح في الأندلس، بل صنفه البحث المذكور من كبار الوشاحين في عصره.

(٢) مفاخر البربر لمؤلف مجهول- دراسة وتحقيق: د. عبد القادر بوباية- دار أبي رقراق للطباعة والنشر- الرباط- ط١، ٢٠٠٥م، ص ١٥٢.

الموشية"[(٢)]، والعباس بن إبراهيم في كتابه "الإعلام"[(٣)]، وعمر رضا كَحَّالة في "معجم المؤلّفين"[(٤)]، وابن سَوْدَة المري في دليل مؤرّخ المغرب الأقصى[(٥)]، والمستعرب الإسباني فرانثيسكو بونس بويجس (Francisco Pons Boigues)[(٦)] أن عنوان هذا الكتاب هو: "الأَنْوَار الجَلِيَّة فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ المُرَابِطِيَّة"، وهذا هو العنوان الأصلي والمعروف للكتاب، بينما ذكره ابن عذاري المراكشي مرة بعنوان: "الأَنْوَار الجَلِيَّة فِي مَحَاسِنِ الدَّوْلَةِ المُرَابِطِيَّة"[(٧)]، مستخدمًا كلمة (محاسن) بدلاً من كلمة (أخبار)[(٨)]، وكذلك ذكره أبو عبد الله الشطيبيّ الأندلسيّ في كتابه: "الجمان في (مختصر) أخبار الزمان"[(٩)].

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤٠٧.

(٢) الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ٩٣.

(٣) العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام - المطبعة الملكية- الرباط، ١٩٧٤ م، ١/ ١٤٩. وقد ذكره في موضع آخر من كتابه بعنوان: (الأنوار الجليَّة في محاسن الدولة المرابطية)، ١٠/ ٢٠٢، متبعًا في ذلك ما ذكره ابن عذاري المراكشي في بيانه المغرب: (٤/ ٧٤) كما سيأتي معنا.

(٤) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ٤/ ١١٦.

(٥) ابن سودة المري: دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ص ٨٣، الترجمة رقم ٤٤٧.

6- F. Pons Boigues: Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arábigo-españoles- Madrid, 1898, p. 240. Núm. 193.

(٧) وقد ورد هذا العنوان في نص ابن عذاري كما يلي: (الأنوار الجليلة في محاسن الدولة المرابطية)، باستخدام كلمة (الجليلة) بدلاً من (الجليَّة)، ومن المؤكد أن هذا تصحيف أو خطأ من ناشري مخطوط الكتاب أو خطأ في الطباعة، وذلك لسببين اثنين: أولاً: لأنه يخالف ما ذكره مؤرخون آخرون عن عنوان هذا الكتاب المشهور. ثانيًا: لا تتناغم كلمة (الجليلة) مع سجع العنوان الذي اعتاد عليه مؤرخو ذلك الزمان، وإنما تتناسب معه كلمة (الجليَّة). انظر: البيان، ٤/ ٤٢، ٧٤. وانظر عنوان الكتاب الصحيح عند ابن الخطيب في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤٠٧، وعند صاحب مفاخر البربر - تحقيق: د. عبد القادر بوباية، ص ١٥٢، وكذلك في الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ٩٣، حيث قال في هذا الموضع: "قال مصنف كتاب الأنوار الجليَّة...". وقد نوَّه الأستاذ عنان إلى أن هذا التصحيف قد وقع مثله في مخطوطات كتاب الإحاطة عند تحقيقه له، حيث ورد العنوان في المخطوطين (الأنوار الجليلة) وأشار إلى أن هذا تحريف. انظر: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٠، حاشية رقم ٢.

(٨) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٧٤.

(٩) انظر: د. محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث- مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر - الدار البيضاء- ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٣ م، ١/ ٣٧، ولا يزال هذا الكتاب مخطوطًا في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ك ٢٢٢٦.

بينما ذكر شمسُ الدين السَّخاويّ وإسماعيل البغداديّ وخير الدين الزركليّ والمستشرق الإنجليزي "فرانز روزنثال" (Franz Rosenthal)، أن عنوان هذا الكتاب: "تاريخ الدولة اللَّمْتُونِيَّة"[1]، وذكره المقّري التِّلِمْسَانِيُّ والمستعربُ الإسبانِيُّ "آنخل جونثالث بالنثيا" (Ángel González Palencia) تحت عنوان: "أخبار دولة لَمْتُونَة"[2]، وذكره الإمام البُرْزُلِيُّ (ت ٨٤١ هـ/ ١٤٣٨ م) في الفتاوى بعنوان: "تاريخ لَمْتُونَة"[3]، ولكننا لم نجد هذا العنوان في أيٍّ من المصادر التي رجعنا إليها، ولعل الذين ذكروه راعوا موضوع الكتاب (وهو تاريخ دولة المرابطين أو الدولة اللَّمْتُونِيَّة كما تُسمَّى أحيانًا)، ولم يقصدوا من إيراده أنه هو العنوان الدقيق للكتاب، وإنما قصدوا أن موضوع الكتاب يدور حول هذا العنوان، وقد ذكره السيوطي تحت عنوان: "تاريخ الأندلس"[4]، وكذلك ابن الزبير في صلته[5]، وقد ظن البعض أن هذه هذه العناوين المتعددة إنما هي كتب تاريخية أخرى لابن الصَّيْرَفِيّ، وهذا ليس صحيحًا، وإنما هي عناوين متعددة لكتاب واحد هو كتاب (الأَنْوَار الجَلِيَّة فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ المُرَابِطِيَّة).

---

(١) السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ أهل التاريخ- تحقيق: فرانز روزنثال- ترجمة: د. صالح أحمد العلي- مؤسسة الرسالة- بيروت-ط ١، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦ م، ص ١٦٩. إسماعيل البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين والمصنفين-دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان، ١٩٥٥ م، ٢/ ٥٢٠، وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان- د.ت، ١/ ٢١٥. الزركلي: الأعلام، ٩/ ٢٠٨. فرانز روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين، ص ٥٤٩. والدَّولة اللَّمْتُونِيَّة هي الدولة المرابطية أو دولة المرابطين، وقد عُرفت بهذا الاسم نسبةً إلى قبيلة لَمْتُونَة البربريَّة، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

(٢) المقري: نفح الطيب، ٣/ ١٨١. آنخل جونثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٤١.وانظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ١٢/ ١٣٥، الترجمة رقم ٢٧٢.

(٣) البرزلي: فتاوى البرزلي (جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام)- تقديم وتحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط ١، ٢٠٠٢ م، ٥/ ١١٤.

(٤) السيوطي: بغية الوعاة، ٢/ ٣٤٣.

(٥) ابن الزبير: صلة الصلة- القسم الأخير، ص ١٨٣، الترجمة رقم ٣٦١. وراجع: د. محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب، ١/ ٣٦-٣٧.

وفي دائرة المعارف الإسلامية (Encyclopedia of Islam) ورد ذكر كتاب "أخبار لَمْتُونَة" بعنوانين مختلفين أثبتهما بطرس البستانيّ هما: "تاريخ الدولة اللَّمْتُونِيَّة" و"الأَنْوَار الجَلِيَّة فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ المُرَابِطِيَّة"[1]، مما يؤكد لنا أن هذا العنوان الأخير هو العنوان الأصلي للكتاب، وأن العناوين الأخرى إنما هي اجتهادات من أصحاب التراجم والمؤرخين أرادوا أن يعبِّروا بها عن موضوع الكتاب، ولم يقصدوا أنها العنوان الأصليّ للكتاب.

وعندما تحدَّث ابنُ سعيد الأندلسيّ عن شخصية أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ التاريخية اكتفى بقوله: "أخبرني والدي أن له تاريخًا"[2]، ومن المؤكد أنه يقصد التاريخ المشهور لابن الصَّيْرَفِيِّ، وهو كتاب (الأنوار الجليَّة) أو (تاريخ الدولة اللَّمْتُونِيَّة) كما يسميه البعض أحيانًا، ولذلك فإن هذا الكتاب يُعرف أيضًا بـ"تاريخ (تأريخ) ابن الصَّيْرَفِيِّ"[3]، كما أطلق عليه ابنُ الخطيب أيضًا مُسمًّى: "التاريخ الصغير" لابن الصَّيْرَفِيِّ، حيث صدَّر أحد النصوص بقوله: "قَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ فِي تَارِيخِهِ الصَّغِيرِ"[4].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض مَن نقلوا عن ابن الصَّيْرَفِيِّ - خاصة ابن الأبار البلنسيّ- كان يكتفي بقوله: "حكي ذلك ابنُ الصَّيْرَفِيِّ في تاريخه..."[5]، أو بقوله:

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، ٣/ ٢٩٢.

(٢) ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلى المغرب - تحقيق: د. شوقي ضيف- دار المعارف- القاهرة- سلسلة ذخائر العرب (١٠)- طبعة ثالثة منقحة، د.ت، ٢/ ١١٨، الترجمة رقم ٤٣٤.

(٣) انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون، ١/ ٢٧٩.

- Véase también:
- F. Pons Boigues: Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arábigo-españoles, p. 240, Núm. 193.
- María JesúsViguera Molins: Fuentes de Al-Andalus (siglos XI y XII). I: crónicas y obras geográficas- Madrid, 1998. p. 24-25.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٦٣.

(٥) ابن الأبار: تحفة القادم- أعاد بناءه وعلق عليه: د. إحسان عباس- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط ١، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م م، ص ١١٤.

"وحكي أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيّ في تاريخه...."[1] وكذلك فعل ابن عسكر وابن خميس في كتاب: "أعلام مالقة"، حيث ختما إحدى التراجم بقولهما: "ذكر ذلك ابن الصَّيْرَفِيّ في تاريخه"[2]، ويُقصد بتاريخ ابن الصَّيْرَفِيّ هنا كتابه موضع الدراسة: "الأَنْوَار الجَلِيَّة فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ المُرَابِطِيَّة".

٢. تقصّى الأنبَاء في سياسة الرُّؤسَاء:

هذا هو الكتاب التاريخي الثاني لمؤرخنا أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيّ، وقد ذكره عدد من المؤرخين، منهم ابن عذارى المراكشي، حيث ذكره مرات عديدة، ونقل عنه مرة واحدة تحت عنوانه كاملاً، فقال: "قال ابن الصَّيْرَفِيّ.....ذكر في كتاب تقصى الأنباء في سياسة الرؤساء..."[3]، ونقل عنه في موضعين آخرين من كتابه تحت عنوان (الأنباء في سياسة الرؤساء)، فقال: "ومن كتاب الأنباء في سياسة الرؤساء...."[4].

وكذلك ذكره المؤرخ الكبير ابن الخطيب الغرناطي، حيث ذكر في نصّ مهمّ له كتابَيْ أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيّ أثناء ترجمته له في كتابه الإحاطة، فقال عن مؤلفاته: "ألف في تاريخ الأندلس كتابًا سمّاه: (الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية)[5] ضمنه العجاب إلى سنة ثلاثين وخمسمائة، ثم وصله إلى قرب وفاته، وكتابًا آخر سمّاه: (تقصّى

---

(١) ابن الأبار: المعجم، ص ٦٣، من الترجمة رقم ٤٠.

(٢) ابن عسكر وابن خميس: أعلام مالقة- تقديم وتخريج وتعليق: د. عبد الله المرابط الترغي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط١، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩ م، ص ٢٩٣.

(٣) البيان المغرب، ٤/ ٤٩.

(٤) البيان المغرب، ٣/ ٢٥٩. ٤/ ٨٩-٩٠.

(٥) انظر أيضًا: ابن سودة: دليل مؤرخ المغرب الأقصى- المطبعة الحسنية – تطوان – ط ١، ١٣٦٩ هـ/ ١٩٥٠ م، ص ١٥١.

الأنباء وسياسة الرؤساء"[1]، وقد ذكره بالعنوان نفسه المستعرب الإسباني فرانثيسكو بونس بويجس[2].

ونظرًا لضياع الكتاب فمن الصعب معرفة موضوعاته والحكم عليه، لكن لدينا نصّان مهمّان أوردهما ابنُ عذاري المراكشي في البيان المغرب يجعلاننا نعتقد أن ابن الصَّيْرَفِيّ قد خصص هذا الكتاب للكلام عن رؤساء الأندلس في عصره، ويُقصد بالرؤساء هنا الوزراء والقضاة والكُتَّاب وغيرهم من ذوي المكانة السياسية في الأندلس، خاصة ملوك الطوائف، فتكلم عن دورهم السياسي وعلاقاتهم الشخصية وتنافسهم، وما يحدث بينهم من الحسد والغيرة، وما قد يجره ذلك من العزل أو السجن أو غير ذلك.

أما النصُّ الأول الذي نقله ابنُ عذاري عن ابن الصَّيْرَفِيّ فيتعلق بنهاية دولة بني جَهْوَر في قرطبة، حيث تكلم ابن الصَّيْرَفِيّ في نصٍّ طويل عن الشيخ أبي الوليد محمد ابن جَهْوَر وعلاقته بولدَيْه عبد الملك وعبد الرحمن ونهاية سلطانهم في الأندلس.

قال ابنُ عذاري: ومن كتاب الأنباء في سياسة الرؤساء قال [ابنُ الصَّيْرَفِيّ][3]: "لَمَّا أخذ أبو الوليد ابن جَهْوَر العهد على أهل قرطبة لولي عهده ابنه عبد الملك وولاه على قرطبة جار واعتدى، وتعاظم وتعاطى حتى سمى نفسه ذا السيادتين المنصور بالله الظافر بفضل الله، وخُطب له في منبر قرطبة بهذا كله، فسلط الله عليه نكايةَ ابنَ ذي النون له وتضييقه عليه، حتى ملك حصن المُدَوَّر، وحاصره بقرطبة، فاستغاث بالمعتمد محمد بن عباد، فوجه إليه مقدمةً في ثلاثمائة فارس، ثم جدد في أثرهم ألف

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤٠٧. وراجع: د. محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب، ١/ ٣٧.

2- F. Pons Boigues: Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arábigo-españoles, p. 241.

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من عندي للتوضيح.

فارس مع قائدَيْهِ خلف بن نجاح ومحمد بن مرتين، فدخلوا قرطبة، فانصرف ابنُ ذي النون منحوبًا مغتاظًا، فاستبان ابنُ عباد حال عبد الملك وضعف عقله وقلة رجاله وكراهية رجاله، وكراهية رعيته فيه، فلحقهم الطمع فيه، فكان زوال ملكه أسرع من لحسة الكلب أنفه"[1].

وثوى العسكرُ العَبَّادِيُّ بقرطبة بعد رحيل ابن ذي النون عنها أكرم ثواء، وأهلها يبثونهم شجوهم ويطلعونهم على ما هم فيه، ويناشدونهم الله ألا يبرحوا حتى يقبضوا على الغويّ الظالم أميرهم عبد الملك بن جهور ويحبسوا البلد على سلطانهم ابن عباد، فأصبحوا عشي يوم الأحد المؤرخ على تعبئة سفرهم، ثم قدَّم القائدان على الباب مَن ضبطه، وأسرعا التقدم في الجند والعامة إلى دار عبد الملك بن جهور، فاستوى هو وخويصته فوق غرفة داره، وتكاثر الجند عليهم، فأتوه من كل جهة، وتوصلوا إلى داره من السقف المتصل به، ونزلوا منه إلى قعرها، وغشيها جموع من الناس أعلاها وأسفلها كالجراد المنتشر، فتقدمت العامة على النهب، فصيَّروا جميع ما احتوى عليه قصره كحريق سريع، وفضوا أقاصي مخازنه على نفيس أعلاقها[2].

وأما الشيخ أبو الوليد والدُهُ رَبُّ القصر، فآوى إلى المقصورة ببناته وكرائمه، فاقتحمها عليه قومٌ من النصارى، فجرَّدوهم ونهبوا ما عندهم، فأصبح أميرًا وأضحى أسيرًا، وآل الحال بالغويّ ابنه إلى أن صعد إلى عَلِيَّة أغلقها على نفسه وعلى نسائه، فارتقى الجندُ إليه ليقبضوا فيها عليه، فطلب الأمان ونزل طائعًا للقائدين، وبادر ابنُ مرتين بالمنع عن أن يخطَّى إلى أحد من الناس، وأعلن بالنداء بالسيف في ذلك، فكف الفسقة وارتفع النهب، وأسرع ابنُ مرتين الرجوع إلى دار المخلوع وقد حاصره ابنُ نجاح، وقدَّما النظر في إخراج الغويّ ليومها إلى حضرة إشبيلية، فوكلا به مَن أخرجه

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ٣/ ٢٥٩.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ٣/ ٢٦٠.

على أعين الناس مع أخيه وطائفته، ثم عطفا على النظر في شأن الشيخ الضليل والدهم ومَن معه من بناته ونسائه، فصُيِّر جميعهم في دار صغرى، والتزم القائدان الجلوس للنظر في الأمور إلى أن وصل ابنُ عباد قرطبة فملكها، وسأذكر بقية خبره في موضعه، وأمر ابنُ عباد بإخراج الشيخ أبي الوليد وبناته عن قرطبة، فخرج بهم رجاله، واستقر جملةُ بني جهور بجزيرة شَلْطِيش (Saltés)[1]، فأقاموا هنالك أكثر أيام المعتمد"[2].

لا شك أن هذا النصَّ الطويل من الكتاب الثاني لمؤرخنا ابن الصَّيْرَفِيِّ (تقصّي الأنباء في سياسة الرؤساء) نصٌّ مهمٌّ ونادر، فإننا لا نجد نقولاً عن هذا الكتاب عند مؤرخين آخرين غير ابن عذاري المراكشي، وهذا النص يؤكد ما ذكرناه آنفًا عن محتوى هذا الكتاب، وطريقة ابن الصَّيْرَفِيِّ في عرض أحداثه، والشخصيات التي كانت موضع اهتمامه في هذا الكتاب.

أما النصُّ الثاني من هذا الكتاب فقال فيه ابنُ عذاري: "قال ابنُ الصَّيْرَفِيِّ: وجرت في هذا العام (٥٠٠ هـ/ ١١٠٦ م) أحداثٌ، ذَكَرَ في كتاب (تقصّي الأنباء في سياسة الرؤساء: وفي هذا العام انبرى أبو العلاء ابن زُهْر إلى مطالبة القاضي ابن منظور بإشبيلية، وخبر ذلك أن ابن زُهْرٍ اعتلَّ، فذُكِرَ ذلك للقاضي فقال: وطبيبٌ ماهرٌ يمرَض. فَنُهِيَ ذلك إلى الوزير أبي العلاء ابن زُهْرٍ فحرَّك منه وقال: [من الكامل]

---

(١) شلطيش (Saltés): جزيرة في البحر المحيط، فيها مدينة قديمة صغيرة حصينة تقع في الجهة الجنوبية من الجزيرة، وطول الجزيرة ميل واحد تقريبًا، ويحيط البحر بالمدينة وجزيرتها من جميع الجهات إلا مقدار نصف رمية حجر يستغلها السكان لجلب الماء الصالح للشرب، وتقع هذه الجزيرة بالقرب من مدينة لبلة (Niebla)، وإلى الغرب من إشبيلية (Sevilla) على البحر، حيث يكثر السمك ويُحمل منها مملحًا إلى إشبيلية، وبينها وبين أونبة (Juelva / Huelva) أربعة أميال، وتكثر فيها الأشجار والمراعي الخصبة، وتُشتهر بصناعة الحديد، وتُعَدُّ مرفأً يتميز بعدم تأثره بالرياح، ولذلك تلجأ إليها السفن باستمرار، وبها دار لصناعتها، وظلت شلطيش في أيدي المسلمين حتى تنازل عنها واليها لملك قشتالة فرناندو الثالث (Fernando III) سنة ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨ م. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٣/ ٣٥٩. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٠-١١١. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٤٢. ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ١/ ٣٥٢. أ. عنان: نهاية الأندلس، ص ٣٨. دول الطوائف، ص ٤٣.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ٣/ ٢٦١.

إنَّ ابنَ مَنْظُـور تَعَجَّبَ هَـازِلاً لَمَّا مَرِضْتُ فَقُلْتُ: يَعثُرُ مَن مَشَى

قَدْ كَانَ جَالِينُوسُ يَمْرَضُ دَائِمًا فَمِنَ الْفَقِيهِ المُرْتَضَى أَكْلُ الرِّشَا[1]

فأنفذ أميرُ المسلمين عليٌّ إليه كتابَ عَزْلَتِهِ"[2].

٣. أدباء مالقة: وهو الكتاب الثالث لأبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ، ويبدو من عنوانه أنه وضع للاحتفاء بتلكم الشخصيات التي كانت لها إبداعات في الناحية الأدبية بفنونها المتنوعة، وفيه تظهر غلبة النزعة الأدبية لدى ابن الصَّيْرَفِيِّ، وهي قسيم للنزعة التاريخية في شخصيته، وقد ذكره ابنُ الزبير في صلة الصلة، حيث كان أحد مصادره التي اعتمد عليها ونقل عنها بعض التراجم[3].

وجدير بالملاحظة هنا أن كتاب (أدباء مالقة) هو الكتاب الذي اعتمد عليه أيضًا ابن عسكر وابن خميس في كتابهما (أعلام مالقة)، حيث اعتمدا على كتاب أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ في إيراد عدد من التراجم، ويكادان يعتمدان عليه اعتمادًا حرفيًّا في ذكر هذه التراجم، ولكنهما لم يذكرا عنوان الكتاب الذي رجعا إليه، واكتفيا في نهاية كل ترجمة بقولهما: "ذكر ذلك ابن الصَّيْرَفِيِّ في تاريخه"[4]، وربما كان المقصود به كتاب (الأنوار الجلية)، ورغم ذلك فقد اتفق ابن عسكر وابن خميس مع ابن الزبير في نقل ترجمة قاضي مالقة "عبيد الله بن عيسى بن حسون المالقي"، وختم ابن الزبير هذه الترجمة

---

(١) انظر هذين البيتين – مع اختلاف في بعض الألفاظ – في: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة– شرح وتحقيق: د. نزار رضا– منشورات دار مكتبة الحياة– بيروت، د.ت، ص ٥١٨–٥١٩.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٤٩.

(٣) ابن الزبير: صلة الصلة، القسم الثالث – تحقيق: د. عبد السلام الهراس والشيخ سعيد أعراب – منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب – الرباط، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م، ص ١٦١، الترجمة رقم ٢٦٧.

(٤) انظر: ابن عسكر وابن خميس: أعلام مالقة، ص ٢٩٣.

بقوله: "ذكره ابنُ الصَّيْرَفِيِّ في أدباء مالقة"[1]، مما يؤكد لنا أن الكتاب الذي يرجع إليه ابن عسكر وابن خميس ويعتمدان عليه في إيراد التراجم هو كتاب (أدباء مالقة) لأبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ، وربما تكررت ترجمة هذا القاضي في كتابي ابن الصَّيْرَفِيِّ (الأنوار الجلية) و(أدباء مالقة)، وهذا يحدث كثيرًا مع أصحاب المصنفات المتعددة.

٤. **إبراز اللطائف**: هو الكتاب الرابع لأبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ، ويبدو من عنوانه أنه قد خصصه للفنون الشعرية والنوادر الأدبية، وقد ذكره عمر رضا كحالة في كتابه "معجم المؤلفين"[2].

٥. **رسالة الدوريات في قول المديون لرب الدين**: وهي رسالة لا نعرف عن حجمها ولا عن محتواها شيئًا، وقد ذكرها عمر رضا كحالة ضمن تصانيف أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ[3].

هذه هي أهم المؤلفات التي عرفناها لأبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ من خلال المصادر التي ترجمت له وتحدثت عن مشاركاته العلمية والأدبية، وهي تنم عن طموحه وعقليته المتميزة، ومكانته بين النخبة الثقافية التي ذخر بها عصر المرابطين في الأندلس.

***

(١) ابن الزبير: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ٤/ ١١٦.

(٣) السابق، نفس الجزء والصفحة.

المبحث الثاني

كتاب الأنوار الجلية

دراسة في المحتوى والمنهج والقيمة العلمية

المبحث الثاني
كتاب الأنوار الجلية
دراسة في المحتوى والمنهج والقيمة العلمية

يعدُّ كتاب (الأنوار الجلية) من أبرز مؤلفات أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ، ورغم ضياعه إلا أنه من حسن الحظ أن نجد نقولاً كثيرة من هذا المصدر التاريخي المهم عند عدد من المؤرخين اللاحقين تبين لنا مكانة المؤلِّف بين مؤرخي عصره، وما كان لديه من حسٍّ تاريخيٍّ رفيع المستوى، ومكانة أدبية لا تُبَارَى، وتشهد كذلك بقيمة الكتاب وأسلوب صاحبه ومنهجه في عرض مادته التاريخية، ونحاول في السطور التالية أن نطوِّف حول الكتاب وما يتعلق به.

١- كتاب (الأنوار الجلية) وقيمته التاريخية:

يأخذ أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ شهرته كمؤرخ من كتابه: (الأَنْوَار الجَلِيَّة فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ المُرَابِطِيَّة)، ويبدو أنه كان مصدرًا تاريخيًا له قيمته وأهميته لدى المؤرخين والمهتمين بالأحداث التاريخية، خاصة فيما يتعلق بتاريخ دولة المرابطين في المغرب والأندلس، كما يبدو أن صاحبه (أبا بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ) كان يحظى بثقة معاصريه واللاحقين له، بدليل اهتمامهم بهذا الكتاب واعتمادهم عليه، فقد ظل معروفًا ومذكورًا في المصادر التي نقلت عنه حتى منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي[1]، لكن يبدو أنه فُقد بعد ذلك، فلم يعد له- بعد هذه الفترة- صدى أو ذكر في المصادر، ولم نعد نرى مَن ينقل عنه من المؤرخين.

---

(١) وجود نصوص من هذا الكتاب في كتاب: "جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام" والمعروف بـ"فتاوى البُرْزُلِيِّ" للإمام التونسي أبي القاسم ابن أحمد البُرْزُلِيِّ (ت ٨٤١ هـ/ ١٤٣٨ م)، وكذلك كتاب: "جَنَّة الرِّضا في التَّسليم لما قدَّر الله وقَضَى" لابن عاصم

ومن الإشارات المهمة عن مخطوطة هذا الكتاب ما ذكره المستعرب الإسباني فرانثيسكو بونس بويجس في كتابه "دراسة ببليوغرافية عن المؤرخين والجغرافيين الأندلسيين"، فقد أشار إلى وجود نسخة من مخطوطة كتاب (الأنوار الجلية) في تونس سنة ١٨٢٣ م من خلال ملاحظة كَتَبَهَا المستشرق الهولندي رينهارت دوزي بخط يده في دراسة له عن العباديين أو (بني عباد)، ثم انتقلت هذه النسخة إلى يد المستعرب الإسباني فرانثيسكو كوديرا الذي استفاد منها في دراساته عن المرابطين[(١)].

ولأهمية الكتاب المذكور ومكانته العلمية، حيث يُعَدُّ من أشمل المصادر التي كُتِبتْ عن المرابطين وأهمها على الإطلاق، لذا فقد أثنى عليه العديدُ من المؤرخين، وبيَّنوا قيمته التاريخية الكبرى، وبخاصة لمن أراد الوقوف على أخبار المرابطين وسِيَرِهم، وكان من هؤلاء:

- صاحب كتاب مفاخر البربر، حيث قال وهو بصدد الحديث عن أمراء دولة المرابطين: "ومن أراد الوقوفَ على أخبارهم وسِيَرِهم فليطالع كتابَ ابن الصَّيْرَفِيِّ الذي أَلَّفَه في دولتهم وسَمَّاه: الأَنْوَار الجَلِيَّة فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ المُرَابِطِيَّة، وهو كتابٌ مُمْتِعٌ مُفِيدٌ"[(٢)].

- المؤرخ المعروف ابن الأبّار البلنسيّ، حيث قال عن ابن الصَّيْرَفِيِّ وفائدة كتابه: "كان من الأدباء المتقدمين والشعراء المجوِّدين، وله في التاريخ تأليفٌ مُفِيدٌ قَصَرَه على الدَّوْلة اللَّمْتُونِيَّة، وكان من شعرائها وخُدَّام[(٣)] أمرائها...."[(١)].

الغرناطيّ (ت ٨٥٧ هـ/ ١٤٥٣ م) يثبت ذلك ويؤكده، وسنرى هذه النصوص في القسم الثاني الخاص بتحقيق نصوص الكتاب.

(1) F. Pons Boigues: Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arábigo-españoles, p. 240. Núm. 193, nota 4.

(٢) مفاخر البربر لمؤلف مجهول، ص ٢٠١.

(٣) عند الذهبي: (ومُدَّاح أمرائها) بدلاً من: (وخُدَّام أمرائها)، انظر: تاريخ الإسلام، ١٢/ ١٣٥، الترجمة رقم ٢٧٢.

- المؤرخ ابن الزُّبَيْر الغرناطيّ، قال عنه: "وألَّف كتابًا في تاريخ الأندلس وأمرائها، ضَمَّنه عجائبَ، وأجاد فيه كل الإجادة....بلغ فيه إلى سنة خمسمائة وثلاثين، ثم أوصله إلى قريبٍ من وفاته....."[٢].

ونظرًا لأهمية الكتاب وتفرده في موضوعه وفائدته، فقد اعتمد عليه ونقل عنه العديدُ من المؤرخين، كان منهم:

أ. المؤرخ ابن عذارى المراكشي، صاحب الموسوعة التاريخية القيمة (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب)، وهو من أهل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، حيث كان حيًّا سنة ٧١٢ هـ/ ١٣١٢ م، وقد ذكر اعتماده على كتابَيْ أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ ونقله عنهما في خطبة كتابه وهو بصدد ذكر المصادر التي اعتمد عليها في تأليف موسوعته (البيان المغرب) فقال: "ومن كتاب (تقصى الأنباء في سياسة الرؤساء)، ومن كتاب (الأَنْوَار الجَلِيَّة فِي الدَّوْلَةِ المُرَابِطِيَّة)"[٣].

وقد كثرت نُقُول ابن عذارى عن هذين الكتابين المشهورين، وبخاصة فيما يتعلق بأخبار الدولة المرابطية وسير أمرائها، ولكن أكثر النُّقُول كانت عن الكتاب الأساسي لهذا المؤرخ - موضع بحثنا - وهو (الأَنْوَار الجَلِيَّة)، وقد ذكره ابن عذارى بعنوانه كاملاً مرة واحدة في كتابه، فقال: "هكذا ذكر صاحب كتاب الأَنْوَار الجَلِيَّة فِي مَحَاسِنِ الدَّوْلَةِ المُرَابِطِيَّة"[٤]، ونقل عنه مرات عديدة باسم مؤلِّفه قائلاً: "قال أبو بكر يحيى بن

---

(١) ابن الأبار: التكملة (تحقيق: د. عبد السلام الهراس)، ٤/ ١٧٣، الترجمة رقم ٥٠٨، والحاشية رقم ٢ من الصفحة نفسها. الذهبي: المستملح من كتاب التكملة- حققه وضبط نصه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف- دار الغرب الإسلامي- تونس- ط ١، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م، ص ٤٠١، الترجمة رقم ٨٤٨.

(٢) ابن الزبير: صلة الصلة- القسم الأخير، ص ١٨٣، الترجمة رقم ٣٦١.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٣. وقسم الموحدين، ص ٨.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٧٤. وقد ورد هذا العنوان في نص ابن عذاري (الأنوار الجليلة في محاسن الدولة المرابطية)، ومن المؤكد أن هذا تصحيف أو خطأ من ناشري مخطوط الكتاب أو خطأ في الطباعة، وذلك لسببين اثنين: أولاً: لأنه يخالف ما ذكره مؤرخون آخرون عن عنوان هذا الكتاب المشهور. ثانيًا: لا

محمد الأنصاري..."[1]، ومرات أخرى بلقبه قائلاً: "قال ابن الصَّيْرَفِيّ ...."[2]، ونقل عنه مرة واحدة بلقبه دون ذكر كلمة (ابن)، فقال: "هكذا ذكر الصَّيْرَفِيّ في كتابه"[3]، ومرة أخرى بقوله: "قال أبو بكر الأنصاري...."[4].

وأكثر المعلومات التي استفادها ابن عذارى من مؤلفات أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيّ ما يتعلق بالأمير أبى محمد تاشفين وما يتمتع به من صفات شخصية، مثل الشجاعة والفروسية وحب الجهاد، وما حققه من انتصارات رائعة على النصارى في الأندلس، فضلاً عن إقامة العدل، واكتساب محبة الرعية والجند برعايتهم وإنصافهم وتحقيق مطالبهم، وقد بيَّن أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيّ أن صفات الأمير تاشفين لا تحصى، وإنما اقتصر منها على ما يكفى لمعرفة شخصيته، ورغبة منه في الاختصار، فقال: "ولولا الاختصار لأوردنا من خلاله السنية ما يضيق عنه الرحب ولا يسعه الكتب"[5].

كما نقل عنه ابن عذارى أيضًا بعض القصائد التي قالها في الأمير تاشفين واصفًا فيها شجاعته وبسالته، ومعددًا فيها غزواته وانتصاراته، حيث كان ابن الصَّيْرَفِيّ - كما أشرنا - قد صحبه في معظم غزواته الحربية في الأندلس[6].

تتناغم كلمة (الجليلة) مع سجع العنوان الذي اعتاد عليه مؤرخو ذلك الزمان، وإنما تتناسب معه كلمة (الجليّة). انظر: البيان، ٤/ ٤٢، ٧٤. وانظر عنوان الكتاب الصحيح عند ابن الخطيب في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤٠٧، وعند صاحب مفاخر البربر (تحقيق: د. عبد القادر بوباية)، ص ١٥٢. الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ٩٣، حيث قال في هذا الموضع: "قال مصنف كتاب الأنوار الجلية...". وقد نوّه الأستاذ محمد عبد الله عنان إلى أن هذا التصحيف قد وقع مثله في مخطوطات كتاب الإحاطة عند تحقيقه له، حيث ورد العنوان في المخطوطين (الأنوار الجليلة) وأشار إلى أن هذا تحريف. انظر: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٠، حاشية رقم ٢.

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٤١، ٤٢، ٨١، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٥، ٩٦.

(٢) السابق، ٤/ ٤٩، ٥٠، ٦٠.

(٣) السابق، ٤/ ٧٨.

(٤) السابق، ٤/ ٨٠.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٨٠. وانظر: ٤/ ٨٨-٨٩، ٩٠-٩١.

(٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٨١، ٨٩، ٩٥.

كذلك فقد نقل ابن عذارى عن الكتاب الثاني لأبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ، وهو كتاب (تقصِّي الأنباء في سياسة الرؤساء)، فذكره مرات عديدة، ونقل عنه مرة واحدة تحت عنوانه كاملاً، فقال: "قال ابن الصَّيْرَفِيِّ.....ذكر في كتاب تقصي الأنباء في سياسة الرؤساء..."[1]، ونقل عنه في موضعين آخرين من كتابه تحت عنوان (الأنباء في سياسة الرؤساء)، فقال: "ومن كتاب الأنباء في سياسة الرؤساء...."[2].

ب. المؤرخ الكبير ابن الخطيب الغرناطي، صاحب كتاب (الإحاطة في أخبار غرناطة)، وهو من أهل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي أيضًا، حيث توفي سنة ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤ م، وهو يعد من أكثر المؤرخين نقلاً عن كتاب أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ (الأَنْوَار الجَلِيَّة)، بل لا نكون مبالغين إن قلنا إن ابن الخطيب وضع في كتابه (الإحاطة) كتاب ابن الصَّيْرَفِيِّ (الأَنْوَار الجَلِيَّة) خاصة فيما يتعلق بفترة الحكم المرابطي بما فيها من أحداث وشخصيات وقصائد شعرية ورسائل ديوانية، معظمها نقلها ابن الخطيب عن أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ، وأحيانًا كان يذكر اسم ابن الصَّيْرَفِيِّ واسم كتابه عند النقل عنه، وأحيانًا أخرى كان لا يذكرهما، وينقل دون أدنى إشارة إلى المصدر الذي نقل عنه واعتمد عليه[3].

ومن الأمثلة على ذلك أن ابن الخطيب خلال نقله من كتاب ابن الصَّيْرَفِيِّ واعتماده عليه تحدث عن كنيسة بناها النصارى في غرناطة، وقد اكتسبت شهرة كبيرة، فأمر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بهدمها؛ استجابة لفتاوى الفقهاء بهذا الخصوص، وهنا قال ابن الخطيب: "قال ابن الصَّيْرَفِيِّ: خرج أهل الحضرة لهدمها يوم

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٤٩.
(٢) السابق، ٣/ ٢٥٩. ٤/ ٨٩-٩٠.
(٣) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٠٨.

الإثنين عقب جمادى الآخرة من عام اثنين وتسعين وأربعمائة، فَصُيِّرت للوقت قاعًا، وذهبت كل يد بها أخذت من أنقاضها وآلاتها..... ".

ثم يضيف ابن الخطيب معلومات جديدة عن هذه الكنيسة في عصره، فيقول: "قلتُ: ومكانها اليوم مشهور، وجدارها ماثل ينبئ عن إحكام وأصالة، وعلى بعضها مقبرة شهيرة لابن سهل بن مالك رحمه الله"[(١)].

ثم يعود للنقل عن ابن الصَّيْرَفِيّ دون أن يذكر أنه عاد للنقل عنه، فيتحدث – في نصٍّ طويل– عن حملة ألفونسو الأول على الأندلس، وما أحدثه فيها من التخريب، فيقول: "ولما تحركت لعدو الله الطاغية ابن رذمير ريح الظهور على عهد الدولة المرابطية.....الخ"[(٢)].

وقد عرفنا أن هذا النصَّ الأخير منقول من ابن الصَّيْرَفِيّ من خلال كتاب الحلل الموشية لمؤلف مجهول، حيث نقل هذا النص كما هو في الإحاطة تمامًا مع اختلاف بسيط في الألفاظ، معتمدًا على كتاب الأَنْوَار الجَلِيَّة لابن الصَّيْرَفِيّ[(٣)].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن نقل ابن الخطيب عن كتاب (الأَنْوَار الجَلِيَّة) يبدأ من الصفحات الأولى لكتابه (الإحاطة)، حيث نقل عنه في الفصل التاريخي الذي عقده في مفتتح الجزء الأول من كتابه المذكور[(٤)].

كما اعتمد عليه أيضًا بصورة أساسية في الترجمات التي أوردها في إحاطته، ففي الجزء الثالث– مثلاً – نقل عنه ترجمة الأمير مَزْدَلِيّ الساعد الأيمن ليوسف بن تاشفين

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٠٨.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٠٨-١٠٩.

(٣) انظر: الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ٩١ وما بعدها.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٤.

مؤسس دولة المرابطين[1]، وكذلك ترجمة مُؤَمَّل مولى باديس بن حبُّوس، بل إن ترجمة هذا الأخير تكاد تكون منقولة بتمامها عن كتاب أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ[2].

ومن الترجمات التي نقلها ابن الخطيب عن كتاب أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ (الأنوار الجلية)، واعتمد عليه تمامًا في هذه الترجمة، هي ترجمة عبد الله بن بُلُكِّين أمير غرناطة[3]، وكذلك في ترجمات سواه من أعلام غرناطة في ظل المرابطين[4].

وحين ننظر في نُقُول صاحب الإحاطة عن هذا المصدر نلاحظ تطابق المنهج الوصفي للشخصية لدى أبي بكر ابن الصيرفي وابن الخطيب، وكذلك لغة الثناء والهجاء للشخصية عند كل من الكاتبين؛ فابن الصَّيْرَفِيِّ - مثلاً - يصف ابن بُلُكِّين بقوله: "كان جبانًا، مغمد السيف، قلقًا لا يثبت على الظهر، عِزْهاةً لا أربَ له في النِّساء، هيابةً، مفرط الجزع، يخلد إلى الراحات، ويستوزر الأغمار"[5].

وهذا النص الوصفي الهجائي يذكرنا بنظائر له في ترجمات الإحاطة، منها على سبيل المثال: ترجمته للسلطان محمد بن إسماعيل بن فرج، أحد سلاطين بني نصر في غرناطة، إذ يصفه ابن الخطيب منذ أول كلمة في ترجمته بقوله: "الرئيس المتوثب على الملك...وعاقد صفقة الخسران المبين، يكنى أبا عبد الله"[6]، ثم يصف حاله بقوله:

(١) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٢٧٤.

(٢) الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٣١.

(٣) الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٧٩.

(٤) انظر: د. مصطفى إبراهيم حسين: مصادر لسان الدين بن الخطيب في كتابه الإحاطة في أخبار غرناطة– بحث ضمن ندوة: (الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات)-مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، ط١، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م، القسم الأول/ التاريخ وفلسفته، ص ٣٤٣.

(٥) الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٨٠.

(٦) الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٥٣١.

"كان شيطانًا ذميم الخلق، حرفوشًا على عرف المشارقة، متراميًا للخسائس، مألفًا للدعرة والسوار وأولي الريب، خبيثًا كثير النكر...."[1].

"ولا شك أن مثل هذا التناظر لا يُعْزَى قط إلى المصادفة، بل هو تأثر واضح من ابن الخطيب بما سبقه من تراث تاريخي قرأه وعايشه، ثم حاكاه عامدًا أو غير عامد، ولم يقف الأمر عند مجرد القراءة والنقل عن هذه المصادر"[2]، بل والتأثر بما فيها من أساليبَ ومناهجَ وطرقٍ للصياغة والتعبير.

ج. الحُلَلُ المَوْشِيَّة في ذِكْر الأخبار المَرَّاكُشِيَّة لمؤلف مجهول[3] لا نعرف عنه شيئًا سوى أنه مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وقد تم تصنيف هذا الكتاب في ١٢ من ربيع الأول سنة ٧٨٣ هـ/ ١٣٨١ م في عهد كل من السلطانين محمد الخامس المعروف بلقب الغنى بالله ملك غرناطة، وأبى زيد ابن عبد الرحمن بن أبي الحسن المريني ملك المغرب.

وقد تضمن هذا الكتاب كثيرًا من التفصيلات التاريخية عن دولتَىْ المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس حتى نهاية خلافة عبد المؤمن بن على (٥٢٤-٥٥٨ هـ/ ١١٢٠-١١٦٣ م)، وكان كتاب أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ من المصادر التي اعتمد

---

(١) الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، نفس الجزء والصفحة.

(٢) د. مصطفى إبراهيم حسين: مصادر لسان الدين بن الخطيب في كتابه الإحاطة (بحث سابق)، ص ٣٤٣-٣٤٤.

(٣) استنادًا إلى العديد من الأدلة نسب الأستاذ الدكتور عبد القادر بوباية هذا الكتاب إلى ابن سماك العاملي (أبي القاسم محمد بن أبي العلاء محمد بن سماك المالقي الغرناطي)، ونشرته دار الكتب العلمية ببيروت سنة ٢٠١٠م، لكنني- للأسف - لم أتوصل إلى هذه النسخة أثناء عملي في نصوص الأنوار الجلية لذا فقد اعتمدت على طبعة دار الرشاد الحديثة بالمغرب (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) التي جعلت الكتاب لمؤلف أندلسي مجهول من أهل القرن الثامن الهجري، وكانت هذه الطبعة بتحقيق دكتور/ سهيل زكار و أ. عبد القادر زمامة.

عليها صاحب الحلل الموشية ونقل عنه العديد من الأحداث، وخاصة تلك التي ترتبط بالناحية التي أبدع فيها ابنُ الصَّيْرَفِيّ، وهو تاريخ دولة المرابطين في المغرب الأندلس[1].

وكان من أهم ما نقله صاحب الحلل الموشية من كتاب أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيّ ما يتعلق بغزوة ابن رذمير/ ألفونسو الأول Alfonso I (المحارب El Batallador) للمدن الأندلسية، ونجاحه في اجتياز أراضي المسلمين من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب دون أن يلقى مقاومة حاسمة من المسلمين لصد عدوانه، وكان ذلك بمعاونة النصارى المعاهدين، حيث خانوا عهد الذمة، وأغروه بالقدوم، وأمدوه بما يحتاج إليه من الإمدادات والأقوات، وعندئذ أفتى القاضي أبو الوليد ابن رشد (الجد) بتغريبهم، كما أفتى بضرورة تسوير المدن الأندلسية؛ تحسبًا لمثل هذا الخطر مرة أخرى، وكذلك تسوير مراكش حاضرة المرابطين[2]، وقد صدَّر صاحب الحلل الموشية هذا النقل بقوله: "قال مُصَنِّفُ كتاب الأَنْوَار الجُلِيَّة"[3].

وجدير بالذكر هنا أن هذا النص الذي نقله صاحب الحلل الموشية بشأن غزوة ألفونسو الأول للأندلس قد نقله ابن الخطيب أيضًا في الإحاطة عن كتاب (الأَنْوَار الجُلِيَّة) لابن الصَّيْرَفِيّ مع اختلاف بسيط في الألفاظ والصياغة[4].

كما أورد صاحب الحلل الموشية قصيدة طويلة مكونة من ستة وخمسين بيتًا لأبي بكر ابن الصَّيْرَفِيّ يمدح فيها الأمير تاشفين بن علي بن يوسف لما أبداه من شجاعة

---

(١) انظر ما نقله صاحب الحلل الموشية عن كتاب ابن الصيرفي (الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية) في الصفحات: ٩٣-٩٧، وقصيدة طويلة لابن الصيرفي تحتوى على العديد من معاني سياسة الحروب، ص ١٢٤-١٢٩.

(٢) انظر: الحلل الموشية، ص ٩٣-٩٧.

(٣) انظر: الحلل الموشية، ص ٩٣.

(٤) انظر: ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٠-١١٤.

ورباطة جأش في إحدى معاركه مع النصارى بعد أن أسلمه جُلُّ من كانوا معه حتى نجا من بين أيديهم، فهنأه ابنُ الصَّيْرَفِيِّ بالسلامة بهذه القصيدة الطويلة، وضمنها العديد من المعاني والنصائح، حيث حذره فيها من خدع الحرب، ونبهه إلى أحكامها، وما ينبغي أن يفعل فيها، وقد بدأها بقوله:

يـا أيهـا المـلأ الـذي يتقنـع   مـن منكم البطـل الهـمام الأروع

واختتمها بقوله:

نستودع الـرحمن منـك وديعـة   فهو الحفيظ لكل ما يستودع[1].

د. ابن الأبار البلنسيّ: من أهل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، حيث توفي بإفريقية سنة ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠ م، وكان من المؤرخين الذين اعتمدوا على كتاب (الأَنْوَار الجَلِيَّة) لأبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ في عدد من مؤلفاته، ففي كتابه تحفة القادم نقل عنه ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن خلصة اللخمي، وختمها بقوله: "حكي ذلك ابنُ الصَّيْرَفِيِّ في تاريخه..."[2]، وفي كتابه المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي اعتمد عليه عندما ترجم للأمير "إبراهيم بن يوسف بن تاشفين"، حيث نقل عنه بقوله: "وحكي أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ في تاريخه...."[3].

(١) انظر: الحلل الموشية، ص ١٢٣-١٢٤، والقصيدة في الصفحات، ١٢٤-١٢٩. وقد أورد ابن الخطيب هذه القصيدة نفسها في الإحاطة، ٤/ ٤١١-٤١٥، وأورد أبياتًا منها أيضًا في كتابه أعمال الأعلام، القسم الثالث - تحقيق وتعليق: د. أحمد مختار العبادي وأ. محمد إبراهيم الكتاني - دار الكتاب- الدار البيضاء، ١٩٦٤ م، ص ٢٦٠.

(٢) ابن الأبار: تحفة القادم (تحقيق: د. إحسان عباس)، ص ١١٤.

(٣) ابن الأبار: المعجم، ص ٦٣، من الترجمة رقم ٤٠.

كما نقل عنه عدة تراجم في كتابه الكبير والمهم: (التكملة لكتاب الصلة)، منها ترجمته للْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ عَبْد الرَّحْمَنِ بْنِ سَيِّدٍ أَبِيهِ الْقَنِرِيّ الْقُرْطُبِيّ، وختمها بقوله: "مِنْ تَارِيخِ أَبِي بَكْرِ ابْنِ الصَّيْرَفِيِّ، وَفِيهِ عَنْ غَيْرِهِ"[1].

وكذلك نقل عنه ترجمته للْقَاضِي أَبِي عَبْدِ الله مُحَمَّد بْنِ حَسُّون الْمَالَقِيّ، وختمها بقوله: "أَكْثَرُ خَبَرِهِ مِنْ تَارِيخِ أَبِي بَكْرِ ابْنِ الصَّيْرَفِيِّ الأَدِيبِ، وَوَفَاتُهُ عَنْهُ وَعَنِ ابْنِ حُبَيْشٍ"[2].

هـ. ابن عاصم الغرناطيّ: صاحب كتاب: "جنَّة الرِّضا في التَّسليم لما قدَّر الله وقَضَى"، وهو من أهل القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، حيث توفي في حدود سنة ٨٥٧ هـ/ ١٤٥٣ م، وقد نقل عن مؤرخنا أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ عدة نُقُولٍ مطوَّلة ومهمة لم نجد لها نظيرًا في المصادر الأخرى التي نقلت عن ابن الصَّيْرَفِيِّ[3]، وكان من هذه النقول كلامه عن موقعة (النِّيبَل: Nívar) بِغَرْنَاطَة سَنَةَ ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م، ولم نسمع عن هذه المعركة في تاريخ الأندلس إلا من خلال هذا النصّ، وقد أشار إليها ابنُ الخطيب عَرَضًا وهو يترجم للفارس مقاتل بن عطية البرزالي المعروف بالرُّيُّه[4]، دون أن يذكر عنها أية تفاصيل[1]، كما يبدو أنه كان ينقل هذه المعلومات عن

(١) ابن الأبار: التكملة (تحقيق: د. عبد السلام الهراس)، ٣/ ١٥، الترجمة رقم ٤١.

(٢) ابن الأبار: التكملة (تحقيق: د. عبد السلام الهراس)، ١/ ٣٤٣، الترجمة رقم ١٢١٦. وترجم له أيضًا ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة- السفر السادس، ص ٣٣١، الترجمة رقم ٨٧٠.

(٣) إن الأمانة تقتضي هنا التنبيه إلى أن ابن عاصم الغرناطي لم يحدد لنا من أي كتاب لمؤرخنا ابن الصَّيْرَفِيِّ كان ينقل هذه المعلومات، لكننا رجَّحنا أنه ينقل عن الكتاب الكبير لابن الصَّيْرَفِيِّ وهو كتاب: (الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية)، مستندين في هذا الترجيح إلى تشابه بعض النصوص التي ينقلها ابن عاصم عن ابن الصَّيْرَفِيِّ مع نصوص كتاب الإحاطة لابن الخطيب الذي ينقل صراحة عن (الأنوار الجلية لابن الصَّيْرَفِيِّ)، وسنرى هذا بوضوح في القسم الثاني الخاص بتحقيق نصوص الكتاب.

(٤) هو مقاتل بن عطية البرزالي، من أهل غرناطة، ومن بني برزال، يُكْنى أبا حرب، ويُلقَّب بذي الوزارتين، ويُعْرَف بالرُّيُّه؛ لحمرة كانت في وجهه، كان من الفرسان الشجعان، ولاه الأمير عبد

ابن الصَّيْرَفِيِّ لكنه لم يشر إليه، وذلك لتشابه نصه مع ما ينقله ابنُ عاصم عن ابن الصَّيْرَفِيِّ[2].

كما نقل عنه كلامًا كثيرًا عن الفارس مقاتل بن عطية البُرْزَالِيِّ ومشاهد من فروسيته وبطولاته، وكذلك بعض جوانب ظرفه وبراعته الشعرية والأدبية[3].

وكذلك نقل عنه أنباء مَعَدّ بْنِ أَبِي قُرَّة وَمَآثِره، ونصًا طويلاً يصور مشهدًا من مشاهد فروسيته لا نجد له نظيرًا في المصادر التاريخية الأخرى، خاصة المصادر الأندلسية[4].

ونقل عنه أيضًا تفاصيل تاريخية عن القائد حَرِيزِ بن حَكَم بن عُكَّاشَة صاحب قلعة رباح في زمن ملوك الطوائف، ومشهدًا نادرًا من مشاهد فروسيته وشجاعته النادرة مع أحد قوامس النصارى[5].

٢-موضوع الكتاب ومحتوياته:

يبدو من عنوان الكتاب ومن النصوص المبثوثة منه في ثنايا الكتب التي نقلت عنه واعتمدت عليه- كما سبق أن أشرنا- أن موضوع الكتاب يدور حول تاريخ دولة المرابطين في المغرب والأندلس، وأن ابن الصَّيْرَفِيِّ لم يتجاوز هذا الموضوع، وإنما قَصَر كتابه عليه كما أشار عدد ممن ترجموا له، فقد أشار ابن الأبار إلى ذلك حين قال: "وله في

الله بن بُلُكِّين مدينة اللُّسَانة (Lucena) من أعمال غرناطة، وكان يحذره، وعندما علم بقدوم المرابطين صرفه عن جهته، فقلَّ لذلك ناصره، وأسرع ذهاب أمره. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٢٩٩-٣٠٠. وسيذكر ابنُ الصيرفي معلومات عن ظرفه وبراعته الأدبية والشعرية في القسم الثاني الخاص بتحقيق نصوص الكتاب.

(١) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٠٠-٣٠١.

(٢) ابن عاصم الغرناطي: جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، ٢/ ٢٤٧-٢٤٩

(٣) ابن عاصم الغرناطي: جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، ٢/ ٢٥٠-٢٥٢.

(٤) ابن عاصم الغرناطي: جنة الرضا في التسليم لما قدَّر الله وقضى، ٢/ ٢٥٣-٢٥٤.

(٥) ابن عاصم الغرناطي: جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، ٢/ ٢٥٦-٢٥٧.

التاريخ تأليفٌ مُفيدٌ قَصَرَه على الدولة اللَّمْتُونِيَّة..."[1]، وقال صاحب مفاخر البربر وهو بصدد الحديث عن أمراء دولة المرابطين: "ومن أراد الوقوف على أخبارهم وسيرهم، فليطالع كتاب ابن الصَّيْرَفِيّ الذي أَلَّفَه في دولتهم...."[2]، وكذلك ابن الخطيب حين قال عنه: "وألف في تاريخ الأندلس في العصر المرابطي كتاب الأَنْوَار الجَلِيَّة فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ المُرَابِطِيَّة...."[3]، وحاجي خليفة في كتابه كشف الظُّنُون، حيث قال عن تاريخ ابن الصَّيْرَفِيّ: "أَلَّفَهُ للدَّوْلة اللَّمْتُونِيَّة، وكان من أعيان شُعرائها"[4].

ولكن لدينا إشارة تسترعي الانتباه أوردها ابنُ الزبير في صلته نقلاً عن أبي القاسم الملاَّحي[5] مؤرِّخ غرناطة، حيث قال عن كتاب أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيّ: "بلغ فيه إلى سنة ٥٣٠، ثم أوصله إلى قريب من وفاته" أي إلى سنة ٥٥٧ هـ/ ١١٦١ م، وهو التاريخ الذي رجَّحناه لوفاة ابن الصَّيْرَفِيّ، ويفهم من هذه الإشارة أن ابن الصَّيْرَفِيّ قد تجاوز في كتابه موضوع تاريخ المرابطين ليكتب عن أحداث الأندلس بعد زوال ملك المرابطين سنة ٥٤٠ هـ/ ١١٤٥ م وسيطرة الموحدين على مقاليد الأمور في العدوتين (المغرب والأندلس)، بل ربما ظل يسجل أحداث التاريخ في الأندلس بعد المرابطين مدة تقارب سبعة عشر عامًا، لكن ليس لدينا من النصوص المبثوثة في ثنايا المصادر التي اعتمدت على كتابه ونقلت عنه ما يؤكد هذا الاحتمال، فكل من نقلوا عنه اعتمدوا عليه فيما يتعلق بأحداث

---

(١) ابن الأبار: التكملة (تحقيق: د. الهراس)، ٤/ ١٧٣، الترجمة رقم ٥٠٨، والحاشية رقم ٢ من الصفحة نفسها. الذهبي: المستملح من كتاب التكملة، ص ٤٠١، الترجمة رقم ٨٤٨.

(٢) مفاخر البربر لمؤلف مجهول (تحقيق: د. عبد القادر بوباية)، ص ١٥٢.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤٠٧ وما بعدها.

(٤) حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ١/ ٢٧٩.

(٥) هو أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الملاَّحي، مؤرخ غرناطة وأديبها، له كتاب في تاريخ غرناطة غرناطة أو تاريخ علماء إلبيرة وأنسابهم وأنبائهم، توفي سنة ٦١٩ هـ/ ١٢٢٢ م. انظر: التكملة لابن الأبار- تحقيق: د. الهراس، ٢/ ١١٨-١٢٠، الترجمة رقم ٣١٢. المغرب في حُلى المغرب لابن سعيد الأندلسي، ٢/ ١٢٦، الترجمة رقم ٤٤١.

وتراجم أندلسية حتى سنة ٥٣٠ هـ/ ١١٣٥ م أو بعدها بقليل، وآخرُ النصوص التي وصلتنا من نصوص هذا الكتاب نصٌّ يعود إلى أحداث سنة ٥٣١ هـ/ ١١٣٦ م، كما سنرى في القسم الخاص بتحقيق نصوص الكتاب.

كما يبدو أيضًا أن أبا بكر ابن الصَّيْرَفِيّ كان حريصًا على إيراد عدد كبير من التراجم، فترجم لعدد من الشخصيات ذات الهوايات المتنوعة، فترجم لبعض الشخصيات السياسية، وترجم لعدد من الأدباء والشعراء، وبعض الفلاسفة وغيرهم، ويظهر هذا بوضوح فيما نقله عنه مَن جاءوا بعده من المؤرخين والمهتمين بأحداث الأندلس وتاريخها، بل نستطيع أن نقول إن كتاب أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيّ كان يشبه المائدة التي تحوي أنواعًا وألوانًا من الأطعمة التي تُرضي جميع الأذواق، وكان كل واحد يأخذ منها ما يناسبه ويُرضي ذوقه، كذلك كان حال كل مَن اعتمد على كتاب أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيّ ونقل عنه، حيث كان كل واحد يأخذ من كتابه ما يناسب اهتمامه، فالمهتم بتسجيل الأحداث التاريخية يأخذ منه الأحداث التاريخية المتعلقة بتاريخ المرابطين، كما فعل ابن عذارى في البيان المغرب، وصاحب كتاب الحلل الموشية، وكذلك ابن الخطيب في الإحاطة، والمهتم بالتراجم يأخذ منه ما ورد فيه من تراجم، كما فعل ابن الخطيب في الإحاطة أيضًا، وابن الزبير في صلة الصلة، وابن الأبار في كتابيه: التكملة لكتاب الصلة، وتحفة القادم، والمهتم بالأشعار والفنون الأدبية المتنوعة يأخذ منه ما يناسب اهتمامه، كما فعل ابن الخطيب في كتابه جيش التوشيح، وابن سعيد الأندلسي في كتابه: المغرب في حلى المغرب، وكذلك المقري في موسوعته: نفح الطِّيب، والمهتم بالشخصيات التي تميزت بالفروسية والشجاعة وحسن القيادة يأخذ منه ما يناسبه، كما فعل ابن عاصم الغرناطي في كتابه: "جنة الرضا في التسليم لما قدَّر الله وقضى".

٣- المنهج التاريخي لابن الصيرفي من خلال كتابه (الأنوار الجلية):

إذا وضعنا في الاعتبار ضياع معظم المصادر التاريخية التي ألفها أصحابها زمن دولة المرابطين- وفي مقدمتها كتاب الأَنْوَار الجَلِيَّة لابن الصَّيْرَفِيّ- والتي كان يمكن الاعتماد عليها في تجلية تاريخ هذه الدولة وكشف جوانبه المختلفة، ندرك أهمية النصوص التي نقلها اللاحقون من هذا الكتاب، وقيمتها التاريخية، ونلاحظ أنها "قد سدت نقصًا واضحًا في معرفتنا عن التأريخ المرابطيّ وغطَّت معظم جوانبه من جهة، وأنها لَتَقُوم خيرَ دليل على طبيعة الكتابة التاريخية التي انتهجها هذا المؤلِّف من جهة أخرى"[(١)].

ومن خلال النصوص الواردة في المصادر التي اعتمدت على كتاب (الأَنْوَار الجَلِيَّة) ونقلت عنه، وبخاصة "الإحاطة في أخبار غرناطة" لابن الخطيب، و"البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لابن عذاري المراكشي، والحلل الموشية لمؤلف مجهول، وجنة الرضا في التسليم لما قدَّر الله وقضى لابن عاصم الغرناطي- حيث كانت هذه المصادر المشار إليها من أكثر المصادر التاريخية اعتمادًا على هذا الكتاب ونقلاً عنه - نستطيع أن نتبيَّن بعض ملامح المنهج التاريخيّ عند مؤرِّخ الدولة المُرَابِطِيَّة الأوَّل أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيّ، ونعرضه فيما يلي:

- **اعتماده الطريقة الحولية منهجًا:**

يندرج كتاب أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيّ تحت كتب "تاريخ الأُسَر"، وهي الكتب التي تهتم بالتأريخ للأُسَرِ الحاكمة في تاريخ الإسلام، حيث يُنْبِئ عنوانه عن هذا الاتجاه

---

(١) انظر: د. صباح إبراهيم الشيخلي: بعض مصادر تأريخ المغرب في عصر الدولة المرابطية - مجلة العصور (مجلة علمية نصف سنوية تُعنى بالدراسات التاريخية والآثارية والحضارية)- دار المريخ للنشر- الرياض- المجلد الرابع- الجزء الأول، يناير ١٩٨٩ م/ جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ ص ١٣٤ وما بعدها.

(الأنوار الجليَّة في أخبار الدَّولة المُرابطيَّة)، فقد خصصه لتاريخ أسرة المرابطين، أو أسرة بني تاشفين[1] التي حكمت المغرب والأندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين[2].

وكانت طريقة أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيّ في معالجة الأحداث التاريخية هي الطريقة الحولية، حيث نلاحظ من خلال النصوص الواردة عنه أنه رتَّبَ الأحداث حسب السنوات، ومن الأمثلة على ذلك:

قَالَ [ابنُ الصَّيْرَفِيّ]: "وَفِي عَامِ ثَلاثةٍ وَثمانينَ وأَرْبَعْمائةٍ تَحرَّكَ أميرُ المُسْلِمِينَ يُوسُفُ بنُ تَاشُفِينَ لخَلْعِ رُؤَسَاءِ الأَنْدَلُسِ....."[3].

وكذلك: قَالَ ابنُ الصَّيْرَفِيّ: "وَفِي رَبِيعِ الأَوَّلِ مِنْ هَذَا العَامِ، وَهُوَ عَامُ اثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعْمِائَةٍ، تُوُفِّيَ بِغَرْنَاطَةَ مُؤَمَّلٌ مَوْلَى بَادِيسِ بنِ حَبُّوسٍ...."[4].

---

(١) من المهم أن نشير هنا إلى أن المستشرق الإسباني الكبير فرانثيسكو كوديرا قد خصص مقالاً عن "أسرة بني تاشفين" في كتابه (دراسات نقدية عن تاريخ الأندلس)، ونُشرت في مدينة سرقسطة الإسبانية سنة ١٩١٧م.

- Estudios críticos de la historia árabe española- Zaragoza,.1917.

(٢) الكتابة في تاريخ الأُسَر الحاكمة لاقى رواجًا كبيرًا في المغرب الإسلامي، وتعددت المصادر التي جنحت نحو هذا الاتجاه، ففي المغرب كتب ابن الصغير المالكي كتاب "تاريخ الأئمة الرستميين"، وكتب ابن حمادُه الصنهاجي كتاب "أخبار ملوك بني عُبيد وسيرتهم" وخصصه لتاريخ أسرة العبيديين (الفاطميين) بالمغرب، وكتب ابن الشماع كتاب "الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية"، وكتب الزركشي كتاب "تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية"، وكتب ابن قنفذ القسنطيني كتاب "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية"، وكان للدولة المرينية نصيب من ذلك أيضًا، فقد كُتب فيها: كتاب "الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية" لابن أبي زرع الفاسي، وكذلك كتاب "روضة النسرين في دولة بني مرين" لإسماعيل بن الأحمر، وفي غير بني مرين كتب يحيي بن خلدون كتاب "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"، وكتب ابن عبد الجليل التنسي كتاب "نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان"، وفي الأندلس نجد كتاب "الأنوار الجلية في أخبار (محاسن) الدولة المرابطية" الذي نتحدث عنه، وكذلك كتاب "اللمحة البدرية في الدولة النصرية" لمؤرخ الأندلس الكبير ابن الخطيب الغرناطي، وكتاب "نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر" لمؤلف مجهول.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٨٠-٣٨١.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٣٣.

ومن ذلك أيضا: قَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيّ: "فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ [وَخَمْسِمِائَةٍ] اتَّصَلَ بِالأَمِيرِ تَاشُفِين أَنَّ عُظَمَاءَ الرُّومِ [وَزُعَمَاءَهُمْ تَأَلَّفَ لَهُمْ جَيْشٌ يَحْتَوِي عَلَى الآلافِ مِنْ زُعَمَائِهِمْ وَمَشْهُورِي أَبْطَالِهِمْ وَ] قَصَدُوا نَاحِيَةَ بَطَلْيُوس وَبَاجَة وَيَابُرَة........"[1].

ومنه أيضا: قَالَ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الأَنْصَارِيُّ: "وَقُتِلَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ[2] قَاضِي قُرْطُبَة [مُحَمَّدُ بْنُ] أَحْمَدَ بْنِ خَلَفٍ التُّجِيبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ......"[3].

وكذلك حديثه عن القائد يحيى بن علي بن غانية وأعماله في شرق الأندلس، حيث قال ابن عذارى: "قَالَ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الأَنْصَارِيُّ: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ (٥٢٨ هـ/ ١١٣٣ م) خَرَجَ يَحْيَى بْنُ عَلِيِّ بْنُ غَانِيَةَ عَامِلُ بَلَنْسِيَةَ وَمُرْسِيَةَ إِلَى حِمَايَةِ الزَّرْعِ بِالثَّغْرِ......"[4].

والنماذج على ذلك متعددة تؤكد اعتماد ابن الصَّيْرَفِيّ على الطريقة الحولية في ترتيب الأحداث التاريخية التي أوردها في كتابه (الأَنْوَار الجَلِيَّة)، ورغم أن الاعتماد على الطريقة الحولية يؤدي- كما هو معروف - إلى تجزئة الحدث التاريخي وتقطيعه حسب السنوات التي استغرقها، إلا أن ابن الصَّيْرَفِيّ نجح كثيرًا في الإفلات من عيوب هذه الطريقة عندما لجأ - في بعض الأحداث التاريخية- إلى الاستطراد لاستكمال بعض هذه الأحداث والإفلات من تجزئتها وتقطيعها، خاصة عندما تتوافر له مادة

---

(١) ابن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط- القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام للوزير الغرناطي لسان الدين ابن الخطيب- تحقيق وتعليق: د. أحمد مختار العبادي و أ. محمد إبراهيم الكتاني- نشر وتوزيع دار الكتاب- الدار البيضاء، ١٩٦٤ م، ص ٢٥٧-٢٥٨.

(٢) سنة ٥٢٩ هـ/ ١١٣٤ م.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٩٣.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٩١.

تفصيلية عن الحدث، وهذا تكرر عنده مراتٍ[1]، وسيظهر بوضوح في القسم الثاني الخاص بتحقيق نصوص الكتاب.

▪ الالتزام بمنهج الاختصار والإيجاز:

صرَّح أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيّ في أكثر من نصّ من النصوص المبثوثة في المصادر التي نقلتْ عنه واعتمدت عليه أنه سيلتزم الإيجاز والاختصار والبعد عن التطويل والإسهاب، فعندما تحدَّث عن أمير المسلمين يوسف بن تاشُفين وصفاته وأعماله في الأندلس وانتصاره على النَّصارى في معركة الزَّلاقة، واجتهاده في توحيد الأندلس وإزالة الخلافات بين ملوك الطوائف، ثم اتخاذه قرارًا بخلعهم عن الحكم؛ حفاظًا على الأندلس من الضياع، ثم ذكر أن ابن تاشُفين قام بمجموعة من الإجراءات للسيطرة على مدن الأندلس لم يذكرها ابن الصَّيْرَفِيّ حفاظًا على منهجه في الاختصار وحتى لا يطول الكتابُ، فقال: "ثم تملك المرية وقرطبة وإشبيلية وغيرها في أخبار يطول اقتضاؤها، والبقاء لله"[2].

وكذلك عندما تحدَّث عن الأمير أبي محمد تاشُفين بن عليّ وما يتمتع به من صفات شخصية، مثل الشجاعة والفروسية وحب الجهاد، وما حققه من انتصارات رائعة على النصارى في الأندلس، فضلاً عن إقامة العدل، واكتساب محبة الرعية والجند برعايتهم وإنصافهم وتحقيق مطالبهم، ذكر أن صفات الأمير تاشفين لا تُحْصَى، وإنما اقتصر منها على ما يكفي لمعرفة شخصيته، ورغبةً منه في الاختصار، فقال: "ولولا الاختصارُ[3] لأوردنا من خلاله السَّنية[4] ما يضيق عنه الرَّحْبُ ولا يسعه الكتبُ"[1].

---

(١) انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٤١-٤٢، ٧٨، ٩١، ٩٣، ٩٦. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٥٧. الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٠، ١١٢-١١٣، ١٦٣.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٣٥٣.

(٣) في الإحاطة، ١/ ٤٤٨: "ولولا الاختصار الذي اشترطناه لأوردنا.....".

(٤) في الإحاطة، نفس الجزء والصفحة: "من سنيّ خلاله".

ولعدم رغبته في التطويل والإسهاب أوجز في الحديث عن تحركات الأمير تاشفين بن عليّ العسكرية وانتصاراته المتعددة على النصارى في الأندلس، فقال: وَلَوْ ذَهَبْنَا لاسْتِقْصَاءِ حَرَكَاتِ الأَمِيرِ تَاشُفِين وَظُهُورِهِ لاسْتَدْعَى ذَلِكَ طُولاً كَثِيرًا"[٢].

▪ أسلوب الكتابة وغلبة النزعة الدينية:

كان ابن الصَّيْرَفِيّ واحدًا من أبرز الكُتَّاب في البلاط المرابطيّ وأقربهم مكانة إلى أمراء المرابطين، ولا شك أن هذه المهمة الجليلة لا تُسند إلا إلى الشخصيات المتميزة المتمكنة من اللغة العربية وأدواتها وجمالياتها، وقد وصفه ابنُ الأبار بـ"الأَدِيبِ"[٣]؛ وهي شهادة لها قيمتها، خاصة عندما تصدر من أديب كبير ومؤرخ متميز معروف كابن الأبار، كما أنها تُنبِئ عما كان يتمتع به ابن الصَّيْرَفِيّ من مكانة أدبية متميزة، لذا فقد كان له أسلوبه المتفرِّد في الكتابة والتدوين التاريخي، وقد تميزت كتابته بعدة ميزات أساسية، نجملها فيما يلي:

أ. الأسلوب المسترسل والبعد عن السجع:

نلاحظ أن مؤرخنا أبا بكر ابن الصَّيْرَفِيّ اهتم بإبراز المادة التاريخية في عبارات قصيرة توضح المعنى المقصود في براعة يستسيغها القارئ، واستخدم للتعبير عن الأحداث أسلوبًا تلقائيًّا، سهلاً واضحًا، بعيدًا عن الغموض والتعقيد، كما أنه ابتعد عن السجع والزخرفة اللفظية، فجاء أسلوبه قويًا رصينًا بليغًا يرتفع إلى أحسن مستويات الأساليب العربية الصافية، وكان من أهم فوائد ابتعاده عن السجع أنه قدَّم لنا الحدثَ التاريخيَّ بصورة مباشرة بعيدة عن التكلف؛ لأن الاهتمام بالسجع والزخرفة اللفظية وإجهاد النفس للبحث عن السجعة المناسبة غالبًا ما يجني على

---

(١) انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٨٠.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥٣.

(٣) ابن الأبار: التكملة (تحقيق: د. عبد السلام الهراس)، ١/ ٣٤٣.

الحقيقة التاريخية، بل يكون من أهم أسباب ضياعها، لأن المؤرخ إذا كتب على سجي
دون تكلفٍ أفصح وأبان وأفاد وأمتع، فإذا تكلف وسجع أسفَّ وهبط، وضاع
معانيه في جهد البحث عن السجعات.

ونستطيع أن نبرهن على ذلك باستعراض أيٍّ من المواضع التي نقلها ع
المؤرخون اللاحقون، فقد نقل عنه صاحب الحلل الموشية نصًا يتحدث فيه عن غزو
ألفونسو الأول للأندلس عندما رغَّبه النصارى المعاهدون في ذلك، فقال: "قال
مصنف كتاب الأنوار الجلية: نزل يُجيب النصارى المعاهدين بغرناطة في استدعائه
فافتضح تدبيرهم في اجتلابه، وهمَّ أميرُهم بثقافهم فأعياه ذلك، وجعلوا يتسللون إلى
محَلَّته على كل طريق، وكان يومئذ على الأندلس أبو طاهر تميم بن يوسف، وحاضر
سكناه آنذاك قاعدة غرناطة، فأحدقت به جيوش المسلمين، وأمده أخوه أمير المسلمين
من العدوة بجيش وافر، وصارت الجيوش كالدائرة على غرناطة، وهي في وسطها
كالنقطة......."[1].

فمن خلال هذا النصّ نرى عدم اهتمام أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ بتنميق المفردات
والسعي بحثًا عن الألفاظ التي تناسب نهاية الفواصل لتتسق مع بعضها البعض، بل
يعرض الحدث بكل جدية وأمانة، كما أن عدم الاهتمام بالسجع عنده يعطينا انطباعًا
عن التلقائية التي كان يسجل بها أحداث التاريخ دون إجهاد أو اجتهاد في البحث عن
السجعة المناسبة.

وعندما تحدَّث ابن الخطيب عن الشاعر عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي
المعروف بابن العسَّال، نقل كلام ابن الصَّيْرَفِيِّ عنه فقال: "قال ابن الصَّيْرَفِيِّ: كَانَ رَحِمَهُ
اللهُ فَذًّا فِي وَقْتِهِ، غَرِيبَ الجُودِ، طِرْفًا فِي الخَيْرِ وَالزُّهْدِ وَالوَرَعِ، لَهُ فِي كُلِّ جَوٍّ مُتَنَفَّسٌ،
يَضْرِبُ فِي كُلِّ عِلْمٍ بِسَهْمٍ، وَلَهُ فِي الوَعْظِ تَوَالِيفُ كَثِيرَةٌ، وَأَشْعَارُهُ فِي الزُّهْدِ مَشْهُورَةٌ،

(١) الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ٩٣.

جَارِيَةٌ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ، أَكْثَرُهَا كَالأَمْثَالِ، جَيِّدَةُ الرَّصْعَةِ، صَحِيحَةُ المَبَانِي وَالمَعَانِي، وَكَانَ يُحَلِّقُ فِي الفِقْهِ، وَيَجْلِسُ لِلْوَعْظِ"[1].

وهذا النص يؤكد لنا أن ابن الصَّيْرَفِيِّ لم يعمد في عمله التاريخيِّ إلى زخرفة الألفاظ والاعتداد بالسجع، بل كان بعيدًا كل البعد عن ذلك إلا ما جاء عنه بصورة طبيعية اعتادها مؤلفو ذلك الزمان ممن كانت لهم مكانة في الأدب والبلاغة – وكان ابن الصَّيْرَفِيِّ واحدًا من هؤلاء – دون تكلف ممقوت ينفِّر القارئ ويشغله عن الحقيقة التاريخية التي يسعى للحصول عليها.

ب. غلبة النزعة الدينية:

كما كان لثقافة ابن الصَّيْرَفِيِّ الدينية أثرها البيِّن على أسلوبه في الكتابة، ويتجلى ذلك من خلال توظيف الكثير من المفردات القرآنية في التعبير عن أفكاره وتصوراته، وفي سرده للأحداث – ومن خلال النصوص المنقولة عن كتابه – تظهر بوضوح غلبة النـزعة الدينية على أسلوبه، ويتجلى ذلك في كثرة العبارات التي تنم عن هذه النـزعة، ومنها: "والبقاء لله....."[2]، و"جعل الله العاقبة لأوليائه"[3]، و"......وبعد نفوذ القدر السابق في علم الله تعالى...... جعل الله ذلك تمحيصًا لهم وتطهيرًا بعزته....."[4]، و".....فاستأصلهم الله......"[5]، و "........فكان كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ولي شيئًا من أمور المسلمين فأراد

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة، ٣/ ٤٦٣.

(2) انظر: الإحاطة لابن الخطيب، ٤/ ٣٥٣.

(3) انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٧٣.

(4) انظر: ابن عذاري: السابق، ٤/ ٤١–٤٣.

(5) انظر: ابن عذاري: السابق، ٤/ ٩١.

الله به خيرًا، جعل الله له بطانة خير، وجعل له وزيرًا صالحًا، إن نسي شيئًا ذكَّره، وإن ذكره أعانه"[1]، و".....وحكم الله بأحكامه....."[2].

▪ منهجه في إيراد التراجم:

أما فيما يتعلق بالتراجم، فقد اهتم أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ اهتمامًا كبيرًا بالترجمة للشخصيات السياسية والعلمية رفيعة الشأن، وكذلك الأدباء والشعراء، متبعًا في ذلك أسلوبه التاريخي المعتاد، حيث ابتعد عن السجع والتكلف المعهود في التراجم للشخصيات، فجاءت ترجماته واضحةً وافيةً مباشرةً معبِّرةً عن الشخصية ومكنوناتها وما يحيط بها.

ومن أهم ترجماته: ترجمته للفقيه أبي جعفر القُلَيْعي الغرناطيّ، حيث قال عنه: "كَانَ الْفَقِيهُ أَبُو جَعْفَر القُلَيْعِيُّ- مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَة - فَرِيدَ عَصْرِهِ، وقَرِيعَ دَهْرِهِ فِي الخيْرِ والعِلْمِ والتِّلاوَةِ، وَلَهُ حِزْبٌ من اللَّيْلِ، وكانَ سَرِيعَ الدَّمْعَة، كثيرَ الرِّوَايَة، وهُوَ الْمُشَارُ إليه فِي كُلِّ نازلَةٍ، ولهُ العَقْدُ والحَلُّ والتَّقَدُّمُ والسَّابِقَةُ، مَع مُنَّةٍ فِي جَلائلِ الأُمُورِ، والنَّهْضَةِ بالأَعْبَاء، وسُمُوِّ الهِمَّة"[3].

ومن الشخصيات السِّياسيَّة ترجم لأمير المسلمين يوسف بن تاشُفين، مُعددًا صفاته وأعماله في الأندلس، فقال عنه: "كَانَ رَحِمَهُ اللهُ خَائِفًا لِرَبِّهِ، كَتُومًا لِسِرِّهِ، كَثِيرَ الدُّعَاءِ وَالاسْتِخَارَةِ، مُقْبِلاً عَلَى الصَّلاةِ، مُدِيمًا لِلاسْتِغْفَارِ، [يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ]، أَكْثَرُ عِقَابِهِ لِمَنْ تَجَرَّأَ أَوْ تَعَرَّضَ لانْتِقَامِهِ الاعْتِقَالُ الطَّوِيلُ وَالْقَيْدُ الثَّقِيلُ وَالضَّرْبُ الْمُبَرِّحُ، إلا مَنِ انْتَزَى أَوْ شَقَّ الْعَصَا فَالسَّيْفُ أَحْسَمُ لانْتِثَارِ الدَّاءِ، يُواصِلُ الْفُقَهَاءَ وَيُعَظِّمُ الْعُلَمَاءَ وَيَصْرِفُ الأُمُورَ إِلَيْهِمْ، وَيَأْخُذُ فِيهَا بِآرَائِهِمْ، وَيَقْضِي عَلَى نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ بِفُتْيَاهُمْ، وَيَحُضُّ

---

(1) انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ١/ ٤٥٠.

(2) انظر: الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ٩٥.

(3) انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ١/ ١٤٧.

عَلَى الْعَدْلِ، وَيَصْدَعُ بِالْحَقِّ، وَيُعَضِّدُ الشَّرْعَ، وَيَحْزِمُ فِي الْمَالِ، وَيُولَعُ بِالاقْتِصَادِ فِي الْمَلْبَسِ وَالْمَطْعَمِ وَالْمَسْكَنِ، [وَمَا زَالَ] إِلَى أَنْ لَقِيَ اللهَ مُجِدًّا فِي الأُمُورِ، مُلَقَّنًا لِلصَّوَابِ، مُسْتَحِبًّا حَالَ الْجِدِّ، مُؤَدِّيًا إِلَى الرَّعَايَا حَقَّهَا مِنَ الذَّبِّ عَنْهَا، وَالْغِلْظَةِ عَلَى عَدُوِّهَا، وَإِفَاضَةِ الأَمْنِ وَالْعَدْلِ فِيهَا، يَرَى صُوَرَ الأَشْيَاءِ عَلَى حَقِيقَتِهَا، [وكان مُعَظَّمًا مَهُوبًا، لا يَخْلُدُ إلى رَاتِبَةٍ، وَلا يَسْكُنُ إلى دَعَةٍ]، تَسَمَّى بِأَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا احْتَلَّ الأَنْدَلُسَ وَأَوْقَعَ بِالرُّومِ، وَكَانَ قَبْلُ يُدْعَى الأَمِيرُ يُوسُفُ، وَقَامَتِ الْخُطْبَةُ فِيهَا جَمِيعًا بِاسْمِهِ وَبِالْعُدْوَةِ بَعْدَ الْخَلِيفَةِ الْعَبَاسِيِّ، وَكَانَ دِرْهَمُهُ فِضَّةً، وَدُنَيْرُهُ تِبْرًا مَحْضًا، فِي إِحْدَى صَفْحَتَي الدُّنَيْرِ: "لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ"، وَتَحْتَ ذَلِكَ: "أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ يُوسُفُ بنُ تَاشُفِينَ"، وَفِي الدَّائِرِ: "وَمَنْ [يَبْتَغِ] غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ"، وَفِي الصَّفْحَةِ الأُخْرَى: "الإِمَامُ عَبْدُ اللهِ [أَحْمَدُ] أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْعَبَّاسِيُّ"، وَفِي الدَّائِرِ تَارِيخُ ضَرْبِهِ، وَمَوْضِعُ سِكَّتِهِ، وَفِي جِهَتَي الدِّرْهَمِ مَا حَمَلَهُ مِنْ ذَلِكَ[1].

ومن ترجماته للشخصيات السياسية أيضًا ترجمته لأمير غرناطة عبد الله بن بُلُكِّين، فقال عنه: "كَانَ جَبَانًا، مُغْمَدَ السَّيْفِ[2]، قَلِقًا، لا يَثْبُتُ عَلَى الظَّهْرِ[3]، عِزْهَاةً[4] لا أَرَبَ لَهُ فِي النِّسَاءِ، هَيَّابَةً، مُفْرِطَ الْجَزَعِ، يَخْلُدُ إِلَى الرَّاحَاتِ، وَيَسْتَوْزِرُ الأَغْمَارَ[5]"[6].

---

(١) الإحاطة، ٤/ ٣٤٩-٣٥٠.

(٢) "مغمد السيف": إشارة إلى عدم رغبته في خوض الحروب لخوفه وجبنه.

(٣) "لا يثبت على الظهر": بمعنى أنه ليس له من الفروسية نصيب، فلا يجيد ركوب الخيل ولا غيرها.

(٤) عِزْهَاة بكسر العين: هو الرجل الذي لا يَقْرَبُ النساء ويُعْرِضُ عنهن زهوًا وكبرًا وأنفةً، وقيل: رَجُلٌ عِزْهَاةٌ: لئيمٌ.

(٥) "يستوزر الأغمار": بمعنى أنه يختار وزراءه من شخصيات ضعيفة ليست لديها الخبرة الكافية التي يحتاجها مثل هذا المنصب الكبير، يقال: رجلٌ غَمْرٌ: لم يُجَرِّب الأمور، والجمع: غمورٌ وأغمارٌ.

(٦) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٨٠.

وكذلك ترجم لِمُؤَمَّل مولى باديس بن حَبُّوس ترجمةً ضافية تخللتها أحداثٌ تاريخيةٌ كثيرة عن أيام خلع عبد الله بن بُلُكِّين أمير غرناطة عن حُكْمها، فتحدَّث ابن الصَّيْرَفِيّ في البداية عن مكانة "مُؤَمَّل" عند عبد الله بن بُلُكِّين أمير غرناطة، وما يتَّصف به من الدهاء والحيلة وبُعد النظر وسداد الرأي، فقال ابنُ الخطيب: "قال ابن الصَّيْرَفِيّ، وقد ذكر عبد الله بن بُلُكِّين حفيد باديس واستشارته عن أمره لما بلغه حركة يوسف بن تاشفين إلى خلعه، وكان في الجملة من أحبابه رجل من عبيد جدِّه اسمه مُؤَمَّل، وله سنٌّ، وعنده دهاءٌ وفطنةٌ، ورأي ونظرٌ"[1]، وفي موضع آخر قال ابن الخطيب نقلاً عن ابن الصَّيْرَفِيّ: "وقال في موضع آخر: ولم يكن في وزراء مملكته وأحبار دولته، أصيل الرأي، جزل الكلمة، إلا ابن أبي خيثمة من كَتَبَتِه، ومُؤَمَّل من عبيد جدِّه، وجعفر من فتيانه"[2].

كما ترجم لبعض الوزراء الكبار ترجمة مطولة تضمنت كلامًا فريدًا عن بعض الإنجازات المعمارية التي تمت في عهد المرابطين مما يندر أن نجده في المصادر التاريخية الأخرى، ومن ذلك ترجمته للوزير الأديب أبي مُحَمَّدٍ عَبْد الرَّحْمَنِ بْنِ مَالِكٍ المُعَافِرِيِّ قال عنه: "عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ مَالِكٍ المُعَافِرِيُّ، مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَة، يُكْنَى أَبَا مُحَمَّدٍ، أَحَدُ جِلَّةِ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ، كَانَ ذَاكِرًا لِلْفِقْهِ وَلِلْحَدِيثِ، [بَارِعًا] فِي ذَلِكَ، شَاعِرًا مُجِيدًا، وَكَاتِبًا بَلِيغًا، حُلْوَ الْكِتَابَةِ وَالشِّعْرِ، وَكَانَ مَعَ هَذَا آخِرَ وُزَرَاءِ الأَنْدَلُسِ، كَثِيرَ الصَّنَائِعِ، جَزْلَ الْمَوَاهِبِ، عَظِيمَ المَكَارِمِ، عَلَى سَنَنِ عُظَمَاءِ المُلُوكِ وَأَخْلاَقِ السَّادَةِ الكِرَامِ، لَمْ يُرَ بَعْدَهُ مِثْلُهُ فِي رِجَالِ الأَنْدَلُسِ، لَهُ مَآثِرُ جَلِيلَةٌ وَأَعْمَالٌ كَرِيمَةٌ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى الْحَمَّامَ بِجَامِعِ غَرْنَاطَة مِنْ أَحْبَاسِ الجَامِعِ حِينَ وَلِيَ إِشْرَافَهَا وَجَمِيعَ أَعْمَالِهَا، بَدَأَ بُنْيَانَهُ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ جُمَادَى الأُولَى سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَشَرَعَ فِي الزِّيَادَةِ فِي سَقْفِ الجَامِعِ مِنْ

(١) المصدر السابق، ٣/ ٣٣١.
(٢) المصدر السابق، ٣/ ٣٣١-٣٣٢.

صَحْنِهِ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ، وَعَوَّضَ كُلَّ أَرْجُلِ [قِسِيِّهِ] بِأَعْمِدَةِ الرُّخَامِ، وَجَلَبَ الرُّؤُوسَ وَالْمَوَائِدَ مِنْ قُرْطُبَةَ، وَفَرَشَ صَحْنَهُ بِكَذَّانِ الصُّخَيْرَةِ، وَأَزَالَ حِيطَانَ الْمَقْصُورَةِ لِيُعِيدَهَا بِالْخَشَبِ الْمَنْقُوشِ الْمُخَرَّمِ، فَقَطَعَهُ عَنْ ذَلِكَ أَجَلُهُ، وَفِي سَنَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ كَمُلَتِ الزِّيَادَةُ فِي الْجَامِعِ مِنْ جِهَةِ الصَّحْنِ وَجِهَةِ الشَّرْقِ، وَفِي أَثْنَاءِ عَمَلِهِ بِغَرْنَاطَةَ وَلِيَ مُسْتَخْلَصَ إِشْبِيلِيَّةَ، وَوَجَّهَهُ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى طُرْطُوشَةَ؛ لِيُصْلِحَهَا وَيَبْنِيَ أَسْوَارَهَا وَيُحَصِّنَهَا، فَاسْتَوْفَى الْغَايَةَ فِيمَا قَلَّدَهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَاسْتَصْحَبَ إِلَيْهَا جُمْلَةً مِنْ مَالِهِ لِمُؤُونَتِهِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ، فَلَمَّا احْتَلَّهَا سَأَلَ قَاضِيهَا، فَكَتَبَ لَهُ تَسْمِيَةَ جُمْلَةٍ [مِنْ أَهْلِهَا] مِمَّنْ ضَعُفَ حَالُهُ وَقَلَّ تَصَرُّفُهُ مِنْ ذَوِي الْبُيُوتَاتِ، فَاسْتَعْمَلَهُمْ كَتَبَةً وَأُمَنَاءَ فِي كُلِّ وَجْهٍ جَمِيلٍ، وَوَسَّعَ أَرْزَاقَهُمْ حَتَّى كَمُلَ لَهُ مَا قَصَدَ إِلَيْهِ مِنْ عَمَلِهِ، [وَمَنْ عَجِزَ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُ وَصَلَهُ مِنْ مَالِهِ، وَصَدَرَ عَنْهَا] وَقَدْ أَنْعَشَ خَلْقًا كَثِيرًا، وَمَآثِرُهُ رَحِمَهُ اللهُ كَثِيرَةٌ، تُوُفِّيَ بِغَرْنَاطَةَ فِي غُرَّةِ شَعْبَانَ، وَقَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ: فِي مُسْتَهَلِّ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَدُفِنَ إِثْرَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ بِبَابِ إِلْبِيرَةَ، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ، وَتَفَجَّعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَرَثَاهُ ابْنُ أَبِي الْخِصَالِ وَغَيْرُهُ، وَلَمْ يَكُنْ بِالأَنْدَلُسِ نَظِيرُهُ، ذَكَرَهُ النَّاسُ مِنْهُمْ: ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ، وَالْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ وَغَيْرُهُمَا"[1].

وأثناء الترجمة كان ابنُ الصَّيْرَفِيِّ يعمد إلى إيراد العديد من الأحداث التاريخية المتعلقة بالشخصية التي يترجم لها، أو الأحداث التي كان المترجم له عضوًا مؤثرًا فيها ومشاركًا في صُنْعها - كما رأينا في النماذج السابقة - كما كان يهتم بإبراز العديد من جوانب الشخصية التي يترجم لها، خاصة الجوانب الأخلاقية والدينية، والجوانب العلمية أحيانًا، ومن أمثلة اهتمامه بالجوانب الأخلاقية والدينية ما ذكره عن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، حيث قال عنه: "كان رحمه الله خائفًا لربِّه، كتومًا لسرِّه،

---

(١) انظر: ابن الزبير: صلة الصلة (ضمن كتاب الصلة لابن بشكوال ومعه كتاب صلة الصلة لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي)، ٣/ ١٢٧-١٢٨، الترجمة رقم ٢٩٤.

كثير الدعاء والاستخارة، مُقْبلاً على الصَّلاة، مُديمًا للاستغفار"[1]، وكذلك ما ذكر، عن الأمير تاشُفين بن علي، حيث قال عنه: "ولما قَدِم غرناطة أقبل على صيام النَّهار، وقيام الليل، وتلاوة القُرآن، وإخفاء الصَّدقة، وإنشاء العَدْل، وإيثار الحقّ"[2].

أما عن اهتمامه بالجوانب العلمية للشخصية التي يترجم لها، فمن أمثله ذلك ما ذكره عن الفقيه الشاعر عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي المعروف بابن العسَّال، حيث قال عنه: "كان رحمه الله فذًا في وقته،........... يضرب في كل علم بسهم، وله في الوعظ تواليف كثيرة،.......... وكان يُحلِّق في الفقه، ويجلس للوعظ"[3].

▪ اهتمامه برصد التَّنظيمات العسكريَّة لجيوش المرابطين:

إن النظرة الأولى للنصوص المتبقية من كتاب ابن الصَّيْرَفِيّ تكشف عن مدى اهتمامه الشديد بتسجيل تفاصيل النشاط العسكري للمرابطين في الأندلس، خاصة ما يتعلق بالترتيبات الحربية وتنظيمات الجيش قبل خوض المعارك الحربية المختلفة، ومن ذلك ما ذكره عن ترتيبات الأمير مَزْدَلِيّ لجيش المرابطين أثناء استعداده لفتح بلنسية واستعادتها من أيدي النصارى سنة ٤٩٥ هـ/ ١١٠١ م، إذ يقول: "فَتَحَرَّكَ الأَمِيرُ مَزْدَلِيٌّ لَمَّا اتَّصَلَ بِهِ ذَلِكَ مِنْ هُنَالِكَ، وَكَتَّبَ الْكَتَائِبَ، وَعَبَّأَ الْمَوَاكِبَ فِي وَجْهِ الأُذْفُونْشِ، فَظَهَرَ لأُذْفُونْش مِنْ عَزْمِهِ وَصَرَامَتِهِ وَقُوَّةِ جَأْشِهِ مَا ظَهَرَ، فَكَانَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مُكَافَحَةٌ عَظِيمَةٌ عَامَّةَ النَّهَارِ، وَعِنْدَ الْمَغْرِبِ أَخَذَ الأُذْفُونْشُ فِي الصَّدَرِ إِلَى بَلَنْسِيَة، وَجَدَّ فِي إِخْلائِهَا......"[4].

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة، ٤/ ٣٤٩.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة، ١/ ٤٤٩.

(٣) الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٤٦٣. وربما كان من معاني "يُحلِّق في الفقه" أي: يقيم حلقات لتدريس الفقه وشرح مؤلفاته ومنظوماته.

(٤) انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٤٢.

ومن ذلك أيضًا كلامُه عن ترتيبات الجيش المرابطي خلال غَزْوَةُ الأَمِيرِ تَاشُفِين بْنِ عَلِيٍّ بِأَحْوَازِ بَطَلْيَوْس سَنَةَ ٥٢٧ هـ/ ١١٣٢ م، حيث قال: "فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ، [اضْطَرَبَتِ الْمَحَلَّتَانِ، وَتَرَتَّبَتِ الْمَوَاكِبُ، فَأَخَذَتْ مَصَافَّهَا]، وَأُقِيمَتِ الرِّجَالُ فَلَزِمَتْ مَرَاكِزَهَا، فَكَانَ فِي الْقَلْبِ مَعَ الأَمِيرِ تَاشُفِين وُجُوهُ الْمُرَابِطِينَ وَأَصْحَابُ الطَّاعَاتِ وَ[عَلَيْهِ] الْبُنُودُ الْبِيضُ الْبَاسِقَاتُ، مُكْتَتَبَة بِالآيَاتِ، وَفِي الْجَانِبَيْنِ الْكُفَاةُ وَالْحُمَاةُ مِنْ أَبْطَالِ الأَنْدَلُسِيِّينَ، [وَكِبَار] الْمُجَاهِدِينَ، عَلَيْهِمْ حُمْرُ الرَّايَاتِ بِالصُّوَرِ الْهَائِلاتِ، وَفِي الْجَنَاحَيْنِ أَهْلُ الثَّغْرِ وَذَوُو الْجَلادَةِ وَالصَّبْرِ، [عَلَيْهِمُ الرَّايَاتُ الْمُرَقَّعَاتُ بِالْعَلَبَاتِ الْمُجَزَّعَاتِ]، وَفِي الْمُقَدِّمَةِ مَشَاهِيرُ زَنَاتَةَ وَلَفِيفُ الْحَشَمِ [أَهْلِ الْعَزَائِمِ الْمَاضِيَةِ وَالْبَصَائِرِ الثَّابِتَةِ]، بِالرَّايَاتِ [الْمُطِيفَةِ] وَالأَعْلامِ الْمُنِيفَةِ......"[1].

إن هذا التصوير الرائع لهذا العرض العسكري المرابطي برجاله وراياته بألوانها وأنواعها وتقسيماته وترتيباته يندر أن نجد نظيره في المصادر التاريخية الأندلسية الأخرى، وقد كان لوجود مؤرخنا ابن الصَّيْرَفِيِّ في هذا الحدث أثره المهم في نقل هذا الجانب البديع من التاريخ العسكري لدولة المرابطين في الأندلس.

▪ النَّقد التاريخيّ والتَّعقيب على الأحداث:

إن نقد النصوص التاريخية يحتاج إلى قدرة على الاستقراء والمقارنة ودرجة من الذكاء وقوة الحدس والملاحظة وسعة المعلومات التي تمكن المؤرخ أو الباحث من الاطلاع على الكثير من المصادر والمراجع[2] التي تقوي ملكته النقدية.

---

(١) انظر: ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥٢-٤٥٣. أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٥٨. ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٨٨-٨٩. الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ١٢٢.

(٢) د. حسن عثمان: منهج البحث التاريخي- دار المعارف- القاهرة- ط ٣، ١٩٧٥ م، ص ٨٣-٨٤.

ومن الجدير بالملاحظة في منهج ابن الصَّيْرَفِيِّ أنه لم يكن يقف موقفًا سلبيًا من الأحداث التي يعرض لها، ولم يكن مجرد ناقل لهذه الأحداث فقط، بل كان له موقف من بعضها؛ فيعلّق على بعضها، ويفسّر البعض الآخر، وبالجملة فقد كان مما يميز المنهج التاريخي عنده موقفه النقدي من الأحداث التاريخية التي يوردها في كتابه، ومن أبرز الأحداث التي عرض لها بالنقد حادثة مَقْتَل قَاضِي قُرْطُبَة مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ خَلَفٍ التُّجِيبِيِّ سَنَةَ ٥٢٩ هـ/ ١١٣٤ م وهو يصلي بالمسجد الجامع بقرطبة، حيث انتقد هذا الحادث الأليم، واعتبره سُبَّةً في جبين القرطبيين، وعارًا لن يمحوه الزمنُ، فقال في ختام عرضه للحادث: "وَالْتَطَخَتْ قُرْطُبَةُ بِمَا لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَيْهِ دِيوَانٌ، وَلاَ بَدَرَ فِي زَمَانٍ، مِنِ اغْتِيَالِ قَاضٍ عَدْلٍ فَقِيهٍ خَيِّرٍ جَامِعٍ لأَعْمَالِ الْبِرِّ، قُتِلَ مَظْلُومًا سَاجِدًا فِي صَلاَةِ الْجُمُعَةِ..."[1].

كما فسّر لنا سببَ قيام العامة على القاضي أبي بكر ابن العربي وكان معروفًا بالشِّدَّة في أحكامه وعدم التَّهاون مع المفسدين، فقال: "فَأَدَّتْهُ شِدَّتُهُ إِلَى أَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْعَامَّةُ وَنَهَبَتْ دَارَهُ......"[2]، وفي موضع آخر يتكلّم عن سياسة ابن العربي ونتائجها، فيقول: "وَظَلَّ ابْنُ الْعَرَبِيِّ يُوَالِي التَّشَدُّدَ وَالتَّسَلُّطَ حَتَّى ثَقُلَ عَلَى الْفُسَّاقِ وَالأَشْرَارِ فَهَاجُوا"[3].

بالإضافة إلى ذلك فقد كان يضع خلاصة صغيرة للحدث الذي يورده أو يعقّب عليه تعقيبًا موجزًا كخاتمة أو خلاصة له، من ذلك تعقيبه على انْتِصَارُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الرُّومِ سَنَةَ ٥٠١ هـ/ ١١٠٧ م وَمَوْتُ شَانْجُه بنِ أَلْفُنْش لأَوَّلِ وِلاَيَةِ عَلِيِّ بنِ يُوسُفَ،

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٩٣.

(٢) فتاوى البُرْزُلِّي، ٦/ ٣٤٤. وانظر: ابن العربي: العواصم من القواصم (النص الكامل)- تحقيق: د. عمار الطالبي-مكتبة دار التراث- القاهرة، ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م، ص ٢٩٧.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٩٣-٩٤.

حيث عقّب على هذا الانتصار بقوله: "فَكَانَ ذَلِكَ دَلِيلَ الْيُمْنِ وَالْبَرَكَةِ بِوِلاَيَةِ عَلِيِّ بنِ يُوسُف فِي أَوَّلِ دَوْلَتِهِ......."[1].

ومن أمثلة ذلك أيضًا تعقيبه على الانتصار الكبير الذي حققه الأمير تاشفين بن عليّ في غزوة البكار شَمَالِيّ قُرْطُبَةَ سَنَةَ ٥٢٨ هـ/ ١١٣٣ م بسبب ثباته ورباطة جأشه وشجاعته، فختم الخبر بقوله: "وَلَوْلاَ قَدَرُ الله السَّابِقُ بِثُبُوتِ الأَمِيرِ الأَجَلِّ تَاشُفِين، لَحَلَّتِ الْفَضِيحَةُ، والأَزِفَةُ الَّتِي لَيْسَ لَهَا [كَاشِفَةٌ]......"[2].

▪ اعتماده على الرِّواية أو السَّماع كمصدر تاريخيّ:

أفادتنا بعضُ النصوص التاريخية المنقولة من كتاب ابن الصَّيْرَفِيِّ أنه اعتمد على العديد من المصادر في استقاء مادته التاريخية، فكان من بين مصادره (الرِّواية الشَّفهيَّة أو السَّماع)، والمراد بها التلقِّي المباشر عن الشيخ أو أحد الصالحين أو العارفين ببعض الأحداث المطلعين على تفصيلاتها والمشاركين فيها، ويمدون المؤلف بمعلومات لا تتوفر في المصادر المكتوبة، وتفيد في استكمال صورة الحدث الذي يتناوله مؤلفُ الكتاب.

ولا شك أن هذه الرِّوايات الشَّفهيَّة تسد النقصَ في المادة التاريخية التي يعاني منها المؤرخون - غالبًا- في الفترات التاريخية التي يعاصرونها ويعيشون أحداثها، وفي ظل قلة المؤلفات التاريخية التي يستقي منها المؤرِّخُ الأخبار والمعلومات التاريخية لهذه الفترات، عندئذ نراه يعتمد بصورة واضحة على معاصرته للأحداث في تسجيلها، بالإضافة إلى هذه الرِّوايات الشَّفهيَّة التي يتلقَّاها عن بعض الأشخاص المقرَّبين من مركز السُّلطة، أو العارفين بأخبار الدَّولة وأسرارها.

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٥٠. وراجع: د. صباح الشيخلي: بعض مصادر تأريخ المغرب في عصر الدولة المرابطية، ص ١٣٦.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٩٠-٩١.

وهذا كله ينطبق على مؤرخنا ابن الصَّيْرَفِيّ، فقد كان معاصرًا لفترة حكم المرابطين وبدايات دولة الموحدين، لذلك فقد مثّلت الروايات الشَّفهيَّة أو السَّماع مصدرًا أساسيًا عنده لاستكمال الصورة العامة لأحداث الفترات التي عاصرها وعاش أحداثها، فظهرت في بعض النُّصوص المنقولة عن كتابه عباراتٌ تفيد تلقّيه العديد من المعلومات والتفصيلات لبعض الأحداث عن هذا المصدر، مثل: "أخبرني...."، أو: "أخبرنا..."، أو: "حدثني...."....الخ.

ومن الأمثلة التي تؤكد اعتماده على الرِّواية الشَّفهيَّة أو السَّماع كمصدر تاريخيٍّ استماعه إلى بعض الشخصيات التي رأت الحدث التاريخي وعاصرته وكانت جزءًا منه، فمن ذلك حديثه عن باديس بن حَبُّوس ملك غرناطة، فقد نقل أخباره عن طريق بعض فتيان القصر المقربين من باديس، وهو أبو الفضل جعفر، فقال: "حَدَّثَنِي أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ الْفَتَى[1] ....قَالَ: "خَاضَ بَادِيسُ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي الْمَجْلِسِ الْعَلِيِّ مِن دَارِ الشَّرَابِ بِقَصْرِهِ..........."[2].

وكذلك عند كلامه عن فروسية القائد حَرِيز بن حكم بن عُكَّاشة صاحب قلعة رباح، وعلاقته بألفونسو السادس (Alfonso VI) ملك قشتالة، حيث اعتمد في نقل أخباره على شيخه الْفَقِيهُ أَبِي مَرْوَان عَبْد الْمَلِكِ بْنِ بُونُهْ، فقال عند إيراد هذا الحدث: "أَخْبَرَنِي الْفَقِيهُ أَبُو مَرْوَان عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ بُونُهْ قَالَ:.............."[3].

---

(١) جعفر الفتى هو أحظى فتيان هو أحظى فتيان باديس بن حبوس ملك غرناطة، ثم صار أيضًا من فتيان حفيده عبد الله بن بُلُكِّين وأحظاهم عنده وأقربهم إليه، ويبدو من النص أن مؤرخنا ابن الصيرفي كان على اتصال وثيق برجال قصر ابن بلكين، مما يعطي المعلومات التي يوردها عن ابن بُلُكِّين وأسرته وحاشيته أهمية تاريخية كبيرة، إذ إنها بمثابة معلومات شاهد عيان ومعاصر لتلكم الأحداث.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٤١-٤٤٢.

(٣) ابن عاصم الغرناطي: جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، ٢/ ٢٥٦-٢٥٧، والْفَقِيهُ أَبُو مَرْوَان عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ بُونُهْ من شيوخ ابن الصَّيْرَفِيّ، وقد سبقت الترجمة له عند الكلام عن شيوخه.

وأيضًا حديثه عن فتح بلنسية وعودتها للمسلمين سنة ٤٩٥ هـ/ ١١٠٢ م، حيث اعتمد في تلقّي هذا الحدث واستكمال صورته على المشافهة أو السماع، فقال ابنُ عذارى عند نقله من كتاب ابن الصَّيْرَفِيّ: "قال أبو بكر يحيى بن محمد الأنصاريّ: أخبرني أبو عبد الله البُونِيُّ قال:..............."[1].

فمن المؤكد أن أبا عبد الله البُونِيَّ المذكور أعلاه كان واحدًا من الملازمين والمقربين لرجالات الدولة المرابطية، مثله في ذلك مثل مؤرخنا ابن الصَّيْرَفِيّ، لكنه هذه المرة كان من المشاركين لجيوش المرابطين في فتح مدينة بلنسية Valencia وإعادتها إلى سيطرة المسلمين، ومن هنا اهتم ابنُ الصَّيْرَفِيّ بالسَّماع منه والأخذ عنه، باعتباره مصدرًا مباشرًا للحدث المذكور.

ولعل فيما ذكرناه كفاية لبيان المنهج التاريخي عند مؤرخنا أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيّ من خلال النصوص التي نُقِلَتْ عن كتابه التاريخي موضع الدراسة: "الأَنْوَار الجَلِيَّة فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ المُرَابِطِيَّة"، وستنكشف معالم هذا المنهج وتفاصيله بصورة أكثر وضوحًا عند مطالعة القسم الثاني الخاص بتحقيق نصوص الكتاب المذكور بحول الله تعالى.

***

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٤١-٤٣، ولم نهتد إلى شخصية أبي عبد الله البُونِيّ المذكور.

القسم الثاني

نُصُوصُ الكِتَابِ مُحَقَّقَةٌ
ومُرَتَّبَةٌ عَلَى السِّنِين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ الله، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالاَهُ، وَبَعْدُ،،،

[نَسَبُ لَمْتُونَة]:

قَالَ ابنُ الصَّيْرَفِيُّ: "لَمْ أَزَلْ أَطْلُبُ نَسَبَ لَمْتُونَةَ[1] حَتَّى لَمْ أَجِدْ مِنْهُ إِلا أَنَّ الجَدَّ الَّذِي تَفْتَرِقُ مِنْهُ أَفْخَاذُهُمْ تُرْجُوت[2]"[3].

(١) لَمْتُونَة قبيلة من قبائل صَنْهَاجَة البربرية وإحدى بطونها الشهيرة، وإليها آلت رياسة الملثمين (المرابطين) بالصحراء، وقد ضبطها اسمها أبو العباس القلقشندي فقال: "لَمْتُونَة بفتح اللام، وسكون الميم، وضم التاء المثناة من فوق، وسكون الواو، وفتح النون، وهاء في الآخر، قال: واسمه بالبربرية: تلميت، وتُعرف لَمْتُونَة هؤلاء بالمرابطين وبالملثمين أيضًا، وإنما قيل لهم الملثمون؛ لأن رجالهم لا يزالون ملثمين بحيث لا يظهر منهم غير أعينهم. قال: وبقايا لمتونة على حد الكثرة موجودون بصحراء المغرب وبلاده". انظر: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان- حققه وقدم له ووضع فهارسه: إبراهيم الإبياري- دار الكتب الإسلامية (دار الكتاب المصري بالقاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت)- ط٢، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م، ص١٧١.

(٢) وردت هذه اللفظة في المصادر التاريخية التي تحدثت عن نسب المرابطين أو اللمتونيين بصيغ كثيرة، فأوردها ابن عذاري في البيان المغرب بصيغتين قريبتين؛ الأولى وهي الواردة أعلاه في المتن، (٤/ ١٧)، والصيغة الثانية "تُورجوت"، (٤/ ١٨)، يقول ابن عذاري عن المرابطين: "قال ذوو العلم بأخبارهم: إن الجدّ الذي ينتهي إليه نسب جميعهم هو منصور، والجد الذي يفترق منه أفخاذهم تُرجوت بن ورتاسن بن منصور بن مصالة بن أمية بن وانمالي الصنهاجي ثم اللمتوني"، البيان المغرب، ٤/ ١٧. بينما جاءت في الحلل الموشية، (ص ١٥، ٢٤) بصيغة "تُورقيت"، وجاءت عند ابن أبي زرع في الأنيس المطرب، (ص ١٣٦) بصيغة "تُرْقوت"، وفي الإحاطة لابن الخطيب، (١/ ٥٨، ٣٤٧-٣٤٨) بصيغة "توقورت"، وأغلب الظن أن صيغة الإحاطة قد أصابها شيء من التصحيف أو التحريف.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ٤/ ٦٠.

[وَقِيعَةُ النِّيبَلِ بِغَرْنَاطَةَ سَنَةَ ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م]:

[مِمَّا][(١)] حَكَاهُ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ[(٢)] قَالَ: "أَخْبَرَنِي مَنْ شَهِدَ وَقِيعَةَ النِّيبَلِ[(٣)] بِغَرْنَاطَةَ[(٤)]، وَكَانَتْ يَوْمَ ثُلاثَاءِ مِنْ صَفَر سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعْمِائَةٍ، قَالَ: وَرَدَ عَلَى

---

(١) ما بين الحاصرتين جاءت في المطبوع من: جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى- تحقيق: د. صلاح جرار- دار البشير للنشر والتوزيع- عمان- الأردن، ١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩ م، ٢/ ٢٤٧: "ما"، فجعلناها "مِمَّا" لتتناسب مع بداية الكلام.

(٢) يجب التنبيه هنا إلى أن ابن عاصم الغرناطي لم يحدد لنا من أي كتاب لمؤرخنا ابن الصَّيْرَفِيّ كان ينقل هذه المعلومات، لكننا رجَّحنا أنه ينقل عن كتاب: (الأنوار الجَلِيَّة في أخْبَار الدولة المُرَابِطيَّة)، مستندين في هذا الترجيح إلى تشابه بعض النصوص التي ينقلها ابن عاصم عن ابن الصَّيْرَفِيّ مع نصوص كتاب الإحاطة لابن الخطيب الذي ينقل صراحة عن (الأنوار الجليَّة لابن الصَّيْرَفِيّ).

(٣) النِّيبَل: لم يرد اسم هذه البلدة في المصادر الجغرافية الأندلسية، بينما وردت في المصادر التاريخية الأندلسية بصيغتين؛ وردت عند ابن الخطيب في الإحاطة مرتين؛ مرة بصيغة (النَّبيل) بالباء أولاً ثم الياء (الإحاطة- تحقيق: أ. عنان، ١/ ١٣١)، ومرة ثانية بصيغة (النيبل) بالياء أولاً ثم الباء، لكن أخطأ الأستاذ عنان في ضبطها (الإحاطة-تحقيق: أ. عنان، ٣/ ٣٠٠)، وكذلك وردت في (الحلل الموشية، ص ٩٤) بصيغة (النبيل) بالباء أولا ثم الياء، ثم وردت أخيرًا في مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان مرتين بصيغة (النِّيَبل) بالنون المشددة المكسورة ثم ياء مدّ بعدها باء مفتوحة (مذكرات الأمير عبد الله، ص ١٢٩، ٢١١)، وقد ضبطها بروفنسال ضبطًا صحيحًا، فهذا الضبط المشار إليه في مذكرات الأمير عبد الله هو الضبط المعروف في المصادر الإسبانية، وأن النِّيبَل: هي بلدة (Nívar) الحديثة، أو قلعة نيبار أو نيفار (Castillejo de Nívar)، وتقع شمال غربي غرناطة، على بُعد ١٢ كلم منها، في الجزء الأوسط من المنطقة المعروفة بمرج غرناطة (La Vega de Granada).

(٤) غرناطة (Granada): مدينة من أهم المدن الإسبانية، وتقع في الجنوب الشرقي من إسبانيا، محمية من الشمال بمرتفعات مطلة على نهر الوادي الكبير (Guadalquivir)، ومن الجنوب نهر شنيل (Genil) الذي ينبع من جبال "سييرا نيفادا" (Sierra Nevada)، وتبعد عن البحر بنحو ٧٠ كلم، وارتفاعها عنه بنحو ٧٣٨ م، واسمها مأخوذ من كلمة "جرانادا Granada" الإسبانية، التي تعني شجر الرمان وثماره، أو من كلمة غرناطة العربية التي تعني "تل الغرباء"، وهي إحدى المدن القديمة في كورة إلبيرة (Elvira)، وتقع على بعد ٦ أميال منها إلى الجنوب الشرقي، وفي زمن الفتنة خلت كورة إلبيرة وانتقل أهلها منها إلى غرناطة، وقد مدَّنها وحصَّن أسوارها وبنى قصبتها حبُّوس بن زيري الصنهاجي، ثم خلفه ابنه باديس بن حبُّوس فكملت في أيامه وعَمُرت حتى لحقت بأمصار الأندلس المشهورة، واشتهرت بالزراعة والعديد من

حَفِيدِ بَادِيس[1] بِغَرْنَاطَةَ قَوْمَسٌ[2] يَقْتَادُ زُهَاءَ أَرْبَعمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ أَنْجَادِ قَوْمِهِ، فَضَيَّفَهُ وَأَكْرَمَهُ، فَشَطَّطَ الرُّومِيُّ عَلَيْهِ، فَتَوَقَّفَ لَهُ حَفِيدُ بَادِيس وَأَظْهَرَ التَّهَاوُنَ بِهِ، فَشَنَّ الْعِلْجُ الْغَارَةَ عَلَى فَحْصِ غَرْنَاطَةَ[3]، فَاكْتَسَحَ جَمِيعَ مَا أَلْفَاهُ، [فَضَرَبَ][4] مَحَلَّتَهُ عَلَى فَرْسَخَيْنِ

الصناعات، ومن أهم معالمها: حي البيازين وقصر الحمراء وجنة العريف وغيرها، وقد عاشت غرناطة فصولاً مختلفة من التاريخ حتى صارت الحاضرة الأخيرة للمسلمين في الأندلس على يد بني نصر (أو بني الأحمر) إلى أن سقطت في أيدي النصارى في (٢ من شهر ربيع الأول سنة ٨٩٧ هـ/ ٢ من شهر يناير سنة ١٤٩٢ م) على يد الملكين الكاثوليكيين فرناندو وإيزابيلا، وبسقوطها طويت صفحة الوجود الإسلامي في الأندلس. انظر: ابن غالب: فرحة الأنفس، ص ٢٤. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ٢٣، ٢٩. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٢٤٤. ابن الخطيب: الإحاطة، ١/ ٩٤. أ. عنان: الآثار الأندلسية الباقية، ص ١٦٠ وما بعدها.

(١) يقصد عبدَ الله بنَ بُلُكِّين بن باديس أميرَ غرناطة، فهو حفيد باديس بن حبُّوس ملك غرناطة السابق، وسيأتي الحديث عنه بعد ذلك، وقد أشار الأميرُ عبدُ الله في مذكراته المعروفة بكتاب التبيان إلى هذا الحدث، ويتباهى فيه بأنه أول مَن سَلَّ سيفًا على النصارى في هذه المعركة قبل قدوم المرابطين إلى الأندلس، فقال: "وأولُ سيفٍ سُلَّ على الروم إنما كان من قِبَلِنَا، وهي الوقيعة المشهورة بالنِّيل من طاعتنا، في حين تطرق النصارى إليها على حين غفلة، ووافق ذلك أول ظهور المرابطين ووصولهم سبتة". انظر: مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة المسماة بكتاب التبيان- نشر وتحقيق: ليفي بروفنسال- دار المعارف بمصر، ١٩٥٥ م، ص ١٢٩.

(٢) القَوْمَسُ: الرئيس من النصارى، وجمعه: قوامس وقوامسة أو قمامسة، وبالإسبانية (Comes)، وهو من نصارى عجم الأندلس، وكانت مهمته إدارة أمور الجماعات النصرانية الكبيرة في المدن والأرياف، وكان يُعيَّن بمعرفة السلطات الإسلامية في الأندلس، وتتركز سلطته في المسائل المدنية الخاصة بالنصارى، بالإضافة إلى كونه حلقة وصل بينهم وبين الحكومة الإسلامية. انظر: د. عبادة كحيلة: تاريخ النصارى في الأندلس- المطبعة الإسلامية الحديثة- القاهرة، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م، ص ٨٥-٨٦. د. حسين مؤنس: فجر الأندلس- العصر الحديث للنشر والتوزيع ودار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان- ط ١، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م، ص ٤٧٩.

(٣) فحص غرناطة: هو مرجُها الشهير (La Vega de Granada)، وهو البسيط الأخضر الذي تشرف عليه غرناطة من الجنوب الشرقي، وقد كان طوال العصر الإسلامي من أنضر وأبدع بقاع الأندلس الخضراء، وكان بمزارعه اليانعة وحدائقه الغنَّاء متنزه الناس المفضَّل، ولا سيما في ليالي الصيف، كما كان مستقى لوحي الشعر والنثر عند مبدعي غرناطة وأعلامها من الشعراء والكتَّاب، أما اليوم فقد زالت مغانيه القديمة وقلَّت خضرته وتخللته الرقاع الجرداء.

(٤) ما بين الحاصرتين يقتضيها السياق والمعنى، بينما جاءت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٤٨: "فاضطرب".

مِنَ الْمَدِينَةِ بِمَوْضِعٍ مِنْ سَطْحِ جَبَلِهَا يُعْرَفُ بِالنَّيْبَلِ، فَمَاجَتِ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا، وَوَقَعَ الْهَرْجُ فِيهَا، وَمَشَى بَرِيحُ[1] حَفِيدُ بَادِيس فِي عَسْكَرِيَّتِهِ بِالرُّكُوبِ، فَالْتَأَمَ لَهُ نَحْوُ سَبْعِينَ فَارِسًا، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ وُزَرَاؤُهُ وَأَحِبَّاؤُهُمْ، فَفَاوَضَهُمْ فِي النَّازِلَةِ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ مَشْيَخَةُ عَبِيدِ جَدِّهِ وَمَنْ لَهُ سِنٌّ وَحِنْكَةٌ الإِنْفَاذَ فِي الْخَيْلِ الْمَهْدَوِيَّةِ بِالْجِهَاتِ، وَالْمُجَهَّزَةِ فِي الأَطْرَافِ، فَإِذَا وَرَدَتْ نُودِيَ فِي النَّاسِ بِالْجِهَادِ، وَنَهَضَتِ الْخَيْلُ وَالرَّجْلُ فِيمَا يُرْبِي عَلَى عَدَدِ الْعَدُوِّ، وَكَانَ الظَّفَرُ مَرْجُوًّا، وَدَفَعَ فِي [صَدِّ][2] هَذَا الرَّأْيِ الْغِلْمَةُ وَالصِّبْيَةُ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَيْهِ، وَرَأَوْا أَنْ يُعَاجِلَ مَشْيَ الْبَرِيحِ فِي النَّاسِ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ لاَ يَتَخَلَّفُ أَحَدٌ، وَيُبَادِرُ الْعَدُوَّ قَبْلَ فَوْتِهِ، وَرَجْلُ[3] الْمَدِينَةِ يُهْلِكُهُ لِكَثْرَتِهِ، فَوَاطَأَهُمْ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ، وَمَشَى الْبَرِيحُ فِي النَّاسِ بِالْخُرُوجِ إِلَى لِقَاءِ الْعَدُوِّ، فَنَشِطَتِ الأَغْمَارُ وَالْحَاكَةُ وَغِمَارُ النَّاسِ ومَنِ اخْتَدَمَتْ نَفْسُهُ عَلَى وَلِيِّ أَمْرٍ لَهُ، وَتَهَاوَنُوا بِالْعَدُوِّ، وَاسْتَحْقَرُوا أَمْرَهُ، وَلَمْ يُخَالِجْهُمْ رَيْبٌ فِي قَتْلِهِمْ وَأَسْرِهِمْ، فَكَانَ ذَلِكَ وَلَكِنْ بِخِلاَفِ ظَنِّهِمْ، فَخَرَجَ مِنَ النَّاسِ الْجَمُّ الْغَفِيرُ، وَمَشَتْ بِهِمْ تِلْكَ الْخُيَيْلَةُ، فَبَاتُوا بِإِزَاءِ الْعَدُوِّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَكَثُرَتْ عِنْدَهُمُ الضَّوْضَاءُ وَالتَّأْذِينُ فِي وَقْتٍ وَغَيْرِ وَقْتٍ، وَعَلَتِ الأَصْوَاتُ، فَتَبَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ لِلْعَدُوِّ الْفَشَلُ، وَظَهَرَ لِقُرْبِهِ مِنْهُمُ الْخَلَلُ، وَبَدَتِ الْعَوْرَةُ، وَتَيَقَّنَ فِيهِمُ الْفُرْصَةَ، وَلَمَّا طَلَعَتِ

---

(١) البريح لفظة بربرية معناها المنادي. انظر : شعبان بوغريسة : قاموس أمازيغي عربي – دار السعادة للطباعة والنشر والتوزيع – الجزائر ، ص٦٦. وهذه اللفظة من الألفاظ البربرية المغربية التي غزت الكتابات الأندلسية وتكررت في عدة مصادر ، فقد وردت هنا عند ابن الصيرفي وتكررت في هذا النص ثلاث مرات كما سيأتي ، ووردت أيضًا في كتاب (تاريخ الأندلس لمؤلف مجهول وهو يتكلم عن قرار أهل قرطبة بقيادة أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور إخراج بني أمية من قرطبة ، يقول : " فقام البريحُ في قرطبة ألا يبقى بها أحدٌ من بني أمية ، وألا يسترهم أحدٌ ، ولا يكنفهم ". انظر : (تاريخ الأندلس) لمؤلف مجهول – دراسة وتحقيق : د. عبد القادر بوباية – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م ، ص٢٤٩.

(٢) ما بين الحاصرتين يقتضيها السياق والمعنى، بينما جاءت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٤٨: "صدر".

(٣) الرَّجْلُ: اسم لجمع الرَّاجِل، وهو الماشي على رِجْلَيْهِ خلاف الفارس.

الشَّمْسُ بَرَزُوا لِلْحَرْبِ عَلَى غَيْرِ تَعْبِئَةٍ، مِمَّنْ لَيْسَتْ لَهُ مُنَّةٌ[1]، وَلاَ لَهُ دُرْبَةٌ، وَلاَ عَلَى أُهْبَةٍ، وَانْقَسَمَ جَمْعُ الرُّومِ عَلَى فِرْقَتَيْنِ، ثَبَتَتْ إِحْدَاهُمَا وَصَدَمَتِ الأُخْرَى، فَطَحِنَتْ تِلْكَ الْخَيْلَةُ، وَفَرَّتِ الرَّجْلَةُ، وَأَخَذَ النَّاسُ فِي غَيْرِ طَرِيقٍ، فَتَرَدَّوْا مِنَ الْجِبَالِ، وَهَوَوْا مِنَ الأَجْرَافِ، وَسَقَطُوا فِي الأَخَادِيدِ، وَأُعْمِلَتْ فِيهِمُ الرِّمَاحُ، وَوُضِعَ السَّيْفُ، فَهَلَكَ الْجُلُّ، وَنَجَا الْقُلُّ – وَهُوَ الأَقَلُّ – قَالَ الْمُخْبِرُ: وَكُنْتُ فِيمَنْ نَجَا مَذْهُولاً، سَقَطَ الرُّمْحُ مِنْ يَدِي [وَلَمْ أَشْعُرْ][2]، وَحَمَلْتُ التُّرْسَ وَلاَ أَعْلَمُ[3]، وَأَخْرَجَنِي اللهُ[4] إِلَى طَرِيقِ مَنْجَاةٍ، فَرَكِبْتُهَا، فَمَرَّةً[5] أَقَعُ وَمَرَّةً أَقُومُ، فَأَدْرَكْتُ فَارِسًا عَلَى فَرَسٍ أَدْهَمَ، رُمْحُهُ[6] عَلَى عَاتِقِهِ، وَدَرَقَتُهُ عَلَى فَخِذِهِ، وَدِرْعُهُ مُهَتَّكَةٌ بِالطَّعْنِ، وَبِهِ جُرْحٌ فِي وَجْهِهِ يَثْعَبُ[7] دَمًا تَحْتَ مِغْفَرِهِ، وَهُوَ [مَعَ ذَلِكَ][8] يَنْهَضُ عَلَى [رِسْلِهِ][9]، فَجَعَلْتُهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَشْهَدِ، وَثَابَتْ إِلَيَّ نَفْسِي[10]، فَوَجَدْتُ ثِقْلاً، فَتَذَكَّرْتُ التُّرْسَ، فَأَخْرَجْتُ حَمَالَتَهُ [عَنْ][11] عَاتِقِي، وَأَلْقَيْتُهُ عَنِّي، فَوَجَدْتُ الْخِفَّةَ[12]، وَاسْتَنْشَقْتُ رِيحَ الْحَيَاةِ، وَعُدْتُ إِلَى الْعَدْوِ،

---

(١) المُنَّة: القُوَّة.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٠٠، وقد أورد ابن الخطيب هذه القصة، وجاء في الرواية قوله: (قال:)، ولم يذكر القائل، ولعله سقط من النصّ، لكن اتفاقه مع ما أورده ابن عاصم الغرناطي –كما في النص أعلاه– يؤكد أنه ينقل عن ابن الصَّيْرَفِيّ.

(٣) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٠٠: "ولم أعلم به".

(٤) السابق، نفس الجزء والصفحة: "وحملني الله".

(٥) نفسه "مَرَّةً".

(٦) نفسه "ورُمْحُهُ".

(٧) يَثْعَب: ينفجر ويجري.

(٨) ما بين الحاصرتين زيادة من الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٠٠.

(٩) السابق، نفس الجزء والصفحة، وهي أنسب للسياق والمعنى، بينما وردت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٤٩: "رحله"، وهي بعيدة عن السياق.

(١٠) نفسه "فرجعتُ إلى نَفْسِي".

(١١) ما بين الحاصرتين جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٠٠، وهي أنسب للمعنى والسياق، بينما وردت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٤٩: "على"، وهي لا تناسب المعنى.

(١٢) السابق، نفس الجزء والصفحة "خِفَّةً".

فَصَاحَ فِيَّ ذَلِكَ الْفَارِسُ: خُذِ التُّرْسَ. فَقُلْتُ[1]: لاَ حَاجَةَ لِي بِهِ. قَالَ[2]: خُذْهُ، وَأَغْلَظَ فِي الْقَوْلِ، فَتَرَكْتُهُ وَوَلَّيْتُ مُسْرِعًا فِي الْعَدو، فَهَمَزَ فَرَسَهُ وَوَضَعَ سِنَانَ رُمْحِهِ بَيْنَ كَتِفَيَّ، وَقَالَ: خُذِ التُّرْسَ وَإِلَّا أَخْرَجْتُهُ مِنْ صَدْرِكَ[3]. فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ الَّذِي فَرَرْتُ مِنْهُ، وَرَجَعْتُ إِلَى التُّرْسِ فَأَخَذْتُهُ وَأَنَا أَدْعُو عَلَيْهِ، فَأَسْرَعْتُ[4] عَدْوًا، فَقَالَ لِي: عَلَى مَا كُنْتَ [فَلْيَكُنْ عَدْوُكَ][5]. فَاسْتَعْبَرْتُ[6] وَقُلْتُ: مَا بَعَثَهُ اللهُ إِلَّا لِهَلَكِي[7]، وَإِذَا بِقِطْعَةٍ[8] مِنْ خَيْلِ الرُّومِ قَدْ بَصُرَتْ بِهِ، فَتَقَطَّعَتْ فِي أَثَرِهِ، فَوَقَعَ فِي رُوعِي أَنَّهُ يَلْهَثُ فِي الْجَرْيِ فَيَسْلَمُ وأُقْتَلُ، فَلَمَّا ضَاقَ انطَلَقَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَقْرَبِهِمْ إِلَيْهِ[9]، وَعَطَفَ عَلَيْهِ كَالْعُقَابِ الْكَاسِرِ، وَطَعَنَهُ [فَقَطَرَهُ][10]، وَتَخَلَّصَ الرُّمْحَ مِنْهُ، وَطَعَنَ الآخَرَ فَنَكَّبَهُ[11]، وَنَفَضَ الرُّمْحَ مِنْهُ، وَمَالَ إِلَى الثَّالِثِ فَانْهَزَمَ لَهُ[12]، وَرَجَعَ إِلَيَّ[13]، وَقَدْ بُهِتُّ[1] مِنْ فِعْلِهِ، [وَرَشَاشٌ][2]

---

(١) نفسه "قلتُ".

(٢) نفسه "فقال".

(٣) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٠٠: "وإلا أخرجته بين كتفيك في صدرك"، وما جاء في المتن أعلاه أنسب.

(٤) السابق ، نفس الجزء والصفحة "وأسرعتُ".

(٥) ما بين الحاصرتين جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٠٠، وهي أوفق مع السياق، بينما وردت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٤٩: "يَكُونُ سَيْرُكَ".

(٦) السابق ، نفس الجزء والصفحة "فَاسْتَعَذْتُ"، ويقال: اسْتَعْبَرَ فلانٌ: أي: حَزِنَ، أو: جَرَتْ دمْعَتُه.

(٧) نفسه "لِهَلاكِي".

(٨) نفسه "قطعة".

(٩) نفسه "فلما ضاق الطلق ما بينه وبين أقربهم منه".

(١٠) ما بين الحاصرتين جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٠٠: "فقطره"، ووقد دخلها تصحيفٌ، ويجب أن تكون: "فَقَطَرَهُ"، وهي أوفق للمعنى، بينما وردت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٤٩: "فَقَطَرَ"، وربما دخلها تصحيفٌ أيضًا بسقوط الهاء من آخرها، ومعنى: فَقَطَرَهُ: أي صَرَعَهُ، يقال: قَطَرَ عَدُوَّهُ: صَرَعَهُ صَرْعَةً شَدِيدَةً.

(١١) السابق ، نفس الجزء والصفحة "ثم حمل على آخر فطعنه"، ومعنى: نَكَّبَهُ: نَحَّاهُ جَانِبًا.

(١٢) نفسه "ومال على الثالث فانهزم منه".

(١٣) نفسه "فَرَجَعَ إِلَيَّ".

مِنْ دَمِ الجُرْحِ يَتَطَايَرُ مِنْ قِنَاعِ [المِغْفَرِ](3) مِنْ شِدَّةِ نَفَسِهِ، فَقَالَ(4) لِي: [يَا فَاعِل! يَا صَانِع!](5)، أَتَلْقِي التُّرْسَ(6) وَمَعَكَ مُقَاتِلُ(7) [الرُّيُّه](8)؟!"(9). انْتَهَتْ(10).

[مُقَاتِلُ الرُّيُّه: فُرُوسِيَّتُهُ وَبَرَاعَتُهُ الأَدَبِيَّةُ وَالشِّعْرِيَّةُ]:

قَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ-[بَعْدَ حِكَايَتِهِ السَّابِقَةِ، وَالأَمْرُ يُذْكَرُ بِالأَمْرِ](11)-: "أَخْبَرَنِي الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنِ الجُبَّرِ(1): أَدْرَكْتُهُ شَيْخًا ظَرِيفًا، مَلِيحَ الشَّيْبَةِ،

---

(1) جاءت في منتخبات عن كتاب الإحاطة في تأريخ غرناطة (ضمن ملاحق مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان)- (نشر وتحقيق: ليفي بروفنسال)، ص ٢١٢: "هِبْتُ".

(٢) ما بين الحاصرتين جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٠١، وهي أنسب للمعنى، بينما وردت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٤٩: "ورشاء"، ولا معنى لها هنا.

(٣) ما بين الحاصرتين جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٠١، وهي أنسب للمعنى، بينما وردت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٤٩: "درعه"، ولا علاقة للقناع بالدرع، بينما القناع جزء من المغفر الذي يغطي الرأس مع الوجه.

(٤) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٠٠: "وقال".

(٥) ما بين الحاصرتين جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٠١، وهي أنسب للمعنى، بينما وردت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٤٩: "أصانع أفاعل".

(٦) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٠٠: "الرمح".

(٧) هو مقاتل بن عطية البرزالي، من أهل غرناطة، ومن بني برزال، يُكْنى أبا حرب، ويُلقَّب بذي الوزارتين، ويُعْرَف بالرُّيُّه؛ لحمرة كانت في وجهه، كان من الفرسان الشجعان، وقد سبقت الترجمة له في القسم الأول الخاص بالدراسة. انظر عنه: ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٢٩٩-٣٠٠. وسيذكر ابن الصَّيْرَفِيّ- فيما بعد- معلومات عن ظرفه وبراعته الأدبية والشعرية.

(٨) ما بين الحاصرتين جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٠١، وهي اللقب الصحيح لهذا الفارس؛ إذ كان يُعْرَف بالرُّيُّه؛ لحمرة كانت في وجهه، والرُّيُّه هي الكلمة الإسبانية (El Rojo)، ومعناها: الأحمر. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٢٩٩، والحاشية رقم ١ من الصفحة نفسها، بينما وردت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٤٩: "الرؤية"، وقد دخلها التصحيفُ.

(٩) ابن عاصم الغرناطي: جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، ٢/ ٢٤٧-٢٤٩.

(١٠) نلاحظ أن ابنَ عاصم يختم نُقُولَه عن ابن الصَّيْرَفِيِّ وغيره بكلمة (انتهى أو انتهت)، مما يدل على دقته وأمانته في النقل عن غيره.

(١١) ما بين الحاصرتين من كلام ابن عاصم الغرناطي أبقيتُ عليه لبيان اتصال كلامه هذا بما سبق.

حَسَنَ الشَّارَةِ، بَارِعًا فِي الأَدَبِ، جَيِّدَ الشِّعْرِ، فَذًّا فِي الْكِتَابَةِ، مُتَّسِعَ الْمَعْرِفَةِ، أَخَذَ عَنْ ابْنِ سِرَاجٍ وَغَانِمٍ- [رَحِمَهُمَا](٢) اللهُ - فَكَانَ لَسِنًا مُفَوَّهًا، عَاشَ مُكَرَّمًا مُرَفَّهًا لَمْ يُصِبْهُ مَا كَدَّرَ شِرْبَهُ وَرَوَّعَ سِرْبَهُ إِلَى أَنْ نَكَبَهُ [مُؤَمَّلٌ](٣)، وَعَاشَ لَهُ ابْنٌ اسْمُهُ الْجِبِّيرِ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو الصَّبَاحِ، وَكَانَ لِلْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ هَذَا فِي عُنْفُوَانِ شَبِيبَتِهِ مَيْلٌ إِلَى الْجُنْدِيَّةِ؛ لِعِزَّةٍ فِي نَفْسِهِ، فَتَجَنَّدَ، وَكَانَ دِيوَانُ عَسْكَرِيَّةِ الْمَأْمُونِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادٍ مُشْتَمِلاً عَلَيْهِ، وَلَهُ فِي نَدَى إِنْشَادِهِ مَوْطِنٌ ثَبْتٌ وَمَجَالٌ رَحْبٌ، قَالَ: كَانَ مُقَاتِلُ بْنُ عَطِيَّةَ الْمَعْرُوفُ [بِالرُّيَّه](٤)، قَدْ وَلَّاهُ حَفِيدُ بَادِيسٍ قَاعِدَةَ الْيُسَانَةِ(٥) وَاتَّقَى بِهِ ابْنَ عَبَّادٍ، فَسَدَّ ذَلِكَ الثَّلْمَ، وَضَيَّقَ عَلَى

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن الجِبِّير بن عثمان بن عيسى بن الجِبِّيرِ اليحصبيّ، من أهل لَوْشَة (Loja) من أعمال غرناطة، أخذ عن أشياخ غرناطة بها، وبمالقة عن غانم الأديب، وبقرطبة عن ابن سراج، وكان أديبًا بارع الأدب، كاتبًا بليغًا، شاعرًا مطبوعًا، لَسِنًا مُفَوَّهًا، عارفًا بالنحو والأدب واللغات، انخرط في عنفوان شبابه في الجندية لشهامته وعزة نفسه، فكان في عسكر المأمون بن المعتمد بن عباد، ونال عنده مكانة عالية لجلاله وشرف خلاله، توفي بلَوْشَة سنة ٥١٨ هـ/ ١١٢٤ م، وقد ضبط ابنُ عبد الملك المراكشي لقبه بالحروف فقال: "الجِبِّيرُ: بكسر الجيم وتشديد الباء بواحدة وياء مدّ وراء". انظر: ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٨٥. ابن الأبار: التكملة (تحقيق: د. عبد السلام الهراس)، ٢/ ٢٥٢، الترجمة رقم ٧٢٥. ابن عبد الملك المراكشي: الذيل التكملة- بقية السفر الرابع، ص ١٨٩، الترجمة رقم ٣٥٣.

(٢) ما بين الحاصرتين أنسب للسياق؛ إذ ذكر اثنين فقط ممن أخذ عنهم مقاتل بن عطية البرزاليّ، بينما وردت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٥٠: "رحمهم".

(٣) ما بين الحاصرتين جاء في مطبوع جنة الرضا، ٢/ ٢٥٠: "مرمّل"، ولعلَّ الصحيحَ ما أثبتناه، ومؤمَّل هو مولى باديس بن حبوس، ومن وزراء عبد الله بن بُلُكِّين حفيد باديس وأصحاب الكلمة عنده، وسيتكلم عنه ابنُ الصَّيْرَفِيّ كثيرًا فيما يأتي.

(٤) ما بين الحاصرتين هو اللقب الصحيح للفارس مقاتل بن عطية البرزاليّ؛ إذ كان يُعْرَف بالرُّيَّه؛ لحمرة كانت في وجهه. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٢٩٩، ٣٠١، بينما وردت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٥١: "الرؤية"، وقد دخلها التصحيفُ.

(٥) اليُسَانة، وتُكتَب أحيانًا اللُّسَانة (Lucena): بلدة حصينة من أعمال غرناطة، تقع شمال غربي مدينة لَوْشَة (Loja) على مقربة من نهر شِنِيل (Genil)، انظر: ابن الخطيب: (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٢٩٩، حاشية رقم ٢.

قُرْطُبَة[١]، وَأَلَحَّ عَلَيْهَا بِالضَّرْبِ حَتَّى أَشْرَقَ مَنْ فِيهَا بِرِيقِهِ، وَوَرَدَ رَعِيلٌ مِنْ خَيْلِ إِشْبِيلِيَّة[٢] قُرْطُبَةَ لأَخْذِ أُعْطِيَاتِهِمْ بِهَا، فَلَحِقُوا لَيْلاً، وَاتَّفَقَ أَنْ ضَرَبَ مُقَاتِلٌ صُبْحَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ عَلَى قُرْطُبَة، وَشَارَفَ بَابَ الْقَنْطَرَةِ[٣]، وَاكْتَسَحَ مَا وَرَاءَهُ، فَارْتَجَّتِ الْمَدِينَةُ، [وَمَاجَ][٤] أَهْلُهَا، وَتَفَاقَمَ الأَمْرُ عَلَى صَاحِبِهَا، وَنُودِيَ فِي الْعَسْكَرِيَّةِ بِالرُّكُوبِ وَالاتِّبَاعِ، فَاحْتَدَمَتْ أَنْفُسُ الْجُنْدِ، وَتَبَادَرُوا الْخُرُوجَ، وَخَرَجْتُ فِي أُهْبَةٍ، وَاسْتَصْحَبْتُ فُلانًا، وَوَقَفْنَا فِي مَفَارِيقِ الطَّرِيقِ حَتَّى كَمُلَ خُرُوجُ الْجُنْدِ، وَانْقَطَعَ الْمَدَدُ، وَإِذَا فِي أَذْيَالِ الْقَوْمِ فَارِسٌ قَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ السِّنُّ عَلَى فَرَسٍ أَشْهَبَ مُعْتَمٌّ بِعِمَّةِ شَرَفٍ، وَعَلَيْهِ ثَوْبُ حَرِيرٍ أَبْيَضَ، مُتَقَلِّدًا سَيْفَهُ، وَدَرَقَتُهُ عَلَى فَخْذِهِ، وَمَهَامِيزُ[٥] مُحَلاَّةٌ عَلَى خُفَّيْهِ، وَفَرَسُهُ يَخُبُّ

---

(١) قرطبة (Córdoba): قاعدة الأندلس وأم مدائنها، تقع على نهر الوادي الكبير (Guadalquivir) في الجزء الجنوبي من إسبانيا، وهي عاصمة مقاطعة قرطبة، يحدها من الشمال مدينة ماردة (Mérida)، ومن الجنوب مدينة قرمونة (Carmona)، ومن الغرب مدينة إشبيلية (Sevilla)، وهي في سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس، اشتهرت بالعمران والحضارة، وقد سقطت نهائيًا في أيدي النصارى سنة ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٥ م. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤/ ٣٢٤-٣٢٥. ذكر بلاد الأندلس لمؤلف مجهول، ص ٢٠ وما بعدها. الإدريسي: نزهة المشتاق،٢/ ٥٧٤-٥٧٩. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٥٣-١٥٨.

(٢) إشبيلية (Sevilla): من كبرى المدن الأندلسية، بل عروس مدن الأندلس، وتعني الأرض المنبسطة، وهي أول عاصمة اتخذها المسلمون في الأندلس قبل قرطبة (Córdoba)، وتقع على نهر الوادي الكبير (Guadalquivir) إلى الجنوب الغربي من مدينة قرطبة، وقد اشتهرت بشرف البقعة وطيب الأرض. انظر: البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص ١٠٧. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ١٩٥. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨-٢٢. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص١٣٨-١٣٩.

(٣) القنطرة هنا هي قنطرة قرطبة المعروفة، وتقع شمالي باب قرطبة الجنوبي، وهو الباب الوحيد الذي يتفتح في سور قرطبة من هذه الجهة القبلية ويصل بين مدينة قرطبة وربضها القبلي المعروف بشَقُنْدة، وتنتهي هذه القنطرة من الناحية الجنوبية عند عدوة الربض القبلي بقلعة تحمي القنطرة ومدخل شَقُنْدة. انظر: د. السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس- مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، ١٩٩٧ م، ١/ ١٩٧، ٢٠٠.

(٤) ما بين الحاصرتين أنسب للسياق، بينما جاءت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٥١: "مَوّج".

(٥) مَهَامِيز: مفردها مِهْمَاز، وهو حديدةٌ في مؤخّر حذاء الفارس أو الرائض.

بِهِ[1]، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَخَذَتِ الْخَيْلُ؟ فَأَشَرْنَا لَهُ بِالرِّمَاحِ إِلَى الْمَهْيَعِ[2]، فَأَخَذَ عَلَيْهِ، وَاخْتَصَرْنَا الطَّرِيقَ بِثَنِيَّةٍ رَكِبْنَاهَا أَفْضَتْ بِنَا إِلَى مُحَاذَاةِ جُمْلَةِ مُقَاتِلٍ، وَالْغَنِيمَةُ فِي مُقَدِّمَتِهِ، وَنُخْبَةُ الْقَوْمِ فِي سَاقَتِهِ، وَكُلُّ مَنْ لَحِقَ مِنْ خَيْلِ قُرْطُبَةَ وَإِشْبِيلِيَّةَ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تِلْكَ الْجُمْلَةِ قَيْدَ غَلْوَةٍ، وَمَشَى عَلَى رِسْلٍ حَتَّى ضَخُمَ الْجَيْشُ، وَأَقْبَلَ ذَلِكَ الْفَارِسُ عَلَى هَرْوَلَتِهِ يَخْطِرُفُ[3] عَلَى ذَلِكَ اللَّفِيفِ، فَلَمَّا تَجَرَّدَ مِنْ غُبَارِهِ زَادَ فِي الْهَمْزِ، فَأَلْهَبَ فَرَسَهُ فِي الْجَرْيِ، وَخَالَطَ بِهِ عَسْكَرَ مُقَاتِلٍ، فَمَا جَرَّدَ سَيْفَهُ حَتَّى أَغْمَدَهُ فِي فَارِسٍ عَنْ يَمِينِهِ، وَثَنَّى بِآخَرَ عَنْ شِمَالِهِ، فَسَقَطَ الْفَارِسَانِ، وَأُزْعِجَتْ خَيْلُ السَّاقَةِ إِلَى الْمُقَدِّمَةِ، ثُمَّ اسْتَدَارَتْ إِلَيْهِ الْوُجُوهُ، وَفَرَسُهُ يَلْطِمُ خَدَّ الأَرْضِ، وَهُوَ يَزْأَرُ زَئِيرَ الأَسَدِ، وَتِلْكَ الْخَيْلُ كَالضَّأْنِ، ثُمَّ نَادَى بِصَوْتٍ خَشِنٍ: مَنْ قَائِدُكُمْ؟ قَالُوا: ذُو الْوَزَارَتَيْنِ أَبُو حَرْبٍ مُقَاتِلُ بْنُ عَطِيَّةَ. قَالَ: أَسَمِعَنِي؟ قَالُوا: نَعَم. قَالَ: أَيَا ذَا الْوَزَارَتَيْنِ، أَيَصِحُّ أَنْ أَكُونَ هُنَا وَتُدَخِّنَ أَنْتَ لِحَانَا؟ هَذَا نَصُّ قَوْلِهِ. فَقَالَ لَهُ مُقَاتِلٌ: بِاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَا ذَا الْوَزَارَتَيْنِ مَا عَلِمْتُ أَنَّكَ بِقُرْطُبَةَ. وَجَعَلَ يُؤَكِّدُ الأَيْمَانَ وَيُغَلِّظُهَا. قَالَ: صَدَقْتَ، انْجُ بِالأُطَيْفَالِ[4] فَقَدْ تَوَرَّطُوا. فَثَنَى مُقَاتِلٌ أَعِنَّتَهُ، وَانْسَلَخَ الْعَسْكَرُ عَنِ الْغَنِيمَةِ، وَهَزَّ الْقَوْمُ رَايَاتِهِمْ وَانْصَرَفُوا، فَاسْتُصْرِفَتِ السَّيِّقَةُ[5]، وَرَجَعَ ذَلِكَ الْفَارِسُ عَوْدَهُ عَلَى بَدْئِهِ، لاَ يُكَلِّمُ أَحَدًا، وَلاَ يَلْتَبِسُ بِهِ، وَعُنِيتُ بِأَمْرِهِ فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ لِي: هُوَ مَعَدُّ بْنُ أَبِي قُرَّةَ فَارِسُ

---

(١) يَخُبُّ به: يُسْرِعُ به، يُقال: خَبَّ الْفَرَسُ: نَقَلَ أَيَامِنَهُ وَأَيَاسِرَهُ جَمِيعًا فِي الْعَدْوِ، أو نقل كلَّ أطرافه في العَدْو.

(٢) الْمَهْيَعُ: الطريق البَيِّنُ الواسع.

(٣) تَخَطْرَفَ الشيءَ إذا جاوَزَه وتَعَدَّاه، ويُخَطْرِفُ خَطْوَه، ويَتَخَطْرَفُ في مشيه: يجعل خَطْوَتَيْنِ خَطْوَةً من وَساعَتِه، وخَطْرَفَ في مَشْيِه وتَخَطْرَفَ: تَوَسَّعَ.

(٤) الأُطَيْفَال: تصغير الأطفال، وربما يقصد قلة القوة الأندلسية التي خرجت لمواجهة النصارى مع مقاتل بن عطية، أو عدم دُرْبَتِهم ومعرفتهم الكافية بفنون الحرب والقتال.

(٥) السَّيِّقَة: ما يُساقُ من الدوابّ، وقيل: ما استاقَهُ العدوُّ من الدوابّ.

الإِسْلاَمِ. وَكَانَ أَمْرُ هَذَا الفَارِسِ مِنَ الآيَاتِ الخَارِقَةِ [لِلْعَادَةِ][1]، لاَ يُعْدَلُ بِهِ أَحَدٌ فِي وَقْتِهِ"[2].

[مِنْ أَنْبَاءِ مَعَدِّ بْنِ أَبِي قُرَّةَ وَمَآثِرِهِ]:

قَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ- [بَعْدَ الحِكَايَةِ المَسْرُودَةِ عَنْ مَعَدِّ المَذْكُورِ آنِفًا مَا نَصُّهُ][3] -:

"وَمِمَّا يُؤْثَرُ مِنْ أَنْبَائِهِ أَنَّهُ وَرَدَ عَلَى عَبَّادِ بْنِ عَبَّادٍ[4] رَعِيلٌ مِنَ الرُّومِ يَقُودُهُمْ قُومَسٌ مُعَظَّمٌ عِنْدَهُمْ لَمْ يَتْرُكْ فِي قَشْتَالَةَ[5] وَجِلِّيقِيَّةَ[6] فَارِسًا مَشْهُورَ النَّجْدَةِ مَعْلُومَ البَسَالَةِ غَيْرَهُ، وَلاَ بَارَزَهُ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، وَأَقَرَّ لَهُ بِذَلِكَ أَهْلُ مِلَّتِهِ، وَسَمِعَ بِذِكْرِ مَعَدٍّ فَجَاءَهُ لِيُبَارِزَهُ، فَتَهَمَّمَ المُعْتَضِدُ بِالرُّومِيِّ، وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِ، وَحَضَرَ مَجْلِسَهُ، فَدَخَلَ مَعَدٌّ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ النَّصْرَانِيِّ، وَرَفَعَ المُعْتَضِدُ مَكَانَهُ وَتَهَمَّمَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الرُّومِيُّ: هَذَا هُوَ مَعَدٌّ الَّذِي تُعَظِّمُونَ أَمْرَهُ؟ قَالَ: نَعَم. قَالَ: لاَبُدَّ لِي مِنْ مُبَارَزَتِهِ. فَاسْتَشَاطَ مَعَدٌّ غَضَبًا، وَثَارَ الدَّمُ فِي وَجْهِهِ، وَكَانَ شِرِّيرَ الخُلُقِ، فَأَلْقَى يَدَهُ فِي النَّصْرَانِيِّ وَجَرَّهُ إِلَيْهِ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ مَكَانِهِ، وَأَمَرَ ابْنُ عَبَّادٍ بِتَخَلُّصِهِ مِنْ يَدِهِ، وَأَقْسَمَ مَعَدٌّ بِمُجْرِحَاتِ[7] الأَيْمَانِ أَلَّا يُبَارِزَهُ بِسِلاَحٍ، وَتَوَاعَدَا [مِنَ][8] الغَدِ، فَلَمَّا [أَشْرَقَتِ][1] الشَّمْسُ حُشِرَ النَّاسُ إِلَى مَوْضِعِ المُبَارَزَةِ،

---

(١) ما بين الحاصرتين أنسب للسياق، بينما جاءت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٥٢: "العادة".

(٢) ابن عاصم الغرناطي: جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، ٢/ ٢٥٠-٢٥٢.

(٣) ما بين الحاصرتين من كلام ابن عاصم الغرناطي في جنة الرضا، ٢/ ٢٥٣، أبقيتُ عليه للتوضيح.

(٤) هو المعتضد بالله عباد بن محمد بن عباد ملك إشبيلية، يكنى أبا عمرو، توفي سنة ٤٦١ هـ/ ١٠٦٨ م. انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ٢/ ٢٠٤-٢١٦. ابن الأبار: الحلة السيراء، ٢/ ٣٩-٥٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٥/ ٢٣.

(٥) مملكة قشتالة (بالإسبانية: Reino de Castilla): إحدى ممالك الشمال الإسباني في العصور الوسطى.

(٦) مملكة جليقية أو مملكة غاليسيا (بالإسبانية Galicia): تقع في شمال غرب إسبانيا.

(٧) هكذا جاءت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٥٣، ولعلها: "بِمُحْرِجَاتِ" كما هو مشهور.

(٨) ما بين الحاصرتين جاءت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٥٣: "عن"، ولعل ما أثبتناه أنسب للمعنى.

وَخَرَجَ الْقَوْمَس مُدَّرِعًا فِي أَحْصَنِ الشِّكَكِ[2]، وَخَرَجَ مَعَدٌّ عَلَى فَرَسِهِ مُعْتَمًّا وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ مُصْمَتٌ[3]، وَرِدَاؤُهُ مَعْقُودٌ فِي صَدْرِهِ، وَسَوْطُهُ فِي يَدِهِ، وَخَيَّرَ النَّصْرَانِيَّ فَاخْتَارَ أَنْ يَحْمِلَ، فَحَمَلَ وَوَازَنَ بِالرُّمْحِ صَدْرَ مَعَدٍّ، حَتَّى ظَنَّ أَنَّ السِّنَانَ قَدْ خَالَطَهُ تَفَرَّغَ لَهُ مِنْ سَرْجِهِ، وَعَانَقَ مَنْكِبَ فَرَسِهِ، فَلَمَّا جَاوَزَهُ الرُّمْحُ عَادَ فِي ظَهْرِ فَرَسِهِ، وَاحْتَكَّ رِكَابُ النَّصْرَانِيِّ بِرِكَابِهِ، فَأَلْقَى مَعَدٌّ السَّوْطَ فِي عُنُقِهِ، وَمَالَ إِلَى الأَرْضِ، وَهَمَزَ الْفَرَسَ، فَأَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ، وَقَالَ لَهُ: لَوْلاَ أَنِّي وَأَنْتَ غَرِيبَانِ عِنْدَ هَذَا الْمَلِكِ مَا عِشْتَ بَعْدُ. فَقَامَ النَّصْرَانِيُّ مَغْلُوبًا يُصَلِّبُ عَلَى وَجْهِهِ[4]، فَلَمَّا صَدَرَ إِلَى مَحَلَّتِهِ وَجَّهَ إِلَيْهِ مِفْرَشًا لَمْ يُدْرَ مَا مِلْؤُهُ، وَفَرَسًا مَكْسُوًّا بِمُدَبَّجٍ ذَهَبٍ مِنْ أُذُنَيْهِ إِلَى أَرْسَاغِهِ، فَأَمَرَ مَعَدٌّ بِحَلِّ أُزُرَّتِهِ، فَحُلَّتْ عَنْ مَنْظَرٍ حَسَنٍ وَعِتْقٍ[5] بَيِّنٍ، فَقَالَ لِرَسُولِهِ: اُرْدُدْ عَلَيْهِ جُلَّهُ وَاصْرِفْهُ، وَقُلْ لَهُ: قَدْ قَبِلْتُ هَدِيَّتَهُ وَأَثَبْتُ عَلَيْهَا، [فَهُوَ][6] ضَيْفُنَا، وَهُوَ أَحَقُّ بِهَا مِنَّا. فَعَوَّضَهُ ابْنُ عَبَّادٍ مِنْهَا، وَقَالَ: مَا أَدْرِي أَيُّ سُرُورِي أَعْظَمُ، بِغَلَبَتِهِ أَمْ بِصَرْفِ هَدِيَّتِهِ؟!"[7].

قَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ: "وَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْمُبَارَزَةُ عِنْدَ الرُّومِ بِمَنْزِلَةِ الشَّهَادَةِ الْقَائِمَةِ فِي اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ الْمُشْكِلَةِ وَالأُمُورِ الْمُبْهَمَةِ؛ لِعُلُوِّ صَاحِبِ الْحَقِّ بِهَا، وَفَلْجِهِ[8] عَلَى

---

(١) ما بين الحاصرتين أنسب للمعنى والسياق، بينما جاءت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٥٣: "شرقت"، ولعلها تصحفت بسقوط الهمزة من أولها.

(٢) الشِّكَكُ: جمع الشِّكَّةُ، وهي السِّلَاحُ، وَقِيلَ: الشِّكَّةُ مَا يُحْمَلُ أو يُلْبَسُ مِنَ السِّلَاحِ، وَيُقَالُ: رَجُلٌ شَاكُّ السِّلَاحِ وَشَاكٌّ فِي السِّلَاحِ وَالشَّاكُّ فِي السِّلَاحِ، وَهُوَ اللَّابِسُ السِّلَاحِ التَّامِّ.

(٣) الثَّوْبُ الْمُصْمَتُ: بضم الميم الأولى وفتح الثانية المخففة هو الذي جميعه حريرٌ لا يخالطه قطنٌ ولا غيرُه، وقيل: هو الثوب الذي يكون سداه ولُحمته من الحرير لا شيء غيرُه.

(٤) صلَّبَ النصراني: اتخذ صليبًا، أو رسم بالإشارة صليبًا على وجهه وصدره. وهذه من الإشارات النادرة التي لم تصادفنا في المصادر التاريخية الأندلسية قبل ذلك.

(٥) العِتْقُ: الجمال، وقيل: الشرف.

(٦) ما بين الحاصرتين جاءت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٥٤: "فَهَا هُوَ"، ولعل ما أثبتناه أنسب للمعنى.

(٧) ابن عاصم الغرناطي: جنة الرضا في التسليم لما قدّر الله وقضى، ٢/ ٢٥٣-٢٥٤.

(٨) فَلَجَ فَلْجًا: ظَفِرَ، ويقال: فَلَجَ بحاجته: أي ظَفِرَ بها.

خَصْمِهِ، وَفَوْزِ قِدْحِهِ، وَكَذَلِكَ مَا كَانَتْ بَيْنَ مُسْلِمٍ وَنَصْرَانِيٍّ إِلَّا أَظْهَرَ اللهُ الْحَقَّ، وَفَازَ الْمُسْلِمُ بِالسَّبْقِ، وَمَا أَقُولُ ذَلِكَ عَلَى جِهَةِ النُّدُورِ، بَلْ هُوَ الْمُتَعَارَفُ الْمَشْهُورُ، وَإِنَّهَا لَخُطَّةٌ عَرَبِيَّةٌ، وَلَكِنَّ مَعْنَاهَا عِنْدَ الْعَرَبِ: أَيُّنَا أَنْجَدُ، وَعِنْدَ الْعَجَمِ: أَيُّنَا الْمُحِقُّ، وَالأَظْهَرُ فِي أَمْرِ هَذَا الرُّومِيِّ الْمَعْنَى الْعَرَبِيُّ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَرَادَ: أَيُّنَا عَلَى الْحَقِّ فِي اتِّبَاعِ دِينِهِ وَحِمَايَةِ شَرْعِهِ، فَهُنَا يَغْلِبُ هُوَ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِ، وَيَسْتَنِدُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْمُحِقَّ مِنَ النَّصْرَانِيِّينَ يَغْلِبُ الْمُبْطِلَ، فَكَيْفَ لاَ يَغْلِبُ الْمُسْلِمُ النَّصْرَانِيَّ؟! وَحَسْبُكَ مَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيرَةِ[1] عَنْ نَارِ الْيَمَنِ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَكِمُ إِلَيْهَا- إِذَا حَرَقَتْ- حِمْيَرٌ وَمَا قَرُبَ مِنْهَا، وَخَرَجَ [الْحَبْرَانِ بِمَصَاحِفِهِمَا تَعْرَقُ جِبَاهُهُمَا][2]، وَقَدْ تَكُونُ الْغَلَبَةُ عَلَى الْوَجْهَيْنِ، وَلاَ يَكُونُ إِلَّا بَيْنَ الْبَيِّنَيْنِ"[3].

[فُرُوسِيَّةُ الْقَائِدِ حَرِيزِ بْنِ عُكَّاشَةَ صَاحِبِ قَلْعَةِ رَبَاحٍ]:

[قَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ][4]: "أَخْبَرَنِي الْفَقِيهُ أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ بُونُهْ[5]، قَالَ: وَرَدَ عَلَى أُذْفُونْش بْنِ فِرْدِلَنْدِ[6] مِنَ الأَرْضِ الْكَبِيرَةِ مِمَّا وَرَاءَ رُومَةَ [وَقُسْطَنْطِينِيَّة][7] قَوْمَسٌ ذُو أُبَّهَةٍ وَشَارَةٍ وَهِمَّةٍ، وَلَهُ حَوْلٌ وَخَيْلٌ جَمَّةٌ، يَزْعُمُ أَنَّهُ نَقَّبَ فِي الْبِلاَدِ[8]، وَنَبَض

---

(١) ابن إسحاق: السيرة النبوية – حققه وعلق عليه وخرَّج أحاديثه: أحمد فريد المزيدي– دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان– ط ١، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤م، ١/ ٣٠.

(٢) ما بين الحاصرتين جاءت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٥٦: "الحُبْرانُ بمصاحفها تعرق جباهها"، والتصحيح من: السيرة النبوية لابن إسحاق، ١/ ٣٠، والنص كاملاً: "وخرج الحَبْرَانِ بمصاحفهما في أعناقهما تعرق جباهُهما لم تضرهما".

(٣) ابن عاصم الغرناطي: جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، ٢/ ٢٥٥-٢٥٦.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من عندي للتوضيح.

(٥) هو من شيوخ ابن الصَّيْرَفِيّ، وقد سبقت الترجمة له في القسم الأول من هذا الكتاب، وهو القسم الخاص بالدراسة.

(٦) أُذْفُونْشُ بْنُ فِرْدِلَنْد هو ألفونسو السادس (Alfonso VI) ملك قشتالة.

(٧) ما بين الحاصرتين جاءت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٥٦: "قسطنطينة" بياء واحدة، وما أثبتناه هو الصحيح والمشهور في اسم هذه المدينة التليدة.

(٨) نَقَّبَ في البلاد: سار فيها، وطاف بأكثرها.

الدُّوَلَ عَنْ أَنْجَادِهَا[1] وَأَبْطَالِ جِلاَدِهَا، فَمَا مِنْهُمْ فِي مُبَارَزَتِهِ إِلَّا قَتِيلُهُ أَوْ طَلِيقُهُ، وَذَهَبَ كُلَّ مَذْهَبٍ بِنَفْسِهِ وَبَأْسِهِ، وَكَانَ الأُذْفُونْشُ يُدِيمُ مُنَادَمَتَهُ وَيَصِلُ كَرَامَتَهُ، فَزَهَا ذَلِكَ النَّصْرَانِيُّ عَلَيْهِ بِمُنَّتِهِ[2] وَفُرُوسِيَّتِهِ، وَكَثُرَ ذَلِكَ مِنْهُ حَتَّى [بَرِمَ بِهِ][3]، فَذَكَرَ لَهُ الأُذْفُونْشُ شَجَاعَةَ [حَرِيزِ][4] بْنِ عُكَّاشَةَ[5]، وَأَطْنَبَ فِي أَمْرِهِ وَأَسْهَبَ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ صَاحِبُ قَلْعَةِ رَبَاحٍ[6]، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الأُذْفُونْشِ سِلْمٌ، وَجَعَلَ الْقُومَسُ يَتَهَاوَنُ بِذَلِكَ،

---

(١) رَجُلٌ نَجُدٌ: ماضٍ فيما لا يستطيعه سواه، والجمع: أَنْجَادٌ.

(٢) بِمُنَّتِهِ: أي بِقُوَّتِهِ.

(٣) ما بين الحاصرتين أنسب للغة والسياق، بينما جاءت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٥٦: "أبرم به"، ولعلها تصحفت بزيادة الهمزة في أولها، ومعنى بَرِمَ بِهِ: سَئِمَهُ وَضَجِرَ مِنْهُ.

(٤) ما بين الحاصرتين هو الاسم الصحيح لهذا الفارس. انظر: الحلة السيراء لابن الأبار، ٢/ ١٦٧. نفح الطيب للمقري، ٣/ ٥٥٨، بينما جاء في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٥٦: "جرير"، وهو خطأ ظاهر.

(٥) هو حَرِيزُ بن حكم بن عُكَّاشَة، من ذرية عُكَّاشَة بن محصن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبوه حَكَم بن عُكَّاشَة وزيرًا بدولة بني جهور بقرطبة، ثم انتقل ولاؤه إلى بني ذي النون الذين استولوا على قرطبة بعد سقوط بني جهور، وترقى في المناصب إلى أن صار نائبًا بقرطبة عن القادر يحيى بن إسماعيل بن المأمون بن ذي النون بعد أن جُددت له البيعة بها، وعندما أقبل المعتمد بن عباد يريد دخول قرطبة، هرب حكم بن عكاشة من قرطبة وتركها للمعتمد بن عباد، فأرسل المعتمد في أثره مَن لحقه وقتله ثأرًا لابنه سراج الدولة، ثم اعتمد بنو ذي النون على ابنه حريز المذكور فولاه القادر بن ذي النون قلعة رباح، وعُرف بالشجاعة والفروسية حتى كان يُضرب به المثل في ذلك، كما كان له حظ وافر من الشعر والأدب، وظل من ذوي المكانة والنفوذ حتى قُتل سنة ٤٨٠ هـ/ ١٠٨٧ م على حصن مِسْطَاسَة من أعمال قلعة رباح. انظر: ابن الأبار: الحلة السيراء، ٢/ ١٧٦-١٧٩. ابن خاقان: مطمح الأنفس (تحقيق: محمد علي شوابكة)، ص ٢٢١-٢٢٢. المقري: نفح الطيب، ٣/ ٥٥٨-٥٦١.

(٦) قلعة رباح (Calatrava): مدينة تابعة لمدينة طليطلة (Toledo) في التقسيم الإداري الأندلسي، وتوصف بأنها - مع طلبيرة (Talavera)- حد فاصل بين أرض النصارى وأرض المسلمين، وتقع شمال شرق قرطبة (Córdoba) وجنوبي طليطلة على نهر وادي آنه (Guadiana)، وقد سميت بهذا الاسم- على الراجح- نسبةً إلى التابعي علي بن رباح اللخميّ الذي اشترك في فتح الأندلس، وكان الأمير محمد بن عبد الرحمن هو الذي بنى حصنها ومدّنها، وحلت محل مدينة أوريط (Oreto) القديمة، وظلت مدينة إسلامية لها أهميتها السياسية حتى سقطت نهائيًا في أيدي النصارى سنة ٥٤٢ هـ/ ١١٤٧ م، وموقع قلعة رباح العربية يسمى اليوم

وَيظُنُّ أَنَّهُ مُباهَاةٌ عَلَيهِ، وَمُسَاجَلَةٌ لِكَلاَمِهِ وَزَعْمِهِ، وَتَأَدَّبَ مَعَ الأُذْفُونْشِ، فَأَلْغَزَ عَنْ تَكْذِيبِهِ بِأَنْ قَالَ: فَلاَ شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مُبَارَزَتِهِ. فَوَعَدَهُ الأُذْفُونْش بِذَلِكَ، وَأَعْلَمَهُ بِمَوْضِعِهِ، وَأَلَحَّ القُومَس فِي اسْتِنْجَازِ عِدَتِهِ، وَفَهِمَ الأُذْفُونْش أَيْنَ ذَهَبَ مِنْ تَكْذِيبِهِ، فَرَكِبَ فِي جَرِيدَةٍ مِنْ خَيْلِهِ، وَرَكِبَ القُومَس بِمَحَلَّتِهِ، وَعِنْدَ إِطْلاَلِهِمْ عَلَى قَلْعَةِ رَبَاحٍ، ثَارَ الصِّيَاحُ، وَجَاءَتِ البَادِيَةُ إِلَى القَاعِدَةِ، وَانْجَلَى الغُبَارُ عَنِ الأُذْفُونْشِ وَالخَيْلِ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ [حَرِيزٌ][1] شَهْمًا مِنْ أَصْحَابِهِ يُعْرَفُ بِابْنِ مَسْلَمَةَ[2]، وَحَمَّلَهُ مِنْ كَلاَمِهِ: (إِنَّ هَذَا خَتْرٌ[3] وَغَدْرٌ، وَحَلٌّ مَا عِنْدَنَا مِنَ العَهْدِ لاَ يَرْضَى بِهِ سَيِّدُ قَوْمٍ وَلاَ زَعِيمُ مِلَّةٍ). وَأَدَّى السَّفِيرُ ذَلِكَ عَنْهُ، وَجَلَّى عَنْ نَفْسِهِ، فَصَوَّبَ الأُذْفُونْش قَوْلَهُ، وَنَوَى مَا تَوَهَّمَهُ، وَأَرَاهُ القُومَس، وَأَعْلَمَهُ بِمَا قَصَدَ لَهُ، وَصَدَرَ السَّفِيرُ إِلَى [حَرِيزٍ][4]، وَخَرَجَ لَهُ عَنِ الجَلِيَّةِ، فَنَشِطَ لِلْمُبَارَزَةِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ، وَعَزَمُوا عَلَيْهِ فِي التَّنَزُّهِ عَنْهَا، وَابْتَدَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَيْهَا، وَعَادَ السَّفِيرُ إِلَى الأُذْفُونْشِ بِالتَّضْيِيفِ وَالهَدَايَا الَّتِي تَصْلُحُ لَهُمْ، وَاعْتَذَرَ عَنْ [حَرِيزٍ][5] بِوَعْكٍ أَصَابَهُ، وَقَالَ: العِوَضُ حَاضِرٌ. فَانْتَحَى العِلْجُ، وَعَظُمَ فِي نَفْسِهِ، وَقَالَ: لَسْتُ أُبَارِزُ مِنْكُمْ أَنَفًا، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ مُبَارَزَتَهُ لِشَائِعِ ذِكْرِهِ أَنَّهُ فَارِسُ أَهْلِ دِينِهِ، لِأَغْلِبَ بِغَلَبَتِهِ المُسْلِمَةَ كَمَا غَلَبَتُ النَّصْرَانِيَّةَ، وَفِي رِجَالِي بَعْدُ مَنْ يُبَارِزُكَ أَنْتَ وَغَيْرَكَ، وَصَدَرَ السَّفِيرُ بِذَلِكَ إِلَى ابْنِ عُكَاشَةَ، فَرَأَى أَنَّ أَصْحَابَهُ قَدْ جَرُّوا عَلَيْهِ مَا غَضَّ مِنْهُ،

(Castillo de Calatrava la Vieja) على بعد ١٢ كم شمال شرق مدينة (Ciudad Real) عاصمة المديرية التي تحمل نفس الاسم جنوبي مدبريتي مدريد (Madrid) وطليطلة. انظر: ابن الأبار: الحلة السيراء، ٢/ ١٧٧-١٧٨، حاشية رقم ٣ للمحقق. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٦٣.

(١) جاءت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٥٦: "جرير"، والصحيح ما أثبتناه كما أشرنا سابقًا.

(٢) لم أصل إلى ترجمة له.

(٣) الخَتْرُ: شبيهٌ بالغَدْرِ والخديعة؛ وقيل: هو الخديعة بعينها؛ وقيل: هو أسوأ الغدر وأقبحه، يُقَال: خَتَرَ فلانٌ صَاحِبَهُ: غَدَرَ بِهِ أَقْبَحَ الغَدْرِ.

(٤) جاءت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٥٧: "جرير"، والصحيح ما أثبتناه.

(٥) جاءت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٥٧: "جرير"، والصحيح ما أثبتناه.

وَعَزَمَ عَلَى الْمُبَارَزَةِ، وَتَقَدَّمَ الإِعِلاَمُ إِلَى الأُذْفُونْشِ فَرَكِبَ، وَرَكِبَ الْقَوْمَسُ فِي شِكَّتِهِ[1]، وَاسْتَظْهَرَ بِجَمْعِهِ، وَهُمْ زُهَاءُ ثَلاَثِمِائَةِ فَارِسٍ أَنْجَادٍ، وَخَرَجَ [حَرِيزٌ][2] فِي آلَةِ حَرْبِهِ، وَمَعَهُ نَحْوُ الْمِائَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَانْتَبَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى الْبَرَاحِ[3]، وَالْتَفَتَ [حَرِيزٌ][4] إِلَى أَصْحَابِهِ مُشْفِقًا عَلَيْهِمْ مِنْ قِلَّتِهِمْ وَكَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ إِنْ أَحْدَثَ فِي قَوْمَسِهِمْ مَا يُوجِبُ حَمِيَّةَ نُفُوسِهِمْ، ثُمَّ حَمَلَ وَحَمَلَ الْقَوْمَسُ، فَتَجَاوَلاَ وَالْمَوْتُ ثَالِثُهُمَا، وَطَالَ الْعِرَاكُ بَيْنَهُمَا، وَأَمْكَنَ اللهُ ابْنَ عُكَّاشَةَ مِنَ الْعِلْجِ فَطَعَنَهُ فِي صَدْرِهِ طَعْنَةً أَدْخَلَتْ فِي جَوْفِهِ حَلَقَ دِرْعِهِ، وَأَخْرَجَتِ الْعَامِلَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، فَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَنَزَلَ [حَرِيزٌ][5] فَقَطَّعَ مَعَاقِدَ مِغْفَرِهِ وَحَمَلَ السَّيْفَ عَلَى أَوْدَاجِهِ، فَانْحَازَ رَأْسُهُ عَنْ جَسَدِهِ، وَهَمَّ أَصْحَابُهُ [بِحَرِيزٍ][6] وَأَصْحَابِهِ، فَمَنَعَ الأُذْفُونْشُ مِنْ ذَلِكَ، فَأَقْبَلَ [حَرِيزٌ][7] مُسَلِّمًا عَلَيْهِ، فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَأَظْهَرَ السُّرُورَ بِفِعْلِهِ، وَاحْتُمِلَ الْعِلْجُ إِلَى الْحِصْنِ، فَبَذَلَ أَصْحَابُهُ الرَّغْبَةَ فِيهِ، فَهَيَّأَ لَهُ [حَرِيزٌ][8] تَابُوتًا، وَسَمَّرَ عَلَيْهِ، وَدَفَعَهُ لَهُمْ". انْتَهَى مَا قَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ[9].

[التَّعْرِيفُ بِالْفَارِسِ مَعَدِّ بْنِ أَبِي قُرَّةَ]:

قَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ -[مُعَرِّفًا هَذَا الْفَارِسَ الْبُهْمَةَ[10] مَا نَصُّهُ]-: "وَكَانَ مَعَدٌّ هَذَا يُكْنَى بِذِي الْوَزَارَتَيْنِ أَبِي ندر، وَيُلَقَّبُ نَصْلَ الدَّوْلَةِ، وَكَانَ لَهُ جَوْشَنٌ[11] مَسَامِيرُهُ ذَهَبٌ،

(١) فِي شِكَّتِهِ: أي في كامل سلاحه.
(٢) جاءت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٥٧: "جرير"، والصحيح ما أثبتناه.
(٣) الْبَرَاحُ: متسعٌ من الأرض لا نباتَ فيه ولا عمرانَ ولا ماء.
(٤) جاءت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٥٧: "جرير"، والصحيح ما أثبتناه.
(٥) جاءت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٥٧: "جرير"، والصحيح ما أثبتناه.
(٦) جاءت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٥٧: "بجرير"، والصحيح ما أثبتناه.
(٧) جاءت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٥٧: "جرير"، والصحيح ما أثبتناه.
(٨) جاءت في المطبوع من جنة الرضا، ٢/ ٢٥٧: "جرير"، والصحيح ما أثبتناه.
(٩) ابن عاصم الغرناطي: جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، ٢/ ٢٥٦-٢٥٧.
(١٠) الْبُهْمَةُ: الشجاعُ يَسْتَبْهِم على قِرْنِه وجهُ غَلَبته، وقيل: رجلٌ لا يُدْرَى من أين يُؤتَى لشدّة بأسه، والجمع: بُهماتٌ وبُهَمٌ.

وَأَدْرَكَ عِنْدَ الْمُعْتَمِدِ غَزْوَةَ الزَّلَّاقَةِ[3]، وَهُوَ شَيْخٌ هِمٌّ[4]، مُرَفَّهٌ عَنْهُ، وَاسْتَعَارَ مِنْهُ دَرَقَتَهُ وَجَوْشَنَهُ، فَأَلْبَسَهُ وَزِيرَهُ ابْنَ خَلْدُونٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ[5]، فَاسْتُشْهِدَ فِيهِ[6]، رَحِمَهُمُ اللهُ"[7].

---

(١) ما بين الحاصرتين من كلام ابن عاصم الغرناطي في جنة الرضا، ٢/ ٢٥٤، أبقيتُ عليه للتوضيح.

(٢) الجَوْشَن: اسم الحديد الذي يُلبَس من السلاح، وقيل: الجَوْشَن من السلاح زَرَدٌ يُلبَسه الصدرُ والحَيزوم.

(٣) غزوة الزَّلاقة إحدى المعارك الشهيرة في تاريخ الأندلس، دارت رحاها بين المسلمين والنصارى، وتُنسب إلى سهل يقع على أحد نُهَيرات وادي آنه (Guadiana)، يُسَمى وادي "جيريرو" على بعد ١٢ كلم إلى الشمال الشرقي من مدينة بطليوس (Badajoz)، تسميه الروايات الإسلامية "سهل الزلاقة"، بينما تسميه الروايات النصرانية "سكرالياس" (Sacralias)، وكانت في يوم الجمعة ١٢من رجب سنة ٤٧٩ هـ/ ٢٣ من أكتوبر سنة ١٠٨٦ م على أرجح الآراء. انظر: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٤٩. الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ٤٠. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٧/ ٧١٧. المراكشي: المعجب، ص ١٤٥. أ. عنان: دول الطوائف، ص ٣١٠. د. سحر السيد عبد العزيز سالم: من جديد حول معركة الزلاقة الثانية (ضمن بحوث ندوة: الأندلس، الدرس والتاريخ)، ص ٢٧٩ وما بعدها. رينهارت دوزي: المسلمون في الأندلس- ترجمة: د. حسن حبشي، ٣/ ١٣٢.

- A. G. Palencia: *Historia de la España Musulmana*, p. 84.
- M. G. Remiro: *Historia de Murcia Musulmana*, p. 133.

(٤) رَجُلٌ هِمٌّ: شَيْخٌ كَبِيرٌ هَرِمٌ، ويُقَال صَارَ هِمًّا: أَيْ شَيْخًا فَانِيًا، نَحِيفًا.

(٥) كانت غزوة الزلاقة في يوم الجمعة ١٢من رجب سنة ٤٧٩ هـ/ ٢٣ من أكتوبر سنة ١٠٨٦ م على أرجح الآراء.

(٦) أشار ابن خلدون إلى مشاركة بعض أفراد أسرته في معركة الزلاقة مع ملك إشبيلية المعتمد بن عباد واستشهادهم فيها، فقال: "ولما علا كعب ابن عباد بإشبيلية، واستبد على أهلها، استوزر من بني خلدون هؤلاء، واستعملهم في رُتَب دولته، وحضروا معه وقعة الزلاقة، كانت لابن عباد وليوسف بن تاشفين على ملك الجلالقة، فاستشهد فيها طائفة كبيرة من بني خلدون هؤلاء، ثبتوا في الجولة مع ابن عباد، فَاسْتُلْحِمُوا في ذلك الموقف، ثم كان الظهور للمسلمين، ونصرهم الله على عدوهم". انظر: رحلة ابن خلدون- عارضها بأصولها وعلق حواشيها: محمد بن تاويت الطنجي- دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان- ط ١، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م، ص ٣١-٣٢.

(٧) ابن عاصم الغرناطي: جنة الرضا، ٢/ ٢٥٤.

[أَحْوَالُ الْفَقِيهِ أَبِي جَعْفَر الْقُلَيْعِيّ][1]:

قَالَ ابنُ الصَّيْرَفِيِّ: "كَانَ الْفَقِيهُ أَبو جَعْفَر الْقُلَيْعِيُّ- مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَة - فَرِيدَ عَصْرِهِ، وقَرِيعَ دَهْرِهِ فِي الخيرِ والعِلْمِ والتِّلاَوَةِ، وَلَهُ حِزْبٌ من اللَّيْلِ، وكانَ سَرِيعَ الدَّمْعَة، كثيرَ الرِّوَايَة، وهُوَ الْمُشَارُ إليه في كُلِّ نازلةٍ، ولهُ العَقْدُ والحَلُّ والتَّقَدُّمُ والسَّابِقَةُ، مَع مُنَّةٍ[2] في جَلائلِ الأُمُورِ، والنَّهْضَةِ بالأَعْبَاء، وسُمُوّ الهِمَّة"[3].

قال [ابنُ الصَّيْرَفِيِّ][4]: "كانَ باديسُ بنُ حَبُّوس[5]- أميرُ بَلَدِهِ - يَتَفَرَّسُ فيه أنَّ مُلْكَ دَوْلَتِهِ يَنْقَرِضُ عَلَى يَدَيْهِ[6]، فَكَانَ يَنْصِبُ لِشَأْنِهِ أَكْلُبًا، وَيَتَمَلَّطُ بسيفه[1] إلى قَتْلِهِ، فَحَمَاهُ اللهُ مِنْهُ بالعِلْمِ؛ وَغَلَّ يَدَهُ، وأَغْمَدَ سَيْفَهُ، لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً"[2].

---

(١) هو "أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغساني القُلَيْعِيُّ، من أهل غرناطة، ومن جلة أعيانها، يُكنى أبا جعفر، فريد عصره في الخير والعلم وتلاوة القرآن، وهو المشار إليه في كل نازلة، وله العقد والحل والتقدم والسابقة، فقيهًا من أبرز فقهاء الأندلس في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ثقة، صدوقًا، خاض غمار السياسة واضطلع بمنصب الوزارة لأكثر من واحد من ملوك الطوائف، وكان من أكبر أسباب إزالة دُوَلهم والقضاء على حكمهم، توفي في شهر ربيع الآخر سنة ٤٩٨ هـ/ ١١٠٤ م". انظر في ترجمته: ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٤٧-١٥٠. ابن بشكوال: الصلة، ١/ ٧٢، الترجمة رقم ١٥٧. ابن عطية: فهرس ابن عطية، ص ٩٦.

(٢) المُنَّةُ: بضم الميم: القُوَّة والشَّجاعة والجَلَدُ.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٤٧.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من عندي للتوضيح.

(٥) هو باديس بن حَبُّوس بن ماكسن بن زيري بن مناد، يكنى أبا مناد، وقيل: أبا مسعود، ويُلقب بالحاجب المظفر بالله الناصر لدين الله، ولي عرش غرناطة بعد موت أبيه حبوس بن ماكسن سنة ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧ م، وظل على عرشها حتى وافته المنية سنة ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٤ م على أرجح الأقوال. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٣٥، ٤/ ٣٤١. أعمال الأعلام- القسم الثاني، ص ٢٣٠. ابن عذاري: البيان المغرب، ٣/ ٢٦٢. ابن بسام الذخيرة- القسم الثاني، ص ٦٦٢.

(٦) وعن تخوف باديس بن حبوس من أبي جعفر القُلَيْعِيِّ وحذره منه يقول الأمير عبد الله بن بُلُكِّين في مذكراته: "وكان هذا القُلَيْعِيُّ خمولاً في أيام الشيخ جدِّنا- رحمه الله- وكان لا يدعه في المدينة،

[سَعْيُ الْفَقِيهِ أَبِي جَعْفَر الْقُلَيْعِيِّ فِي خَلْعِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُلُكِّين عَنْ حُكْمِ غَرْنَاطَة]:

[٣]"وَلَمَّا أَجَازَ أَمِيرُ لَمْتُونَة يُوسُفُ بْنُ تَاشُفِينَ الْبَحْرَ مُسْتَدْعَى إِلَى نَصْرِ الْمُسْلِمِينَ ثَانِي حَرَكَاتِهِ إِلَى الأَنْدَلُسِ، وَنَازَلَ حِصْنَ أَلِيط[٤]، وَسَارَعَ مُلُوكُ الطَّوَائِفِ إِلَى الْمَسِيرِ فِي

ويأمره بسكنى ضيعته، لما كان يرى من شره، وقدرته على الدواخل...". مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان، ص ١١٧.

(١) تملَّط سيفه أو تملَّط بسيفه: جعله يدور في الهواء، أي سحبه من غمده ثم حركه أو أداره؛ استعدادًا للضرب به، وجملة (وأغمد سيفه) الآتية بعد في المتن أعلاه تؤكد هذا المعنى وترجحه.

(٢) يشير ابن الصيرفي هنا إشارة مهمة تتعلق بدور بعض الفقهاء في إنهاء حكم ملوك الطوائف والتخلص منهم، وكان الفقيه الوزير أبو جعفر أحمد بن خلف القليعي على رأس الفقهاء الذين سارعوا واجتهدوا في تأليب المرابطين وجمهور الأندلسيين ضد ملوك الطوائف، وقد بدأت محاولته للقضاء على حكم بني زيري - بوجه خاص - منذ أيام باديس بن حبوس، وكان باديس يتفرس فيه ذلك، وحاول التخلص منه مرارًا لكن محاولاته باءت بالفشل، وصدق حدْس باديس، حيث كان القضاء على مُلك بني زيري في غرناطة على يدي هذا الفقيه، ولكن في أيام حفيده الأمير عبد الله بن بلكين، فقد سعى الفقيه القليعي مرات عديدة إلى يوسف بن تاشفين ليبين له فساد ملوك الطوائف وعدم صلاحيتهم للبقاء في حكم بلاد الأندلس ووجوب عزلهم وإنهاء حكمهم، وقد كان له ما أراد وسعى إليه هو وغيره من فقهاء الأندلس العاملين المخلصين.

(٣) أرى أن هذا النص بألفاظه وصياغته هو استكمال لما ينقله ابنُ الخطيب عن مؤرخنا ابن الصَّيْرَفِيّ من ترجمة الفقيه أبي جعفر القُلَيْعِيّ.

(٤) يُكتب اسم هذا الحصن في المصادر بعدة صيغ، منها: "أليط" كما في المتن أعلاه، و"لييط"، و"أليبط"، و"أليط"، و"ليط"، و"اللبط"، و"لييط"، وكلها تحريف للكلمة الإسبانية (أليدو Aledo)، وهذا الحصن كان ألفونسو السادس ملك قشتالة قد ابتناه قرب مدينة مرسية؛ ليكون قاعدة للإغارة على مناطق شرقي الأندلس، وحشد فيه أعدادًا غفيرة من حاميات النصارى، وبعد مرور ما يقرب من عامين على هزيمته في معركة الزلاقة بدأت هذه الحاميات في الإغارة على بلاد المسلمين وإلحاق الضرر بها دون أن يتحرك أحد من ملوك الطوائف لدفع هذا الضرر إلى أن فطن المعتمد بن عباد إلى ضرورة الاستعانة بالمرابطين مرة أخرى لإنقاذ شرقي الأندلس من هذه الغارات النصرانية المتكررة، فعبر إلى العدوة المغربية وأخبر يوسفَ بن تاشفين بما يحدث في شرقي الأندلس، فوعده يوسف بالعبور إلى الأندلس لإنقاذها، وبالفعل وفَى يوسفُ بوعده وعبر إلى الأندلس عبوره الثاني سنة ٤٨١ هـ/ ١٠٨٨ م، وأرسل إلى ملوك الطوائف يستدعيهم للجهاد

جُمْلَتِهِ، كَانَ مِمَّنْ وَصَلَ إِلَيْهِ الأَمِيرُ عَبْدُ اللهِ بْنِ بُلُكِّين(1) بْنِ بَادِيس صَاحِبُ غَرْنَاطَة، وَوَصَلَ صُحْبَتَهُ الْوَزِيرُ أَبُو جَعْفَر ابْنُ الْقُلَيْعِيِّ؛ لِرَغْبَتِهِ فِي الأَجْرِ، مَعَ شُهْرَةِ مَكَانِهِ، وَعُلُوِّ مَنْصِبِهِ، وَلِنُهُوضِ نُظَرَائِهِ مِنْ زُعَمَاءِ الأَقْطَارِ إِلَى هَذَا الْغَرَضِ، وَكَانَ مَضْرِبُ خِيَامِ الْقُلَيْعِيِّ قَرِيبًا مِنْ مَضْرِبِ حَفِيدِ بَادِيسٍ وَلِمَنْزِلَتِهِ عِنْدَ الأَمِيرِ يُوسُف بْنِ تَاشُفِين، وَلَهُ عَلَيْهَا الْخُفُوفُ، وَلَهُ بِهِ اسْتِبْدَادٌ وَانْفِرَادٌ كَثِيرٌ، وَتَرَدُّدٌ كَثِيرٌ، حَتَى نَفَى(2) بِذَلِكَ حَفِيدُ بَادِيسٍ وَأَنْهَمَ عَنِيَهُ(3)، قَالَ الْمُؤَرِّخُ(4): وَكَيْفَمَا دَارَتِ الْحَالُ، فَلَمْ يَخْلُ مِنْ نُصْحٍ للهِ وَلأَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ"(5).

فَلَمَّا صَدَرَ حَفِيدُ بَادِيسٍ إِلَى غَرْنَاطَة، اسْتَحْضَرَهُ [وَنَجَهَهُ](6)، وَقَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ مُغْضَبًا، فَتَعَلَّقَتْ بِهِ الْخَدَمَةُ، وَحَفَّتْ بِهِ الْوَزَعَةُ(7) وَالْحَاشِيَةُ، وَهَمُّوا بِضَرْبِهِ، إِلَّا أَنَّ أُمَّ

معه على أن يكون اللقاء عند حصن "أليط"؛ ليكفَّ بأس النصارى وغاراتهم المتكررة على المناطق المجاورة لهذا الحصن. انظر: الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ٤٨-٤٩. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٥٢. مذكرات الأمير عبد الله، ص ١٠٩-١١٣. الناصري: الاستقصا، ٢/ ٥٢-٥٣.

- A. G. Valencia: *Historia de La España Musulmana*, pp. 84-85.
- M. G. Remiro: *Historia de Murcia musulmana*, pp. 134-135.

(١) تُكتب هذه الكلمة بصيغتين؛ الأولى: "بُلُقِّين" بالقاف، والثانية "بُلُكِّين" بالكاف، وقد آثرنا الصيغة الثانية؛ لأن الصيغة التي اعتمدها ابن خلدون في تاريخه، وهو أوثق حجة في الأعلام البربرية، وكذلك الناصري في الاستقصا، وابن خلكان في وفيات الأعيان، وقد ضبطها ابن خلكان بالحروف فقال: "بُلُكِّينُ: بضم الباء الموحدة واللام وتشديد الكاف المكسورة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون". انظر: وفيات الأعيان، ١/ ٢٨٧.

(٢) نَفَى: أنكر وتبرّم.

(٣) أَنْهَمَ: زجر ولجم، وعَنِيَه: أي لجامه.

(٤) المقصود به ابن الصَّيْرَفِيّ، وقد تكرر هذا التعبير عند ابن الخطيب عدة مرات.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٤٨.

(٦) النَّجْهُ: استقبالُكَ الرَّجُلَ بما يكره وردُّكَ إياه عن حاجته، وقيل: هو أقبح الرَّدِّ، وقيل: الزَّجْرُ والرَّدْعُ، يقال: نجَهَهُ يَنْجَهُهُ نَجْهاً وتنَجَّهَهُ: ردَّه وانْتَهَرَهُ، ونجَهْتُ الرَّجُلَ نَجْهًا إذا استقبلتَهُ بما يُنَهْنِهُهُ ويكفُّه عنك فَيَنْقَدِعُ عنك.

(٧) الوَزَعَة: أعوان الحاكم وشُرَطُه، وقيل: مَن يزعُ ويدفعُ المكارهَ ويصدُّ الشرَّ.

عَبْدِ الله بْنِ بُلُكِّينَ تَطَارَحَتْ عَلَى ابْنِهَا فِي اسْتِحْيَائِهِ، فَأَمَرَ بِتَخْلِيصِهِ، وَسَجَنَهُ فِي بَعْضِ بُيُوتِ الْقَصْرِ، فَأَقْبَلَ فِيهِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالدُّعَاءِ وَالتِّلَاوَةِ، وَكَانَ جَهِيرَ الصَّوْتِ، حَسَنَ التِّلَاوَةِ، فَارْتَجَّ الْقَصْرُ، وَسَكَنَتْ لاسْتِمَاعِهِ الأَصْوَاتُ، وَهَدَأَتْ لَهُ الْحَرَكَاتُ، وَاقْشَعَرَّتِ الْجُلُودُ، وَخَافَتْ أُمُّ عَبْدِ الله عَلَى وَلَدِهَا عِقَابًا مِنَ الله بِسَبَبِهِ، فَلَاطَفَتْهُ حَتَّى حَلَّ عِقَالَهُ وَأَطْلَقَهُ مِنْ سِجْنِهِ، وَلَمَّا تَخَلَّصَ أَعَدَّهَا غَنِيمَةً، وَكَانَ جَزْلاً، قَوِيَّ الْقَلْبِ، شَدِيدَ الْجَزْمِ[1]، فَقَالَ: الصَّيْدُ بِغُرَابٍ أَكْيَسُ، فَاتَّخَذَ اللَّيْلَ جَمَلاً، فَطَلَعَ لَهُ الصَّبَاحُ بِقَلْعَةِ يَحْصُبَ[2]، وَهِيَ لِنَظَرِ ابْنِ عَبَّادٍ[3]، وَحَثَّ مِنْهَا السَّيْرَ إِلَى قُرْطُبَةَ فَخَاطَبَ مِنْهَا يُوسُفَ بْنَ تَاشُفِينَ بِمِلْءِ فِيهِ بِمَا حَرَّكَهُ وَأَطْمَعَهُ، فَكَانَ مِنْ حَرَكَتِهِ إِلَى الأَنْدَلُسِ وَخَلْعِ عَبْدِ الله بْنِ بُلُكِّينَ مِنْ غَرْنَاطَةَ وَاسْتِيلَائِهِ عَلَيْهَا مَا يَرِدُ فِي اسْمِ عَبْدِ الله وَاسْمِ يُوسُفَ بْنِ تَاشُفِينَ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَبَدَا لِحَفِيدِ بَادِيسٍ فِي أَمْرِ أَبِي جَعْفَرٍ الْقُلَيْعِيِّ، وَرَأَى أَنَّهُ أَضَاعَ الْحَزْمَ فِي إِطْلَاقِهِ، فَبَحَثَ عَنْهُ مِنَ الْغَدِ، وَتَقَصَّتْ عَنْهُ الْبَلْدَةُ، فَلَمْ يَقَعْ لَهُ خَبَرٌ، إِلَى أَنِ اتَّصَلَ بِهِ خَبَرُ نَجَاتِهِ وَلِحَاقِهِ بِمَأْمَنِهِ، فَرَجَعَ بِاللَّائِمَةِ عَلَى أُمِّهِ، وَلَاتَ حِينَ مَنْدَمٍ[4]، وَلَمْ يَزَلْ أَبُو

(١) هكذا جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٤٨، وربما كانت "الحزم" بالحاء المهملة.

(٢) قلعة يحصب، كان هذا هو اسمها القديم، ثم سُمِّيَت قلعة بني سعيد نسبةً إلى أمرائها من بني سعيد، وتقع شمال غرب غرناطة، بينها وبين قرطبة، وتسمَّى اليوم بالإسبانية: Alcala la Real أي: القلعة الملكية.

(٣) هو أمير إشبيلية أبو القاسم المعتمد على الله محمد بن عباد.

(٤) أشار عبدُ الله بن بُلُكِّين إلى هذه التفاصيل في مذكراته مع شيء من الاختلاف، فقال بعد أن استحضر القُلَيْعِيَّ إلى مجلسه: "فقام الكُلّ على القُلَيْعِيِّ، وهمُّوا باختطافه من بين يديَّ لولا إمساكي لهم، وخشيتُ مع هذا عليه أن يقتلوه، فتكون شهرةً وعقوقًا، وينجرُّ الأمرُ إلى غير المحمود، فقلتُ لهم: أنا أكفيكم أمرَه. وأمرتُ بثقافه - على أجمل الوجوه - في بيتٍ بقربٍ من القصر، وكان تحت برٍّ وإكرام، وأنا في ذلك أعتذر إليه من قيام العامَّة، وأعده بالانطلاق عند إطفاء النائرة كالذي صنعتُ. فلما توطدت الأحوالُ، وقرت قرارها، أمرتُ بإخراجه، وأنهيتُ إليه أن يكفَّ لسانه، ويدع فضولَ القول والعمل إلا فيما يعنيه ويشاكل طريقته، فقال لي: نعم، أنا ألتزم الروابط، وأسلك سبيلَ العافية إن شاء الله. فلم يكن إلا أن انطلق وطار إلى أمير المسلمين بالشكوى، وزاد في الطين بلةً، فقال لي الجندُ: لو أنك أمسكته لم يُهَيِّج عليك النارَ، وستذمُّ عاقبة انطلاقه...". مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان، ص ١١٩.

جَعْفَرٍ مُدَّتَهُ فِي دُولِ الْمُلُوكِ مِنْ لَمْتُونَة مَعْرُوفَ الْحَقِّ، بَعِيدَ الصِّيتِ وَالذِّكْرِ، صَدْرَ الْحَضْرَةِ، وَالْمَخْصُوصَ بِعُلُوِّ الْمَرْتَبَةِ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ"(١).

[تَرْجَمَةٌ كَامِلَةٌ لِمُؤَمَّلٍ مَوْلَى بَادِيس بن حَبُّوس وَأَهَمّ أَعْمَالِهِ]:

قَالَ ابنُ الصَّيْرَفِيِّ- [وَقَد ذَكَرَ عبدَ الله بنَ بُلُكِّين حفيدَ بَادِيسٍ واسْتشَارَته عنْ أَمْرِهِ لَمَّا بَلَغَهُ حَرَكَة يُوسُف بن تَاشُفِين إلى خَلْعِهِ](٢)-: "وَكَانَ فِي الْجُمْلَة مِن أَحْبَابِهِ رَجُلٌ مِن عَبيدِ جَدّه اسْمُهُ مُؤَمَّلٌ، وَلَهُ سِنٌّ، وَعِنْدَهُ دَهَاءٌ وَفِطْنَةٌ، وَرَأْيٌ وَنَظَرٌ"(٣).

وقال [ابنُ الصَّيْرَفِيِّ](٤) في مَوْضِعٍ آخَرَ: "وَلَمْ يَكُنْ فِي وُزَرَاءِ مَمْلَكَتِهِ وَأَخْبَارِ(٥) دَوْلَتِهِ، أَصِيلُ الرَّأْيِ، جَزْلُ الكَلِمَةِ، إلا ابنُ أبي خَيْثَمَة مِن كَتَبَتِهِ، وَمُؤَمَّلٌ مِن عَبِيدِ جَدِّه، وَجَعْفَرُ مِن فِتْيَانِهِ"(٦).

[مُؤَمَّلٌ يَنْصَحُ عبدَ الله بنَ بُلُكِّين بالاسْتِسْلامِ لِيُوسُفَ بنِ تَاشُفِين]:

قَالَ [ابنُ الصَّيْرَفِيِّ](٧): "فَأَلْطَفَ لَهُ مُؤَمَّلٌ فِي القَوْلِ، وأَعْلَمَهُ بِرِفْقٍ وَحُسْنِ أَدَبٍ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ صَوَابٍ، وأَشَارَ إِلَيْهِ بالخُرُوجِ إِلَى أَمِيرِ المُسْلِمِينَ إذَا قَرُبَ، والتَّطَارُحِ عَلَيْه، فَإِنَّهُ لاَ تُمْكِنُهُ مُدَافَعَتُهُ، ولا تُطَاقُ حَرْبُهُ، والاسْتِجْدَاءُ(٨) لَهُ أَحْمَدُ عَاقِبَةً وَأَيْمَنُ مَغَبَّةً،

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٤٨-١٥٠. وقد توفي- أبو جعفر القُلَيْعِيُّ-في شهر ربيع الآخر سنة ٤٩٨ هـ/ ١١٠٤ م، وقد سبقت الترجمةُ له، وقد ذكر عبد الله بن بلكين هذه الحادثة في مذكراته

(٢) ما بين الحاصرتين من كلام ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٣١.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٣١.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من عندي للتوضيح.

(٥) جاءت في منتخبات عن كتاب الإحاطة في تأريخ غرناطة (ضمن ملاحق مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان)- (نشر وتحقيق: ليفي بروفنسال)، ص ٢١٣: "أَحِبَّاء"، ولعلها أصوب.

(٦) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٣١-٣٣٢.

(٧) ما بين الحاصرتين زيادة من عندي للتوضيح.

(٨) جاءت في منتخبات عن كتاب الإحاطة (ضمن ملاحق مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان)، ص ٢١٣: "والاستخذاء".

وَتَابَعَهُ عَلَى ذَلِكَ نُظَرَاؤُهُ مِن أَهْلِ السِّنِّ والحُنْكَةِ، وَدَافَعَ فِي صَدِّ رَأْيِهِ[1] الغِلْمَةُ والأَغْمَارُ، فاسْتَشَاطَ غَيْظًا عَلَى مُؤَمَّلٍ ومَن نَحَا نَحْوَهُ، وَهَمَّ بِهِم، فَخَرَجُوا وَقَدْ سلَّ بِهِم[2]؛ فَرَقًا مِنْهُ، فَلَمَّا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ فَرُّوا إلى لَوْشَةَ[3]، وَبِهَا مِن أَبْنَاءِ عَبِيدِ بَادِيس قَائِدُهَا، فَمَلَكُوهَا وَثَارُوا فِيهَا بِدَعْوَةِ أَمِيرِ المُسْلِمِينَ يُوسُفَ بنِ تَاشُفِين، وَبَادَرَ مُؤَمَّلٌ بِالخِطَابِ إلى أَمِيرِ المُسْلِمِينَ المَذْكُورِ[4]، وَقَدْ كَانَ سَفَرَ[5] إِلَيْهِ عَن سُلْطَانِهِ، فَأَعْجَبَهُ عَقْلاً وَنُبْلاً، فَاهْتَزَّ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَقْوَى الأَسْبَابِ عَلَى حَرَكَتِهِ.

وَبَادَرَ حَفِيدُ بَادِيس الأَمْرَ[6]، فَأَشْخَصَ الجَيْشَ لِنَظَرِ صِهْرِهِ[7]، فَتَغَلَّبَ عَلَيْهِمْ، وَسِيقَ مُؤَمَّلٌ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ شَرَّ سَوْقٍ فِي الحَدِيدِ، وَأُرْكِبُوا[8] عَلَى دَوَابَّ هُجنٍ، وَكُشِفَتْ رُؤُوسُهُم، وَأُرْدِفَ وَرَاءَ كُلِّ رَجُلٍ مَن يَصْفَعُهُ، وَتَقَدَّمَ الأَمْرُ في نَصْبِ الجُذُوعِ وَإِحْضَارِ الرُّمَاةِ، وَتَلَطَّفَ جَعْفَرٌ[9] فِي أَمْرِهِمْ، وَقَالَ لِلأَمِيرِ عَبْدِ اللهِ: إِنْ قَتَلْتَهُمُ الآنَ

---

(١) أي: رفض رأي مُؤَمَّل.

(٢) يقال: سلَّ به واسْتَلَّ به: ذهب به في خُفية.

(٣) لَوْشَة (Loja): بالفتح ثم السكون وشين معجمة، مدينة أندلسية تقع في أقصى غرب مقاطعة غرناطة جنوبي إسبانيا. تطل على نهر سنجل (شنيل)، بنها وبين غرناطة نحو ٥٥ كلم، وبينها وبين قرطبة نحو ١١٠ كلم، وتعد من أكثر المدن أهمية بالنسبة لمملكة غرناطة، وذلك لموقعها الاستراتيجي للدفاع عنها، وقد سقطت نهائيًا في يد الإسبان سنة ٨٩١ هـ/ ١٤٨٦ م. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٥/ ٢٦. الحميري: الروض المعطار، ص ٥١٣.

(٤) جاءت في منتخبات عن كتاب الإحاطة (ضمن ملاحق مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان)، ص ٢١٣: "بخطاب يوسف المذكور".

(٥) سفر: خرج في سفارة.

(٦) جاءت في منتخبات عن كتاب الإحاطة (ضمن ملاحق مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان)، ص ٢١٣: "لأمره".

(٧) صهره هو زوج أخته يوسف بن حجاج، وكان قائد عسكره. انظر: مذكرات الأمير عبد الله، ص ١٣٨.

(٨) جاءت في منتخبات عن كتاب الإحاطة (ضمن ملاحق مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان)، ص ٢١٣: "قدْ أَرْكِبُوا".

(٩) جعفر: هو أحد فتيان عبد الله بن بُلُكِّين المقربين، وكان مسموع الكلمة عنده.

أطفَأْتَ غَضَبَكَ وَأَذْهَبْتَ مُلْكَكَ[1]، فَاسْتَخْرِجِ المَالَ[2] وَأَنْتَ مِن وَرَاءِ الانْتِقَامِ، فَثَقَّفَهُمْ[3]، وأُطْمِعُوا في أَنْفُسِهِم رَيْثَمَا شَغَلَهُ الأَمْرُ[4]، وَأَنفَذَ إِلَيْهِ يُوسُفُ بنُ تَاشُفِين في حَلِّ اعتِقَالِهِمْ، فَلَمْ تَسَعْهُ مُخَالَفَتُهُ، [فَأَطْلَقَهُمْ][5]، وَلَمَّا مَلَكَ غَرْنَاطَةَ عَلَى تَفْيِئَةِ تِلْكَ الحَالِ قَدَّم مُؤَمَّلاً عَلَى مُسْتَخْلَصِهِ[6]، وَجَعَلَ بِيَدِهِ مَفَاتِيحَ قَصْرِهِ، فَنَالَ مَا شَاءَ مِن مَالٍ وَحُظْوَةٍ، وَاقْتَنَى مَا أَرَادَ مِن صَامِتٍ[7] وَذَخِيرَةٍ"[8].

[خَلْعُ عبدِ الله بنِ بُلُكِّين حَفِيدِ بَادِيس بنِ حَبُّوس عن حُكْمِ غَرْنَاطَةَ]:

قَالَ [ابنُ الصَّيْرَفِيّ][9]: "وَفِي عَامِ ثَلاثَةٍ وَثَمانِينَ وأَرْبَعِمِائَةٍ تَحَرَّكَ أَمِيرُ المُسْلِمِينَ يُوسُفُ بنُ تَاشُفِين لِخَلْعِ رُؤَسَاءِ الأَنْدَلُسِ، فَأَجَازَ البَحْرَ، وَيَمَّمَ قُرْطُبَةَ، وَتَوَاتَرَتِ الأَنْبَاءُ عَنِ[10] حَفِيدِ بَادِيس صَاحِبِ غَرْنَاطَةَ بِما يَغِيظُهُ وَيُحْقِدُهُ، حَسْبَمَا تَقَدَّمَ فِي اسْمِ

---

(١) جاءت في منتخبات عن كتاب الإحاطة (ضمن ملاحق مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان)، ص ٢١٣: "مالك".

(٢) أي: صادر ما عندهم من الأموال.

(٣) ذكر الأمير عبد الله في مذكراته أنه استفتى الفقهاء في أمرهم، فأفتى فريق منهم أن قتلهم غير جائز؛ لأن نفورهم وخروجهم كان جزعًا وخوفًا، وأفتى فريق آخر بقتلهم، فآثر الأمير عبد الله الأليق والأبعد عن الآثام، فأمر باعتقالهم. انظر: مذكرات الأمير عبد الله، ص ١٣٨.

(٤) جاءت في منتخبات عن كتاب الإحاطة (ضمن ملاحق مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان)، ص ٢١٣: "الهول".

(٥) ما بين الحاصرتين جاءت في منتخبات عن كتاب الإحاطة (ضمن ملاحق مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان)، ص ٢١٣، وهي أنسب، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٣٣: "وأطلقهم".

(٦) المستخلص: الأراضي والأملاك السلطانية التي يرجع ريعها إلى خزانة السلطان الخاصة.

(٧) الصامتُ من المالِ: الذَّهَبُ والفِضَّةُ.

(٨) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٣٢-٣٣٣. وبعد هذا النص قال ابن الخطيب عن مؤمَّلٍ: "ونُسبت إليه بغرناطة آثارٌ، منها: السقاية بباب الفخارين، والحَوْز المعروف بحَوْز مُؤمَّل، أدركتها وهي بحالها".

(٩) ما بين الحاصرتين زيادة من عندي للتوضيح.

(١٠) جاءت في منتخبات عن كتاب الإحاطة (ضمن ملاحق مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان)، ص ٢٠٩: "على"، وما ورد في المتن أعلاه أنسب للمعنى والسياق.

مُؤَمَّلٍ مَوْلَى بَادِيس، وَقَدَّمَ إِلَى غَرْنَاطَةَ أَرْبَعَ مَحَلَّاتٍ، فَنَزَلَتْ بِمَقْرُبَةٍ مِنْهَا، وَلَمْ تَمْتَدَّ يَدٌ إِلَى شَيْءٍ [بِوَجْهٍ](1)، فَسُرَّ النَّاسُ وَاسْتَبْشَرُوا، وَأَمِنَتِ الْبَادِيَةُ، [وَتَسَايَلَ](2) أَهْلُ الحَاضِرَةِ إِلَى [الْقُرَى](3)، وَأَسْرَعَ حَفِيدُ بَادِيس فِي المَالِ(4)، وَأَلْحَقَ السُّوقَةَ والحَاكَّةَ(5)، وَاسْتَكْثَرَ مِنَ اللَّفِيفِ، وَأَلَحَّ بِالْكُتُبِ عَلَى أُذْفُونْش بِمَا يُطْمِعُهُ.

وَتَحَقَّقَ يُوسُفُ بنُ تَاشُفِين اسْتِشْرَافَ الحَضْرَةِ إِلَى مَقْدَمِهِ، فَتَحَرَّكَ، وَفِي لَيْلَةِ الأَحَدِ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِن رَجَبٍ اجْتَمَعَ إِلَى حَفِيدِ بَادِيس صَنَائِعُهُ، فَخَوَّفُوهُ مِن عَاقِبَةِ التَّرَبُّصِ، وَحَمَلُوهُ عَلَى الخُرُوجِ إِلَيْهِ، فَرَكِبَ وَرَكِبَتْ أُمُّهُ، وَتَرَكَا الْقَصْرَ عَلَى حَالِهِ، وَلَقِيَ أَمِيرَ المُسْلِمِينَ عَلَى فَرْسَخَيْنِ مِنَ المَدِينَةِ، فَتَرَجَّلَ وَسَأَلَهُ الْعَفْوَ، فَعَفَا عَنْهُ، وَوَقَفَ عَلَيْهِ، وَأَمَرَهُ بِالرُّكُوبِ فَرَكِبَ، وَأَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ بِالمَشَايِخِ(6) مِن خَارِجِ الحَضْرَةِ، [وَضُرِبَتِ](7) المَحَلَّاتُ، وَأَمَرَ مُؤَمَّلاً بِثِقَافِهِ(1) فِي الْقَصْرِ، فَتَوَلَّى ذَلِكَ.

---

(١) ما بين الحاصرتين جاءت في منتخبات عن كتاب الإحاطة (ضمن ملاحق مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان)، ص ٢٠٩، وأراها أنسب للسياق، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٨٠: "يُوجَدُ".

(٢) ما بين الحاصرتين جاءت في منتخبات عن كتاب الإحاطة (ضمن ملاحق مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان)، ص ٢٠٩، وأراها أنسب للمعنى والسياق، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٨٠: "وَتَمَايَلَ".

(٣) ما بين الحاصرتين جاءت في منتخبات عن كتاب الإحاطة (ضمن ملاحق مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان)، ص ٢٠٩، وأراها أنسب للمعنى والسياق، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٨٠: "القَوِيّ" بفتح القاف وكسر الواو، ولعل لها وجهًا.

(٤) أي: أسرع في جمع أمواله ليهرب بها، أو أسرع في تفريق المال على مَن حوله لمعاونته في صد يوسف بن تاشفين عن حضرته.

(٥) أي: السفلة والأشرار.

(٦) يبدو من السياق أنه مكان قريب من غرناطة، وقد جعله ابن سعيد من المتنزهات المشهورة في غرناطة، فقال: "ومن متنزهاتها المشهورة: حور مؤمل واللشته والزاوية والمشايخ"، لكنه لم يحدد لنا موضعها. انظر: المغرب في حلى المغرب، ٢/ ١٠٣.

(٧) ما بين الحاصرتين يقتضيه السياق واللغة، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٨٠: "واضطربت"، وهو تصحيف ظاهر يتكرر كثيرًا في الإحاطة.

وَخَرَجَ الجَمُّ مِن أَهْلِ المَدِينَةِ، فَبَايَعُوا أَمِيرَ المُسْلِمِينَ يُوسُفَ بنَ تَاشُفِين، فَلَقِيَهُمْ وَآنَسَهُمْ، وَسَكَّنَ جَأْشَهُمْ[٢]، فَاطْمَأَنُّوا، وَسَهَّلَ مُؤَمِّلٌ إِلَيْهِ دُخُولَ الأَعْيَانِ، فَأَمَرَ بِكَتْبِ الصُّكُوكِ، وَرَفْعِ أَنْوَاعِ القَبَالاتِ[٣] وَالخَرَاجِ إِلا زَكَاةَ العَيْنِ، وَصَدَقَةَ المَاشِيَةِ، وَعُشْرَ الزَّرْعِ، وَاسْتَقْصَى مَا كَانَ بِالقَصْرِ، فَظَهَرَ عَلَى مَا يَحُولُ النَّاظِرَ، وَيَرُوعُ الخَاطِرَ مِنَ الأَعْلاقِ[٤] والذَّخِيرَةِ والحَلْيِ وَنَفِيسِ الجَوْهَرِ وَأَحْجَارِ اليَاقُوتِ وَقَصَبِ الزُّمُرُّدِ، وَآنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَأَطْبَاقِ البِلَّوْرِ المُحْكَمِ[٥]، [والجُرْجَانِيَّاتِ][٦]، والعِرَاقِيَّات، والثِّيَابِ الرَّفِيعَةِ، والأَنْمَاطِ[٧]، والكِلَلِ[٨]، والسَّتَائِرِ، وَأَوْطِئَةِ الدِّيبَاجِ، مِمَّا كَانَ فِي ادِّخَارِ بَادِيس

---

(١) جاءت في منتخبات عن كتاب الإحاطة (ضمن ملاحق مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان)، ص ٢٠٩: "بثقاف القصر".

(٢) جاءت في منتخبات عن كتاب الإحاطة (ضمن ملاحق مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان)، ص ٢٠٩: "جانبهم".

(٣) غلب هذا المصطلح في المغرب والأندلس على الضرائب غير المشروعة التي كانت تُفرض على كل شيء يُباع دقَّ أو جلَّ. انظر: عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين- تحقيق: د. حسين مؤنس- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- ط١، ١٩٩٧ م، ص ٤٥٨-٤٥٩. د. صلاح أحمد عيد خليفة: القَبَالات في المغرب والأندلس (القرن ٣- ٦ هـ/ ٩- ١٢ م) أصولها التشريعية وتداعياتها التاريخية- مجلة المؤرخ العربي- العدد الثامن- مارس ٢٠٠ م، ص ٥٢٥-٥٥٣. والقَبَالات مفردها قَبَالة، وقد دخلت هذه الكلمة اللغة الإسبانية فعُرفت بـ **Alcabala**.

(٤) الأَعْلاق: جمع عَلْق بفتح العين أو عِلْق بكسرها، يقال: شَيْءٌ عَلْقٌ أو عِلْقٌ: أي نَفِيسٌ، والأعلاق: النفائس، أو الأشياء النفيسة الثمينة ذات القيمة.

(٥) أي: مُحْكَم الصَّنْعة.

(٦) ما بين الحاصرتين جاءت في منتخبات عن كتاب الإحاطة (ضمن ملاحق مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان)، ص ٢١٠، وربما تعني نوعًا من البضائع المجلوبة من جُرْجَان من بلاد فارس، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٨١: "والجُزْدَاذنات"، وهي كلمة غير مفهومة، وقد علَّق عليها الأستاذ عنان فقال: "وربما كانت الجرجانيات". انظر: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٨١، حاشية رقم ١.

(٧) الأَنْمَاط: جمع نَمَط، وهو نوع من البُسُط، يقال: فُرِشت الدَّار بالأنماط المُوشَّاة، وقيل: النَّمَطُ: ثَوْبٌ مِن صُوف ملوَّن له خَمْل رقيقٌ ويُطْرَح على الهودج.

(٨) الكِلَلُ جمع الكِلَّةُ: وهي سِتْرٌ رقيق مُثَقَّبٌ يُتَوَقَّى به من البعوض وغيرِهِ، وقيل: غطاء رقيق يخاط كالبيت يتقى به من البعوض أو البرغش، ويعرف أحيانا بـ "الناموسية".

واكتِسابِهِ، وَأَقْبَلَتْ دَوَابُّ الظَّهْرِ مِن المُنَكَّبِ(١) بِأَحْمَالِ السَّبِيكِ وَالْمَسْبُوكِ، وَاخْتَلَفَتْ أُمُّ عَبْدِ الله لاسْتِخْرَاجِ مَا أُودِعَ بَطْنَ الأَرْضِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلا الخُرْثِيُّ(٢) والثَّقَلُ(٣) والسَّقَطُ(٤)، وَزَّعَ ذَلِكَ الأَمِيرُ عَلَى قُوَّادِهِ، وَلَمْ يَسْتَأْثِرْ مِنْهُ بِشَيْءٍ.

قَالَ [ابنُ الصَّيْرَفِيِّ](٥): "وَرَغِبَ إِلَيْهِ(٦) مُؤَمِّلٌ فِي دُخُولِ الْقَصْرِ، فَرَكِبَ إِلَيْهِ، وَكَثُرَ اسْتِحْسَانُهُ إِيَّاهُ، وَأَمَرَ بِحِفْظِهِ، وَتَفَقَّدِ أَوْضَاعِهِ وَأَفْنِيَتِهِ(٧)، وَنُقِلَ عَبْدُ الله إِلَى مَرَّاكُش(٨)، وَسِنُّهُ يَوْمَ خُلِعَ خَمْسٌ وَثَلاثُونَ سَنَةً وَسَبْعَةُ أَشْهُرٍ، فَاسْتَقَرَّ بِهَا هُوَ وَأَخُوهُ

---

(١) المُنَكَّب (Almuñécar): بالضم ثم الفتح وتشديد الكاف وفتحها وباء موحدة، مدينة بمقاطعة غرناطة (Granada) من منطقة الأندلس بجنوب إسبانيا (España)، تقع على الساحل، وترتفع عن سطح البحر بنحو أربعين أو خمسين مترًا، وهي من أعمال إلبيرة (Elvira)، وبينها وبين غرناطة أربعون ميلاً، وتقع -بالتحديد- إلى الجنوب من مدينة غرناطة، وتبعد عن شرقي مالقة (Málaga) بنحو ٩٠ كلم، تحجبها الجبال من الناحيتين الشرقية والشمالية، ولها حصن منيع في وسطها فوق ربوة عالية، وهي مدينة حسنة متوسطة، كثيرة مصائد الأسماك، وبها فواكه جمة، وقد سقطت في أيدي القشتاليين في شهر المحرم سنة ٨٩٥ هـ/ ديسمبر سنة ١٤٨٩ م. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٥/ ٢١٦. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٦٤. الحميري: الروض المعطار، ص ٥٤٨. صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٦. أ. عنان: الآثار الأندلسية الباقية، ص ٢٥٨-٢٦١.

(٢) الخُرْثِيُّ بضم الخاء وسكون الراء والثاء المكسورة هو أثاث البيت أو أردأ المتاع والغنائم.

(٣) الثَّقَل: بفتح الثاء المشددة والقاف، بمعنى: المتاع، وربما كانت (الثُّفْل) بالضم ما سَفُلَ من كل شيء.

(٤) السَّقَطُ: الرديءُ الحقيرُ من المَتاع والطعام.

(٥) ما بين الحاصرتين زيادة من عندي للتوضيح.

(٦) أي إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، بمعنى تمنى عليه وطلب منه.

(٧) هكذا جاءت في الإحاطة، وربما كانت (وأَقْنِيَتِه) بالقاف بمعنى: مُقْتَنيات القصر ومحتوياته.

(٨) مَرَّاكُش: إحدى الحواضر المهمة في المغرب الأقصى، تقع في سفح جبل الأطلس الكبير في بسيط من الأرض، أسسها أميرُ المرابطين يوسف بن تاشُفين سنة ٤٥٩ هـ/ ١٠٦٧ م، ثم اختط سورها ولده علي بن يوسف سنة ٥١٤ هـ/ ١١٢٠ م، ودخلها الموحدون في ١٨ من شوال سنة ٥٤١ هـ/ ٢٤ مارس سنة ١١٤٧ م، وهي مدينة طيبة التربة، عذب ماؤها، كثيرة الزرع والضرع، وهي أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وأعناب وفواكه وجميع الثمرات، وأكثر شجرها الزيتون. انظر:

تَمِيمٌ، وَحُلَّ اعْتِقَالُهُمَا، وَرُفِّهَ عَنْهُمَا، وَأُجْرِيَ[1] الْمُرَتَّبَ وَالْمُسَاهَمَةَ عَلَيْهِمَا، وَأَحْسَنَ عَبْدُ اللهِ أَدَاءَ الطَّاعَةِ، مَعَ لِينِ الْكَلِمَةِ، فَقُضِيَتْ مَآرِبُهُ، وَأُسْعِفَتْ رَغَبَاتُهُ، وَخَفَّ عَلَى الدَّوْلَةِ، وَاسْتَرَاحَ[2] وَاسْتُرِيحَ مِنْهُ، وَرُزِقَ الْوَلَدَ فِي الْخُمُولِ[3]، فَعَاشَ لَهُ ابْنَانِ وَبِنْتٌ، جَمَعَ لَهُمُ الْمَالَ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ تَرَكَ [لَهُمْ][4] مَالاً جَمًّا[5].

[ابنُ الصَّيْرَفِيِّ يَصِفُ عَبْدَ اللهِ بنَ بُلُكِّينَ]:

ووصفه ابنُ الصَّيْرَفِيِّ فقال: "كَانَ جَبَانًا، مُغْمَدَ السَّيْفِ[6]، قَلِقًا، لا يَثْبُتُ عَلَى الظَّهْرِ[7]، عِزْهَاةً[8] لا أَرَبَ لَهُ فِي النِّسَاءِ، هَيَّابَةً، مُفْرِطَ الْجَزَعِ، يَخْلُدُ إِلَى الرَّاحَاتِ، وَيَسْتَوْزِرُ الأَغْمَارَ[9]"[10].

الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول– نشر وتعليق: د. سعد زغلول عبد الحميد– طباعة ونشر دار الشئون الثقافية العامة–بغداد، د.ت، ص ٢٠٨–٢١٠.

(١) جاءت في منتخبات عن كتاب الإحاطة (ضمن ملاحق مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان)، ص ٢١٠: "وَأُجْرُوا".

(٢) جاءت في منتخبات عن كتاب الإحاطة (ضمن ملاحق مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان)، ص ٢١٠: "فاستراح".

(٣) في الخمول: أي بعد أن سُلبَ منه المُلك.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من منتخبات عن كتاب الإحاطة (ضمن ملاحق مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان)، ص ٢١٠.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٨٠–٣٨١.

(٦) "مغمد السيف": إشارة إلى عدم رغبته في خوض الحروب لخوفه وجبنه.

(٧) "لا يثبت على الظهر": بمعنى أنه ليس له من الفروسية نصيبٌ، فلا يجيد ركوب الخيل ولا غيرها.

(٨) عِزْهَاة بكسر العين: هو الرجل الذي لا يَقْرَبُ النساء ويُعْرِضُ عنهن زهوًا وكبرًا وأنفةً، وقيل: رَجُلٌ عِزْهَاةٌ: لئيمٌ.

(٩) "يستوزر الأغمار": بمعنى أنه يختار وزراءه من شخصيات ضعيفة ليست لديها الخبرة الكافية التي يحتاجها مثل هذا المنصب الكبير، يقال: رجلٌ غَمْرٌ: لم يُجَرِّب الأمور، والجمع: غمورٌ وأغمارٌ.

(١٠) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٨٠. وذكر ابن الخطيب هذه الأوصاف في كتابه الآخر: أعمال الأعلام– القسم الثاني، ص ٢٣٥، مع اختلاف في الألفاظ دون أن يذكر

[مَكَانُ بَادِيس مِنَ الذَّكَاءِ وَصِدْقُ حَدْسِهِ وبُعْدُ نَظَرِهِ]:

قَالَ ابنُ الصَّيْرَفِيِّ: حَدَّثَنِي أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ الْفَتَى[1]- [وَكَانَ لَهُ صِدْقٌ، وَفِي نَفْسِهِ عِزَّةٌ وَشَهَامَةٌ وَكَرَمٌ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ [يَقْصِدُ: ابنَ الصَّيْرَفِيِّ][2]، وَعَرَّفَ بِهِ حَسْبَمَا يَأْتِي فِي اسْمِ جَعْفَرِ الْمَذْكُورِ][3]- قَالَ: "خَاضَ بَادِيسُ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي الْمَجْلِسِ الْعَلِيِّ مِن دَارِ الشَّرَابِ بِقَصْرِهِ، وَاصْطَفَّت الصَّقَالِيبُ[4] وَالْعَبِيدُ بِالْبُرْطَلِ[5] الْمُتَّصِلِ بِهِ لِتَخْدُمَ إِرَادَتَهُ، فَوَرَدَ عَلَيْهِ نَبَأٌ قَامَ لِتَعَرُّفِهِ عَن مَجْلِسِهِ ثُمَّ عَادَ إِلَى مَوْضِعِهِ وَقَدْ تَجَهَّمَ وَجْهُهُ، وَخَبُثَتْ نَفْسُهُ، فَحَذِرَ نُدَمَاؤُهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَتَخَيَّلُوا وُقُوعَ الشَّرِّ بِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: أَعَلِمْتُم مَا حَدَثَ؟ قَالُوا: لا واللهِ، يَطَّلِعُ عَلَى خَبَرٍ. قَالَ: دَخَلَ الْمُرَابِطُ الدِّمْنَةَ[6]، فَسُرِّيَ عَن الْقَوْمِ، وَانْطَلَقَتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِالدُّعَاءِ لَهُ بِنَصْرِهِ وَفُسْحَةِ عُمْرِهِ، وَدَوَامِ دَوْلَتِهِ، ثُمَّ وَجَمُوا لِوُجُومِهِ،

مصدره، فقال: "وكان عبد الله بن بُلُكِّين جبانًا، مُغْتَمِد السيف، متكاسلاً عن الخيل، زاهدًا في النساء، موصوفًا بالضعف..."، ورغم اختلاف بعض ألفاظ هذا النص عن النص الوارد في المتن أعلاه، إلا أنه من الواضح أن مصدرهما واحد وهو مؤرخنا أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ.

(١) جعفر الفتى هو أحظى فتيان باديس بن حبوس ملك غرناطة، ثم صار أيضًا من فتيان حفيده عبد الله بن بُلُكِّين وأحظاهم عنده وأقربهم إليه، ويبدو من النص أن مؤرخنا ابن الصَّيْرَفِيِّ كان على اتصال وثيق برجال قصر ابن بُلُكِّين، مما يعطي المعلومات التي يوردها عن ابن بُلُكِّين وأسرته وحاشيته أهمية تاريخية كبيرة، إذ إنها بمثابة معلومات شاهد عيان ومعاصر لتلكم الأحداث.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من عندي للتوضيح.

(٣) النصّ الموجود بين الحاصرتين من كلام ابن الخطيب.

(٤) يُقصد بالصَّقَاليب: الصقالبة، وهم الفتيان المماليك من الصرب ومن مختلف الجنسيات الأوروبية الذين غصت بهم قصور الأندلس منذ أواخر القرن الثالث الهجريّ/ التاسع الميلاديّ.

(٥) البُرْطَل: كلمة إسبانية وهي (Portal)، وتعني البوابة ومدخل البيت والبهو ذا الشرفات المعقودة على الأعمدة، وما زالت هذه الكلمةُ مستعملةً في بعض مناطق المغرب العربي كالجزائر مثلاً، حيث يُسمَّى البهو (برطال).

(٦) يُقصد بالمُرابط هنا أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، والدِّمْنَة: مدينة من بلاد طنجة المغربية، غزاها يوسف بن تاشفين سنة ٤٦٥ هـ/ ١٠٧٢ م، ودخلها عَنْوةً. انظر: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٤٢. تاريخ ابن خلدون (تحقيق: أ. خليل شحادة ومراجعة: د. سهيل ذكار)، ٦/ ٢٩٦.

فَلَمَّا رَأَى تَكَدُّرَ صَفْوِهِمْ، قَالَ: أَقْبِلُوا عَلَى شَأْنِكُمْ، مَا نَحْنُ وَذَاكَ، الْيَوْمُ خَمْرٌ وَغَدًا أَمْرٌ، بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَمْدَادُ [.......][1] الْجِبَال، وَأَمْوَاجُ الْبِحَارِ، وَلَكِن لاَبُدَّ لَهُ أَنْ يَتَمَلَّكَ بَلَدِي، وَيَقْعُدَ مِنْهُ مَقْعَدِي، وَهَذَا أَمْرٌ لاَ يَلْحَقُهُ أَحَدٌ مِنَّا، وَإِنَّمَا يُشْقِي أَحْفَادَنَا.

قَالَ جَعْفَرُ: فَلَمَّا دَخَلَ الأَمِيرُ الْقَصْرَ عِنْدَ خَلْعِهِ حَفِيدَ بَادِيس بِرَحْبَةِ مُؤَمَّلٍ[2]، طَافَ بِكُلِّ رُكْنٍ وَمَكَانٍ فِيهِ، وَأَنَا فِي جُمْلَتِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، فَبُسِطَ لَهُ مَا قَعَدَ عَلَيْهِ، فَتَذَكَّرْتُ قَوْلَ بَادِيس، وَتَعَجَّبْتُ مِنْهُ تَعَجُّبًا ظَهَرَ عَلَيَّ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ مُنْكِرًا، وَسَأَلَنِي مَا بِي، فَأَخْبَرْتُهُ وَصَدَقْتُهُ، وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قَوْلَ بَادِيس، فَتَعَجَّبَ، وَقَامَ إِلَى الْمَسْجِدِ بِمَنْ مَعَهُ، فَصَلَّى فِيهِ رَكَعَاتٍ، وَأَقْبَلَ يَتَرَحَّمُ عَلَى قَبْرِهِ"[3].

[يُوسُفُ بنُ تَاشُفِين وَالْمُعْتَمِدُ بنُ عَبَّادٍ مَلِكُ إِشْبِيلِيَّة]:

قَالَ ابنُ الصَّيْرَفِيِّ- [وَقَدْ أَجْرَي ذِكْرَ تَمَلُّكِ يُوسُفَ بنِ تَاشُفِين غَرْنَاطَةَ وَخَلْعِ أَمِيرِهَا عَبْدِ اللهِ بنِ بُلُكِّين حَفِيدِ بَادِيس يَوْمَ الأَحَدِ لِثَلاثٍ عَشْرَةَ خَلَتْ مِن رَجَب عَامَ ثَلاثَةٍ وَثَمَانِينَ][4]-: "وَلَحِقَ ابنُ عَبَّادٍ وَحَلِيفُهُ ابنُ مَسْلَمَةَ[5] بِخَيْلٍ وَرَجْلٍ وَرُمَاةٍ وَعُدَدٍ،

---

(١) ما بين الحاصرتين جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٤١: "القَجْو، وَالنَّشُورُ"، وهما كلمتان غامضتان لم نتوصل إلى معناهما، ولم يعلق عليهما محققو الإحاطة بشيء.

(٢) رحبة مؤمل: أحد القصور الخلوية الخاصة في غرناطة، وصاحبه هو مؤمل مولى باديس بن حبوس، ويسمى أيضًا (حور مؤمل) بالراء، أو (حوز مؤمل) بالزاي، ويقع جنوب غربي الحمراء وجنوب ربض الفخارين، ويُشتهر برباضه ومتنزهاته البديعة، ومكانه اليوم في الحيّ الغرناطي المسمى: Campo del Principe. انظر: ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلى المغرب، ٢/ ١٠٣. المقري: نفح الطيب، ١/ ٤٧٥. ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٤١، حاشية رقم ٦، ١/ ٤٩١، حاشية رقم ٤.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٤١-٤٤٢.

(٤) النصّ الموجود بين الحاصرتين من كلام ابن الخطيب، وقد أبقيتُ عليه للتوضيح. انظر: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٢/ ١١٨.

(٥) ابنُ مسلمة هو المتوكل بن الأفطس صاحب بَطَلْيَوْس، ويعرف بنو الأفطس أيضًا ببني مسلمة، وهو اسم جدهم ومؤسس دولتهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة، المعروف بابن الأفطس، وقد عنون لهم ابنُ عذاري في كتابه البيان المغرب، ٣/ ٢٣٥، فقال: "ابتداء دولة بني الأفطس وهم بنو مسلمة". وكذلك فعل ابنُ الخطيب في كتابه أعمال الأعلام- القسم الثاني، ص ١٨٢،

وَحَلَّ ذَلِكَ مِن ابنِ عَبَّادٍ تَضَمُّنًا[1] لِمَسَرَّةِ أَمِيرِ المُسْلِمِينَ، وَتَحَقُّقًا بِمُوَالاتِهِ، فَدَخَلا عَلَيْهِ وَهَنَّآهُ[2]، وَقَدْ تَحَكَّمَتْ فِي نَفْسِ ابنِ عَبَّادٍ الطَّمَاعِيَةُ فِي إِسْلامِ غَرْنَاطَةَ إِلَى ابْنِهِ بَعْدَ اسْتِصْفَاءِ نِعْمَةِ صَاحِبِهَا؛ عِوَضًا عَنِ الجَزِيرَةِ الخَضْرَاءِ[3]، وَكَانَ قَدْ أَشْخَصَهُ مَعَهُ

فقال: "ذكر مدة بني مسلمة المعروفين ببني الأفطس"، وانظر كذلك: الإحاطة لابن الخطيب (تحقيق: أ. عنان)، ٢/ ١١٨، حاشية رقم ٤.

(١) في الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم، ٤/ ٢١: "متضمنًا".

(٢) في الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم، ٤/ ٢١: "فدخلوا عليه".

(٣) عندما استنجد بعض ملوك الطوائف- وعلى رأسهم المعتمد بن عباد ملك إشبيلية- بزعيم المرابطين يوسف بن تاشفين لمساعدتهم في مواجهة الخطر النصراني الذي يهدد بلاد الأندلس كان من الإجراءات التي اتخذها ابن تاشفين لتأمين عبوره إلى الأندلس أنه طلب من ابن عباد أن يتنازل له عن الجزيرة الخضراء لتكون مركزًا لتجمع القوات المرابطية القادمة من العدوة المغربية، ويذكر صاحب الحلل الموشية أن ابن عباد لم يتردد في التنازل عن الجزيرة الخضراء ليوسف بن تاشفين، فجمع القضاة والفقهاء وكتب عقد هبة الجزيرة لابن تاشفين وسلمها له بمحضر ذلك الجمع من القضاة والفقهاء، وبعث بهذا العقد إليه، لذا فإن ابن عَباد – حسب كلام ابن الصَّيْرَفِيّ- كان يطمع في أن يترك له ابن تاشُفين مدينة غرناطة بعد أخذها من عبد الله بن بُلُكِّين عوضًا عن الجزيرة الخضراء التي تنازل له عنها ابنُ عباد من قبل.

والجزيرة الخضراء (Algeciras): مدينة مشهورة في أقصى جنوبي الأندلس بجوار جبل طارق (Gibraltar) مقابل مدينة سبتة (Cueta)، وتبعد عنه ٦ أميال، وتُسمى أيضًا: جزيرة أم حكيم، وهي جارية لطارق بن زياد كان قد حملها معه عندما توجه لفتح الأندلس، ثم تركها فيها فنُسبت إليها، وهذه المدينة تقع على ربوة مشرفة على البحر المتوسط، وتتصل أعمالها بأعمال شذونة (Medina Sidonia)، وهي شرقي شذونة وقبلي قرطبة (Córdoba)، وهي مدينة طيبة رفيقة بأهلها، جامعة لفوائد البحر والبر، قريبة المنافع من كل وجه؛ لأنها وسطى مدن الساحل، وأقرب مدن الأندلس مجازًا إلى العدوة، وقد سقطت في أيدي النصارى سنة ٧٤٣ هـ/ ١٣٤٢ م على يد ألفونسو الحادي عشر (Alfonso XI)، واستردها المسلمون مرة أخرى سنة ٧٧٠ هـ/ ١٣٦٨ م، وأمر الملك المريني أبو فارس عبد العزيز تدميرها حتى لا يأتيه خطر من جهتها من جانب النصارى. انظر: العذري: نصوص عن الأندلس، ص ١١٧. ابن حيان: المقتبس-تحقيق: د. محمود علي مكي، ص ٢٥٠، حاشية رقم ٤٧. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢/ ١٣٦. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ٧٣-٧٥. ابن الكرديوس: تاريخ الأندلس، ص ٩٠، حاشية رقم ٣.

فَعَرَّضَ[1] بِغَرَضِهِ، فَأَعْرَضَ أَمِيرُ المُسْلِمِينَ عَنِ الجَمِيعِ إِعْرَاضًا، كَانَتْ مُنْيَةُ كُلٍّ مِنْهُمَا[2] التَّخَلُّصَ مِنْ يَدِهِ، وَالرُّجُوعَ إِلَى بَلَدِهِ، فَأَعْمَلَ ابْنُ عَبَّادٍ الحِيلَةَ، [فَاسْتَظْهَرَ عِنْدَ أَمِيرِ المُسْلِمِينَ بِكُتُبٍ زَعَمَ أَنَّهَا وَرَدَتْ عَلَيْهِ مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ فِيهَا أَخْبَارٌ تَحُثُّهُ عَلَى اللَّحَاقِ بِهَا لأَنْبَاءٍ مُهِمَّةٍ طَرَقَتْ بِتَحَرُّكِ العَدُوِّ][3]، وَاسْتَأْذَنَ بِمَا فِي الصُّدُورِ، فَأَخَذَ لَهُ وَلِحَلِيفِهِ ابْنِ مَسْلَمَةَ، فَانْتَهَزَا الفُرْصَةَ، وَابْتَدَرَا الرَّجْعَةَ[4]، وَلَحِقَ كُلٌّ بِمَوْضِعِهِ، يَظُنُّ أَنَّهُ مَلَكَ رِيَاسَةَ أَمْرِهِ"[5].

[مَوْقِفُ الفُقَهَاءِ مِنِ اسْتِعَانَةِ ابْنِ عَبَّادٍ بِالعَدُوِّ النَّصْرَانِيِّ ضِدَّ المُرَابِطِينَ][6]:

[مَآثِرُ المُعْتَمِدِ بنِ عَبَّادٍ وَبَرَاعَتُهُ الأَدَبِيَّةُ وَالشِّعْرِيَّةُ]:

قَالَ ابنُ الصَّيْرَفِيِّ: "المُعْتَمِدُ عَلَى اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ نَسِيجُ وَحْدِهِ فِي الجُودِ، وَأَصْلَبُ نُظَرَائِهِ مَكْسِرُ عُودٍ[7]، فَذٌّ فِي البَلَاغَةِ، طِرْفٌ[1] فِي الشِّعْرِ وَالكِتَابَةِ، بَارِعُ النَّظْمِ

---

(١) في الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم، ٤/ ٢١: "فعرَّض له".

(٢) في الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم، ٤/ ٢١: "كل واحد منهما".

(٣) ما بين الحاصرتين من الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم، ٤/ ٢١، وهو أفضل مما ورد في الإحاطة، وربما وقع لنص الإحاطة بعض السقط أو التصحيف؛ إذ جاء فيها: "فَكَتَبَ- يَزْعُمُ - أَنَّهُ وَرَدَتْ عَلَيْهِ تَحُثُّهُ مِن إِشْبِيلِيَّةَ فِي اللَّحَاقِ أَنْبَاءٌ مُهِمَّةٌ طَرَقَتْ بِتَحَرُّكِ العَدُوِّ". انظر: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٢/ ١١٨-١١٩.

(٤) في الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم، ٤/ ٢١: "الرخصة"؛ لتتوافق في السجع مع كلمة "الفرصة"، ولعلها الأصوب.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٢/ ١١٨-١١٩.

(٦) قَالَ البُرْزُلِيُّ: "وَأَحْفَظُ أَنِّي رَأَيْتُ لابنِ الصَّيْرَفِيِّ فِي دَوْلَةِ لَمْتُونَةَ مِنْ صَنْهَاجَةَ أَنَّ المُعْتَمِدَ بنَ عَبَّادٍ اسْتَعَانَ بِهِمْ فِي حَرْبِ المُرَابِطِينَ، فَنَصَرَهُمُ اللهُ عَلَيْهِ وَغَرَّبَ هُوَ، ثُمَّ نَزَلَ عَلَى حُكْمِ يُوسُفَ بْنِ تَاشُفِينَ أَمِيرِ صَنْهَاجَةَ، فَاسْتَفْتَى فِيهِ الفُقَهَاءَ، فَأَكْثَرُهُمْ أَفْتَى أَنَّهَا رِدَّةٌ، وَقَاضِيهِ - مَعَ بَعْضِ الفُقَهَاءِ - لَمْ يَرَهَا رِدَّةً، وَلَمْ يُبِحْ دَمَهُ، فَأَمْضَى ذَلِكَ مِنْ فَتْوَاهُ، وَأَخَذَ بِالأَيْسَرِ، وَنَقَلَهُ إِلَى أَغْمَاتٍ، وَسَكَّنَهُ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ". انظر: فتاوى البرزلي، ٤/ ٢٢-٢٣. وانظر: العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ٤/ ٢٦.

(٧) عُود صُلب المكسِر: تُعرف جودته بكسره، ويقال: فلانٌ صُلب المكسِر: ثابت لا يعرف الاستسلام، وفلانٌ طيِّبُ المكسِر: حميد الصفات وقيل: إذا كان محمودًا عند الخبرة، وفلانٌ ليِّن المكاسر: سهل القياد.

وَالنَّثْرِ، كَثِيرُ الأَدَبِ، جَزْلُ الأَلْفَاظِ، كَثِيرُ المَعَانِي، [حَسَنُ][2] المَآخِذِ، لَدِنُ مَعَاطِفِ الكَلامِ، رَقِيقُ الحَاشِيَةِ، كَثِيفُ المَتْنِ، كَثِيرُ البَدِيعِ، رَائِقُ الدِّيبَاجَةِ، لائِقُ الاسْتِعَارَةِ، حَسَنُ الإِشَارَةِ، جَمُّ التَّوْلِيدِ، لَمْ يَنْشُدْهُ مِنَ الوُزَرَاءِ وَالشُّعَرَاءِ أَشْعَرُ مِنْهُ، عَلَى كَثْرَةِ مَا اجْتُلِبَ إِلَيْهِ مِنْ أَعْلاقِ الثَّنَاءِ، وَنُثِرَ عَلَيْهِ مِن دُرِّ الحَمْدِ، وَوُضِعَ فِي يَدَيْهِ مِن [حُرِّ][3] القَرِيضِ"[4].

[وَفَاةُ المُعْتَمِدِ بن عَبَّادٍ وَبَعْضُ مَا رُثِيَ بِهِ مِنَ الأَشْعَارِ]:

قَالَ ابنُ الصَّيْرَفِيِّ - [وَخَالَفَ[5] فِي وَفَاةِ المُعْتَمِدِ، فَقَالَ[6]: "كَانَتْ فِي ذِي حِجَّةٍ"[7]] -: "لَمَّا انْفَصَلَ النَّاسُ مِن مُصَلَّى العِيدِ الَّذِي تُوُفِّيَ المُعْتَمِدُ فِي شِهْرِهِ، حَفَّ

---

(1) طِرْفٌ: نجيبٌ بارعٌ.

(2) ما بين الحاصرتين أنسب للسياق، وتتكرر كثيرًا عند وصف الشعراء، وكذا جاءت في مقدمة ديوان المعتمد بن عباد- جمع وتحقيق: د. حامد عبد المجيد ود. أحمد بدوي، ص ٣٥. بينما جاءت في أعمال الأعلام- القسم الثاني، ص ١٥٧: "حُرّ"، ولعله تصحيف.

(3) ما بين الحاصرتين أنسب للسياق، وكذا جاءت في مقدمة ديوان المعتمد بن عباد، ص ٣٥. كما وردت هذه الكلمة في الذخيرة لابن بسام- القسم الثالث- المجلد الثاني، ص ٥٩٠، يقول الشاعر:

وأرهفتُ من حُرِّ القريض مُهَنَّدًا يَسيلَ على إفرِندِهِ رونقُ الصَّقلِ

بينما جاءت في أعمال الأعلام- القسم الثاني، ص ١٥٧: "بِرّ"، ولعله تصحيف.

(4) ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثاني، ص ١٥٧.

(5) في الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم، ٤/ ٢٢: "واختلف".

(6) في الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم، ٤/ ٢٢: "فقيل"، والنص الوارد في الإعلام يشير إلى أن الكلام كله لابن الصَّيْرَفِيّ؛ إذ جاء فيه: قَالَ ابنُ الصَّيْرَفِيِّ: وَاختلف فِي وَفَاةِ المُعْتَمِدِ، فَقِيل: كَانَتْ فِي ذِي الحِجَّةِ، ولما انفصل النَّاسُ......"

(7) يتفق المؤرخون على أن وفاة المعتمد بن عباد كانت في شهر ربيع الأول سنة ثمانٍ وثمانين وأربعمائة. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ٢/ ١١٩. ابن الأبار: الحلة السيراء، ٢/ ٥٥. لكن رغم انتقاد ابن الخطيب للشهر الذي حدده ابن الصَّيْرَفِيّ لوفاة المعتمد بن عباد، وأنه يراه مخالفًا لكلام المؤرخين، إلا أن ابن الخطيب نفسه في موضع آخر- في كتابه أعمال الأعلام (القسم الأندلسي)- يجعل وفاة المعتمد في ذي الحجة، يقول في الكتاب المشار إليه: "وكانت وفاته بأغمات في ذي الحجة من عام ٤٨٨ هـ. انظر: أعمال الأعلام- القسم الثاني، ص ١٦٤. بينما يذكر ابن خلكان أن

بِقَبْرِهِ مَلأٌ مِنَ النَّاسِ، يَتَوَجَّعُونَ لَهُ، وَيَتَرَحَّمُونَ عَلَيْهِ، وَأَقْبَلَ شَاعِرُهُ ابْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ[3] فِي جُمْلَتِهِمْ، وَقَدْ اتَّفَقَ حُضُورُهُ يَوْمَئِذٍ لِيَغْضِ شَأْنِهِ، فَوَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ وَأَنْشَدَ[4]:

[بحر الكامل]

مَـلِكُ المُلُـوكِ أَسَامِـعٌ فَأُنَـادِي ... أَمْ قَدْ عَدَتْكَ عَنِ السَّمَاعِ عَوَادِ؟

لَمَّا خَلَتْ مِنْكَ القُصُورُ[5] فَلَمْ تَكُـنْ ... فِيهَا كَمَا قَـدْ كُنْـتَ فِي الأَعْيَادِ

وفاته كانت في شوال، أو في ذي الحجة، يقول عن المعتمد: "وتوفي في السجن بأغمات لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال- وقيل: في ذي الحجة - سنة ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م). انظر: وفيات الأعيان، ٥/ ٣٧.

(١) ما بين الحاصرتين من كلام ابن الخطيب في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٢/ ١٢٠، وقد اعتمدنا هنا على النص الوارد في أعمال الأعلام- القسم الثاني، ص ١٦٥، لأنه أكمل من نظيره الوارد في الإحاطة.

(٢) جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٢/ ١٢٠: "صلاة".

(٣) هو أبو بحر يوسف بن أبي القاسم خلف بن أحمد بن عبد الصمد، جده الأول كان السمح بن مالك الخولاني أحد أمراء الأندلس قبل دخول بني أمية إليها، وكان أبوه أبو القاسم خلف متولي الخزانة في المرية زمن زهير وخيران العامريين، ثم في دولة المنصور بن أبي عامر جدهما، إلى أن توفي في دولة ابن صمادح سنة ٤٤٨ هـ/ ١٠٥٦ م، وظل بنوه وقرابته ملازمين لأمراء المرية، فنشأ أبو بحر في أجواء الأدب والبلاغة، حتى صار شاعرًا كبيرًا وأديبًا متميزًا، حسن النظم والنثر، حاضر البديهة، وكان من الشعراء المختصين بالمعتمد بن عباد والملازمين له والمقربين منه؛ لذا كان من أكثرهم تأثرًا لوفاته وحزنًا عليه، ولم تذكر لنا المصادر تاريخ وفاته. انظر في ترجمته: ابن بسام: الذخيرة، القسم الثالث- المجلد الثاني، ص ٨٠٩-٨١٠. ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلى المغرب، ٢/ ٢٠٣. ابن خاقان: قلائد العقيان- تحقيق: حسين يوسف خريوش، ١/ ١٠٦-١٠٨، وقد سماه: أبو بكر بحر بن عبد الصمد. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ١٧/ ٣٣٦، الترجمة رقم ٤٥٤.

(٤) يذكر ابن خاقان في قلائد العقيان كلامًا قريبًا من هذا، حيث يقول عن المعتمد وشاعره ابن عبد الصمد المذكور: "وبعد أيام من وفاته وافى أبو بكر بحر بن عبد الصمد شاعره المتصل به، المتوصل إلى المنى بسببه، فلما كان يوم العيد، وانتشر الناس ضحًى، وظهر كل متوارٍ وضحى، قام على قبره عند انفصالهم من مصلاهم، واختيالهم بزينتهم وحلاهم، وقال بعد أن طاف بقبره والتزمه، وخرَّ على تُربه ولثمه...". ابن خاقان: قلائد العقيان- تحقيق: حسين يوسف خريوش، ص ١٠٦-١٠٧.

(٥) في وفيات الأعيان، ٥/ ٣٧: "لمَّا نُقِلْتَ عن القصور".

أَقبَلتُ[1] فِي هَذَا الثَّرَى لَكَ خَاضِعًا وَتَخِذْتُ[2] قَبْرَكَ مَوْضِعَ الإِنْشَادِ[3]

ثُمَّ خَرَّ يَبْكِي وَيُعَفِّرُ وَجْهَهُ فِي تُرَابِ قَبْرِهِ، قال [ابنُ الصَّيْرَفِيِّ][4]: فَبَكَى ذَلِكَ المَلأُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَلابِسَهُمْ، وَارْتَفَعَ نَشِيجُهُمْ وَعَوِيلُهُمْ، [عَامَّةَ][5] النَّهَارِ، فَلِلَّهِ دَرُّ ابْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ، وَمَلأِ[6] ذَلِكَ البَلَدِ"[7].

[ذِكْرُ مُدَّةِ بَنِي صُمَادِحِ الأُمَرَاءِ بِالمَرِيَّةِ]:

قَالُوا: "كَانَ جَدُّهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صُمَادِحِ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ[8] بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ المُهَاجِرِ بْنِ عَمِيرَةِ بْنِ شُرَيْحِ بْنِ حَرْمَلَةَ بْنِ تَمِيمِ بْنِ

---

(١) وردت في قلائد العقيان لابن خاقان، ١/ ١٠٧، وفي نفح الطيب للمقري، ٤/ ٢٥٩: "قَبَّلْتُ".

(٢) أورد المقري هذه الكلمة مرتين في نفح الطيب، مرة بالصيغة الموجودة في المتن أعلاه، ٤/ ٢٢٤، ومرة أخرى أوردها بصيغة: "وَجَعَلْتُ". انظر: نفح الطيب، ٤/ ٢٥٩.

(٣) أورد ابن الخطيب بقية هذا الرثاء فيما يزيد عن مائة بيت. انظر: أعمال الأعلام- القسم الثاني، ص ١٦٥-١٧٠، وأورد منها ابن خاقان خمسة عشر بيتًا. انظر: قلائد العقيان، ١/ ١٠٧-١٠٨.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من عندي للتوضيح.

(٥) ما بين الحاصرتين يقتضيها المعنى والسياق، بينما جاءت في أعمال الأعلام- القسم الثاني، ص ١٦٥: "ومتع" بالتاء أو "ومنع" بالنون، ولا أرى لها توجيهًا بالصيغتين. وربما يرجح اللفظة التي اخترناها كلام ابن خاقان في قلائد العقيان، حيث يقول عن بكاء الناس حول قبر المعتمد ببكاء شاعره ابن عبد الصمد: "فانحشر الناس إليه وانحفلوا، وبكوا لبكائه وأعولوا، وأقاموا أكثر نهارهم مطيفين به طواف الحجيج، مديمين للبكاء والعجيج، ثم انصرفوا وقد نزفوا ماء عيونهم، وأقرحوا مآقيهم بفيض شئونهم...". ابن خاقان: قلائد العقيان: تحقيق: حسين يوسف خريوش، ص ١٠٨.

(٦) جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٢/ ١٢٠: "وَمَلاذِ"، وهو تصحيف ظاهر.

(٧) ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثاني، ص ١٦٥.

(٨) جعل ابنُ الصَّيْرَفِيِّ (صُمَادِح) امرأةً ينتسبُ إليها بنو صُمَادِح كما يظهر من سلسلة النَّسب، بينما جعله ابنُ حزم رجلاً؛ إذ قال: "ولعبد العزيز بن عبد الرحمن الأكبر أخٌ اسمه صُمادِح، أظن بني صُمَادِح يخرجون إليه". انظر: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٣١.

الْمُخَضَّبِ[1] بْنِ شَبِيبِ بْنِ الدَّعَّانِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَشْرَسٍ، الْوَاقِعِ وَالِدُهُ عَلَى تُجِيبٍ[2]، عُرِفُوا بِأُمِّهِمْ، كَذَا أَثْبَتَ نَسَبَهُمْ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ"[3].

[الْفَقِيهُ أَبُو الأَصْبَغِ عِيسَى بْنُ سَهْلٍ الأَسَدِيُّ]:

قَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ: "كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ وَالتَّفَهُّمِ[4]، بَرَزَ فِي الْعِلْمِ وَالْوَرَعِ وَصِحَّةِ الدِّينِ[5] وَكَثْرَةِ الْجُودِ مَعَ قِلَّةِ [الْمَوْجُودِ][6]، بَارِعَ الْخَطِّ، فَصِيحَ الْكِتَابَةِ، حَاضِرَ الذِّهْنِ، سَرِيعَ الْخَاطِرِ، لَهُ قَرِيضٌ جَزْلٌ وَهِمَّةٌ فِي اقْتِنَاءِ الْكُتُبِ، وَهَيْبَةٌ، وَكَانَ مِنْ تَقَدُّمِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُلُكِّين بْنِ بَادِيس بْنِ حَبُّوس، قَدَّمَهُ [عَلَى قَضَاءِ غَرْنَاطَةَ][7] عِنْدَ صُدُورِهِ مِنَ الزَّلَّاقَةِ [.......][8] وَالأَمِيرُ أَبُو يَعْقُوب [يُوسُفُ][1] بْنُ تَاشُفِين عَامِلهُ [.......][2] إِلَى أَنْ طُولِبَ عِنْدَهُ بِسَبَبِ شِدَّةِ الأَحْكَامِ، فَصَرَفَهُ"[3].

---

(١) جاءت في جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص ٤٣٠: "المخصف"، وتكررت كثيرًا، ولعلها الصحيحة.

(٢) ذكر ابن حزم أن "تُجيب" امرأةٌ عُرف بنو صُمادح بها، فنُسبوا إليها، وهي تُجيبُ بنتُ ثوبان بن سُلَيم بن رُهَاء، من مَذْحِج، وهي أم عَدِيّ وسعد ابني أشْرَس بن شَبِيب بن السَّكون بن أشْرَس بن كِنْدَة. جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢٩. وانظر: المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية، ص ٣٤. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٤/ ٤٣١.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام-القسم الثاني، ص ١٨٩. وبعد هذا النص قَالَ ابْنُ الْخَطِيبِ: "وَثَبَتَ فِي كِتَابِ الْمُغْرِبِ اسْمُ جَدِّهِمْ أَبَا يَحْيَى بْنَ أَحْمَدَ بْنِ صُمَادِحٍ، فَيَظْهَرُ أَنَّ هَذِهِ الأَسْمَاءَ الثَّلَاثَةَ مُتَأَخِّرَةٌ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ هَذَا الَّذِي ذَكَرَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ وَمُتَّصِلَةٌ بِهِ".

(٤) جاءت في الديباج المذهب، ٢/ ٧٢: "والتفنن في العلم".

(٥) جاءت في الديباج المذهب، ٢/ ٧٢: "مع الخير والورع وصحة الدين".

(٦) ما بين الحاصرتين يقتضيها المعنى والسياق، بينما جاءت في: الإحاطة في أخبار غرناطة: نصوص جديدة لم تنشر- تحقيق: عبد السلام شقور- كلية الآداب- تطوان- المغرب، ١٩٨٨ م، ص ٢٦٦: "الوجود".

(٧) ما بين الحاصرتين زيادة يقتضيها السياق، بينما جاءت في (الإحاطة في أخبار غرناطة: نصوص جديدة لم تنشر، ص ٢٦٦) بياض.

(٨) بياض في نص (الإحاطة في أخبار غرناطة: نصوص جديدة لم تنشر، ص ٢٦٦)، ويبدو أنه كان يتكلم عن تقديم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل على قضاء غرناطة.

[وَفَاتُهُ][4]: قَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ: "تُوُفِّيَ الْقَاضِي عِيسَى بْنُ عَبْدِ اللهِ بِغَرْنَاطَةَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِعَشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَدُفِنَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ[5] بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ، بِمَقْبَرَةِ بَابِ إِلْبِيرَة، وَكَانَتْ جِنَازَتُهُ مَشْهُورَةً[6]، حَضَرَهَا أَهْلُ الْحَاضِرَةِ، وَجُلُّ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، وَلَمْ [يُعْتَدْ][7] مِثْلُ خَلْقِهَا"[8].

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة منه عندي للتوضيح.

(٢) بياض في نص (الإحاطة في أخبار غرناطة: نصوص جديدة لم تنشر، ص ٢٦٦)، ويبدو أنه كان يتكلم عن صفات القاضي ابن سهل وطريقته في القضاء إلى أن عُزل عنه، وجاء في الديباج المذهب لابن فرحون -نقلاً عن ابن الصَّيْرَفِيِّ-: "ولم يزل يتردد في القضاء، وفي أيام أبي يعقوب [يوسف بن] تاشفين رُفِعَ إليه شلته في القضاء فصرفه". انظر: ابن فرحون: الديباج المذهب، ٢/ ٧٢.

(٣) الإحاطة في أخبار غرناطة: نصوص جديدة لم تنشر، ص ٢٦٥-٢٦٦. وانظر: الديباج المذهب لابن فرحون، ٢/ ٧٢. وفي ملحق ترتيب المدارك: "قال عياض:..... وولي قضاء طنجة ومكناسة، ثم رجع إلى الأندلس فولي قضاء غرناطة إلى أن دخلها المرابطون، فبقي يسيرًا، ثم عُفي منها، وبقي بغرناطة إلى أن توفي سنة نيف وثمانين". انظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض، ٨/ ١٨٣.

(٤) ما بين الحاصرتين - غالبًا - من وضع ابن الخطيب؛ إذ اعتاد في ترتيب تراجمه على وضع عناوين جانبية لتوضيح جوانب شخصية المترجم له، إلا أن يكون قد نقل الترجمة كاملة بعناوينها الجانبية من كلام ابن الصَّيْرَفِيِّ، لكن ليس لدينا ما يحسم هذه المسألة.

(٥) جاء عند ابن بشكوال في الصلة ما يخالف ذلك في اليوم والشهر، حيث قال: "وتوفي .... يوم الجمعة، ودُفِنَ يوم السبت الخامس من المحرم سنة ست وثمانين وأربعمائة". انظر: ابن بشكوال: الصلة- تحقيق: بشار عواد معروف، ٢/ ٥٧.

(٦) ربما كانت (مَشْهُودَةً) بالدال، وهي أولى بالسياق، وجملة (وَلَمْ يُعْتَدْ مِثْلُ خَلْقِهَا) ترجح ذلك.

(٧) ما بين الحاصرتين يقتضيها السياق والمعنى، وجاءت في الأصل، ص ٢٦٧: "يعتمد"، وقال المحقق في حاشية رقم ٤٣ من الصفحة نفسها: "جملة لم نهتد لقراءتها"، وأنا أرجح أن الفعل (يعتمد) دخله تصحيف بزيادة الميم، والصواب ما وضعناه في المتن (يُعْتَدْ)، والمعنى: لم يكن من المعتاد أن يَرى الناسُ مثل هذه الحشود في جِنَازة من الجِنَازات.

(٨) الإحاطة في أخبار غرناطة: نصوص جديدة لم تنشر، ص ٢٦٦-٢٦٧.

[الشَّاعِرُ وَالْفَقِيهُ عَبْدُ اللهِ بنُ فَرَجِ بنِ غَزْلُون الْيَحْصُبِيّ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْعَسَّالِ][1]:

قَالَ ابنُ الصَّيْرَفِيّ: "كَانَ رَحِمَهُ اللهُ فَذًّا فِي وَقْتِهِ، غَرِيبَ الجُودِ، طِرْفًا فِي الخَيْرِ وَالزُّهْدِ وَالْوَرَعِ، لَهُ فِي كُلِّ جَوٍّ مُتَنَفَّسٍ، يَضْرِبُ فِي كُلِّ عِلْمٍ بِسَهْمٍ، وَلَهُ فِي الْوَعْظِ تَوَالِيفُ كَثِيرَةٌ، وَأَشْعَارُهُ فِي الزُّهْدِ مَشْهُورَةٌ، جَارِيَةٌ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ، أَكْثَرُهَا كَالأَمْثَالِ، جَيِّدَةُ الرَّصْعَةِ[2]، صَحِيحَةُ المَبَانِي وَالمَعَانِي، وَكَانَ يُحَلِّقُ فِي الفِقْهِ[3]، وَيَجْلِسُ لِلْوَعْظِ"[4].

[عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَسْبَاطٍ كَاتِبُ أَمِيرِ المُسْلِمِينَ يُوسُفَ بْنِ تَاشُفِينَ]:

[حَالُهُ][5]: لَحِقَ بِهِ [أَيْ: بِأَمِيرِ المُسْلِمِينَ يُوسُفَ][6] بِالْعُدْوَةِ، فَاتَّصَلَ بِخِدْمَتِهِ، وَأَغْرَاهُ بِالأَنْدَلُسِ، إِذْ أَلْقَى إِلَيْهِ أُمُورَهَا عَلَى صُورَتِهَا، حَتَّى كَانَ مَا قَرَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنِ اسْتِيلاَئِهِ عَلَى مَمَالِكِهَا، وَخَلْعِهِ لِرُؤَسَائِهَا، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَبْلَ اتِّصَالِهِ بِهِ مَقْدُورًا عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ، يَتَحَرَّفُ بِالنَّسْخِ، وَلَمْ يَكُنْ حَسَنَ الخَطِّ، وَلاَ مُعْرِبَ اللَّفْظِ، إِلَى أَنْ تَسَيَّرَ لِلْكِتَابَةِ فِي بَابِ الدِّيوَانِ بِالمَرِيَّةِ[7]، وَرَأَى خِلاَلَ ذَلِكَ فِي نَوْمِهِ شَخْصًا يُوقِظُهُ وَيَقُولُ لَهُ: قُمْ يَا

---

(١) توفي-رحمه الله-يوم الإثنين لعشر خلون من رمضان سنة ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م، وقد نيّف على الثمانين.

(٢) التَّرْصِيعُ: نوع من أنواع البديع، وهو أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان متفقة الأعجاز، وتَرْصِيعُ الكَلاَمِ: تَوَازُنُ أَلْفَاظِهِ وَاتِّفَاقُ فَوَاصِلِهِ وَأَوْزَانِهِ، وقالوا: الترصيع: اتفاق جملتين أو أكثر في عدد الكلمات مع اتفاق كل كلمة مع ما يقابلها في الوزن وفي الحرف الأخير.

(٣) أي يعقد حلقات تعليمية يدرِّس فيها الفقه.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٤٦٣.

(٥) ما بين الحاصرتين لعلها من وضع ابن الخطيب.

(٦) ما بين الحاصرتين زيادة من عندي للتوضيح.

(٧) المرية (Almería): مدينة كبيرة من كورة إلبيرة (Elvira) من أعمال الأندلس، محدثة البناء نسبيًّا؛ إذ بناها عبد الرحمن الناصر سنة ٣٤٤ هـ/ ٩٥٥ م، فصارت قاعدة أسطول الأندلس، وكانت من أشهر مراسي الأندلس وأعمرها، ومن أجل أمصارها وأشهرها، تبعد عن بَجّانة (Pechina) بنحو ١٠ كلم، وكانت مجرد فرضة ومرأى ومحرس لبَجّانة لا تقوم بها تجمعات سكانية حتى بناها الناصر فازدهرت واشْتُهِرَت بالعديد من الصناعات المختلفة، وظلت من أهم

صَاحِبَ رُبْعِ الدُّنْيَا. وَقَصَّ رُؤْيَاهُ عَلَى صَاحِبٍ لَهُ بِمَثْوَاهُ، فَبَشَّرَهُ، فَطَلَبَ مِنْ ذَلِكَ الْحِينِ السُّمُوَّ بِنَفْسِهِ، فَأَجَازَ الْبَحْرَ، وَتَعَلَّقَ بِحَاشِيَةِ الْحُرَّةِ الْعلْيَا زَيْنَبَ[1]، فَاسْتَكْتَبَتْهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَتِ الْحُرَّةُ، أَقَرَّهُ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ كَاتِبًا، فَنَالَ مَا شَاءَ، مِمَّا تَرْتَمِي إِلَيْهِ الْهِمَمُ جَاهًا وَمَالاً وَشُهْرَةً، وَكَانَ رَجُلاً حَصِيفًا، سَكُوتًا، عَاقِلاً، مُجْدِيَ الْجَاهِ، حَسَنَ الْوَسَاطَةِ، شَهِيرَ الْمَكَانَةِ، تُوُفِّيَ فَجْأَةً بِمَدِينَةِ سَبْتَةَ[2] فِي عَامِ سَبْعَةٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَتَقَلَّدَ الْكِتَابَةَ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْقَصِيرَةِ[3]، ذَكَرَهُ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ[4].

[وَفَاةُ مُؤَمَّلٍ مَوْلَى بَادِيسِ بنِ حَبُّوسٍ سَنَةَ ٤٩٢ هـ/ ١٠٩٨ م]:

قَالَ ابنُ الصَّيْرَفِيِّ: "وَفِي رَبِيعِ الأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْعَامِ، وَهُوَ عَامُ اثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، تُوُفِّيَ بِغَرْنَاطَةَ مُؤَمَّلٌ مَوْلَى بَادِيسِ بنِ حَبُّوسٍ، عَبْدُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَجَابِي مُسْتَخْلَصِهِ، وَكَانَ لَهُ دَهَاءٌ وَصَبْرٌ، وَلَمْ يَكُنْ بِقَارِئٍ وَلاَ كَاتِبٍ، رَزَقَهُ اللهُ عِنْدَ أَمِيرِ

ثغور الأندلس الجنوبية في العهد الإسلامي إلى أن سقطت في أيدي الملكين الكاثوليكيين فرناندو وإيزابيلا سنة ٨٩٥ هـ/ فبراير سنة ١٤٩٠ م. انظر: العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٨٦. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٥/ ١١٩-١٢٠. ذكر بلاد الأندلس لمؤلف مجهول، ص ٧٧. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٦٢-٥٦٣، ٥٦٦. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٣-١٨٤. أ. عنان: الآثار الأندلسية الباقية، ص ٢٦٥-٢٦٦.

(١) هي زينب بنت إسحاق النفزاوية، زوجة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وكانت من قبل زوجة لابن عمه أبي بكر بن عمر اللمتوني، فطلقها ونزل لابن عمه يوسف عنها حين قرر الخروج إلى الغزو في الصحراء حتى لا تشاطره حياة القفر الخشنة وظروف الصحراء الصعبة، وكانت زينب من أجمل نساء عصرها وأذكاهن.

(٢) سبتة (Ceuta): تقع في أقصى الشمال الغربي للمملكة المغربية، وتحتل موقعًا استراتيجيًا بالغ الأهمية والتميز، فهي شبه جزيرة مطلة على حوض البحر الأبيض المتوسّط، وعلى بوغاز جبل طارق، يُحيطُ بها الماء من الجهات الثلاث: الشّمالية، والشّرقية، والجنوبيّة، ولا يَفصِلها عن السّواحل الأندلسيّة سوى (٢٦ كلم٢)، وهذا الوضع الجغرافي جعل اتجاهها واتصالها بالأندلس قويًّا على مر العصور؛ لذا نجدها دائمًا تمتاز بالطابع الأندلسي في مظهرها وثقافاتها. انظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٥٣. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٣/ ٣. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٢٨. صفة المغرب، ص ١٦٧-١٦٨.

(٣) ترجم ابنُ الصَّيْرَفِيِّ لابن القصيرة وأثنى عليه ثناءً كبيرًا كما سيأتي معنا.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٥٢٣-٥٢٤.

الْمُسْلِمِينَ أَيَّامَ حَيَاتِهِ مَنْزِلَةً لَطِيفَةً، وَدَرَجَةً رَفِيعَةً، وَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى الْمَنِيَّةِ أَحْضَرَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ مَالِ الْمُسْتَخْلَصِ، وَأَشْهَدَ الْحَاضِرِينَ عَلَى دَفْعِهِ إِلَى مَنِ اسْتَوْثَقَهُ عَلَى حَمْلِهِ، ثُمَّ أَبْرَأَ جَمِيعَ عُمَّالِهِ وَكُتَّابِهِ، وَأَنْفَذَ رَجُلاً مِنْ صَنَائِعِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ بِجُمْلَةٍ مِنْ مَالِ نَفْسِهِ، يُرِيهِ أَنَّ ذَلِكَ جَمِيع مَا اكْتَسَبَهُ فِي دَوْلَتِهِ أَيَّامَ خِدْمَتِهِ، وَأَنَّ بَيْتَ الْمَالِ أَوْلَى بِهِ، وَرَغِبَ فِي سِتْرِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، فَلَمَّا وَصَلَ [ذَلِكَ][1] إِلَيْهِ أَظْهَرَ الأَسَفَ عَلَيْهِ، وَأَمْضَى تَقْدِيمَ صَنِيعَتِهِ"، [ثُمَّ ذَكَرَ مَا كَشَفَ الْبَحْثُ عَنْهُ مِن مُحْتَجَنِهِ، وَشَقَاءِ مَنْ خَلَفَهُ بِسَبَبِهِ، وَعَدَّدَ مَالاً وَذَخِيرَةً][2]"[3].

[هَدْمُ كَنِيسَةِ النَّصَارَى الْمُعَاهَدِينَ بِغَرْنَاطَةَ سَنَةَ ٤٩٢ هـ/ ١٠٩٨ م][4]:

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من منتخبات عن كتاب الإحاطة (ضمن ملاحق مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان)، ص ٢١٤.

(٢) أرى أن ما بين الحاصرتين من كلام ابن الخطيب يختصر به بعض كلام ابن الصَّيْرَفِيّ؛ إذ إن صياغته تختلف عن صياغة النص الوارد على لسان ابن الصَّيْرَفِيّ.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٣٣٣.

(٤) حدَّد ابنُ الخطيب في الإحاطة مكان هذه الكنيسة، بأنها كانت بخارج الحضرة (غرناطة) على غلوتين تجاه باب إلبيرة (أحد أبواب غرناطة الرئيسة) في اعتراض الطريق إلى قولجر (هي الآن قرية تسمى Cuejar sierra لا تبعد كثيرًا عن غرناطة، وتقع في الشرق منها في اتجاه باب إلبيرة)، وقد اتخذها لهم أحد الزعماء من أهل دينهم، كما وصفها أيضًا بأنها كانت فريدة في العمارة والحِلْيَة، فأمر يوسف بن تاشفين بهدمها؛ لتأكد رغبة الفقهاء وتوجه فتواهم بذلك.

ورغم أن أحكام ابن سهل (ت ٤٨٦ هـ/ ١٠٩٣ م) قاضي المرابطين على غرناطة تضمنت فتوى تبيح هدم الكنائس، وعدم السماح بإنشاء كنائس جديدة في مدائن المسلمين؛ لأن الفقهاء اعتبروا أراضي الأندلس التي أقام فيها النصارى أراضٍ عنوية إلا أن هذه الفتوى ومثيلاتها لابد أن توضع في مكانها الصحيح عندما ننظر بعمق إلى النسق العام الذي صارت عليه علاقة الدولة المرابطية مع نصارى الأندلس؛ لأن كثيرًا من الأدلة التاريخية والنوازلية تشير إلى تسامح المرابطين مع هؤلاء النصارى، وبخاصة على المستويين الدينيّ والاجتماعيّ، لذلك فإن حادثة هدم هذه الكنيسة تبدو حدثًا استثنائيًا له ظروفه الخاصة، وتخرج عن السياسة العامة للمرابطين تجاه النصارى في الأندلس، ويبدو أن هناك عدة عوامل تقف وراء عملية الهدم، منها أنها كانت تشي- كما يبدو من عبارات ابن الخطيب- بتطاول النصارى المعاهدين في ذلك الوقت، كما يبدو أنها كانت تُستخدم كمركزٍ للتجسس على المرابطين وتحركاتهم، ومكانٍ لتجمع القوات العسكرية النصرانية، وبالتالي فقد باتت- في ظل هذه المعطيات- تشكل خطرًا كبيرًا على المرابطين وأهل

قَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ: "خَرَجَ أَهْلُ الحَضْرَةِ لِهَدْمِهَا يَوْمَ الإِثْنَيْنِ عَقِبَ جُمَادَى الآخِرَةِ مِنْ عَامِ اثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، فَصُيِّرَتْ لِلْوَقْتِ قَاعًا، وَذَهَبَتْ كُلُّ يَدٍ بِمَا أَخَذَتْ مِنْ أَنْقَاضِهَا وَآلاتِهَا"(1).

[ذِكْرُ فَتْحِ بَلَنْسِيَةَ وَعَوْدِهَا لِلْمُسْلِمِينَ سَنَةَ ٤٩٥ هـ/ ١١٠٢ م]:

قَالَ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بنُ مُحَمَّدٍ الأَنْصَارِيُّ: "أَخْبَرَنِي أَبُو عَبْدِ الله البُونِيُّ قَالَ: لَمَّا لَحِقَ الأَمِيرُ مَزْدَلِيٌّ [......](2)، صَدْرَ ذِي القِعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ الفَارِطَةِ نَزَلَ بِمَقْرُبَةٍ مِنْهَا كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَكَانَ الرُّومُ الَّذِينَ بِالمَدِينَةِ قَدِ اسْتَصْرَخُوا مَلِكَهُمُ الأَكْبَرَ أَذْفُونْش، فَتَحَرَّكَ إِلَيْهَا بِجَيْشٍ أَخْشَنَ، فَلَمَّا كَانَ عَلَى فَرْسَخَيْنِ مِنْهَا أَفْرَجَ الأَمِيرُ مَزْدَلِيٌّ عَنْهَا، وَصَارَ بِمَحَلَّتِهِ إِلَى

الأندلس المسلمين؛ لذا صدرت فتوى الفقهاء بوجوب هدمها، وكان من الطبيعي أن يستجيب يوسف بن تاشفين لهذه الفتوى؛ تحقيقًا للمصلحة العامة للمسلمين في الأندلس.

(1) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٠٨. وقد ظلت أطلال هذه الكنيسة موجودة إلى زمان ابن الخطيب، حيث قال عنها: "ومكانها اليوم مشهور، وجدارها ماثل، ينبوع عن إحكام وأصالة، وعلى بعضها مقبرة شهيرة لابن سهل بن مالك رحمه الله". الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٠٨.

(2) هنا سقطٌ في المطبوع من البيان المغرب، وغالبًا فإن هذا السقط هو اسم المكان الذي وصل إليه القائدُ مَزْدَلِيٌّ، أما الأمير مَزْدَلِيٌّ، فهو مَزْدَلِيٌّ بن تيولتكان بن الحسن بن محمد بن ترقوت (تُرْجُوت)، يكنى أبا محمد، أحد أركان الدولة اللمتونية والعصبة الصنهاجية، والذراع اليمنى لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وهو من قرابته لالتقائهما في الجدّ (تُرْجُوت)، وكان مَزْدَلِيٌّ أحدَ القادة العسكريين البارزين في الدولة المرابطية، اشْتُهِر بالشجاعة والقوة وحسن التدبير وحكمة الرأي، فكان- كما يقول ابنُ الخطيب-: "بطلاً ثبتًا، بُهمة من البُهَم، بعيد الصِّيت، عظيم الجَلَد، شهير الذِّكر، أصيل الرأي، مُستحكم الحُنْكَة، طال عمره، وحُمِدت مواقعه، وبَعُدت غاراته، وعَظُمَت في العدو وقائعه، وشُكرت عن سلطانه نيابته". ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٢٧٤. وتتفق المصادرُ على أن من أعظم أعماله استرجاعه لمدينة بلنسية من أيدي جنود قشتالة سنة ٤٩٥ هـ/ ١١٠٢ م، وسيأتي معنا ترجمة ابن الصيرفي لهذا القائد المرابطيّ الكبير.

قُلْيِرَة[1]، فَأَقَامَ الأُذْفُونْش بِبَلَنْسِيَة[2] نَحْوَ شَهْرٍ، وَالرُّومُ تَرُومُهُ عَلَى التَّمَسُّكِ بِهَا وَيُرَغِّبُونَهُ فِيهَا وَيُهَوِّنُونَ عَلَيْهِ أَمْرَ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا أَلَحُّوا عَلَيْهِ خَرَجَ بِجُيُوشِهِ لِقَصْدِ قُلْيِرَة وَهُوَ يُظْهِرُ الْقَصْدَ لأَكْلِ الزَّرْعِ وَفَسَادِهِ- يَسْتُرُ اسْتِطْلاعَ جَيْشِ الأَمِيرِ مَزْدَلِيٍّ فِي بَاطِنِ أَمْرِهِ- فَتَحَرَّكَ الأَمِيرُ مَزْدَلِيٌّ لَمَّا اتَّصَلَ بِهِ ذَلِكَ مِنْ هُنَالِكَ، وَكَتَّبَ الْكَتَائِبَ، وَعَبَّأَ الْمَوَاكِبَ فِي وَجْهِ الأُذْفُونْشِ، فَظَهَرَ لأُذْفُونْش مِنْ عَزْمِهِ وَصَرَامَتِهِ وَقُوَّةِ جَأْشِهِ مَا ظَهَرَ، فَكَانَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مُكَافَحَةٌ عَظِيمَةٌ عَامَّةَ النَّهَارِ، وَعِنْدَ الْمَغْرِبِ أَخَذَ الأُذْفُونْشُ فِي الصَّدَرِ إِلَى بَلَنْسِيَة، وَجَدَّ فِي إِخْلائِهَا، وَخَرَجَ بِجَمِيعِ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الرُّومِ، وَأُضْرِمَتِ النَّارُ فِي الْجَامِعِ وَالْقَصْرِ وَبَعْضِ الدُّورِ، وَصَدَرَ الأَمِيرُ مَزْدَلِيٌّ إِلَى بَلَنْسِيَة فِي شَهْرِ رَجَبٍ، فَأَنْقَذَ اللهُ بَلَنْسِيَة مِنْ يَدِ الشِّرْكِ وَمُلْكَةِ الرُّومِ، وَطَهَّرَهَا وَصَرَفَ إِلَيْهَا نُورَ الإِسْلامِ وَدِينَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَعْوَامٍ وَشَهْرٍ وَنِصْفٍ، وَبَعْدَ نُفُوذِ

---

(١) ذكرها ابن عذارى باسم (قلبيرة)، وهو تصحيف أو خطأ من الناسخ، وهذه المدينة تعرف باسم قليرة Cullera، وهي ثغر صغير- وقيل: قرية أو حصن- يقع على ساحل البحر المتوسط إلى الجنوب من بلنسية.

(٢) بلنسية (Valencia): مدينة كبيرة من المدن الأندلسية، تقع في شرقي الأندلس قرب ساحل البحر الأبيض المتوسط على بُعد ٤ كم منه، وتحدها طليطلة (Toledo) من الغرب، وطرطوشة (Tortosa) من الشمال، ومرسية (Murcia) من الجنوب، وهي شرقي قرطبة (Córdoba)، وشرقي تدمير (Tudmir / Teodmiro)، وكانت تمثل قاعدة مهمة من قواعد الأندلس خلال الحكم الإسلامي؛ إذ تتبعها عدة مدن وأقاليم وقرى وحصون، وهي مخصوصة بخصوبة التربة وكثرة الأنهار والجنان والمحاصيل والأزهار، وتتميز بصناعة النسيج وحركة التجارة الواسعة، وقد سقطت نهائيًا في أيدي النصارى على يد خايمي الثاني (Jaime II) ملك أراغون (Aragón) سنة ٦٣٦ هـ/ ١٢٣٨ م. انظر: البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص ١٢٧. العذري: نصوص عن الأندلس، ص ١٧-٢٠. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٨٤، حاشية رقم ٢. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٤٩٠.

الْقَدَرِ السَّابِقِ فِي عِلْمِ اللهِ تَعَالَى [......][1]، وَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ بِهَا، جَعَلَ اللهُ ذَلِكَ تَمْحِيصًا لَهُمْ وَتَطْهِيرًا بِعِزَّتِهِ"[2].

"وَوَلِيَهَا فِي هَلِّ ذِي الْحِجَّةِ الْقَائِدُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بنُ فَاطِمَةَ[3]، ثُمَّ اسْتَنَابَ فِيهَا وَنَهَضَ إِلَى سَرَقُسْطَةَ[4]، فَوَافَاهَا ثَانِي عِيدِ النَّحْرِ مَعَ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ، وَذَلِكَ لَمَّا وَصَلَ وَلَدُ ابْنِ هُودٍ مِنَ الْعُدْوَةِ بِكِتَابٍ مِنْ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ، وَبَعْدَ وُصُولِ هَذَا الْكِتَابِ تَوَجَّهَ الْقَائِدُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بنُ فَاطِمَةَ إِلَيْهَا بِجَيْشٍ كَثِيفٍ مِنْ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ، فَوَافَاهُ ثَانِي عِيدِ النَّحْرِ مِنَ السَّنَةِ الْمُؤَرَّخَةِ"[5].

---

(١) هنا سقط في المطبوع من البيان المغرب، ويظهر من السياق أن ابن الصَّيْرَفِيّ في هذا السقط يصف ما نزل بأهل بلنسية من ألوان المحن والبلاء في هذا النكبة العظيمة والمحنة الأليمة، ويُعَدِّد مَن لقي حتفه من أهلها خلال الحصار الشديد الذي ضربه النصارى على هذه المدينة التليدة.

(٢) البيان المغرب، ٤/ ٤١-٤٢.

(٣) أبو محمد عبد الله بن محمد بن فاطمة من أعظم قواد المرابطين، وأشهر رجالاتهم في الأندلس، اشترك في الحملة- المذكورة أعلاه- التي استنقذ المرابطون فيها بلنسية بعد وفاة السيد القمبيطور، حيث قاد جيشًا أمدَّ به القائد مَزْدَلِيّ سنة ٤٩٥ هـ/ ١١٠٢ م، وفي سنة ٤٩٧ هـ/ ١١٠٣ م اشترك مع أبي الحسن عليّ بن الحاجّ في غزو طليطلة وطلبيرة، ثم ولي بلنسية وشرق الأندلس بعد ذلك، واستولى في السنة نفسها على مملكة بني رزين (Albarracin) الصغيرة، وفي سنة ٥٠١ هـ/ ١١٠٧ م اشترك في فتح أقليش، وفي سنة ٥٠٣ هـ/ ١١٠٩ م عُزل عن بلنسية ووُلِّيَ على غرناطة، ثم انتقل بعد ذلك إلى فاس بالمغرب عاملاً عليها سنة ٥٠٤ هـ/ ١١١٠ م، وفي سنة ٥٠٩ هـ/ ١١١٥ م عاد إلى الأندلس عاملاً على إشبيلية، فحكمها حتى توفي في رمضان سنة ٥١١ هـ/ ١١١٧ م. انظر: د. محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص ١٥٢-١٥٥. ابن القطان: نظم الجمان، ص ٦٥، حاشية رقم ٣ للمحقق.

(٤) سرقسطة (Zaragoza): هي قاعدة الثغر الأعلى، وتقع في شمال شرق الأندلس على ارتفاع ١٨٤ م عن سطح البحر، وتقع على الضفة اليمنى لنهر إبرو (Ebro)، وتسمى أيضًا: المدينة البيضاء، وسقطت في أيدي النصارى سنة ٥١٢ هـ/ ١١١٨ م على يد ألفونسو الأول (Alfonso I) (المحارب Elbatallador)، وتمثل حاليًّا مركزًا لمقاطعة تسمى باسمها. انظر: العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٢٢. ذكر بلاد الأندلس لمؤلف مجهول، ص ٧٠-٧١. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٥٤. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ٩٦-٩٨. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٣/ ٢١٢.

(٥) البيان المغرب، ٤/ ٤٢.

[الْجَوَازُ الرَّابِعُ لأَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ يُوسُفَ بْنِ تَاشُفِينَ إِلَى الأَنْدَلُسِ]:

[وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ][1] أَخَذَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْحَرَكَةِ مِنْ حَضْرَتِهِ مَرَّاكُش بِرَسْمِ الْجَوَازِ إِلَى الأَنْدَلُسِ][2] [.......][3] [الْمَوْسُوم][4] بِالأَنْوَارِ الْجَلِيَّةِ[5]، [6][فَلَمَّا جَازَ [.....]][7]، ثُمَّ صَدَرَ إِلَى غَرْنَاطَة، وَعَقَدَ عَلَيْهَا لِلْقَائِدِ عَلِيِّ بْنِ الْحَاجِّ[1]، وَجَمَعَ أَعْلامَ

(١) سنة ٤٩٦ هـ/ ١١٠٢ م، فإن المصادر تُجمع على أن الجواز الرابع لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين كان في هذا التاريخ. انظر: انظر: الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ٧٨. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٥٦. ابن الأبار: الحلة السيراء، ٢/ ٢٤٨-٢٤٩.

(٢) هذا النص من كلام ابن عذاري في (البيان المغرب، ٤/ ٤٢)، حيث قدَّم به للنقل مرة أخرى عن كتاب (الأنوار الجليَّة) لابن الصَّيْرَفِيِّ كما سيأتي.

(٣) هنا سقط في المطبوع من (البيان المغرب، ٤/ ٤٢)، ولعل العبارة الساقطة: [قال (أو ذكر) ابن الصيرفي في كتابه....].

(٤) ما بين الحاصرتين يقتضيها السياق، بينما جاءت في المطبوع من (البيان المغرب، ٤/ ٤٢" "المرسوم"، وقد اعتدنا من ابن عذاري وغيره من المؤرخين استخدام كلمة (الموسوم) لا (المرسوم).

(٥) وردت في البيان المغرب، ٤/ ٤٢: "الأنوار الجليلة"، وهو تصحيف واضح، والصحيح: الأنوار الجليَّة كما هو معروف ومشهور.

(٦) من هنا يبدأ نقل ابن عذاري عن كتاب (الأنوار الجليَّة) لابن الصَّيْرَفِيِّ، لكن العبارات هنا فيها بعض الاضطراب.

(٧) هنا سقط في المطبوع من (البيان المغرب، ٤/ ٤٢)، ولعله ذكر هنا مكان نزول أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قبل تقدمه نحو غرناطة، وكانت هذه الأحداث كما أشرنا في سنة ٤٩٦ هـ/ ١١٠٢ م، وفيها كان الجواز الرابع والأخير لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين، لتفقد أحوال الأندلس، وضبط أمورها، وتغيير بعض ولاة مدنها، وكان أول نزوله إلى مدينة قرطبة، فهي حاضرة الخلافة في الغرب الإسلامي، ولها قدسية واحترام في نفوس المسلمين، كما أنها كانت يومئذ قاعدة للحكم المرابطي في الأندلس، وفي هذا العبور وفي مدينة قرطبة- كما يظهر من النص- أخذ البيعة بولاية العهد لابنه أبي الحسن علي بن يوسف. انظر: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٥٦. ابن الأبار: الحلة السيراء، ٢/ ٢٤٨-٢٤٩. الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ٧٨. أ. عنان: دولة الإسلام في الأندلس- العصر الثالث- القسم الأول: عصر المرابطين وبداية دولة الموحدين، ص ٤٦-٤٧. د. سعدون عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس- عصر يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، ص ١٤٥-١٤٦.

المُرَابِطِينَ وَالرُّؤَسَاءَ الأَنْدَلُسِيِّينَ فِي حَالِ الْبَيْعَةِ لابْنِهِ عَلِيٍّ، وَوَجَّهَ أَحْمَدُ بْنُ هُودٍ الْمُقْتَدِرُ بِاللهِ ابْنَهُ عَبْدَ الْمَلِكِ الْمَدْعُوَّ عِمَادَ الدَّوْلَةِ مِنْ رُوطَة(٢) إِلَى قُرْطُبَةَ بِهَدِيَّةٍ جَلِيلَةٍ مِنْهَا أَرْبَعَةَ عَشَرَ رُبْعًا مِنْ آنِيَةِ الْفِضَّةِ، مُطَرَّزَةً بِاسْمِ الْمُقْتَدِرِ بْنِ هُودٍ(٣)، فَأَمَرَ يُوسُفُ بْنُ تَاشُفِينَ بِضَرْبِهَا قَرَارِيطَ(٤)، وَفَرَّقَهَا لَيْلَةَ عِيدِ النَّحْرِ فِي طَبَقَاتِ الْمُرَابِطِينَ(٥)، وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْبَيْعَةَ لِوَلَدِهِ عَلِيِّ بْنِ يُوسُف، وَحَضَرَ الْعَهْدَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الْمُسْتَعِينِ بْنُ هُودٍ(٦)، وَكَتَبَهُ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْقَصِيرَةِ"(٧).

---

(١) أبو الحسن عليّ بن الحاج بن مجوز، وقيل: ابن مقوز، أحد قواد المرابطين الكبار، وهو من أسرة بني الحاج المشهورة التي أنجبت عددًا من أعظم القواد المرابطين، وقد عهد إليه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بحكم غرناطة سنة ٤٩٦ هـ/ ١١٠٢ م، لكنه لم يلبث أن استشهد في العام التالي (٤٩٧ هـ/ ١١٠٣ م) في ميدان القتال ضد النصارى قرب بلنسية، وخلفه في حكم غرناطة أخوه محمدٌ. انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٤٢-٤٤. مفاخر البربر لمؤلف مجهول (تحقيق: د. عبد القادر بوباية)، ص ١٩١.

(٢) رُوطة (Rueda): حصن من أعمال سرقسطة يقع إلى الغرب منها، حصين جدًا، ويقع على وادي شلون المتفرع من نهر الإيبرو، لذلك تُعرف أحيانًا بروطة جالون أو شلون **Rueda de Jalón**، وهي اليوم تابعة لمديرية وشقة **Huesca**، وقد شهد أحداثًا تاريخية كثيرة إلى أن تخلى بنو هود عنه نهائيًا لملك قشتالة ألفونسو الرابع الملقب بالسليطين سنة ٥٢٩ هـ/ ١١٣٤ م. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٣/ ٩٦-٩٧. العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٢٢.

(٣) جاء في الحلة السيراء لابن الأبار، ٢/ ٢٤٨: "مطرزة باسم جَدِّه المقتدر والد جَدِّه المؤتمن".

(٤) جاء في الحلة السيراء لابن الأبار، ٢/ ٢٤٨-٢٤٩: "فقبلها ابنُ تاشفين، وأمر بضربها قراريط". والقراريط: أجزاء من الدراهم.

(٥) جاء في الحلة السيراء لابن الأبار، ٢/ ٢٤٩: "فُرِّقت ليلة عيد النحر في أطباقٍ على رؤساء قومه وهو إذ ذاك بقرطبة".

(٦) جاء في الحلة السيراء لابن الأبار، ٢/ ٢٤٩: "وقد أشار إلى بيعة ابنه عليّ بن يوسف بالعهد، فحضر عبدُ الملك ذلك".

(٧) ابن عذارى: البيان المغرب، ٤/ ٤٢-٤٣. وسيترجم ابن الصَّيْرَفِيّ لأبي بكر ابن القصيرة فيما بعد، ويظهر مما نقلناه عن الحلة السيراء لابن الأبار في الحواشي السابقة أن نصها يتفق مع نص البيان المغرب لابن عذاري إلا في ألفاظ قليلة، مما يعني أن ابن الأبار ينقل في الحلة السيراء عن ابن الصَّيْرَفِيّ دون أن يشير إلى ذلك.

[الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ سَيِّدِ أَبِيهِ الْقَبْرِيُّ الْقُرْطُبِيُّ]:

"عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَيِّدِ أَبِيهِ، مِنْ أَهْلِ قَبْرَة، وَسَكَنَ قُرْطُبَة[1]، يُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ، أَخَذَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله ابْنِ الطَّلَّاعِ، وَتَفَقَّهَ بِهِ، وَاتَّصَلَ بِالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ عُبَيْدِ الله بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَدْهَم، فَوَلَّاهُ الشُّورَى وَأَحْكَامَ السُّوقِ، وَكَانَ نَابِه[2] الذِّهْنِ وَالْفَهْمِ، ثُمَّ وَلِيَ الْقَضَاءَ وَالصَّلَاةَ وَالْخُطْبَةَ بِغَرْنَاطَة فِي الدَّوْلَةِ اللَّمْتُونِيَّة[3] إِلَى أَنْ أَزْعَجَهُ عَنْهَا وَالِيهَا إِلَى قُرْطُبَة، فَلَحِقَ بِهَا، وَتَزَيَّدَ بِهِ خَدَرٌ كَانَ يُعَانِيهِ فَقَضَى عَلَيْهِ، وَكَانَ إِزْعَاجُهُ عَنْ غَرْنَاطَة وَهُوَ قَاضِيهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، مِنْ تَارِيخِ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ الصَّيْرَفِيِّ، وَفِيهِ عَنْ غَيْرِهِ"[4].

[صِفَاتُ يُوسُفَ بنِ تَاشُفِين وَأَهَمُّ أَعْمَالِهِ وَدُخُولُ الأَنْدَلُسِ تَحْتَ إِمْرَتِهِ]:

قَالَ أَبُو بَكْرٍ [يَحْيَى بنُ مُحَمَّدِ بنِ][5] الصَّيْرَفِيُّ: "كَانَ رَحِمَهُ اللهُ خَائِفًا لِرَبِّهِ، كَتُومًا لِسِرِّهِ، كَثِيرَ الدُّعَاءِ وَالاسْتِخَارَةِ، مُقْبِلاً عَلَى الصَّلَاةِ، مُدِيمًا لِلاسْتِغْفَارِ، [يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ

---

(١) قال ابن الزبير في صلة الصلة: "أحسبه من أهل قرطبة، كان صاحب الأحكام بها". انظر: صلة الصلة – القسم الثالث – تحقيق : د. عبد السلام الهراس ، والشيخ سعيد أعراب – منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – المملكة المغربية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ١٧٢، الترجمة رقم ٢٩٥.

(٢) جاءت في التكملة–تحقيق: د. بشار عواد معروف، ٣/ ١٤٤، الترجمة رقم ٢٢٨٠: "نابي"، بينما جاءت في تحقيق: د. عبد السلام الهراس، ٣/ ١٥، الترجمة رقم ٤١: "نابه"، وهي أولى وأنسب للسياق.

(٣) قال ابن الزبير في صلة الصلة: "ولي قضاء غرناطة وأعمالها سنة خمس، وقيل: سنة ست وثمانين وأربعمائة، ولاه أبو يعقوب يوسف بن تاشفين، وكان من أهل العلم". انظر: صلة الصلة – القسم الثالث ، ١٧٢، الترجمة رقم ٢٩٥.

(٤) ابن الأبار: التكملة (تحقيق: د. عبد السلام الهراس)، ٣/ ١٥، الترجمة رقم ٤١.

(٥) وضعنا ما بين الحاصرتين لتصحيح اسم مؤرخنا ابن الصيرفي، فاسمه المتفق عليه: أبو بكر يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري، المعروف بابن الصَّيْرَفِيّ، بينما جاء في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٣٤٩: "أبو بكر بن محمد بن يحيى الصَّيْرَفِيّ"، وفي كل تحقيقات الإحاطة جاء الاسم فيه اضطراب وتقديم وتأخير.

يَدِهِ](1)، أَكْثَرَ عِقَابِهِ لِمَنْ تَجَرَّأَ أَوْ تَعَرَّضَ لانْتِقَامِهِ الاعْتِقَالُ الطَّوِيلُ وَالْقَيْدُ الثَّقِيلُ وَالضَّرْبُ الْمُبَرِّحُ، إلا مَنِ انْتَزَى أَوْ شَقَّ الْعَصَا فَالسَّيْفُ أَحْسَمُ لانْتِثَارِ(2) الدَّاءِ، يُواصِلُ الْفُقَهَاءَ وَيُعَظِّمُ الْعُلَمَاءَ وَيَصْرِفُ الأُمُورَ إِلَيْهِمْ، وَيَأْخُذُ فِيهَا بِآرَائِهِمْ(3)، وَيَقْضِي عَلَى نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ بِفُتْيَاهُمْ، وَيَحُضُّ عَلَى الْعَدْلِ، وَيَصْدَعُ بِالْحَقِّ، وَيُعَضِّدُ الشَّرْعَ، وَيَحْزِمُ فِي الْمَالِ، وَيُولَعُ بِالاقْتِصَادِ فِي الْمَلْبَسِ وَالْمَطْعَمِ وَالْمَسْكَنِ، [وَمَا زَالَ](4) إِلَى أَنْ لَقِيَ اللهَ مُجِدًّا فِي الأُمُورِ، مُلَقَّنًا لِلصَّوَابِ، مُسْتَحِبًّا(5) حَالَ الْجِدِّ، مُؤَدِّيًا إِلَى الرَّعَايَا حَقَّهَا مِنَ الذَّبِّ عَنْهَا، وَالْغِلْظَةِ عَلَى عَدُوِّهَا، وَإِفَاضَةِ الأَمْنِ(6) وَالْعَدْلِ فِيهَا، يَرَى صُوَرَ الأَشْيَاءِ عَلَى حَقِيقَتِهَا، [وكان مُعَظَّمًا مَهُوبًا، لا يَخْلُدُ إلى رَاحَةٍ، وَلا يَسْكُنُ إلى دَعَةٍ](7)، تَسَمَّى بِأَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا احْتَلَّ الأَنْدَلُسَ وَأَوْقَعَ بِالرُّومِ(8)، وَكَانَ قَبْلُ يُدْعَى الأَمِيرَ يُوسُفَ، وَقَامَتِ الْخُطْبَةُ فِيهَا جَمِيعًا بِاسْمِهِ وَبِالْعُدْوَةِ بَعْدَ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ، وَكَانَ دِرْهَمُهُ فِضَّةً، وَدِينَارُهُ تِبْرًا مَحْضًا(9)، فِي إِحْدَى صَفْحَتَيِ الدِّينَارِ: "لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ"، وَتَحْتَ ذَلِكَ: "أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ يُوسُفُ بنُ تَاشُفِينَ"، وَفِي الدَّائِرِ: "وَمَنْ [يَبْتَغِ](10) غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الأَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ"، وَفِي الصَّفْحَةِ الأُخْرَى: "الإِمَامُ عَبْدُ اللهِ

---

(1) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٤٦، وراجع: الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ٨٢.

(2) في البيان المغرب، ٤/ ٤٦: (لانتشار).

(3) في البيان المغرب، ٤/ ٤٦: (بِرَأْيِهِمْ).

(4) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٤٦.

(5) في البيان المغرب، ٤/ ٤٦: (مُسْتَضْحِيًا).

(6) في البيان المغرب، ٤/ ٤٦: (للأَمْنِ).

(7) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٤٦.

(8) يقصد انتصاره الكبير في معركة الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦ م، وقد سبق التعريف بها.

(9) جاءت في كل تحقيقات الإحاطة: "تبرٌ محضٌ".

(10) ما بين الحاصرتين من نص الآية الكريمة، بينما جاءت في كل تحقيقات الإحاطة: (يَتَّبِعْ)، دون تعليق، وفي الآية الكريمة -كما ذكرنا-: "يَبْتَغِ".

[أَحْمَدُ][1]، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْعَبَّاسِيُّ"[2]، وَفِي الدَّائِرِ تَارِيخُ ضَرْبِهِ، وَمَوْضِعُ سِكَّتِهِ، وَفِي جِهَتَي الدِّرْهَمِ مَا حَمَلَهُ مِنْ ذَلِكَ[3].

[عَلِيُّ بْنُ يُوسُف بْنِ تَاشُفِين يَطْلُبُ الإِجَازَةَ مِنَ الرَّاوِيَةِ أَبِي عَبْدِ الله الخَوْلاَنِيِّ]:

"وَحَكَى أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الصَّيْرَفِيّ[4] فِي تَارِيخِهِ[1] أَنَّ عَلِيًّا مِنْهَا [أَيْ مِنْ أُسْرَةِ يُوسُف بْنِ تَاشُفِين][2] اسْتَجَازَ [الرَّاوِيَةَ][3] أَبَا عَبْدِ الله أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ الخَوْلاَنِيّ[4] جَمِيعَ رِوَايَاتِهِ؛

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من الاستقصا، ٢/ ٦٠.

(٢) هكذا أوردها الأستاذ ليفي بروفنسال في كتابه: (نخب تاريخية لأخبار المغرب الأقصى، ص ٣٢)، بينما وردت هذه الجملة في تحقيقات الإحاطة: (الإمامُ عَبْدُ الله أمير المسلمين)، وزاد عليها الأستاذ بوزياني الدراجي في تحقيقه اسم: (يوسف بن تاشفين، فجاءت هكذا: (الإمامُ عَبْدُ الله أمير المسلمين يوسف بن تاشفين)، وأرى أنها خطأ أو تصحيف أو سوء قراءة لما جاء في مخطوطات الإحاطة، وما أورده الأستاذ بروفنسال هو الأقرب للصواب، إن لم يكن هو الصواب، فلا يُعقل أن يتكرر اسم (أمير المسلمين يوسف بن تاشفين) على وجهي عملته، بل من المنطقي أن يكون اسمه على وجه، واسم الخليفة العباسي على الوجه الآخر، فقد كان يحكم باسم الخليفة العباسي ويذكر اسمه في الخطبة على المنابر، وأرسل سفارات إليه تطلب توليته على بلاد المغرب والأندلس، كي يُضْفِيَ على حكمه الصفة الشرعية، ويؤكد ذلك ما أورده ابن عذاري في (البيان المغرب، ٤/ ٤٦)، حيث قال: "وفي الصفحة الأخرى اسم أمير المؤمنين العباسيّ"، وقد أكّد ذلك الناصري في (الاستقصا، ٢/ ٦٠) حين قال: "وكتب على الصفحة الأخرى: (عبد الله أحمد أمير المؤمنين العباسيّ)"، واسم (أحمد) هنا في هذا النصّ هو الخليفة العباسي المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي (٤٨٧-٥١١ هـ/ ١٠٩٤-١١١٧ م)، وجاءت عند ابن أبي زرع في الأنيس المطرب، ص ١٣٨: "الأمير عبد الله العباسي".

(٣) الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٣٤٩-٣٥٠. وقد وردت متفرقات من هذا النصّ في البيان المغرب لابن عذاري (٤/ ٤٦)، وفيها كثير من السقط، خاصة في أوله، ويتفق هذا النص مع ما ورد عند ابن الخطيب، مما يدل على أن ابن عذاري نقله عن مؤرخنا ابن الصَّيْرَفِيّ أيضًا، لكنه لم يذكر مصدره.

(٤) جاء في الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم، ١/ ١٤٨: "وحكى أبو بكر الصَّيْرَفِيّ" بدون (ابن).

لِعُلُوِّ إِسْنَادِهِ[5]، فَأَجَازَ لَهُ، وَأَبُوهُ أَبُو يَعْقُوبَ[6]- مَعَ نَشْئِهِ فِي الصَّحْرَاءِ- كَانَ لاَ يُمْضِي أَمْرًا إِلَّا بِمَشُورَةِ الْفُقَهَاءِ"[7].

[انْتِصَارُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الرُّومِ سَنَةَ ٥٠١ هـ/ ١١٠٧ م وَمَوْتُ شَانْجُه بنِ أَلْفُنْش لأَوَّلِ وِلاَيَةِ عَلِيِّ بنِ يُوسُفَ][8]:

(١) قال العباس بن إبراهيم في كتابه: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ١/ ١٤٩: "وقوله: وحكى أبو بكر الصَّيْرَفِيُّ في تاريخه: هذا التاريخ يسمى: الأنوار الجليَّة في أخبار الدولة المرابطيَّة، ذكره الشطيبي في: الجمان في مختصر أخبار الزمان".

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من عندي للتوضيح.

(٣) ما بين الحاصرتين يقتضيها السياق، بينما جاءت في المعجم لابن الأبار، ص ٦٣: "الرواية"، وأوردها العباس بن إبراهيم في كتابه: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، (١/ ١٤٨) على الوجه الصحيح.

(٤) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن غلبون الخَوْلاَنِيّ، من أهل إشبيلية وأصله من قرطبة، ويُعرف بابن الحصَّار، وهو ولد الراوية أبي عبد الله محمد الخَوْلاَنِيّ، روى عن أبيه كثيرًا، وكان شيخًا فاضلاً، عفيفًا منقبضًا، واسع الرواية، من بيتة علم ودين وفضل، توفي عن سن عالية في شهر شعبان سنة ٥٠٨ هـ/ ١١١٤ م. انظر: ابن بشكوال: الصلة (تحقيق: د. بشار عواد معروف)، ١/ ١١٩-١٢٠، الترجمة رقم ١٦٠. وكان من شيوخ القاضي عياض. انظر: الغنية (فهرست شيوخ القاضي عياض)- تحقيق: ماهر زهير جرار- دار الغرب الإسلامي- بيروت-ط ١، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م، ص ١٠٦-١٠٧، الترجمة رقم ٣٥.

(٥) في الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم، ١/ ١٤٨: "لعلو سنده".

(٦) أبو يعقوب هي كنية أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وجاء في الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم، ١/ ١٤٨: "وأبوه يوسف".

(٧) ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ص ٦٣. وقد قدَّم ابن الأبار لهذا الكلام – وهو يترجم لإبراهيم بن يوسف بن تاشفين ويشير إلى دولة أخيه عليّ بن يوسف- بقوله: "وبالجملة فهو من بيت جهاد واجتهاد، وفي دولة أخيه (يقصد عليّ بن يوسف بن تاشفين) نفقت العلوم والآداب، وكثر النبهاء، وخصوصًا الكُتَّاب"، ثم أورد النص المذكور في المتن أعلاه.

(٨) كان هذا الانتصار الكبير في معركة (أقليش) أو (أقليج) (Batalla de Uclés)، وكان عليّ بن يوسف بن تاشفين بعد أن تولى أمور الحكم بعد وفاة والده يوسف بن تاشفين سنة ٥٠٠ هـ/ ١١٠٧ م قد عيَّن أخاه أبا الطاهر تميمًا قائدًا أعلى للجيوش المرابطية في الأندلس، ثم أمره بمواصلة الجهاد، فاتجه صوب مدينة أقليش، وكانت لا تزال تحت حكم النصارى، وتقع على

طريق المسلمين إلى بلنسية (Valencia) وسرقسطة (Zaragoza) وتحول بينهم وبين القيام بعمل حاسم في هذه الناحية، فحاصرها المرابطون، وكان ألفونسو السادس (Alfonso VI) يعلّق عليها أهمية كبيرة، فأخذ الأهبة للمسير ليدفع المرابطين عنها، ولكن ما لبث المرابطون أن فتحوا المدينة، وفرَّ النصارى منها ليتحصنوا في قصبة أقليش المنيعة، فأمدهم ألفونسو بعشرة آلاف فارس بقيادة ولده وولي عهده (شانجه) مع سبعة قواد آخرين، لذا سميت المعركة في المصادر الإسبانية معركة الأقماط السبعة (Batalla de los siete condes)، وكلمة الأقماط جمع قمط، وهي بالإسبانية (Conde) وتعني: قائد أو حاكم منطقة متمتع باستقلال تام أو محدود، وتُنطق بالعامية (كونت)، ورغم هذه الاستعدادات النصرانية فقد حقق الجيش الإسلامي انتصارًا كبيرًا على الجيش القشتالي، وقُتل (شانجه) ابن ألفونسو السادس الذي مات بدوره غمًّا وحزنًا على ولده في العام نفسه أو في العام التالي سنة ٥٠٢ هـ/ ١١٠٩ م. انظر: ابن القطان: نظم الجمان، ٦/ ٥-٧.ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ١١٥. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٥٩-١٦٠. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٥٣، وراجع مناقشة المستعرب الإسباني "أمبروسيو أيثي ميراندا" (Ambrosio Huici Miranda) لحوادث هذه المعركة في المصادر العربية والإسبانية في مقال له بمجلة تطوان- العدد ٢ - سنة ١٩٥٤ م تحت عنوان: "La Batalla de Uclés y la muerte del infante don Sancho" (وقعة أقليش ومصرع الأمير ضون شانجه)، ص ٢٥٩-٢٨٦. وانظر له أيضًا:

- *Historia Musulmana de Valencia y su Region*, Vol. III, pp. 25-28.

y véase también:

- A. González Valencia: *Historia de La España Musulmana*, pp. 81-95.
- Claudio Sanchez: *La España Musulmana*, pp. 201-208.

ويعطي المؤرخ الألماني يوسف أشباخ أهمية كبرى لهذه المعركة، حيث يعدها نقطة تحول في تاريخ المرابطين في الأندلس، فيقول في تعليقه عليها: "ويمكن أن نعتبر انتصار المرابطين في أقليش في ٢٩ مايو سنة ١١٠٨ م/ ١٧ شوال سنة ٥٠١ هـ ذروة سلطانهم في إسبانيا، ومن ذلك التاريخ تنحدر قوتهم في إسبانيا عامًا بعد عام، وتعصف روح الخروج والثورة بسلطانهم في إفريقية والأندلس، ويغدو سقوطهم في القريب أمرًا محتومًا". انظر: تاريخ الأندلس (ترجمة: أ. عنان)، ١/ ١٢٤.

وذكر المستعرب الإسباني ماريانو جاسبار ريميرو (Mariano Gaspar Remiro) أن هذه المعركة كانت في ٣٠ من مايو سنة ١١٠٨ م)، وقد اشترك فيها من النصارى ٢٣ ألف رجل. انظر:

"وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِمِائَةٍ وَرَدَ الأَمِيرُ أَبُو الطَّاهِرِ تَمِيمُ بْنُ يُوسُفَ[1] بِغَرْنَاطَةَ وَالِيًا عَلَيْهَا، فَاطْمَأَنَّتِ النُّفُوسُ، وَهَجَدَتِ الْعُيُونُ، [.....][2] بِمَمْلَكَتِهِ، وَظَهَرَ بِهِ جَمَالُ دَوْلَتِهِ، وَنَظَرَ الأَمِيرُ أَبُو الطَّاهِرِ فِي أَسْبَابِ الْغَزْوِ، وَأَحْسَنَ إِلَى الْجُنْدِ، وَخَرَجَ مُنْسَلَخَ شَعْبَانَ الْمُكَرَّمِ مِنَ الْعَامِ، فَلَمَّا احْتَلَّ الْجَيْشُ مَدِينَةَ جَيَّانَ[3]، تَلَوَّمَ بِهَا الأَمِيرُ أَبُو الطَّاهِرِ أَيَّامًا حَتَّى وَفَدَتْ عَلَيْهِ الْجُيُوشُ وَالْعَسَاكِرُ مِنْ قُرْطُبَةَ وَغَيْرِهَا، وَاسْتَقْبَلَ عَلَى حِصْنِ

- *Historia de Murcia musulmana*, p. 148.

(١) هو أبو الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين، والأخ الشقيق لأمير المسلمين عليّ بن يوسف بن تاشفين، وقد ساعد- بعد وفاة أبيه يوسف بن تاشفين سنة ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦ م- في انتقال سلمي وسلس للسلطة داعيًا الناس إلى مبايعة أخيه عليّ بن يوسف، رغم أنه أكبر من أخيه عليّ بن يوسف، فبايعه هو وشيوخ لمتونة وباقي قبائل صنهاجة والأكابر والقادة قبل دفن أبيهم يوسف بن تاشفين، وقد أبو الطاهر تميم ولي حكم غرناطة بين سنتي ٥٠١ هـ و ٥٠٣ هـ ثم نُقل إلى حكم تلمسان بالمغرب الأوسط، وعاد بعد ذلك إلى الأندلس فتولى غرناطة مرة أخرى فيما بين سنتي ٥١٥ هـ و ٥١٦ هـ وبعدها نُقل إلى إشبيلية، فحكمها سنة وبضعة أشهر، ثم أصبح عاملاً على قرطبة وغرناطة سنة ٥١٩ هـ/ ١١٢٥ م في الوقت الذي قام فيه ألفونسو الأول (المحارب) بحملته الواسعة على الأندلس، ويبدو أنه أخفق في مواجهة هذه الحملة، فعزله أخوه عليّ بن يوسف عن غرناطة، ولم يلبث أبو الطاهر تميم أن توفي بعد ذلك بقليل، وفي تاريخ وفاته خلاف، والأرجح أنه توفي سنة ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦ م. انظر: ابن القطان: نظم الجمان، ص ٦٥، حاشية رقم ٥. مفاخر البربر لمؤلف مجهول (تحقيق: د. عبد القادر بوباية)، ص ١٩١، حاشية رقم ١٣.

(٢) ما بين الحاصرتين بياض في البيان المغرب، (٤/ ٤٩) بمقدار كلمة أو كلمتين، ولعلها: "واستبشر الناسُ".

(٣) جيان (Jaén): مدينة وكورة في التقسيم الإداري للأندلس الإسلامي، والبلد يقع على نهر الوادي الكبير (Guadalquivir) إلى شرقي قرطبة (Córdoba)، وكانت الكورة من أعمر نواحي الأندلس وأغناها وأكثرها سكانًا، أما البلد فيقع على السفح الشمالي الشرقي لجبل كوز (Jabalcuz) غربي وادي بُلُّون (Guadalbullón) وهو نهير صغير يصب في الوادي الكبير، والبلد يقع على ارتفاع ٥٤٩ م، ولهذا يصفه جغرافيو العرب بالحصانة والامتناع، خاصة قصبته، وجيان اليوم مديرية واسعة من مديريات منطقة الأندلس، وقد سقطت نهائيًا في أيدي النصارى سنة ٦٤٤ هـ/ ١٢٤٦ م على يد فرناندو الثالث. انظر: ابن حيان: المقتبس-تحقيق: د. محمود علي مكي، ص ٣٠٧، حاشية رقم ٢٣٥. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢/ ١٩٥-١٩٦. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ٧٠-٧٢.

أُقْلِيش[1]، [فَضْرِبَتِ][2] المَحَلَّاتُ بِإِزَائِهِ، وَانْتَشَرَتِ الحُرُوبُ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ دَخَلَهُ عَنْوَةً، وَامْتَنَعَ أَهْلُهُ فِي قَصَبَتِهِ وَالحُرُوبُ مُحْدِقَةٌ بِهِ، وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ وَصَلَ إِلَيْهِ وَلَدُ أَذْفُونْش شَانْجُه - مِنْ زَوْجِ المَأْمُونِ[3] الَّتِي كَانَتْ تَنَصَّرَتْ[4] - بِنَحْوِ سَبْعَةِ آلَافِ فَارِسٍ،

---

(١) أقليش (Uclés): مدينة وحصن من أعمال طليطلة بالقرب من حصن قونقة، وقيل: هي قاعدة كور شنتبرية أو من أعمالها، وكانت تابعة لحكم أسرة بني ذي النون حكام طليطلة، وبالقرب من هذا الحصن كانت المعركة التاريخية المعروفة بمعركة أقليش سنة ٥٠١ هـ/ ١١٠٧ م، أو معركة الأقماط السبعة كما كانت تُعرف في المصادر الإسبانية. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٢٣٧. الحميري: الروض المعطار، ص ٥١-٥٢. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ١١٤-١١٥.

(٢) ما بين الحاصرتين يقتضيها السياق والصياغة، بينما جاءت في البيان المغرب، (٤/ ٥٠): "فاضطربت"، ولعل تصحيفًا أصابها.

(٣) المأمون هنا هو أبو نصر الفتح بن المعتمد بن عبّاد الملقب أيضًا بالمأمون، حكم قرطبة نيابة عن أبيه لفترة، وكان من حكام الأندلس المشهورين، كما كان هو أمير قرطبة وقتَ وصول القائد المرابطيّ سير بن أبي بكر الذي كُلِّف بالقضاء على دول ملوك الطوائف، وعندما حاصر المرابطون قرطبة عام ٤٨٤ هـ/ ١٠٩١ م، وتوجّس الفتح خيفة، أرسل زوجته زائدة الأندلسية مع أبنائه إلى حصن المدور (Castillo de Almodóvar del Río)- على بُعد ٢٤ كلم من قرطبة - بعد أن أمر بتحصينه وتجهيزه، وما لبث المرابطون أن نجحوا في دخول قرطبة، وتمكنوا من القبض على المأمون وقتله، ورفعوا رأسه على رمح، وطاف به الأهالي شوارع قرطبة، وعندئذٍ لجأت زائدة إلى حماية ألفونسو السادس ملك قشتالة الذي اتخذها حظية له، ثم ارتدت عن الإسلام واعتنقت النصرانية، فتزوجها وأنجب منها ولده سانشو Sancho (شانجة)، وماتت زائدة أثناء الولادة، ثم ما لبث المرابطون أن قتلوا سانشو في معركة أقليش (Batalla de Uclés) سنة ٥٠١ هـ/ ١١٠٨ م. انظر: أ. عنان: دولة الإسلام في الأندلس- العصر الثاني: دول الطوائف، ص ٣٤٦-٣٤٧.

(٤) تكاد هذه الإشارة تكون الوحيدة التي وردت في المصادر الإسلامية للكلام عن أسطورة (زائدة الأندلسية) انظر: أ. عنان: دولة الإسلام في الأندلس- العصر الثاني: دول الطوائف، ص ٣٤٥-٣٤٨. كما أشار إليها الونشريشي في كتابه: (أسنى المتاجر) تحت عنوان: (الخوف على الأبضاع والفروج، إشارة إلى حادث كُنَّة المعتمد بن عباد)، حيث قال: "ومنها الخوف من الفتنة على الأبضاع والفروج، ومتى يأمن ذو زوجة أو ابنة أو قريبة وضيئة أن يعثر عليها وضيء من كلاب الأعداء وخنازير البعداء، فيغرها في نفسها ويغرها في دينها، ويستولي عليها وتطاوعه، ويحال بينها وبين وليها بالارتداد والفتنة في الدين كما عرض لِكُنَّة المعتمد بن عباد ومَن لها من الأولاد، أعاذنا الله من البلاء وشماتة الأعداء". انظر: الونشريشي: أسنى المتاجر في بيان أحكام مَن غلب

بَيْنَهُ وَبَيْنَ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ حُرُوبٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا، كَانَتِ الدَّائِرَةُ فِيهَا عَلَى الرُّومِ، مَاتَ فِيهَا شَانْجُه بْنُ أَلْفُنْش أَخْزَاهُمَا اللهُ، وَرَجَعَ الأَمِيرُ أَبُو الطَّاهِرِ إِلَى غَرْنَاطَة، قَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ: "فَكَانَ ذَلِكَ دَلِيلَ الْيُمْنِ وَالْبَرَكَةِ بِوِلَايَةِ عَلِيِّ بنِ يُوسُف فِي أَوَّلِ دَوْلَتِهِ، وَكَانَتِ الْوَقْعَةُ عَلَى الرُّومِ وَمَوْتِ شَانْجُه الْمَذْكُورِ فِي [.....][1] شَوَّال، وَفِي آخِرِ هَذَا الْعَامِ مَاتَ أُذْفُونْش لَعَنَهُ اللهُ تَعَالَى"[2].

[وَفَاةُ قَاضِي مَالَقَةَ أَبِي مَرْوَان عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عِيسَى بْنِ حَسُّون]:

"وَتُوُفِّيَ- رَحِمَهُ اللهُ- فِي يَوْمِ الإِثْنَيْنِ لأَرْبَعٍ خَلَوْنَ لِرَبِيعِ الآخِرِ عَامَ خَمْسَةٍ وَخَمْسِمِائَةٍ، ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ فِي تَارِيخِهِ"[3].

[تَرْجَمَةُ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَان بنِ الْقَصِيرَةِ كَاتِبِ الدَّوْلَةِ اللَّمْتُونِيَّةِ][4]:

قَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ: "الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ، النَّاظِمُ النَّاثِرُ، الْقَائِمُ بِعَمُودِ الْكِتَابَةِ، وَالْحَامِلُ لِلِوَاءِ الْبَلَاغَةِ، وَالسَّابِقُ الَّذِي لَا يُشَقُّ غُبَارُهُ، وَلَا تُخْمَدُ أَبَدًا أَنْوَارُهُ، اجْتَمَعَ لَهُ

على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر- نشر وتحقيق: د. حسين مؤنس- صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد- المجلد الخامس- العدد ١-٢، ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٧ م، ص ١٨٩، والحاشية رقم ١ من الصفحة نفسها.

(١) هنا سقط في البيان المغرب، وربما كان السقط كلمة (شهر).

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٥٠.

(٣) ابن عسكر وابن خميس: أعلام مالقة، ص ٢٩٣. كما ترجم له ابن الصيرفي أيضًا في كتابه(أدباء مالقة) قال ابن الزبير - بعد أن أورد ترجمته - : "ذَكَرَهُ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ ... في أدباء مالقة". انظر : ابن الزبير : صلة الصلة - القسم الثالث ، ص ١٦١ ، الترجمة رقم ٢٦٧.

(٤) قال عنه ابن الخطيب في الإحاطة: "محمد بن سليمان بن القصيرة، أبو بكر، كاتب الدولة اللمتونية، وعَلَمُ وقته....تُوُفِّيَ في جُمَادَى الآخِرَةِ من عام ثمانية وخمسمائة". انظر: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٢/ ٥١٦، ٥٢١. وقال عنه ابن بشكوال في الصلة: "محمد بن سليمان الكُلاعيّ الكاتب، ويُعْرَف بابن القصيرة، وهو من أهل إشبيلية، ورأس أهل البلاغة في وقته، أخذ عن أبي مروان ابن سراج وغيره، وكان من أهل الأدب البارع، والتفنن في أنواع العلم، وتوفي سنة ثمانٍ وخمسمائة عن سنٍّ عالية وخَرَفٍ أصابه قُبيل موته عطّله بحضرة مراكش. انظر: الصلة (تحقيق: بشار عواد معروف)، ٢/ ٢٠٤، الترجمة رقم ١٢٥٣.

بَرَاعَةُ النَّثْرِ، وَجَزَالَةُ النَّظْمِ، رَقِيقُ النَّسِيجِ، حَصِيفُ الْمَتْنِ، [رُقْعَتُهُ مَا شِئْتَ فِي الْعَيْنِ وَالْيَدِ][1]"[2].

[وَفَاةُ الأَمِيرِ مَزْدَلِيِّ الذِّرَاعِ الْيُمْنَى لأَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ يُوسُف بنِ تَاشُفِين][3]:

قَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ: "تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الثُّلاثَاءِ السَّابِعَ عَشَرَ مِن شَوَّالٍ عَامَ ثَمَانِيَةٍ وَخَمْسِمِائَةٍ، غَازِيًا عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ حِصْنِ [مِسْطَاسَة][4]، طُرِقَ[5] بِهِ إِلَى قُرْطُبَة، فَوَصَلَ[6]

---

(١) ما بين الحاصرتين شطر بيت من الشعر لأبي الأسود الدؤلي، إذ يقول:

أبـى القلـبُ إلا أمَّ عَمْـرو وحُبَّهـا عَجُـوزًا ومَـنْ يُحِبْ عَجُـوزًا يُفَنَّـدِ
كَثَـوْبِ يَـمَانٍ قَـد تَقَـادَمَ عَهْـدُه ورُقْعَتُـه مـا شِـئْتَ في العَـينِ واليَـدِ

وفي البيتين يعبِّر أبو الأسود عن حبه لأم عمرو مهما كبرت وتغيرت، بل إن مرور الزمن لا يزيده إلا حبًّا لها وتعلقًا بها، فصار الشطر الثاني من البيت الثاني (ورُقْعَتُه ما شِئْتَ في العَينِ واليَدِ) مثلاً يُضرب لمن كان ذا أصالة وجزالة وفصاحة وبلاغة لا تتغير أبدًا مهما تغير الزمن، ولا يتفوق عليه أحد مهما تقادم عهده أو تقدَّم به العمر، بل كلما قدم عهده وجدتَه زائدًا على غيره دقة وبلاغة وفصاحة.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٢/ ٥١٧.

(٣) أورد ابن عذاري (في البيان المغرب، ٤/ ٦٠) خبر وفاة الأمير مزدلي سنة ٥٠٨ هـ/ ١١١٤ م دون أن يشير إلى مصدره - وهذا يتكرر كثيرًا في بيانه المغرب- لكنه يتفق في أكثر ألفاظه مع نص الإحاطة المنقول عن مؤرخنا ابن الصَّيْرَفِيِّ.

(٤) ما بين الحاصرتين ورد في البيان المغرب، ٤/ ٦٠، وهو الصحيح، وجاء في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٢٧٥: "قَسْطَانِيَّة" ولا نعرف حصنًا في الأندلس بهذا الاسم، وقد ذكره الأستاذ عنان باسم (مِسْطانية) وذكر أنه يقع على طريق قرطبة، مُنوِّهًا إلى وروده في الإحاطة نقلاً عن ابن الصيرفي، (دولة الإسلام في الأندلس-العصر الثالث، ص ٧١)، والوارد في طبعات الإحاطة (قَسْطَانِيَّة)، وهو اسم غير معروف، والصيغة الأقرب إلى الصحة هي التي أوردها الأستاذ عنان (مِسْطانية) لكن أصابها التصحيف، والصحيح: مِسْطَاسَة بكسر الميم وسكون السين (Mestanza) كما أورده ابن عذاري في البيان المغرب: وهو حصن من أعمال أوريط (وادي الحجارة) بالأندلس من أعمال فحص البلوط، ويقع الآن في مديرية Ciudad Real قُرب طليطلة. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٥/ ١٢٦. ابن الأبار: الحلة السيراء، ٢/ ١٧٨، الحاشية رقم ٢. ويرجح هذا أن العمليات العسكرية الأخيرة للقائد مَزْدَلِيّ كانت حول أحواز طليطلة.

(٥) في البيان المغرب، ٤/ ٦٠: "صُرِفَ".

(٦) في البيان المغرب، ٤/ ٦٠: "فوصل به".

يَوْمَ الأَرْبَعاءِ ثَانِي يَوْمَ وَفَاتِهِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ إِثْرَ صَلاةِ الْعَصْرِ الْفَقِيهُ الْقَاضِي بِقُرْطُبَةَ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ حَمْدِين[1]، وَدَفَنَهُ قُرْبَ أَبِيهِ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ رَوْضَةٌ حَسَنَةٌ، وَكَانَ - نَضَّرَ اللهُ وَجْهَهُ - الْبَقِيَّةَ الصَّالِحَةَ عَلَى نَهْجِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ يُوسُفَ"[2].

[الأَمِيرُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَزْدَلِيٍّ وَالِيًا عَلَى غَرْنَاطَةَ سَنَةَ ٥٠٨ هـ/ ١١١٤ م]:

[كَانَ شَهْمًا، أَبِيًّا، عَالِيَ الْهِمَّةِ، بَعِيدَ الْمَرْمَى، قَدَّمَهُ [الأَمِيرُ][3] مَزْدَلِيٌّ أَبُوهُ - لَمَّا وَلِيَ قُرْطُبَةَ وَغَرْنَاطَةَ وَالْمَرِيَّةَ وَمَا إِلَيْهَا مِنْ قِبَلِ عَلِيِّ بْنِ يُوسُفَ بْنِ تَاشُفِينَ - بِغَرْنَاطَةَ، وَأَنْفَذَ إِلَيْهَا مِنْ قُرْطُبَةَ][4]، قَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ: "فَدَخَلَهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ لِعَشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الآخِرَةِ عَامَ خَمْسٍ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ نَزْرًا مِنَ الْمُرَتَّبِ وَتَافِهًا مِنَ الإِنْفَاقِ، وَكَانَ عَزِيزَ النَّفْسِ، عَالِيَ الْهِمَّةِ، فَرَأَى ذَلِكَ تَقْصِيرًا بِهِ، فَعَمِلَ عَلَى الصُّدُورِ إِلَى الْعُدْوَةِ، وَلَمْ يَقَع [.....][5] الأَمِيرِ مَزْدَلِيٍّ عَلَى النَّبَأِ حَتَّى تَجَاوَزَ فِي الْمَهْيَعِ[6]، فَبَرَدَ فِي أَثَرِهِ[7]، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ، وَلَحِقَ الأَمِيرُ عَبْدُ اللهِ بِأَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَعْلَى رُتْبَتَهُ وَأَجْزَلَ حُظْوَتَهُ،

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عليّ بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التغلبيّ، قاضي الجماعة بقرطبة، يُكنى أبا القاسم، تقلد القضاء بقرطبة مرتين، وكان نافذًا في أحكامه، جزلاً في أفعاله، وهو من بيئة علم ودين وفضل وجلالة، ولم يزل يتولى القضاء بقرطبة حتى توفي عشي يوم الأربعاء، ودفن عشي يوم الخميس لتسع بقين من ربيع الآخر سنة ٥٢١ هـ/ ١١٢٧ م، ودُفن بالربض، وصلى عليه ابنه أبو عبد الله. انظر: ابن بشكوال: الصلة (تحقيق: بشار عواد معروف)، ١/ ١٢٧، الترجمة رقم ١٧٢. النُّباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص١٠٣.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٢٧٥.

(٣) ما بين الحاصرتين يقتضيها السياق والصياغة، بينما جاءت في الإحاطة: نصوص جديدة لم تنشر، ص ٦١: "للأمير"، وهو تصحيف ظاهر.

(٤) ما بين الحاصرتين من كلام ابن الخطيب، أبقيت عليه للتوضيح.

(٥) ما بين الحاصرتين جاءت (في الإحاطة: نصوص جديدة لم تنشر، ص ٦٢) كلمة غير مفهومة، رُسمت هكذا "وسم"، ولم نهتد لمعناها.

(٦) المَهْيَعُ: الطريقُ البَيِّنُ الواسعُ، والجمع: مهايعُ.

(٧) فَبَرَدَ فِي أَثَرِهِ: فأرسل بريدًا للحاق به، يقال: بَرَدَ بَرِيدًا أرسله، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أَبْرَدْتم إليَّ بَرِيدًا فاجعلوه حسنَ الوجه حسنَ الاسم"، فالبَرِيد الرسول، وإبرادُه إرساله.

[وَاسْتَقْبَلَ بِهِ ابْنَتَهُ][1]، وَلَمَّا تُوُفِّيَ الأَمِيرُ مَزْدَلِيٌّ، جَلَّلَ مُصَابَهُ، وَرَفَعَ مَعَاوِرَ قَصْدِهِ[2]، فَوَلَّى الأَمِيرَ عَبْدَ اللهِ غَرْنَاطَةَ، وَالأَمِيرَ مُحَمَّدًا أَخَاهُ قُرْطُبَةَ، وَتَحَرَّكَ الأَمِيرُ عَبْدُ اللهِ فَوَرَدَ غَرْنَاطَةَ آخِرَ ذِي قَعْدَةٍ مِنْ عَامِ ثَمَانِيَةٍ وَخَمْسِمِائَةٍ، فَـ[ضَرَبَ][3] مَحَلَّتَهُ بِظَاهِرِهَا، ثُمَّ دَخَلَهَا يَوْمَ الخَمِيسِ مُسْتَهَلَّ ذِي الحِجَّةِ"[4].

[جَوَازُ عَلِيِّ بنِ يُوسُف إِلَى الأَنْدَلُسِ سَنَة ٥١٥ هـ/ ١١٢١ م]:

قَالَ [....][5] أَبُو بَكْرٍ [ابنُ الصَّيْرَفِيِّ][6]: "وَنَهَضَ عَلِيُّ بنُ يُوسُف إِلَى مَدِينَةِ إِشْبِيلِيَّة [......][1] فِي الإِقْبَالِ، وَأَثْبَتَ ابنَ رَوَّادَة[2] رَيْثَمَا يَلْحَقُ بِقُرْطُبَة، فَلَمَّا تَمَهَّدَتْ

---

(١) ما بين الحاصرتين هكذا وردت في (الإحاطة: نصوص جديدة لم تنشر، ص ٦٢)، ولم نقف على المقصود منها.

(٢) لم نقف على المقصود من هذه الجملة، بينما جاء عند ابن عذاري وهو يتحدث عن الإجراءات التي اتخذها أمير المسلمين عليّ بن يوسف بعد علمه بنبأ وفاة الأمير مزدلي، يقول: "فسدَّ خللاً من مصابه، ودفع رزء فقده بابنيه، فولى الأميرَ عبد الله بن مزدلي من مراكش، وورد أغرناطة آخر ذي القعدة، وتحرك الأميرُ محمد فاحتل أيضًا بقرطبة، واستقر بها، وضبط أمورها وأحوالها". انظر: البيان المغرب، ٤/ ٦٠-٦١.

(٣) ما بين الحاصرتين جاءت بياضًا في (الإحاطة: نصوص جديدة لم تنشر، ص ٦٢)، والكلمة التي أثبتناها تناسب السياق.

(٤) الإحاطة في أخبار غرناطة: نصوص جديدة لم تنشر، ص ٦١-٦٢. وقد ذكر ابن الخطيب- بعد كلام ابن الصيرفي – أن وفاة الأمير عبد الله بن مزدلي كانت في شهر ذي الحجة من سنة ٥١٢ هـ/ ١١١٨ م.

(٥) بياض في البيان المغرب، (٤/ ٦٦) بمقدار كلمة، لعلها: "المؤرخ".

(٦) ما بين الحاصرتين زيادة من عندي للتوضيح. وهذا النص فيه شيء من السقط والاضطراب، لكنه يتكلم عن الجواز الرابع لأمير المسلمين عليّ بن يوسف إلى الأندلس، وكان سبب هذا الجواز ثورة أهل قرطبة ضد المرابطين في أواخر سنة ٥١٤ هـ/ ١١٢٠ م، وتبدأ أحداث هذه الثورة عندما أصدر أمير المسلمين عليّ بن يوسف قرارًا بتعيين أبي بكر يحيى بن روادة واليًا على قرطبة، وبعد فترة من توليه هذا المنصب حدث بينه وبين أهلها ما أوجب قيامهم عليه، وقد اختلفت الروايات في سبب هذا القيام وتلك الثورة، وقد اكتفى صاحب الحلل الموشية (ص ٨٦) في إيراد سبب هذه الفتنة بقوله: "فحدث بينه وبين أهلها ما أوجب قيامهم عليه، وحدثت بين أهلها وبين مَن كان فيها من المرابطين فتنةٌ كبيرة، ونهبوا ديارهم وقصورهم".

بينما كان المؤرخ المشرقيّ ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ١٠/ ٥٥٨) أكثر توضيحًا وتفصيلاً لأحداث هذه الثورة، وأرى أن ما ذكره يصلح أن يكون تفسيرًا لعبارة صاحب الحلل الموشية السابقة، حيث يقول عن سبب هذه الثورة: إن أمير المسلمين استعمل على قرطبة أبا بكر يحيي بن روادة، ولما كان يوم عيد الأضحى، خرج الناس لقضاء هذا اليوم البهيج في الشوارع كالعادة، فمدَّ عبدٌ من عبيد أبي بكر (أحد جنده أو حُرَّاسه) يده إلى امرأة فأمسكها، فاستغاثت بالمسلمين، فأغاثوها، فهبَّ أهل البلد للدفاع عن حرمهم والذب عن كرامتهم، فوقع بينهم وبين العبيد (الحرس) فتنة عظيمة، دامت جميع النهار، والحرب بينهم قائمة على ساق – على حدِّ تعبير ابن الأثير – فأدركهم الليل فتفرقوا.

وذكر ابن عذاري (البيان المغرب، ٤/ ٦٦) تفصيلات أخرى لأحداث هذه الثورة، وأرى أن فيما ذكره تفسيرًا لما غمض عند ابن الأثير، أو تفصيلاً لما أجمله، حيث يذكر أن أمير المسلمين أصدر أوامره إلى البلاد الأندلسية بعمل ما يشبه المناورة العسكرية أو العرض العسكريّ في عرفنا الحديث، وذلك باستعراض المجانيق والآلات الحربية، فلما تمَّ الاستعداد لذلك، خرج صاحب الأَعِنَّة (قائد القوات المرابطية) "أجداي بن سير اللمتونيّ" لمشاهدة التجربة والعمل بهذه الآلات، والتحقق من مدى كفاءتها وفاعليتها، وخرج الناس أيضًا لمشاهدة ذلك، وتزاحموا في مكان العرض، فأراد هذه القائد إبعاد الناس عن مكان العرض قليلاً حتى يُفسحوا المكان للعمل، فبينما كان يشير إليهم بسيخ كان في يده، فإذا به يصيب صبيًّا في مقتله، فمات في الحال، فثار الناس وهاجوا، ولكن ما لبث وليُّ الدم أن رضي بالدية، فسكنت الثورة وهدأ الناس، وبعد أن كمل ما أنشئ من المجانيق والآلات الحربية بقرطبة، وجاء عيد الأضحى خرج عامل البلدة ثانية لمشاهدة التجربة، وخرج عدد كبير من الناس للمشاهدة، وتزاحموا، واحتك الحرس الأميري بالناس، وحاولوا ضربهم وردَّهم، فأحسَّ الناسُ بالإهانة من جراء ذلك، وغضبوا غضبًا شديدًا، واتحدوا لمقاومة الحرس وتأديبهم، فاقتحموا قصر الإمارة وحاصروه.

ونستنتج مما سبق أن سبب الثورة هو غضب أهل قرطبة لما تعرضوا له من إهانة الحرس الأميري لهم أو إهانته لامرأة منهم، فثاروا ثأرًا لكرامتهم، ودفاعًا عن حرمهم، وكانت غضبتهم شديدة؛ إذا لم يخشوا سطوة الوالي وحرسه، وحاصروا قصر الإمارة، وأصروا على اقتحامه وإخراج المرابطين من المدينة.

عندئذ خرج فقهاء المدينة وأعيانها، وعلى رأسهم القاضي أبو الوليد بن رشد الجدّ– قاضي قرطبة آنذاك– لتدارك الأمور وتهدئة الناس، وتمكّن–بالفعل– من تهدئتهم حتى يجد حلاً، ثم التقى ومعه أعيان المدينة بالأمير أبي بكر بن روادة، واقترحوا عليه تهدئة للأمور أن يقتل واحدًا من هؤلاء العبيد الذي تسببوا في إثارة هذه الفتنة، فأنكر الأمير ذلك وغضب منه، واستعدَّ في اليوم التالي لقتال أهل المدينة، وأظهر السلاح لذلك، فاجتمع أهل قرطبة جميعًا لقتاله، وكان في مقدمتهم الفقهاء والأعيان، ونشب القتال بين الفريقين، واستبسل أهل البلد في القتال حتى تغلبوا على قوات الحرس، فتحصَّن الأمير بالقصر، وتسلّق الثوار أسوار القصر حتى دخلوه،

مَدِينَةُ قُرْطُبَة، وَاسْتَتَبَّ أَمْرُهُ أَخَذَ فِي الصَّدَرِ مِنْهَا، فَلَقِيَ أَبَا الطَّاهِرِ بِجَزِيرَةِ طَرِيفٍ[3] مُقْبِلاً وَصَادِرًا، وَلَحِقَ أَبُو الطَّاهِرِ غَرْنَاطَةَ فِي رَمَضَانَ المُعَظَّمِ"[1].

فهرب الأمير منهم بعد مشقة، فنهبوا القصر، وأحرقوا جميع دور المرابطين، ونهبوا أموالهم، وأخرجوهم من المدينة.

وما لبثت أحداث هذه الثورة أن ترامت إلى أسماع أمير المسلمين عليّ بن يوسف، فكره ذلك، واستعظم الأمر، فأرسل إلى أهل قرطبة رسالة تقريع وتهديد، فلما لم يؤثر فيهم هذا التهديد قرر النهوض إليهم، وجمع العساكر من زناتة وصنهاجة وغيرهما، فاجتمع له عدد عظيم قال عنه صاحب الحلل الموشية (ص ٨٦): "لم يجتمع مثله للمرابطين من قبل"، وعبر إلى الأندلس في أوائل سنة ٥١٥ هـ/ ١١٢١ م، ووصل إلى مدينة قرطبة فحاصرها، وعندما علم أهل البلد بوصوله أغلقوا أبواب المدينة دونه، واستعدوا لمواجهته وقتاله قتال مَن يريد أن يحمي دمه وحريمه وماله.

وعندما رأى أمير المسلمين استعداد أهل قرطبة وفقهائها للمقاومة والقتال، لم يُرِدْ أن يريق دماء المسلمين، وتذرَّع بالصبر والهدوء، وأقام أمام المدينة فترةً، وكان بإمكانه أن يقتحمها، لاسيما وأنه كانت لديه الإمكانات العسكرية لتحقيق ذلك، وسرعان ما دخل السفراء بينهم، وسعوا في الصلح، وكان أمير المسلمين قد استدعى القاضي أبا الوليد بن رشد الجدّ قاضي قرطبة، وكذلك فقهاء المدينة، وجرت بينهم محادثات حول أمر الثورة والخروج على الحاكم واقتحام قصر الوالي والاستيلاء على ما فيه، وفي الوقت نفسه ذكَّر أعيانُ قرطبة أميرَ المسلمين بوصية أبيه في أن يقبل ممن أحسن من أهل قرطبة، وأن يتجاوز عن مسيئهم، فرضي بذلك، وقبل الصفح عنهم شريطة أن يؤدوا إليه مالاً عوضًا عما نُهب من المرابطين، فوافقوا على ذلك، وهدأت الأمور، واستقرت الأحوال. انظر: الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ٨٧. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٠/ ٥٥٨. النويري: نهاية الأرب، ٢٤/ ٢٧٤. أ. عنان: دولة الإسلام في الأندلس- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الأول، ص ٨٢-٨٣.

(١) سقطٌ في نص البيان المغرب (٤/ ٦٦) لم نهتد إليه، وتجدر الإشارة هنا إلى أن أمير المسلمين عليّ بن يوسف كان أثناء عبوره إلى الأندلس قد مرَّ على إشبيلية أولاً قبل أن يصل إلى قرطبة.

(٢) في الحلل الموشية، ص ٨٦: "أبو يحيي ابن رواد"، وفي البيان المغرب، ٤/ ٦٦، ٧٨: "أبو يحيي ابن روادة"، بينما ورد في مفاخر البربر، ص ١٩٠: "القائد أبو عبد الله، عُرف بابن روادة"، ولا نعرف عنه سوى أنه ولي قرطبة في التاريخ المذكور أعلاه، وأن عبد الله بن أبي بكر اللمتوني عندما ولي غرناطة سنة ٥٢٢ هـ/ ١١٢٨م- وكان في شرق الأندلس بجيش العدوة عندما جاءه قرار التولية- أقام ابن روادة نائبًا عليها إلى حين وصوله إليها. انظر: البيان المغرب، ٤/ ٧٧-٧٨.

(٣) طريف (Tarifa): تقع في أقصى جنوب الأندلس، وهي- حاليًا- إحدى بلديات مقاطعة قادس (Cadiz)، وتبلغ مساحتها ٤١٩ كلم، وتُسمَّى أحيانًا (جزيرة طريف)، حيث تحيط بها

[الوَزِيرُ الأَدِيبُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مَالِكٍ المُعَافِرِيُّ]:

"عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَالِكٍ المُعَافِرِيُّ، مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةَ[1]، يُكْنَى أَبَا مُحَمَّدٍ، أَحَدُ جِلَّةِ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ، كَانَ ذَاكِرًا لِلْفِقْهِ وَلِلْحَدِيثِ، فَارِعًا[2] فِي ذَلِكَ[4]، شَاعِرًا مُجِيدًا، وَكَاتِبًا بَلِيغًا، حُلْوَ الكِتَابَةِ وَالشِّعْرِ، وَكَانَ مَعَ هَذَا آخِرَ وُزَرَاءِ الأَنْدَلُسِ، كَثِيرَ الصَّنَائِعِ، جَزْلَ المَوَاهِبِ، عَظِيمَ المَكَارِمِ، عَلَى سَنَنِ عُظَمَاءِ المُلُوكِ وَأَخْلَاقِ السَّادَةِ الكِرَامِ، لَمْ يُرَ بَعْدَهُ مِثْلُهُ فِي رِجَالِ الأَنْدَلُسِ، لَهُ مَآثِرُ جَلِيلَةٌ وَأَعْمَالٌ كَرِيمَةٌ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى الحَمَّامَ بِجَامِعِ غَرْنَاطَةَ مِنْ أَحْبَاسِ الجَامِعِ حِينَ وَلِيَ إِشْرَافَهَا وَجَمِيعَ أَعْمَالِهَا، بَدَأَ بُنْيَانَهُ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ جُمَادَى الأُولَى سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَشَرَعَ فِي الزِّيَادَةِ فِي سَقْفِ الجَامِعِ مِنْ صَحْنِهِ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ، وَعَوَّضَ كُلَّ أَرْجُلِ قِسِيِّهِ بِأَعْمِدَةِ الرُّخَامِ، وَجَلَبَ الرُّءُوسَ

المياه إلا من ناحية واحدة تحدها الجبال، وهي أول بقعة أندلسية وطئتها أقدام المسلمين في حملة استطلاعية صغيرة بقيادة طريف بن مالك سنة ٩١ هـ/ ٧١٠ م؛ ولذا سميت الجزيرة باسمه، وتقع في أول المجاز المسمى بالزقاق، وتقع قبالتها الجزيرة الخضراء (Algeciras) في الناحية الشرقية، وتفصل بينهما سلسلة من التلال المتصلة، وهي مدينة أندلسية تالدة، ذات أهمية بحرية خاصة؛ إذا كانت مركزًا لنزول الجيوش الإسلامية العابرة من المغرب إلى الأندلس، وقد سقطت في أيدي النصارى سنة ٦٩١ هـ/ ١٢٩٢ م، ولم يستطع المسلمون-رغم تكرار المحاولة-أن يستردوها منهم بعد ذلك. انظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٢٧، ٥٣٩. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢٧. أ. عنان: الآثار الأندلسية الباقية، ص ٢٧٨-٢٨٠.

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٦٦.

(٢) جعله ابنُ بسَّام من أهل قرطبة، فقال: "فصلٌ في ذكر الأديب أبي محمد ابن مالك القرطبيّ". انظر: الذخيرة- القسم الأول، المجلد الثاني، ص ٧٣٩، ولعله وَهِمَ في ذلك، فكلُّ مَن ترجموا له جعلوه من أهل غرناطة. وذكره ابن سعيد الأندلسي في العمال، فقال عنه: "أبو محمد عبد الرحمن بن مالك صاحب مختص أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في غرناطة وغيرها من بلاد الأندلس". انظر: المغرب في حلى المغرب، ٢/ ١١٧، الترجمة رقم ٤٣١.

(٣)كذا في صلة الصلة – القسم الثالث ، ص ١٧٤، الترجمة رقم ٣٠٢. بينما وردت في الإحاطة (تحقيق : أ. عنان)، ٣/ ٥٢٤ ، وفي نفح الطيب، ٣/ ٢٣٢: " بَارِعًا" ، وهي الأشهر ، والفَارِع لغةً هو العالي.

(٤) جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٥٢٤: "بارعًا في الأدب"، وفي نفح الطيب، ٣/ ٢٣٢: "بارعًا في الآداب"، ولعل إحداهما أنسب للسياق.

وَالْمَوَائِدَ مِنْ قُرْطُبَةَ، وَفَرَشَ صَحْنَهُ بِكَذَّانِ[1] الصُّخَيْرَةِ[2]، وَأَزَالَ حِيطَانَ الْمَقْصُورَةِ لِيُعِيدَهَا بِالْخَشَبِ الْمَنْقُوشِ الْمُخَرَّمِ، فَقَطَعَهُ عَنْ ذَلِكَ أَجَلُهُ، وَفِي سَنَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ كَمُلَتِ الزِّيَادَةُ فِي الْجَامِعِ مِنْ جِهَةِ الصَّحْنِ وَجِهَةِ الشَّرْقِ، وَفِي أَثْنَاءِ عَمَلِهِ بِغَرْنَاطَةَ وَلِيَ مُسْتَخْلَصَ إِشْبِيلِيَّةَ[3]، وَوَجَّهَهُ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ[4] إِلَى طُرْطُوشَةَ[5]؛ لِيُصْلِحَهَا وَيَبْنِيَ أَسْوَارَهَا وَيُحَصِّنَهَا[6]، فَاسْتَوْفَى الْغَايَةَ فِيمَا قَلَّدَهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ[7]، وَاسْتَصْحَبَ إِلَيْهَا جُمْلَةً مِنْ مَالِهِ لِمُؤْونَتِهِ[8] الْمُخْتَصَّةِ بِهِ، فَلَمَّا احْتَلَّهَا سَأَلَ قَاضِيَهَا، فَكَتَبَ لَهُ تَسْمِيَةَ جُمْلَةٍ[9] [مِنْ

---

(١) الكَذَّانُ: حجارةٌ رِخْوَة كأنها مَدَرٌ، الواحدة: كَذَّانة، وقيل: حِجارةٌ فيها رَخَاوةٌ، وربما كانت نخِرةً، أو حجارة رِخْوَةٌ إلى البياض، وقيل: الحجارة التي ليست بصُلْبَة.

(٢) جاءت في نفح الطيب، ٣/ ٢٣٢: "بكذان الصخر".

(٣) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٥٢٤: "ومن مكارمه أنه لما وُلِّيَ مستخلص غرناطة وإشبيلية".

(٤) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٥٢٤: "وجهه أميره عليّ بن يوسف بن تاشفين".

(٥) طرطوشة (Tortosa): إحدى مدن منطقة كتالونيا (Cataluña) بإسبانيا حاليًا، وتقع قرب مصب نهر إبره (Ebro) في البحر الأبيض المتوسط، على مسافة ٢٠٠ كلم إلى الجنوب الشرقي من سرقسطة (Zaragoza)، وتعلو عن سطح البحر بنحو ١٢ م، ويحدها شمالاً جبال كاردو مسيف، وتبعد عن طرّكونة (Tarragona) بنحو ٥٠ كلم، وتقع شرقي بلنسية (Valencia) وقرطبة (Córdoba)، وبينها وبين بلنسية ١٢٠ ميلاً، مسيرة أربعة أيام، وهي مدينة متقنة العمارة، كثيرة الحصون، واسعة الأرجاء، تحلها التجار وتسافر منها إلى سائر الأمصار، وقد اشتهرت في عهدها الإسلامي بنشاطها العلمي والثقافي، وقد عانت فترة من الاضطرابات إلى أن خضعت نهائيًا لكونت برشلونة (Barcelona) رامون بيرينغير الرابع (Ramón Berenguer IV) سنة ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨م. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤/ ٣٠-٣١. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢٤-١٢٥. ابن حيان: المقتبس- تحقيق: د. محمود علي مكي، ص ٢٤٢، حاشية رقم ١٨. أ. عنان: الآثار الأندلسية الباقية، ص ١٢٠-١٢٢.

(٦) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٥٢٤: "برسم بنائها وإصلاح خللها".

(٧) جاءت هذه الجملة في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان، ٣/ ٥٢٤-٥٢٥) مضطربة، حيث قال: "فلما استوفى الغاية فيها قلده".

(٨) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٥٢٥: "المؤنته"، وكلاهما بمعنى واحد؛ أي: لنفقته وقوته.

(٩) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٥٢٤: "فكتب إليه جملة".

أَهْلِهَا][1] مِمَّنْ ضَعُفَ حَالُهُ وَقَلَّ تَصَرُّفُهُ مِنْ ذَوِي الْبُيُوتَاتِ، فَاسْتَعْمَلَهُمْ كَتَبَةً وأُمَنَاءَ فِي كُلِّ وَجْهٍ جَمِيلٍ، وَوَسَّعَ أَرْزَاقَهُمْ حَتَّى كَمُلَ لَهُ مَا قَصَدَ إِلَيْهِ مِنْ عَمَلِهِ[2]، وَمَنْ عَجِزَ عَنْ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُ وَصَلَهُ مِنْ مَالِهِ[3]، فَصَدَرَ عَنْهَا وَقَدْ أَنْعَشَ خَلْقًا كَثِيرًا، وَمَآثِرُهُ -رَحِمَهُ اللهُ- كَثِيرَةٌ، تُوُفِّيَ بِغَرْنَاطَةَ فِي غُرَّةِ شَعْبَانَ، وَقَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ: فِي مُسْتَهَلِّ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَدُفِنَ إِثْرَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ بِبَابِ إِلْبِيرَةَ، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ، وَتَفَجَّعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَرَثَاهُ ابْنُ أَبِي الْخِصَالِ وَغَيْرُهُ، وَلَمْ يَكُنْ بِالأَنْدَلُسِ نَظِيرُهُ، ذَكَرَهُ النَّاسُ مِنْهُمْ: ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ، وَالْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ[4]، وَغَيْرُهُمَا، والمَلَّاحِيُّ عَنْهُمْ"[5].

[الْوَزِيرُ أَبُو عَلِيٍّ ابن هَدِيَّةٍ صَاحِبِ الْمُسْتَخْلَصِ][6]:

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٥٢٥.

(٢) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٥٢٥: "حَتَّى كَمُلَ لَهُ مَا أراد مِنْ عَمَلِهِ".

(٣) ولذا قال عنه ابن الأبار: "ولم يكن له مالٌ إلا جاد به"، ثم أضاف إلى أعماله الجليلة سقاية تقام غربي جامع غرناطة، فقال: "وأوصى بسقاية تساق إلى غربي الجامع، فأرسل أن ينفق فيها سبعمائة مثقال". انظر: التكملة (تحقيق: د. عبد السلام الهراس)، ٣/ ١٩.

(٤) قلائد العقيان- تحقيق: د. حسين يوسف خريوش-مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع- الأردن- ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ١/ ٥٠٠-٥٠٤.

(٥) ابن الزبير: صلة الصلة - القسم الثالث، ص١٧٤- ١٧٦، الترجمة رقم ٣٠٢. وانظر أيضًا: ابن الأبار: التكملة (تحقيق: د. عبد السلام الهراس)، ٣/ ١٨-١٩، الترجمة رقم ٥٧. ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٣/ ٥٢٤-٥٢٦، ولم يذكر ابن الخطيب مصدره في هذه الترجمة رغم أن نصه يتفق تمامًا مع نص صلة الصلة لابن الزبير.

(٦) وردت ترجمة هذا الوزير في الإحاطة لابن الخطيب (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤٢٩-٤٣٠، ولم يذكر لنا تاريخ وفاته، ولا تاريخ تولّيه المستخلص، بينما أشار ابن عذاري في البيان المغرب (٤/ ٧٣) إلى هذا الوزير ونوّه بدوره في بناء أسوار المدن الأندلسية بعد غزوة ألفونسو الأول/ المحارب؛ تنفيذًا لوصية القاضي أبي الوليد ابن رشد الجدّ وفتواه في ذلك لأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، لذلك وضعنا ترجمته هنا؛ لأنه من المؤكد لدينا أنه تولى المستخلص قبل غزوة ألفونسو الأول للمدن الأندلسية سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م بدليل أنه في نص ابن عذاري آنف الذكر كان يُلقَّب بصاحب المستخلص.

قَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيّ: "وَلَمَّا وُلِّيَ الْوَزِيرُ أَبُو عَلِيّ ابْنُ هَدِيَّة[1] الْمُسْتَخْلَصَ[2]، وَبَاشَرَ جَلاَئِلَ الأُمُورِ وَدَقَائِقَهَا بِنَفْسِهِ، حَمَى الْمُنَاصِفِينَ[3]، وَرَفَعَ الْمُؤَنَ وَالْكُلَفَ عَنْهُمْ، وَوَسَّعَ بِسَلِيفِ الْبَذْرِ عَلَيْهِمْ، وَآثَرَهُمْ بِالنَّصَفَةِ بِالْتِزَامِ حِصَّةِ بَيْتِ الْمَالِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ حُجَّابٌ وَلاَ بَوَّابٌ، فَكَانَ الْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ، وَالْمَشْرُوفُ وَالشَّرِيفُ، وَالْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ، وَالرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ، شَرْعًا سَوَاءً فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَالتَّكَلُّمِ فِي مَجْلِسِهِ، فَلَمْ يُهْتَضَمْ جَانِبٌ، وَلاَ دُحِضَتْ حُجَّةٌ، إِلَّا أَنَّهُ ارْتَفَعَتِ الرِّقْبَةُ[4]، وَزَالَتِ الْهَيْبَةُ، وَأُمْحِقَ نُورُ الْخُطَّةِ، وَخَصَّ أَحْبَاسَ جَامِعِ غَرْنَاطَةَ بِنَظَرِهِ، بِفَضْلِ مَالٍ كَثِيرٍ مِنْ غَلَّتِهِ، وَنَبَّهَ بِاجْتِمَاعِهِ؛ لِيَزِيدَ بِهِ بَلاَطَيْنِ فِي مَسْقَفِهِ مِنْ شَرْقِهِ وَغَرْبِهِ، فَأَكْمَلَ اللهُ ذَلِكَ بِسَعْيِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ، وَرَامَ رَبْعَ الْمُسْتَخْلَصِ، وَزَادَ بِهِ فِي حَمَّامَاتِهِ، وَرَمَّ حَوَانِيتَهُ، وَاسْتَحْدَثَ مَنِيحَةً[5] سَمَّاهَا الْمُسْتَحْدَثَةَ، وَغَرَسَ قُضْبَانَ الْجَوْزِ فِي مَوَاضِعِ الْمِيَاهِ، وَعَوَّضَ بِمَا ذَهَبَ، وَشَمَّرَ فِي جَمْعِ الْمَالِ، وَوَالَى الْحَفْزَ عَلَى الْعَمَلِ، وَنَصَحَ بِمُقْتَضَى جُهْدِهِ، وَمُنْتَهَى وُسْعِهِ، وَلَمْ تَمْتَدَّ يَدُهُ فِي مُصَانَعَةٍ، وَلاَ مَالَتْ إِلَى مُدَاخَلَةٍ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُجْمِلْ فِي حَقٍّ وَلاَ نُوقِشَ فِي بَاطِلٍ"[6].

[الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَسُّون الْمَالَقِيُّ]:

"مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عِيسَى بْنِ حُسَيْنٍ الْكَلْبِيُّ، مِنْ أَهْلِ مَالَقَةَ، يُكْنَى أَبَا عَبْدِ اللهِ، وَيُعْرَفُ بِابْنِ حَسُّونٍ، وَحُسَيْنٌ الأَوَّلُ هُوَ الْمَعْرُوفُ بِذَلِكَ، كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالأَدَبِ، نَافِذًا فِي الأَحْكَامِ، حَسَنَ الْخَطِّ، فَصِيحًا بَلِيغًا، ذَا رُوَاءٍ وَمُرُوءَةٍ، وَوَلِيَ

---

(١) وردت في البيان المغرب، ٤/ ٧٣: "ابن هُدْبَة"، ولا ندري أيها أصوب؛ إذ لا نعرف ترجمة لهذا الوزير، ولم نقف على أسرة أندلسية تحمل هذا اللقب.

(٢) المستخلص: الأملاك السلطانية الخاصة، ومنها الأراضي الزراعية، حيث كانت تُعطَى للمزارعين يزرعونها مناصفةً بينهم وبين الدولة.

(٣) المُنَاصِفُون: هم المزارعون الذين يزرعون أراضي السلطان (الدولة) مناصفةً.

(٤) الرِّقْبَةُ بكسر الراء: الحالَةُ التي تكون عليها المُراقَبة، والرُّقْبةُ: التَّحَفُّظُ والفَرَقُ.

(٥) المَنِيحة: كالمِنْحة هي ما يُعطى من النخل والناقة والشاة وغيرها ليتناول ما يتولَّد منه كالثمر واللبن، وهي عاريةٌ وقد تكون تمليكًا، ثم سُمّي بها كلّ عطية.

(٦) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤٢٩-٤٣٠.

قَضَاءَ مَالَقَه، وَوَلِيَهُ قَبْلَهُ أَبوهُ وَجَدُّهُ، وَوَلِيَ أَيْضًا قَضَاءَ غَرْنَاطَة، وَبِهِ صُرِفَ مَخْلُوفُ بْنُ خَلَفِ الله عَنْهَا ثَالِثَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَهُوَ مِنْ بَيْتِ عِلْمٍ وَنَبَاهَةٍ وَرِئَاسَةٍ، اتَّصَلَتْ لَهُمْ دَهْرًا، وَلَهُ تَأْلِيفٌ فِي الزُّهْدِ سَمَّاهُ بِـ"الْمُؤْنِسِ فِي الْوَحْدَةِ"[1]، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ، أَكْثَرُ خَبَرِهِ مِنْ تَارِيخِ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ الصَّيْرَفِيِّ الأَدِيبِ، وَوَفَاتُهُ عَنْهُ وَعَنِ ابْنِ حُبَيْشٍ"[2].

[غَزْوَةُ ابنِ رُذْمِيرِ (أَلْفُونْسُو الأَوَّل) لِلْمُدُنِ الأَنْدَلُسِيَّةِ سَنَةَ ٥١٩ هـ/ ١١٢٥م]:

[3]"وَلَمَّا تَحَرَّكَتْ لِعَدُوِّ الله الطَّاغِيَةِ ابنِ رُذْمِيرِ رِيحُ الظُّهُورِ عَلَى عَهْدِ الدَّوْلَةِ الْمُرَابِطِيَّةِ قَبْلَ أَنْ يَخْضِدَ اللهُ شَوْكَتَهُ عَلَى إِفْرَاغَةَ[4] بِمَا هُوَ مَشْهُورٌ[5]، أَمَّلَتِ الْمُعَاهَدَةُ مِنَ

---

(١) عنوانه كاملاً: "المؤنس في الوحدة والموقظ من سنة الغفلة". انظر: ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة- السفر السادس، ص ٣٣١. البناهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص ١٠٠.

(٢) ابن الأبار: التكملة (تحقيق: د. عبد السلام الهراس)، ١/ ٣٤٣، الترجمة رقم ١٢١٦. وترجم له أيضًا ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة- السفر السادس، ص ٣٣١، الترجمة رقم ٨٧٠.

(٣) وردت بداية هذا النص في الحلل الموشية وفي الإحاطة دون الإشارة إلى المصدر، لكنهما أشارا خلال النقل إلى ابن الصَّيْرَفِيّ وكتابه الأنوار الجليَّة، واتفاق بداية النص في المصدرين يؤكد أنهما ينقلان من مصدر واحد هو الأنوار الجليَّة لابن الصَّيْرَفِيّ، كما نقل ابن عذاري في البيان المغرب أربع صفحات متوالية (ص ٦٩-٧٢) تتفق مع ما ورد في الحلل والإحاطة دون أن يشير إلى مصدره، لكن الإنصاف يقتضي الإشارة إلى أن نصه فيه سقط كبير، وربما يكون قد أشار إلى مصدره خلال هذا السقط، لكن ليس لدينا ما يؤكد هذا الافتراض، لكن اتفاق نصه مع نَصَّي الحلل والإحاطة يؤكد أنه ينقل أيضًا عن الأنوار الجلية لابن الصَّيْرَفِيّ، وهو أحد مصادره التاريخية المعروفة، وقد اعتمدنا هنا على نص الإحاطة؛ لأنه أكمل النصوص الثلاثة، ووضعنا في الحواشي الفروق بينه وبين نصي الحلل والبيان المغرب.

(٤) إفراغة (Fraga): مدينة في جنوب غرب لاردة (Lérida) بينهما ثمانية عشر ميلاً، وكانت إفراغة من معاقل الثغر الأعلى، وتقع في أقصى حدود دولة المرابطين بشمال الأندلس. انظر: الحميري: الروض المعطار، ص ٤٨. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٥٤، حاشية رقم ٢.

(٥) بعد أن استولى ألفونسو الأول على معظم قواعد الثغر الأعلى، سار نحو إفراغة سنة ٥٢٨ هـ/ ١١٣٤ م، وضرب حولها حصارًا محكمًا، ولكنه لم يستطع أن ينال منها شيئًا؛ نظرًا لحصانتها

النَّصَارَى لِهَذِهِ الْكُورَةِ إِدْرَاكَ الثُّرَّةِ[1]، وَأَطْمَعَتْ فِي الْمَمْلَكَةِ، فَخَاطَبُوا ابْنَ رُذْمِيرٍ مِنْ هَذِهِ الأَقْطَارِ، وَتَوَالَتْ عَلَيْهِ كُتُبُهُمْ، وَتَوَاتَرَتْ رُسُلُهُمْ، مُلِحَّةً [عَلَيْهِ فِي][2] الاسْتِدْعَاءِ[3]، مُطْمِعَةً [لَهُ][4] فِي دُخُولِ غَرْنَاطَةَ[5]، فَلَمَّا أَبْطَأَ عَنْهُمْ وَجَّهُوا إِلَيْهِ[6] زِمَامًا[7] يَشْتَمِلُ عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا مِنْ أَنْجَادِ مُقَاتِلَتِهِمْ[8]، لَمْ يَعُدُّوا فِيهَا شَيْخًا وَلا غِرًّا، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّ مَنْ سَمَّوْهُ مِمَّنْ شَهِدَتْ[9] أَعْيُنُهُمْ لِقُرْبِ مَوَاضِعِهِمْ، وَبِالْبُعْدِ مَنْ يَخْفَى أَمْرُهُ[10]، [وَيَظْهَرُ عِنْدَ وُرُودِكَ شَخْصُهُ[11]، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ كَافِيَةٌ، وَعَوْرَاتُ الْبِلادِ بَادِيَةٌ،

ومنعتها، وكانت تحت حكم القائد "سعد بن مردنيش"، ولما طال الحصار استغاث ابنُ مردنيش وأملُ إفراغة بالمرابطين، فاستجاب المرابطون سريعًا، وخرج الزبير بن عمر اللمتوني والي قرطبة في ألفي فارس، وتبعه القائد يحيي بن غانية في خمسمائة فارس، وعبد الله بن عياض صاحب لاردة في مائتي فارس، واشتبك المسلمون مع النصارى في (٢٣ من رمضان سنة ٥٢٨ هـ/ ١٧ من يوليو سنة ١١٣٤ م) في معركة حامية الوطيس هُزم فيها النصارى هزيمة ساحقة، وقيل: إن ألفونسو الأول مات صريعًا في أرض المعركة، وقيل: بل فرَّ هاربًا ولحق بمدينة سرقسطة، ومات مفجوعًا بعد عشرين يومًا من الهزيمة. انظر: ابن القطان: نظم الجمان، ٦/ ٢١٨-٢٢٣. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١١/ ٣٣. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثاني، ص ٢٥٩-٢٦٠. والقسم الثالث من الكتاب نفسه، ص ٢٥٤-٢٥٥. يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس- ترجمة: أ. عنان، ١/ ١٧٣.

(١) الثرة: السعة والبسطة والشيء الغزير الكثير.

(٢) ما بين الحاصرتين جاء في البيان المغرب، ٤/ ٦٩، وهو أكمل للسياق.

(٣) في الحلل الموشية، ص ٩١: "ملحة في الاستعداد". وفي الإحاطة، ١/ ١٠٩: "ملحة بالاستدعاء".

(٤) ما بين الحاصرتين جاء في البيان المغرب، ٤/ ٦٩، وهو أنسب للسياق.

(٥) في الحلل الموشية، الصفحة السابقة: "مطمعة بدخول غرناطة".

(٦) في البيان المغرب، ٤/ ٦٩: "وجهوا له".

(٧) في الحلل الموشية، ص ٩١: "سفرًا".

(٨) جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٠٩: "من أنجاد مقاتليهم". وفي البيان المغرب، ٤/ ٦٩: "من مقاتلتهم". وفي الحلل الموشية، ص ٩١: "من أسماء أنجاد مقاتلتهم"، وكلمة "مقاتلتهم" أنسب لما سيأتي من الكلام.

(٩) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٠٩: "شهرت"، و"شهدت" أنسب للسياق وأوفق للمعنى.

(١٠) في الحلل الموشية، ص ٩١: "أثره".

وَعِنْدَنَا رُتَبٌ وَنُظُرٌ نَخْرُجُ لَكَ عَنْهَا بِالْمُسَانِيَةِ[2]] [3]، فَاسْتَثَارُوا[4] طَمَعَهُ، وَابْتَعَثُوا[5] جَشَعَهُ، وَاسْتَفَزُّوهُ بِأَوْصَافِ غَرْنَاطَةَ وَمَا لَهَا مِنَ الْفَضَائِلِ[6] عَلَى سَائِرِ الْبِلَادِ [بِتَحْصِينِهَا] [7]، [وَبِفَحْصِهَا الأَفْيَحِ] [8]، [وَكَثْرَةِ فَوَائِدِهَا مِنَ الْقَمْحِ وَالشَّعِيرِ وَالْكِتَّانِ، وَكَثْرَةِ الْمَرَافِقِ مِنَ الْحَرِيرِ وَالْكُرُومِ وَالزَّيْتُونِ وَأَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ] [9]، [وَكَثْرَةِ الْعُيُونِ وَالأَنْهَارِ] [10]، وَمَنَعَةِ قَصَبَتِهَا[11]، وَانْطِبَاعِ رَعِيَّتِهَا، وَتَأَتِّي أَهْلِ حَاضِرَتِهَا، وَجَمَالِ إِشْرَافِهَا وَإِطْلَالِهَا، وَأَنَّهَا الْمُبَارَكَةُ الَّتِي يُمْتَلَكُ مِنْهَا غَيْرُهَا[12]، الْمُسَمَّاةُ[13] سَنَامُ[14] الأَنْدَلُسِ عِنْدَ الْمُلُوكِ فِي تَوَارِيخِهَا، [وَأَشْخَصُوا بِكِتَابِهِمْ وَزِمَامِهِمْ كُهُولاً مِنْهُمْ تَكَلَّمُوا

---

(١) في الحلل الموشية، الصفحة السابقة: "ويظهر عند وروده عليهم شخصه".

(٢) لم تسعفنا المصادر المتاحة بين أيدينا في التوصل إلى المقصود بهذه الكلمة.

(٣) ما بين الحاصرتين ورد فقط بين قوسين في البيان المغرب، ٤/ ٦٩.

(٤) في الإحاطة، ١/ ١٠٩: "فاستأثروا"، وفي البيان المغرب، ٤/ ٦٩: "فاستزاد"، وكلتاهما لا تتناسب مع السياق والمعنى، وعبارة الحلل الموشية التي أثبتناها أنسب.

(٥) في البيان المغرب، ٤/ ٦٩: "وابتعث".

(٦) في البيان المغرب، ٤/ ٦٩: "الفضل".

(٧) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٦٩.

(٨) ما بين الحاصرتين ورد فقط في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٠٩. وقد سبقت الإشارة إلى هذا الفحص.

(٩) ما بين الحاصرتين لم يرد في البيان المغرب، ٤/ ٦٩.

(١٠) وردت في البيان المغرب، ٤/ ٦٩: "وكثرة عيونها وأنهارها".

(١١) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٠٩: "قبتها"، وربما أصابها تصحيف في الإحاطة بسقوط "الصاد بعد القاف".

(١٢) في البيان المغرب، ٤/ ٦٩: "التي يُملك منها غيرها"، وفي الحلل الموشية، ص ٩١: "التي يُملك بها غيرها".

(١٣) في البيان المغرب، ٤/ ٦٩: "وهي المسماة"، وفي الحلل الموشية، ص ٩١: "وأنها سنام".

(١٤) كذا في اللمحة البدرية (نشرة: محب الدين الخطيب)، ص ١٢، وقد تكون (شام الأندلس)؛ لأن غرناطة كانت تسمَّى (شام الأندلس) أو (دمشق الأندلس)، وقد وصفها ابن الخطيب في اللمحة البدرية، في الصفحة المذكورة بأنها: "شامية في أكثر الأحوال"، وفي الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٩٤: "فهي شامية في أكثر أحوالها".

بَيْنَ يَدَيْهِ مِلءَ أفْوَاهِهِمْ](1)، [وَرَمَوْا عَلَى ذَلِكَ الْغَرَضِ حَتَّى عَزَمَ وَجَدَّ فِي الحَشْدِ، وَانْتَخَبَ مِنْ مُحْتَشَدِهِ خَمْسَةَ آلافِ فَارِسٍ(2) وَخَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ رَاجِلٍ](3)، [اخْتَارَهَا مِنْ بِلادِ أَرْغُونَةَ بِتَوَابِعِهِمْ(4)، وَتَعَاقَدُوا وَتَحَالَفُوا بِالإِنْجِيلِ أَنَّهُ لاَ يَفِرُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ صَاحِبِهِ](5).

وَتَحَرَّكَ بِهِمْ أَوَّلَ شَعْبَان وَقَدْ أَخْفَى مَذْهَبَهُ وَكَتَمَ أَرَبَهُ [إِلَى أَنْ وَصَلَ بَلَنْسِيَةَ](6) فِي يَوْمِ الثُّلاثَاء المُوَفِّي عِشْرِينَ مِنْ رَمَضَان، [وَبِهَا الشَّيْخُ مُحَمَّدُ يَدرَ بنُ وَرْقَاء بِجَمَاعَةٍ مِن المُرَابِطِينَ](7)، فَأَمَرَ بِضَرْبِ مَحَلَّتِهِ، وَمَشَى فِي أُهْبَةٍ، فَمَرَّ عَلَيْهَا وَزَاحَمَهَا، [وَأَقَامَ بِهَا يُقَاتِلُهَا مُدَّةً، وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ وَصَلَهُ عَدَدٌ وَافِرٌ مِن النَّصَارَى المُعَاهَدِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَهُ، وَيَدُلُّونَهُ عَلَى الطَّرِيقِ، وَيُنَبِّهُونَ عَلَى المَرَاشِدِ الَّتِي تَضُرُّ المُسْلِمِينَ وَتَنْفَعُهُ، وَاجْتَازَ عَلَى

(1) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٦٩.

(2) جاء في الحلل الموشية، ص ٩١: "وتهيأ في أربعة آلاف فارس اختارها من أرغونة بتوابعهم، وتعاقدوا وتحالفوا بالإنجيل أنه لا يفر أحدٌ منهم عن صاحبه".

(3) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٠٩: "فرموا حتى أصابوا غَرَبَه، فانتخب واحْتَشَدَ". وفي الحلل الموشية، ص ٩١: "فرموا حتى أصابوا غرضهم، فانتخب واحتشد".

(٤) بتوابعهم أي مع أتباعهم من الرجّالة والرماة.

(5) ما بين الحاصرتين زيادة من الحلل الموشية، ص ٩١.

(6) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٠٩: "فوافى بلنسية". وفي الحلل الموشية، ص ٩١: "فاجتاز على بلنسية".

(7) ما بين الحاصرتين زيادة من الحلل الموشية، ص ٩١، وجاء بها: "أبو محمد بدر" بالباء، وهو تصحيف ظاهر، والصحيح: "أبو محمد يدر" بالياء، وقد تعددت روايات اسم هذا القائد، فذكره ابن عذاري باسم: "محمد بن يوسف يدرّ" (البيان المغرب، ٤/ ٨١)، وذكره صاحب مفاخر البربر باسم: "أبو عبد الله يدرّ بن ورقاء" (مفاخر البربر-تحقيق: د. عبد القادر بوباية، ص ١٩٢)، ومن المعروف أن مَن اسمه محمدًا يُكنى بأبي عبد الله، بينما ذكره صاحب الحلل الموشية باسم: "أبو محمد يدرّ بن ورقاء" كما جاء في المتن أعلاه (الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ٩١)، ومن الراجح أن لفظة (أبو) الواردة في الحلل الموشية زائدة، والصحيح أن يكون الاسم بدونها كما أثبتناه في المتن أعلاه.

جَزِيرَةِ شُقْرٍ[1]، فَقَاتَلَهَا أَيَّامًا، خَسِرَ فِيهَا وَلَمْ يَرْبَحْ، ثُمَّ رَحَلَ مِنْهَا إِلَى دَانِيَةَ[2]، وَقَاتَلَهَا لَيْلَةَ عِيدِ الْفِطْرِ مِن هَذِهِ السَّنَةِ، وَشَقَّ بِلادَ الشَّرْقِ مَرْحَلَةً مَرْحَلَةً، وَمَنْزِلَةً مَنْزِلَةً، وَشَنَّ الْغَارَةَ عَلَى كُلِّ قُطْرٍ مَرَّ بِهِ، وَاجْتَازَ عَلَى فَحْصِ شَاطِبَةَ[3] حَتَّى مُرْسِيَةَ[1])[2] [ثُمَّ إِلَى

---

(١) جزيرة شُقَر (Júcar): تقع في مقاطعة بلنسية على الضفة الشرقية لنهر (وادي) شقر، قريبة من شاطبة (Játiva)، وتبعد عن بلنسية (Valencia) بنحو ١٨ ميلاً، اشتُهرت بأنها عروس الأندلس؛ لجمال بقعتها وكثرة خيراتها، وكانت على مدار التاريخ مطمعًا لكثير من المتنزين في عهد الدولة الأموية بالأندلس، وسقطت في يد ملك أراغون خايمي الأول (Jaime I) سنة ٦٣٩ هـ/ ١٢٤١ م. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٣/ ٣٥٢-٣٥٤. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٠٢. العذري: نصوص عن الأندلس، ص ١٩. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ١٠٨-١٠٩.

(٢) دانية (Dénia): مدينة مهمة من المدن الأندلسية، تقع ضمن حدود مقاطعة لقنت (Alicante) جنوب شرق إسبانيا، كما تقع جنوب مدينة بلنسية (Valencia) على ساحل البحر المتوسط، وتبعد عنها بنحو ١٦ فرسخًا، وتُعدُّ قاعدة من قواعد شرق الأندلس وميناءً مهمًا، وهي مدينة مشهورة الذكر، جليلة القدر، تُعرف بكثرة أشجارها وفواكهها، وقد سقطت نهائيًا في أيدي النصارى سنة ٦٤٢ هـ/ ١٢٤٤ م على يد ملك أراغون خايمي الأول (Jaime I). انظر: العذري: نصوص عن الأندلس، ص ١٩. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢/ ٤٣٤. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٩٦، حاشية رقم ٢. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٥٦-٥٥٧. ابن الأبار: الحلة السيراء، ٢/ ٣٠٣. ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلى المغرب، ٢/ ٤٠٠. المقري: نفح الطيب، ١/ ١٦٦. أ. عنان: نهاية الأندلس، ص ٦٧.

(٣) شاطبة (Játiva): مدينة كبيرة تقع شرقي الأندلس، وتُعد من أعمال بلنسية (Valencia) وتبعد عنها بنحو ٥٦ كلم في جنوبها الغربي، وتبعد عن دانية (Dénia) بنحو ٢٥ ميلاً، وهي قريبة من جزيرة شقر (Júcar) التي تبعد عنها بنحو ١٢ ميلاً، وهي أيضًا إلى الشمال من لقنت (Alicante)، وشرقي قرطبة (Córdoba)، وقد اشتهرت في العصر الإسلامي بصناعة الورق الذي عم المشارق والمغارب، وتتميز بخصوبة التربة وكثرة الثمار وطيب الهواء، وأهلها أهل دراية وفهم ونباهة، وقد سقطت نهائيًا في أيدي النصارى سنة ٦٤٥ هـ/ ١٢٤٧ م على يد ملك أراغون (Aragón) خايمي الأول (Jaime I). انظر: العذري: نصوص عن الأندلس، ص ١٨. البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص ٦٢-٦٣. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٩٦، حاشية رقم ٣. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٣/ ٣٠٩. المقري: نفح الطيب، ١/ ١٦٦، حاشية رقم ٣، ٤/ ٤٧٢. ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ٢/ ٣٨٠. ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٣٨٣. د. عبد الرحمن الحجي: التاريخ الأندلسي، ص ٤٨٠-٤٨١.

بيرة[3]][4]، ثُمَّ اجْتَازَ بِالْمَنْصُورَةِ[5]، ثُمَّ صَعَدَ[6] إِلَى بُرْشَانَةَ[7]، ثُمَّ تَلَوَّمَ بِوَادِي تَاجِلَةَ[1] [ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ][2]، ثُمَّ تَحَرَّكَ إِلَى مَدِينَةِ بَسْطَةَ[3]، [فَلَحِقَهُ الطَّمَعُ فِيهَا لِكَوْنِهَا فِي بَسِيطٍ مِنَ

---

(1) مرسية (Murcia): مدينة تقع شرق الأندلس وفي جنوب شرق إسبانيا على ضفاف نهر شقورة (Segura)، وتطل على البحر الأبيض المتوسط. وهي عاصمة منطقة مرسية، وكانت - قديمًا - تمثل قاعدة كورة تُدمير (Tudmir)، وقد بناها جابر بن مالك بن لبيد عامل تدمير زمن الأمير عبد الرحمن الأوسط، وقد سقطت نهائيًا في أيدي النصارى سنة ٦٤١ هـ/ ١٢٤٣ م. انظر: العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٦. ذكر بلاد الأندلس لمؤلف مجهول، ص ٧٥-٧٦. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٥٩. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨١-١٨٣. عنان: الآثار الأندلسية الباقية، ص ٩٩.

(2) ما بين الحاصرتين زيادة من الحلل الموشية، ٩١-٩٢. وقد جاء نص الإحاطة مختصرًا فقال ابن الخطيب: "فوافى بلنسية، ثم إلى مرسية". انظر: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٠٩. وكذلك فعل ابن عذاري، فقال: "ثم رحل عنها (أي عن بلنسية) من موضع إلى موضع إلى أن وصل مدينة وادي آش". انظر: البيان المغرب، ٤/ ٧٠.

(3) بيرة (Vera): يُنطق اسمها بفتح الباء أو بكسرها، والكسر أشهر، وتقع في الشمال الشرقي من ولاية المرية (Almería) على مقربة من البحر، وكانت تعد أقصى حدود المسلمين الشمالية الشرقية في عهد مملكة غرناطة (Granada)، وهي بلدة حصينة، وقد أكسبتها حصانتها أهمية حربية، ولها مرسى لرسوّ السفن، وتتميز بخصوبة التربة وكثرة المزروعات، وأكثر تجارتها مع مدينة مرسية (Murcia)، وقد سقطت نهائيًا في يد ملك قشتالة فرناندو الخامس (Fernando V) سنة ٨٩٣ هـ/ ١٤٨٨ م. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٥٢٦. العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٣، ١٠. ابن الخطيب: معيار الاختيار- تحقيق: د. محمد كمال شبانة، ص ١٠٤. أ. عنان: نهاية الأندلس، ص ١١٢.

(4) ما بين الحاصرتين زيادة من الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٠٩.

(5) المنصورة (Almanzora): مدينة من توابع ثغر المرية في الجنوب الشرقي من الأندلس، تحيط بها مجموعة من الأراضي تسمى وادي المنصورة، ويشقها نهر يسمى أيضًا نهر المنصورة. انظر: الحلل الموشية، ص ٩٢، حاشية رقم ٨٦.

(6) في الحلل الموشية، ص ٩٢: "ثم صعد".

(7) بُرشانة (Purchena): بضم الباء، مدينة تقع إلى الشمال من مدينة المرية (Almería) على طريق وادي آش (Guadix)، وتقع على نهر المنصورة إلى الغرب من مدينة المنصورة (Almanzora)، وتعد حصنًا منيعًا من حصون المرية، ويوجد مكان آخر بهذا الاسم في ولاية جيان (Jaén). انظر: الحميري: الروض المعطار، ص ٨٨، حاشية رقم ٣. ابن سعيد الأندلسي:

الأَرْضِ، وَأَكْثَرُ حَارَاتِهَا غَيْرُ مُسَوَّرَةٍ، فَلَمْ يُعِنْهُ اللهُ عَلَيْهَا](4)، ثُمَّ [تَوَجَّهَ](5) إِلَى وَادِي آشٍ(6)، [فَضَرَبَ(7) مَحَلَّتَهُ بِمَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِالْقَصْرِ(1)](2)، مِنْ بَادِيَتِهَا عَلَى فَرْسَخٍ مِنْهَا،

المغرب في حلى المغرب، ٢/ ٨١. ابن الخطيب: معيار الاختيار - تحقيق: د. محمد كمال شبانة، ص ١٠٦.

(١) جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٠٩: "ناطلة"، ولم يتوصل الأستاذ عنان إلى مدينة بهذا الاسم، ولعله خطأ في قراءة مخطوط الإحاطة، والصحيح ما أثبتناه في المتن، وتاجلة (Tijola): قرية صغيرة قريبة من برشانة، واسمها كان يُطلق أولاً على النهر المُسمَّى الآن بنهر المنصورة. انظر: الحلل الموشية، ص ٩٢، الحاشية رقم ٩٠.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من الحلل الموشية، ص ٩٢.

(٣) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٠٩: "ثم تحرك إلى بسطة". ومدينة بسطة (Baza): تقع شمال شرق غرناطة (Granada) بنحو ١٣٢ كلم، وتُعد من أعمال وادي آش (Guadix)، وتبعد عنها بنحو ٤٨ كلم، ويحتضنها وادٍ خصيب، لذا فإنها تتميز بخصوبة التربة ووفرة المياه، وتتميز أيضًا بالحصانة والمنعة، وبعد تاريخ إسلامي حافل سقطت في أيدي النصارى سنة ٨٩٥ هـ/ ١٤٨٩ م على يد الملكين الكاثوليكيين فرديناند الخامس وإيزابيلا. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٤٢٢. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٦٨. ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلى المغرب، ٢/ ٧٧. أ. عنان: نهاية الأندلس، ص ٢١١-٢١٢.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من الحلل الموشية، ص ٩٢-٩٣

(٥) ما بين الحاصرتين زيادة من الحلل الموشية، ص ٩٣.

(٦) ذكر صاحب الحلل الموشية أن هذا كان في يوم الجمعة أول ذي القعدة. انظر: الحلل الموشية، ص ٩٣. بينما ذكر ابن عذاري أن هذا كان لعشر بقين من شوال. انظر: البيان المغرب، ٤/ ٧٠. ووادي آش (Guadix): مدينة في جنوب إسبانيا (España)، ضمن حدود مقاطعة غرناطة (Granada)؛ وتقع شمال شرق مدينة غرناطة على بعد ٦٠ كلم باتجاه مدينة مرسية (Murcia)، وفوق منحدر ربوة صخرية عالية تمتد من الناحية الأخرى على ضفة نهر وادي آش، أحد الفروع الصغيرة لنهر الوادي الكبير (Guadalquivir)، وتقع على بُعد ١٢ كلم من جبال سيرا نيفادا (Sierra Nevada) الشاهقة، وتتميز المدينة بالمنعة والحصانة والقوة، وهي مدينة زراعية وصناعية معًا، وكان لها دور كبير ومهم في الصراع الأخير بين المسلمين والنصارى، ومع الضغوط النصرانية تم تسليمها للإسبان في شهر صفر سنة ٨٩٥ هـ/ يناير سنة ١٤٩٠ م قبل تسليم غرناطة بعامين فقط. انظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٦٧-٥٦٨. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٢-١٩٣. أ. عنان: الآثار الأندلسية الباقية، ص ٢١٥-٢١٦.

(٧) جاء في البيان المغرب، ٤/ ٧٠: "فاضطرب"، وهو تصحيف ظاهر، والصحيح ما أثبتناه.

وَذَلِكَ لِعَشْرٍ بَقِينَ مِن شَوَّالٍ، [وَقَاتَلَ المَدِينَةَ(٣) مِن جِهَةِ المَقَابِرِ إِلَى الإِثْنَيْنِ، وَأَقْلَعَ إِلَى السَّنَدِ(٤) فِي يَوْمِ الثُّلاثَاءِ، وَفِيهِ كَمَّنَ الكَمَائِنَ، ثُمَّ أَقْلَعَ مِنَ السَّنَدِ يَوْمَ الأَرْبَعَاءِ، وَنَزَلَ بِقَرْيَةِ فِنْيَانَة(٥)، وَقَاتَلَهَا مِنْ غَرْبِهَا، وَأَقَامَ عَلَيْهَا نَحْوَ شَهْرَيْنِ](٦).

"قَالَ مُصَنِّفُ كِتَابِ الأَنْوَارِ الجَلِيَّةِ(٧): [فَبَدَا نَجِيثُ(٨) المُعَاهَدَةِ بِغَرْنَاطَةَ(٩) فِي اسْتِدْعَائِهِ](١)، [فَافْتُضِحَ تَدْبِيرُهُم فِي اجْتِلابِهِ](٢)، [وَهَمَّ أَمِيرُهُمْ بِثِقَافِهِمْ(٣)](٤) فَأَعْيَاهُ

---

(١) القصر (Alcazar): قرية ذكرها ابن الخطيب من بين قرى غرناطة، وتقع بعيدًا عن غرناطة في الجنوب الشرقي منها على مقربة من أرجبة (Orgiva). انظر: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٠٩-١١٠، ١٣١، حاشية رقم ١١.

(٢) ما بين الحاصرتين جاء في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٠٩-١١٠: "فنزل بالقرية المعروفة بالقصر".

(٣) جاء في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٠: "وصافح المدينة بالحرب، ولم يحل بطائل، فأقام عليها شهرًا".

(٤) السند (Sened): مجموعة جبال قريبة من مدينة وادي آش. انظر: مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب- تحقيق: د. أحمد مختار العبادي، ص ٤٨، حاشية رقم ٩.

(٥) فِنيانة (Finana): قرية - وقيل: حصن- تقع ضمن مقاطعة المرية على بُعد حوالي ٣٠ كلم إلى الجنوب الشرقي من وادي آش، مشهورة بكثرة المياه والزروع. انظر: الحميري: الروض المعطار، ص ٤٤١، حاشية رقم ٢. ابن الخطيب: معيار الاختيار- تحقيق: د. محمد كمال شبانة، ص ١١٣.

(٦) ما بين الحاصرتين زيادة من الحلل الموشية، ص ٩٣.

(٧) بدءًا من هنا اعتمدنا على نص الحلل الموشية لأنه أكمل وأفضل فيما تبقى من هذه الرواية، بينما نص البيان المغرب فيه سقط كثير أدي إلى تشويه النص وبتره في مواضع كثيرة، ونص الإحاطة كذلك فيه تصحيف كثير، وقد بدأ النص في الحلل الموشية بالجملة المذكورة أعلاه. انظر: الحلل الموشية، ص ٩٣. بينما بدأه ابن الخطيب في الإحاطة بقوله: "قال صاحب كتاب الأنوار الجلية". انظر: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٠، ووضعنا في الحواشي الفروق الواردة في نصي الإحاطة والبيان المغرب.

(٨) النجيثُ: سِرٌّ يُخْفَى، والنَّجِيثَةُ: ما ظهر من قبيح الخبر، ونجِيثُ القوم: ما كانوا يُخفون من الأمور، وبدَا نَجِيثُ القوم: ظهر ما كانوا يُخفونه من الأمور، ونَجِيثُ القوم: سِرُّهم، ومن أمثال العرب في إِعْلانِ السِّرِّ وإِبْدائِه بعد كتمانه قولهم: بَدَا نجيثُ القوم إذا ظهر سِرُّهُم الذي كانوا يخفونه. وراجع أيضًا: المقري: نفح الطيب، ٢/ ٣٢-٣٣.

(٩) لفظة "بغرناطة" لم ترد في البيان المغرب، ٤/ ٧٠، بينما وردت في الحلل الموشية، ص ٩٣، والإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٠، وهي أنسب للسياق وأوفق.

ذَلِكَ[5] [بِكَثْرَتِهِمْ وَبُعْدِ أَقْطَارِهِمْ][6]، وَجَعَلُوا[7] يَتَسَلَّلُونَ إِلَى [مَحَلَّتِهِ][8] عَلَى كُلِّ طَرِيقٍ[9]، [وَمِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ][10]، [......][11]، [فَكَثُرَتْ رَجِلَتُهُ وَضَخُمَتْ جُمْلَتُهُ، وَضَايَقَ مَدِينَةَ وَادِي أَشٍ بِالْحَرْبِ مِنْ جِهَةِ الْقِبْلَةِ، فَرَأَى [مَنَعَتَهَا][12]، فَجَدَّ فِي حَرْبِهَا مِنَ الْغَدِ، فَأَتَتْ عَلَيْهَا السُّهُمُ، وَفَقَدَ جُمْلَةً مِنْ [......][13] أَقَامَ بِمَضْرِبِ[1] مَحَلَّتِهِ نَحْوَ

---

(١) ما بين الحاصرتين جاء في البيان المغرب لابن عذاري، ٤/ ٧٠. بينما جاء في الحلل الموشية، ص ٩٣: "نزل يُجيب النصارى المعاهدين بغرناطة في استدعائه". وجاء في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٠: "فبدأ يَحُث المعاهدة بغرناطة في استدعائه". وما جاء في البيان المغرب أنسب للسياق وأقرب إلى الصحة مما جاء في المصدرين الآخرين.

(٢) ما بين الحاصرتين جاء في البيان المغرب، ٤/ ٧٠: "وافتضح سرهم في اجتلابه"، بينما جاء في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٠: "فافتضح تدبيرهم باجتلابه".

(٣) ثقافهم: أي اعتقالهم.

(٤) ما بين الحاصرتين جاء في الحلل الموشية، ص ٩٣. بينما جاء في البيان المغرب، ٤/ ٧٠: "وهَمَّ الأميرُ أبو الطاهر بجمعهم وثقافهم". وجاء في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٠: "وهَمَّ أميرُها بتثقيفهم".

(٥) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٠: "فأعياهم ذلك"، وهي لا تتوافق مع السياق وعبارة البيان المغرب والحلل الموشية أنسب.

(٦) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٧٠.

(٧) في البيان المغرب، ٤/ ٧٠: "وأقبلوا".

(٨) أي محلة ابن رذمير (ألفونسو الأول)، وما بين الحاصرتين جاء في الحلل الموشية، ص ٩٣. وكذلك في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٠. بينما جاء في البيان المغرب، ٤/ ٧٠: "ابن رذمير".

(٩) بعد هذه الجملة جاء في الحلل الموشية، ص ٩٣: "وكان يومئذ على الأندلس أبو طاهر تميم بن يوسف، وحاضرة سكناه آنذاك قاعدة غرناطة، فأحدقت به جيوش المسلمين، وأمده أخوه أمير المسلمين من العدوة بجيش وافر..."

(١٠) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٧٠.

(١١) ما بين الحاصرتين بياض في البيان المغرب، ٤/ ٧٠.

(١٢) ما بين الحاصرتين كان بياضًا في البيان المغرب، ٤/ ٧٠، فأضفنا كلمة (منعتها) لتتناسب مع السياق.

(١٣) ما بين الحاصرتين سقط في البيان المغرب، ٤/ ٧٠.

النَّهرِ، وَأَهْلُ وَادِي آش فِي حِصَارٍ صَعْبٍ، قَدْ أَخَذُوا الْمَنَازِلَ وَسَكَنُوا [......][2] أَرْبَاض[....][3] الْمُتَجَلِّدَة مِنَ السُّتْرَةِ، تَنْتَقِلُ إِلَيْهَا الأَحْجَارُ، وَكَانَتْ تَبْرُزُ الْمُخَدَّرَةُ مِنْ خِدْرِهَا، وَمُنْهَتِكٌ مِنْ سِتْرِهَا][4].

[وَلَمَّا اتَّصَلَ بِأَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ نَبَأُ ابنِ رُذْمِير اللَّعِين أَنْفَذَ أَمْرَهُ إِلَى أَقْطَارِ الْعُدْوَةِ بِتَسْرِيبِ الْجُيُوشِ إِلَى الأَنْدَلُسِ، فَأَجَازَتِ الْبَحْرَ، وَجَدَّتْ فِي السَّيْرِ حَتَّى][5]، أَحْدَقَتْ جُيُوشُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْعدْوَةِ وَالأَنْدَلُسِ بِغَرْنَاطَة، حَتَّى صَارَتْ كَالدَّائِرَةِ وَهِيَ فِي وَسَطِهَا كَالنُّقْطَةِ لَمَّا أُنْذِرُوا بِغَرَضِهِ، [وَأَقْبَلَتْ عَسْكَرِيَّةُ مُرْسِيَة وَبَلَنْسِيَة][6]، وَتَحَرَّكَ ابنُ رُذْمِير مِنْ وَادِي آش فَنَزَلَ بِقَرْيَةِ دِجْمَة[7]، وَصَلَّى النَّاسُ بِغَرْنَاطَة صَلاةَ الْخَوْفِ يَوْمَ عِيدِ النَّحْرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ فِي الأَسْلِحَةِ وَالأُهْبَةِ[8]، [وَتَحَرَّكَ الأَمِيرُ أَبُو الطَّاهِرِ مِنْ غَرْنَاطَة بِالْجُيُوشِ لِلِقَاءِ الْعَدُوِّ، فَمَشَى مَسَافَةَ أَمْيَالٍ ثُمَّ صَدَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَظَهَرَتْ أَخْبِيَةُ الْعَدُوِّ فِي غَدِ صُدُورِهِ إِلَيْهَا عَلَى فَرْسَخَيْنِ مِنْهَا، وَجَاءَتِ الطَّلائِعُ مُنْبِئَةً بِهَا، فَعَمِيَتْ [.....][9]، وَانْقَطَعَتِ السَّابِلَةُ وَالْوَارِدَةُ، وَقَلَّتِ الْمَرَافِقُ، وَتَزَاحَمَ النَّاسُ فِي الْمَدِينَةِ، وَسَكَنَتِ الْمَسَاجِدُ وَالْمَصَاطِبُ وَالرِّحَابُ وَالْخِرَابُ، وَكَثُرَ الْجَزَعُ وَالإِرْجَافُ وَالْمَوَجَانُ بِالنَّهَارِ

---

(١) جاءت في البيان المغرب، ٤/ ٧٠: "بمضطرب"، ولعل تصحيفًا أصابها، والصحيح ما أثبتناه في المتن.
(٢) ما بين الحاصرتين سقط في البيان المغرب، ٤/ ٧٠.
(٣) ما بين الحاصرتين سقط في البيان المغرب، ٤/ ٧٠.
(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٧٠، وكثرة السقط فيه جعلت النصَّ غامضًا في كثير من مواضعه.
(٥) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٧٠.
(٦) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٧٠.
(٧) جاء في البيان المغرب، ٤/ ٧٠: "وأخذ على بريبطة يوم النحر"، ولم نتوصل إلى موضعها، أما "دجمة": فهي بلدة Diezma الحديثة، وتقع غربي وادي آش، في منتصف الطريق بينها وبين غرناطة.
(٨) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٠: "والأبهة"، وما أثبتناه في المتن أنسب للسياق. وجاء في البيان المغرب، ٤/ ٧٠: "فصلى الناس بالمصلى صلاة الخوف وهم في الأسلحة".
(٩) بياض بمقدار كلمة في البيان المغرب، ٤/ ٧١.

وَاللَّيْلِ [.....][1]، وَالأَسْوَارُ مَعْمُورَةٌ بِأَهْلِ الْبَلْدَةِ، وَمَا نُبِيَ فِي الدُّورِ غَيْرُ الصِّبْيَةِ وَالنِّسْوَةِ، وَتَوَالَتِ الأَمْطَارُ، وَسَالَتِ الطُّرُقُ، وَضَاقَتِ النُّفُوسُ أَشَدَّ ضِيقَةٍ][2].

[وَلَمْ يَصِلِ ابْنُ رُذْمِيرِ إِلَى غَرْنَاطَةَ حَتَّى كَانَ مَعَهُ خَمْسُونَ أَلْفًا، ثُمَّ نَزَلَ بِوَادِي قَرْدَش[3] فِي يَوْمِ عِيدِ الأَضْحَى، وَأَقْلَعَ مِنْهَا إِلَى الْمَزَوَّقَةِ[4]، وَمِنْهَا بَرَزَ إِلَى غَرْنَاطَةَ، وَنَزَلَ بِقَرْيَةِ [النِّيبَلِ][5]، وَأَقَامَ بِمَحَلَّتِهِ[6]] [7] بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةٍ لَمْ تَسْرَحْ لَهُ سَارِحَةٌ [بِتَوَالِي الأَمْطَارِ وَكَثْرَةِ الْجَلِيدِ][8]، [وَلاَ شُنَّتْ غَزْوَةٌ، وَلاَ انْفَصَلَ بَعْضُ جَيْشِهِ عَنْ بَعْضٍ، وَالْمُعَاهِدَةُ تَجْتَلِبُ إِلَيْهِ الأَقْوَاتَ وَالْعُلُوفَاتِ، وَخَيْلُ الْمُسْلِمِينَ تُرَاوِحُهُ وَتُغَادِيهِ دُونَ مُنَاوَشَةٍ، وَفِي خِلاَلِ ذَلِكَ سَفَرَ إِلَى رَأْسٍ مِنْ رُؤُوسِ الْمُعَاهِدَةِ بِالْحَضْرَةِ يُعْرَفُ بِابْنِ الْقَلاَّسِ يُوَبِّخُهُ عَلَى اسْتِدْعَائِهِ، وَيَلُومُهُ عَلَى تَضَمُّنِهِ بِمَا لاَ يَفِي بِهِ وَلاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَاحْتَجَّ

(١) بياض بمقدار كلمة في البيان المغرب، ٤/ ٧١.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٧٠-٧١. وجاء في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٠: "وبُعَيد الظهر من غدِهِ ظهرت أخبيةُ الروم بالقَبْل شرق المدينة، وتوالى الحرب على فرسخين منها، وقد أجلى السواد، وتزاحم الناس بالمدينة، وتوالى الجليد، وأظلت الأمطار".

(٣) لم نتوصل إلى موقع هذا الوادي، ولعله أحد الأودية القريبة من غرناطة كما يفيد بذلك السياق.

(٤) لم نتوصل إليها.

(٥) ما بين الحاصرتين هو الضبط الصحيح لاسم هذه البلدة (النِّيبَل: بالنون المشددة المكسورة بعدها ياء مدّ ثم باء مفتوحة)، وهكذا وردت بهذا الضبط الصحيح في مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان- تحقيق: ليفي بروفنسال، ص ١٢٩، ٢١١، ووردت مرة في (الإحاطة-تحقيق: أ. عنان، ٣/ ٣٠٠) بهذه الصيغة الصحيحة، لكن أخطأ الأستاذ عنان في ضبطها، فجعلها بالنون المشددة المفتوحة، بينما وردت في الحلل الموشية، ص ٩٤: "النبيل" بالباء أولاً ثم الياء، وكذلك وردت بالصيغة نفسها مرة في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٣١، وقد أصابها التصحيف في المصدرين، وبالتالي فإن النِّيبَل: هي بلدة (Nívar) الحديثة، أو قلعة نيبار أو نيفار (Castillejo de Nívar)، وتقع شمال غربي غرناطة، على بُعد ١٢ كلم منها، في الجزء الأوسط من المنطقة المعروفة بمرج غرناطة (La Vega de Granada).

(٦) جاء في البيان المغرب، ٤/ ٧٠: "وأقام ابن ردمير بمضرب محلته"، وجاء في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٠: "وأقام العدو بمحلته".

(٧) ما بين الحاصرتين زيادة من الحلل الموشية، ص ٩٤.

(٨) ما بين الحاصرتين زيادة من الحلل الموشية، ص ٩٤.

لَهُ بِتَلَوُّمِهِ وَتَبَاطُؤِهِ فِي إِقْبَالِهِ حَتَّى أَقْبَلَتِ الْجُيُوشُ مِنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَالْعُدْوَةِ، وَقَالَ لَهُ: "قَدْ أَوْبَقْتَنَا وَأَوْقَعْتَنَا فِي الْهَلَكَةِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَسَاقَ نَفْسَهُ إِلَى الْخِزْيِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ السَّفِيرُ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ تَحَرَّكَ ابْنُ رُذْمِير بِمَحَلَّتِهِ][1]، [ثُمَّ أَقْلَعَ وَقَد ارْتَفَعَ طَمَعُهُ عَن الْمَدِينَةِ لأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ عَامَ عِشْرِينَ][2]، فَرَحَلَ عَنِ[3] قَرْيَةِ مَرْسَانَة[4] إِلَى بِيَش[5]، وَمِنْهَا إِلَى السَّكَّةِ[6]، حَيْثُ لَحِقَ أَحْوَازَ قَلْعَةِ يَحْصُب[7]، إِلَى لُكَ وَبَيَّانَة[8]،

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٧١.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٠.

(٣) في الحلل الموشية، ص ٩٤: "فرحل على".

(٤) مَرْسَانة: هي قرية (Maracena) الحديثة، وتقع شمال غربي غرناطة، ومن ضواحيها، وقد ذكرها ابن الخطيب في مقدمة الإحاطة من بين قرى غرناطة. انظر: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٢٩، حاشية رقم ١٠.

(٥) بِيَش: هي التي تُعرف اليوم باسم (Beas)، وتقع شمال شرقي غرناطة، وقد ذكرها ابن الخطيب في مقدمة الإحاطة من بين قرى غرناطة. انظر: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٣١، حاشية رقم ١٣.

(٦) في الإحاطة، ١/ ١١٠: "ومن الغد إلى السكة"، وذكر ابن الخطيب أن "السكة" من أحواز قلعة يحصب (قلعة يعقوب أو القلعة الملكية الحديثة Alcalá la Real)، وهذه القلعة تقع شمال غربي غرناطة. انظر: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١١، حاشية رقم ١.

(٧) في الحلل الموشية، ص نفس الصفحة: "حيث لحق أحواز قلعة يحصب".

(٨) لك (Luque) مدينة بالأندلس من أعمال فحص البلوط، وفحص البلوط بينه وبين قرطبة مرحلتان أو ثلاث. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٥/ ٢٢، وقد جعل الأستاذ عنان مدينتي (لك) و (بيانة Baena) كلمة واحدة، فجاءت في نص الإحاطة (لدويانة)، ثم قال: "ولم نعثر على بلد بهذا الاسم في هذه المنطقة. انظر: الإحاطة، ١/ ١١١، حاشية رقم ٢. بينما كان محققا الحلل الموشية أقرب إلى الصواب، حيث جاءت الكلمة في نص الحلل الموشية (لك)، ولكنهما ذكرا أن (لك) التي وصلا إليها تقع في الشمال الغربي من الأندلس بأرض جليقية. انظر: الحلل الموشية، ص ٩٤، حاشية رقم ٥، ولم يصلا إلى الموضع الذي وصلنا إليه، وهو الصواب - فيما نعلم- حيث إن معظم المدن الواردة بالنص أعلاه تقع في أحواز قرطبة، فمدينة بيانة: من أعمال قرطبة، وهي من مدن قبرة (الحميري: الروض المعطار، ص ١١٩)، وقبرة: بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلاً (الحميري: الروض المعطار، ص ٤٥٣)، ولك: من أعمال فحص البلوط، وفحص البلوط بينه وبين قرطبة مرحلتان أو ثلاث (الحموي: معجم البلدان، ٥/ ٢٢. الحميري: الروض المعطار، ص ٤٣٥-٤٣٦). وكل هذا يؤكد أن المدينة المقصودة هي مدينة

وَإِسْتِجَّة[1]، ثُمَّ نكبَ عَلَى[2] قَبْرَة[3] وَلُسَّانَة[4]، وَجُيُوشُ المُسْلِمِينَ[5] فِي أَذْيَالِهِ تُكَافِحُهُ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ مُنَاوَشَةً، وَظَهَرُوا عَلَيْهِ[6]، [وَأَقَامَ بِقَبْرَةَ أَيَّامًا ثُمَّ تَحَرَّكَ إِلَى بُلاَي[7]، وَالعَسَاكِرُ فِي أَذْيَالِهِ][8]، [فَتَبِعَهُ الأَمِيرُ أَبُو الطَّاهِرِ إِلَى أن اجْتَمَعَا عَلَى مَقْرُبَةٍ لُسَّانَة

(لك)، وقد أكد ذلك المستعرب الإسباني فرانثيسكو كوديرا فذكر أن ألفونسو الأول اتجه نحو قرطبة مارًّا بالمدن المذكورة أعلاه. انظر:

- Codera y Zaidín, Francisco: *Decadencia y desaparición de los almorávides en España*, Zaragoza, 1899, p. 15.

(1) إستجة (Ecija): مدينة قديمة وكورة مهمة من كور الأندلس، وتقع على وادي شنيل إلى الجنوب الغربي من قرطبة بينها وبين إشبيلية، وتبعد عن قرطبة (Córdoba)، بنحو ٥٠ كلم، وتتصل أراضيها بأراضي كورة رَيُّه (Rayya)، وتتميز بالأراضي الخصبة والحدائق الزاهية وكثرة الفواكه والزروع، وظلت في أيدي المسلمين إلى أن استولى عليها ألفونسو العاشر (Alfonso X) ملك قشتالة في أواخر سنة ٦٦٢ هـ/ ١٢٦٣ م، وهي الآن مركز تابع لمقاطعة إشبيلية (Sevilla). انظر: البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص ٦٤. ابن حيان: المقتبس- تحقيق: د. محمود علي مكي، ص ٢٤٨، حاشية رقم ٣٧. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ١٧٤. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٤-١٥.

(2) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١١: "ونكب إلى".

(3) قَبْرَة (Cabra): إحدى حصون غرناطة الدفاعية وتقع في الشمال الغربي منها. انظر: الحميري: الروض المعطار، ص ٤٥٣. الحلل الموشية، ص ٩٥، حاشية رقم ٨.

(4) لُسَّانة، وتُكتب أحيانًا (اللُّسَّانة) (Lucena): هي أيضًا إحدى حصون غرناطة الدفاعية وتقع في الشمال الغربي منها. انظر: الحلل الموشية، ص ٩٥، حاشية رقم ٩.

(5) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١١: "والجيوش المسلمة"

(6) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١١: "وظهروا عليه".

(7) بُلاي (Bulay o Poley): هو الاسم القديم لبلدة أجيلار (Aguilar de la Frontera) الحديثة، وهي إحدى مدن مقاطعة قرطبة، وتقع في الجنوب الغربي منها بالقرب من نهر قبرة الصغير، وبينها وبين قرطبة ٥٠ كلم.

(8) ما بين الحاصرتين زيادة من الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١١، وجاءت في البيان المغرب، ٤/ ٧١: "وأقام ابن ردمير بجبل قَبْرة أيامًا ثم تحرك منه وعساكر المسلمين تتبعه وتنتقل بانتقاله".

بِأَرْنِيسُول[1]][2]، [فَصَبَّحَتْهُ الْجُيُوشُ يَوْمَ الأَرْبِعَاء الثَّالِثَ عَشَرَ مِن صَفَر][3]، [فَطَمَعُوا فِيهِ، وَانْتَدَبُوا لِقِتَالِهِ أَوَّلَ النَّهَارِ، وَكَبَسُوهُ، وَأَخَذُوا لَهُ جُمْلَةً مِنَ الأَخْبِيَةِ، وَلَمَّا كَانَ فِي وَقْتِ الظُّهْرِ تَدَرَّعَ ابْنُ رُذْمِير، وَتَعَبَّأَ بِنَاسِهِ لِلْقِتَالِ، وَعَقَدَ عَلَيْهِمْ أَرْبَعَةَ أَلْوِيَةٍ، وَقَسَّمَهُمْ عَلَى أَرْبَعِ فِرَقٍ، وَحَمَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ فَشَلِهِمْ وَافْتِرَاقِهِمْ، وَسُوءِ الرَّأْيِ فِي نُزُولِهِمْ، فَأَلْفَوْهُمْ عَلَى طُمَأْنِينَةٍ، وَحَكَمَ اللهُ بِأَحْكَامِهِ، فَكَانَتِ الْوَقِيعَةُ الشَّنِيعَةُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ][4].

وَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ أَمَرَ أَمِيرُهُمْ بِرَفْعِ خِبَائِهِ مِنْ وَهْدَةٍ كَانَ فِيهَا إِلَى نَجْدَةٍ[5]، فَسَاءَتِ الظُّنُونُ، وَاخْتَلَّ الأَمْرُ[6]، [وَانْتَكَثَتْ تَعْبِئَةُ الْجُيُوشِ][7]، فَفَرَّ النَّاسُ وَأَسْلَمُوا،

---

(١) هذا المكان يُكتب في المصادر بطريقتين؛ الأولى: أرنيسول (النون ثم الياء) كما جاء في المتن أعلاه، والثانية (أرينسول) الياء ثم النون، وبالإسبانية (Arnizol, Arnisol, Arinzol o Aranzuel)، وذكر الأستاذ عنان أن هذا الموضع يقع جنوبي غرناطة (انظر: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١١، حاشية رقم ٦)، وذكر المستعرب الإسباني فرانثيسكو كوديرا أنه يقع بالقرب من لُسَّانة (Lucena)، ولُسَّانة من حصون غرناطة الدفاعية، ويقع في الشمال الغربي منها كما ذكرنا من قبل.

Véase: Francisco Codera: *Decadencia y desaparición de los almorávides en España*, p. 15.

بينما يذكر أبو الحسن ابن الوزان – أحد تلاميذ ابن رشد الجدّ والمصاحبين له في كل رحلاته وتنقلاته – أن هذا المكان يقع على مقربة من قرطبة، أو قال: بضواحي قرطبة، وربما كانت روايته أصح للمعاصرة والعيش في المكان نفسه. انظر: مسائل أبي الوليد ابن رشد الجدّ- تحقيق: محمد الحبيب التجكاني- دار الجيل ببيروت ودار الآفاق العربية بالمغرب- ط ٢، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م، ص ١٣٤٤. وتجدر الإشارة هنا إلى أن التحديدات الجغرافية الحديثة تذكر أن هذا المكان يقع على مسافة ٦ كلم من جسر شنيل (Puente Genil) بمقاطعة قرطبة، ويسمى اليوم قلعة أنزور/ أنسور (Castillo Anzur).

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من الحلل الموشية، ص ٩٥.

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٧١.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من الحلل الموشية، ص ٩٥.

(٥) في البيان المغرب، ٤/ ٧١: "فلما طفلت الشمس أمر الأمير تميم برفع خبائه من وهدة كان فيها إلى ربوة عالية".

(٦) ما بين الحاصرتين من الإحاطة، ١/ ١١١.

(٧) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٧١.

[وَجَعلُوا أَوْجُهَهُمْ إِلَى السَّاقَةِ][1]، وَتَهَيَّبَ الْعَدُوُّ الْمَحَلَّةَ فَلَمْ يَدْخُلْهَا إِلاَّ بَعْدَ هَدْأَةٍ مِن اللَّيْلِ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا، وَتَحَرَّكَ بَعْدَ الْغَدِ مِنْهَا إِلَى جِهَةِ السَّاحِلِ[2]، [فَشَقَّ الأَقَالِيمَ وَالْبِشَارَاتِ[3]، وَجَازَ عَلَى وَادِي مُتْرِيل[4] الْمُطِلِّ الْحَافَاتِ، الْمُنْحَصِرِ[5] الْمَجَازِ][6]، وَقَالَ بِلُغَتِهِ[7]: أَيُّ قَبْرٍ هَذَا لَوْ أَلْفَيْنَا مَنْ يَصُبُّ[8] عَلَيْنَا التُّرَابَ! ثُمَّ عَرَّجَ يَمْنَةً حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَلِّش[9]، وَأَنْشَأَ بِهَا جَفْنًا[10] صَغِيرًا يَصِيدُ لَهُ حُوتًا[11] أَكَلَ مِنْهُ، كَأَنَّهُ نَذْرٌ كَانَ عَلَيْهِ وَفَى

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٧٢. ومعروف في الترتيب العسكريّ أن الساقة تكون في مؤخرة الجيش، والمعنى: أنهم تراجعوا وولوا مدبرين.

(٢) في الحلل الموشية، ص ٩٥: "وانتقل منها إلى جهة الساحل"، وفي البيان المغرب، ٤/ ٧٢: "ثم أخذ إلى جهة الساحل".

(٣) جبال البشارات أو البشرات (Las Alpujarras): تقع جنوب سلسلة جبال (سيرا نيبادا Sierra Nevada) قرب غرناطة، ولا تبعد عن غرناطة أكثر من ٦٠ كلم.

(٤) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٢: "وادي شلوبانية"، وهو البسيط الذي تقع فيه بلدة شلوبانية، وهي من الثغور الصغيرة الواقعة جنوبي ولاية غرناطة على البحر المتوسط، وتقع جنوبي غرب مدينة مُتريل (موتريل Motril) وشرقي مدينة المنكب، وتسمى اليوم بالإسبانية Salobrena، ومدينة مُتريل تقع في الجنوب، وهي من توابع مالقة.

(٥) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٢: "المتحصن".

(٦) ما بين الحاصرتين من الحلل الموشية، ص ٩٥. لأن عبارة الإحاطة هنا غير مفهومة، وجاء فيها: "فشق العمامة الآمنة من الإقليم والشارات، فيقول بعض شيوخ تلك الجهة إنه اجتاز بوادي شلوبانية المطل الحافات، المتحصّن المجاز". الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١١.

(٧) في الحلل الموشية، ص ٩٥: "ويقال إنه لما اجتاز به قال بلغته لأحد زعمائه".

(٨) في الحلل الموشية، ص ٦٩: "يردُّ".

(٩) في الحلل الموشية، ص ٩٥: "إلى بحر بلش"، ومدينة بلش هي بلش مالقة (Vélez-Málaga)، وتقع شرقي ثغر مالقة، وتبعد عنها بنحو ٣٠ كلم، وساحلها يُعرف باسم بحر بلش. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٤٨٤. الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ٩٦، حاشية رقم ١٥.

(١٠) يقصد أنشأ بها مركبًا أو قاربًا صغيرًا؛ لأن الجفن في اصطلاح الأندلسيين هو المركب الصغير أو السفينة الحربية.

(١١) في الحلل الموشية، ص ٦٩: "صيد به له الحوت"، والحوت في لغة أهل المغرب والأندلس هو السمك.

أَوْ حَدِيثٌ أَرَادَ أَنْ يُخَلَّدَ عَنْهُ(1)، ثُمَّ عَادَ إِلَى غَرْنَاطَةَ، فَضَرَبَ(2) بِهَا مَحَلَّتَهُ [بِقَرْيَةِ دِلَر](3) عَلَى ثَلاثَةِ فَرَاسِخَ مِنْهَا قِبْلَةً(4)، ثُمَّ انْتَقَلَ بَعْدَ ذَلِكَ بِيَوْمَيْنِ إِلَى قَرْيَةِ هَمْدَان(5)، وَبَرَزَ بِالْكُتُبِ [......](6) مِن الْمَدِينَةِ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَسَاكِرِ الْمُسْلِمِينَ مُوَاقَعَةٌ(7) عَظِيمَةٌ، وَلأَهْلِ غَرْنَاطَةَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ حِدْثَانٌ يَنْظُرُونَهُ مِن الْقَضَايَا الْمُسْتَقْبَلَةِ.

قَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ: وَقَدْ ذُكِرَ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْجَفْرِ(8): "هَذَا الْفَحْصُ بِخَرابٍ يُجْبَى عَنْ يَتَامَى وَأَيَامَى"(9)، وَكَانَ هَذَا الْيَوْم مُعَرَّضًا لِذَلِكَ، فَوَقَى اللهُ، وَانْتَقَلَ بَعْدَ يَوْمَيْنِ إِلَى

---

(1) في الحلل الموشية، ص ٦٩: "كأنه نذر وفى به، أو أثر لمن يخلفه بعده".

(2) جاءت في الحلل الموشية، ص ٩٥: "فاضطربت"، وجاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٢: "فاضطرب"، وأظنه تصحيفًا، والصحيح ما أثبتناه في المتن، ويؤكد صحة ما ذهبنا إليه ما جاء في البيان المغرب، ٤/ ٧٢، حيث قال: "ثم عاد إلى غرناطة فضرب محلته على ثلاثة فراسخ منها، فأقام بها ثلاثة أيام...".

(3) ما بين الحاصرتين من الحلل الموشية، ص ٩٥، وجاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٢: "ذُكَر"، وهو تصحيف، والصحيح ما ذكرناه في المتن؛ لأن دِلَر (Dílar): قرية تقع جنوبي غرناطة.

(4) قبلة: أي جنوبًا كما أشرنا في الحاشية السابقة.

(5) هَمْدان هي بلدة (Alhendín) الحديثة، وتقع على مسافة قريبة من جنوبي غرناطة.

(6) ما بين الحاصرتين كلمة غير مفهومة في الإحاطة، ويرجح الأستاذ عنان أنها ربما كانت اسمًا لأحد زعماء النصارى المعاهدين. انظر: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٢، حاشية رقم ٧.

(7) في الحلل الموشية، ص ٩٦: "مواقف".

(8) كتاب الجفر: كتابٌ ينسبه البعضُ إلى علي بن أبي طالب، وينسبه البعضُ الآخر إلى جعفر بن محمد الصادق، ويزعمون أنه يحوي علم التنبؤ بالمستقبل، وأنه قد ذُكرت فيه أمور غيبية مستقبلية من تغير دول ووقوع حروب وكوارث وغير ذلك، وهذا كله لا أصل له، وهو من افتراءات وضلالات بعض الفرق الباطنية، وقال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: "أما كتاب الجفر فلا يُعْرَف له سند إلى أمير المؤمنين، وليس على النافي دليلٌ، وإنما يُطلَب الدليل من مدعي الشيء، ولا دليل لمدعي هذا الجفر". انظر: مجلة المنار- (مصر ٢٩ ربيع الأنور ١٣٣٣ هـ/ ١٤ فبراير ١٩١٥ م)، ١٨/ ١٨١. فتاوى الإمام محمد رشيد رضا- تحقيق: صلاح الدين المنجد ويوسف ق خوري- دار الكتاب الجديد- ط١، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م، ٤/ ١٣٠٧. وانظر أيضًا: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٩/ ٥٤٢، حاشية رقم ٣.

(9) هذه الجملة فيها غموض واضطراب، ولم نتوصل إلى معناها.

الْمَرْجِ مُضَيِّقًا عَلَيْهِ، وَالْخَيْلُ تُحْرِجُهُ، فَنَزَلَ بِعَيْنِ أَطْسَة(1)، وَالْجُيُوشُ مُحْدِقَةٌ بِهِ، وَهُوَ فِي نِهَايَةٍ مِنْ كَمَالِ التَّعْبِئَةِ وَأَخْذِ الْحَذَرِ بِحَيْثُ لاَ تُصَابُ فِيهِ فُرْصَةٌ، ثُمَّ تَحَرَّكَ عَلَى الْبَرَاجِلاَتِ(2) إِلَى [اللَّقُون](3)، إِلَى وَادِي آش(4)، [وَقَدْ بَادَرَهُ يَنَّالُه اللَّمْتُونِيُّ](5) بِعَسْكَرٍ

---

(١) لم نتوصل إلى موضع عين أطسة، ولعلها قريبة من مرج غرناطة كما يفيد السياق.

(٢) البراجلات أو البراجيلات: جمع برجيلة، وبالإسبانية (Parcela)، وهي البقاع والسفوح الواقعة في أسافل جبل الثلج (Sierra Nevada). انظر: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٦٣، حاشية رقم ٢. وقد يكون المقصود بها القطعة من الأرض، أو الأراضي الخشنة المقفرة. انظر: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٩٦، حاشية رقم ٢. وربما يراد بها القرية العامرة أو المزرعة، وقد تكررت كلمة (برجيلة) عند ابن الخطيب في اللمحة البدرية بما يُعطي هذا المعنى، فقال: "إقليم برجيلة كذا". انظر: اللمحة البدرية- دراسة وتحقيق: محمد مسعود جبران، ص ٤٤، ٥١.

(٣) ما بين الحاصرتين من الحلل الموشية، ص ٩٦، وهو الصحيح والراجح، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٣: "اللقوق" وهو تصحيف ظاهر، وقد ذكرها المستعرب الإسباني سيمونيت باسم: (Alicún de Ortega)، وطبقًا للتحديدات الجغرافية الحديثة فهي قرية تقع في الشمال الشرقي لمقاطعة غرناطة.

- **Francisco Javier Simonet**: ***Historia de los mozárabes de España***- **Madrid, 1897-1903, p. 446.**

(٤) جاء في الحلل الموشية، ص ٩٦: "ثم تحرك على البراجلات، ومنها إلى اللقون، ومنها إلى وادي آش"، بزيادة (ومنها) قبل اسمي المدينتين.

(٥) هو أبو عمر ينَّالُه اللمتوني، ولا نعرف عن اسمه أكثر من هذا، ويظهر من لقبه أنه من قبيلة لمتونة - أصل المرابطين- وهو أحد ولاة المرابطين بالأندلس، ويظهر على مسرح الأحداث ابتداءً من سنة ٥١٩ هـ/ ١١٢٥ م عندما قدم بعسكر فاس لصد اعتداءات ألفونسو الأول على المدن الأندلسية، وبعدها تولى غرناطة، وتم تكليفه ببناء أسوارها وترميم ما تهدم منها، ففرض على أهلها ضريبة التعتيب، واشتد في تحصيل المال حتى أكمل مهمته، وظل واليًا على غرناطة حتى عُزل عنها في جمادى الأولى سنة ٥٢٢ هـ/ ١١٢٨ م، فكانت ولايته عليها سنة وتسعة أشهر، وكان ظلومًا جائرًا، وكان من ظلمه أن استدعى فقهاء جيان وعلماءها إلى غرناطة، ثم أمر بالقبض عليهم، وأودعهم السجن ظلمًا واعتداءً، ثم خرج إلى الغزو في شرق الأندلس، فلم يزل في تلك الجهة وهم مسجونون إلى أن عُزل عن غرناطة وحلَّ محله الأمير أبو حفص عمر بن أمير المسلمين عليّ بن يوسف في التاريخ السالف، وعندما عاد من الغزو توجه إلى غرناطة ومنها إلى الجزيرة الخضراء، ثم جاز البحر إلى حضرة أمير المسلمين عليّ بن يوسف، وهناك قدم معاهدة غرناطة شكوى ضده لأمير المسلمين مصحوبة بالحجج والبراهين على ظلمه وتعسفه معهم،

فَاس، فَحَارَبَهُ مِنْ جِهَةِ وَادِيهَا، فَفَقَدَ عَدَدًا كَثِيرًا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَأُصِيبَ لَهُ زَعِيمٌ كَبِيرٌ، فَرُفِعَ أُخْرَى رَفْعٍ، وَدُفِعَ شَرَّ دَفْعٍ][1]، وَقَدْ أُصِيبَ كَثِيرٌ مِنْ حَامِيَتِهِ، وَطَوَى الْمَرَاحِلَ إِلَى الشَّرْقِ، فَاجْتَازَ [عَلَى][2] مُرْسِيَةَ، إِلَى جَوْفِ شَاطِبَةَ[3]، وَالْعَسَاكِرُ فِي كُلِّ ذَلِكَ تَطَأُ أَذْيَالَهُ، وَالتَّنَاوُشُ يَتَخَطَّرُ بِهِ، وَالْوَبَاءُ[4] يُسْرِعُ إِلَيْهِ، [فَكَانَ يَتْرُكُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ هَلْكَى وَمَرْضَى لاَ تُرْجَى][5]، حَتَّى لَحِقَ بِلاَدَهُ[6]، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى قَفَاهُ مُخْتَرَمًا مَفْلُولاً مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ[7]، يَكَادُ الْمَوْتُ يَسْتَأْصِلُ مَحَلَّتَهُ وَجُمْلَتَهُ.

وَلَمَّا بَانَ لِلْمُسْلِمِينَ مِن مَكِيدَةِ جِيرَانِهِم الْمُعَاهِدِينَ[8] مَا أَجْلَتْ[9] عَنْهُ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ، أَخَذَهُمُ الإِرْجَافُ، وَوَغِرَتْ[10] لَهُمُ الصُّدُورُ، [وَتَوَجَّه إِلَى مَكَائِدِهِم

فأحضره أمامهم، وأنصفهم من ظلمه، ثم أمر بسجنه، ثم أصابه طاعون فلقي حتفه، وبعض الباحثين يخلط بينه وبين أبي حفص عمر بن عليّ بن يوسف. انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٧٣-٧٧. أ. عنان: دولة الإسلام في الأندلس- العصر الثالث- القسم الأول (عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية)، ص ١١٥-١١٦.

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٧٢.

(٢) ما بين الحاصرتين من الحلل الموشية، ص ٩٦، وجاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٣: "فاجتاز إلى"، وما جاء في الحلل الموشية أنسب.

(٣) زاد ابن عذاري في البيان المغرب، ٤/ ٧٢: "فأخذ الجيوش تضيق عليه إلى فحص قرباقة من أنظار مرسية، فاجتاز بجيوشه، وأخذ على حصون شاطبة".

(٤) في الحلل الموشية، ص ٩٦: "والوبال".

(٥) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٧٢.

(٦) في الحلل الموشية، ص ٩٦: "حتى وصل إلى بلاده"، وزاد بعدها: "وهو يفخر بما ناله في سفره من المسلمين، وفتكه في بلادهم، وكثرة ما أسر وغنم، مع أنه لم يفتح مكانًا مسوّرًا صغيرًا ولا كبيرًا، إلا أنه أخلى ديار بادية الأندلس، وعفى آثارها، وكان مقامه في بلاد المسلمين واردًا وصادرًا سنة كاملة وثلاثة أشهر".

(٧) في البيان المغرب، ٤/ ٧٢: "حتى لحق بلاده مخترمَ الجمع مفلولاً بلا حرب، ومَن خلص من حملته إلى موضعه استولت عليه الأمراضُ".

(٨) في الحلل الموشية، ص ٩٧: "النصارى المعاهدين".

(٩) في الحلل الموشية، ص ٩٧: "ما جلت".

(١٠) في الحلل الموشية، ص ٩٧: "وتوغرت".

الحَزْمُ][1]، [وَاحْتَسَبَ][2] الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ ابْنُ رُشْدِ الأَجْرَ، وَتَجَشَّمَ الْمَجَازَ، وَلَحِقَ بِالأَمِيرِ عَلِيِّ بْنِ يُوسُفَ بْنِ تَاشُفِينَ بِمَرَّاكُش[3]، [فَتَلَقَّاهُ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَكْرُمَةِ وَالْمَبَرَّةِ][4]، فَبَيَّنَ لَهُ أَمْرَ الأَنْدَلُسِ[5]، وَمَا مُنِيَتْ[6] بِهِ مِنْ [مُعَاهِدَتِهَا][7]، وَمَا جَنَوْهُ عَلَيْهَا مِنِ اسْتِدْعَاءِ الرُّومِ[8]، وَمَا فِي ذَلِكَ مِنْ نَقْضِ الْعَهْدِ وَالْخُرُوجِ عَنِ الذِّمَّةِ، وَأَفْتَى بِتَغْرِيبِهِمْ وَإِجْلاَئِهِمْ [إِلَى الْعُدْوَةِ][9] عَنْ أَوْطَانِهِمْ، وَهُوَ أَخَفُّ مَا يُؤْخَذُ بِهِ مِنْ عِقَابِهِمْ[10]، وَأَخَذَ بِقَوْلِهِ، وَنَفَّذَ بِذَلِكَ عَهْدَهُ[11]، وَأُزْعِجَ مِنْهُمْ إِلَى بَرِّ الْعُدْوَةِ، فِي

---

(١) ما بين الحاصرتين ورد في الحلل الموشية، ص ٩٧، وهو أنسب للسياق، بينما جاء في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٣: "ووجَّه إلى مكانهم الحزم".

(٢) ما بين الحاصرتين ورد في الحلل الموشية، ص ٩٧، بينما جاء في الإحاطة، ١/ ١١٣" "ووجَّه"، وهي لا تناسب السياق، وما جاء في الحلل الموشية أوفق وأنسب.

(٣) في الحلل الموشية، ص ٩٧: "بحضرة مراكش"، وفي البيان المغرب، ٤/ ٧٢: "وتجشم النهوض إلى حضرة مراكش". وقد ذكر صاحب الحلل الموشية، (ص ٩٠-٩١)، ووافقه ابن عذاري في البيان المغرب، (٤/ ٧٢) أن خروج القاضي ابن رشد الجدّ إلى مراكش كان في سنة ٥١٩ هـ/ ١١٢٥ م، وهذا خطأ ظاهر؛ إذ إن حملة ألفونسو الأول على بلاد الأندلس لم تنته إلا في سنة ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦ م، والراجح أن توجه ابن رشد الجدّ إلى مراكش كان في أوائل شهر ربيع الأول من سنة ٥٢٠ هـ/ مارس من سنة ١١٢٦ م، يقول ابن الأبار: "وذلك غداة يوم الإثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة عشرين وخمسمائة عقب تدويخ الطاغية ابن رُذمير شرقها وغربها" (يعني شرق الأندلس وغربها). انظر: ابن الأبار: المعجم، ص ١٦٢.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٧٢.

(٥) في الحلل الموشية، ص ٩٧: "فبين له الأمر بالأندلس".

(٦) في البيان المغرب، ٤/ ٧٢: "وما بُليت به".

(٧) ما بين الحاصرتين ورد في البيان المغرب، ٤/ ٧٢، بينما جاء في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٤: "من معاهدها"، وجاء في الحلل الموشية، ص ٩٧: "من النصارى المعاهدين".

(٨) في البيان المغرب، ٤/ ٧٢: "وما جروه إليها وجنوه عليها من استدعاء ابن ردمير".

(٩) ما بين الحاصرتين زيادة من الحلل الموشية، ص ٩٧.

(١٠) جاء في البيان المغرب، ٤/ ٧٢-٧٣: "وأصغى إليه الأمير عليّ وتلقى قوله بالقبول، فوقع نظره على تغريبهم وإجلائهم من أوطانهم، وهو أخف ما يؤخذ به من عقابهم".

(١١) في الحلل الموشية، ص ٩٧: "فأخِذَ بقوله، وأنفِذَ بذلك عهدُه"، وفي البيان المغرب، ٤/ ٧٣: "ونفذ عهده إلى جميع بلاد الأندلس بإجلاء المعاهدين إلى العدوة".

رَمَضَانَ مِن العَامِ المَذْكُورِ، عَدَدٌ جَمٌّ[1]، أَنكَرَتْهُمُ الأَهْوَاءُ، وَأَكَلَتْهُمُ الطُّرُقُ، [وَنَسَفَتْهُمُ الأَسْفَارُ، وَنَزَلَ فِيهِم الوَبَاءُ، وَفَرَّقَهُمُ اللهُ شَذَرَ مَذَرَ[2]، وَأَحَلَّ بِهِمْ عَاقِبَةَ مَكْرِهِمْ، وَأَذَاقَهُمْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ، وَلاَ يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ]"[3].

(١) في الحلل الموشية، ص ٩٧: "وأزعج إلى العدوة منهم عددًا جمًّا".

(٢) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٤: " وَتَفَرَّقُوا شَذَرَ مَذَرَ".

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٧٣، وبها ينتهي نص ابن الصَّيْرَفِيّ، بينما زاد ابن الخطيب في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٤: "وَتَفَرَّقُوا شَذَرَ مَذَرَ، وَأَصَابَ كَثِيرٌ مِن الجُلاَءِ [جَمَعَتْهُمْ] مِن اليَهُودِ، وَتَقَاعَدَتْ بِهَا مِنْهُمْ طَائِفَةٌ هَبَّتْ لَهَا - بِمُمَالأَةِ بَعْضِ الدُّوَلِ - رِيحٌ، فَأَمَّرُوا وَأَكْثَرُوا إِلَى عَامِ تِسْعَةٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَوَقَعَتْ فِيهِمْ وَقِيعَةٌ اجْتَثَّتْهُمْ إِلا صَابَةً- لِهَذَا العَهْدِ - قَلِيلَةً، قَدِيمَةُ الذِّلَّةِ، وَحَالَفَتِ الصَّغَارَ، جَعَلَ اللهُ العَاقِبَةَ لأَوْلِيَائِهِ"، ويبدو أن هذه الزيادة من كلام ابن الخطيب؛ فلو أخذنا بالتاريخ الراجح لوفاة ابن الصَّيْرَفِيّ وهو سنة ٧٥٥ هـ/ ١١٦١ م، فإن هذا يؤكد- بما لا يدع مجالاً للشك- أن هذه الزيادة من كلام ابن الخطيب، حيث ذكر فيها ما حظي به اليهود في الأندلس من المكانة السياسية والاجتماعية إلى سنة ٥٥٩ هـ/ ١١٦٣ م، وأنه ما زالت منهم بقية موجودة بغرناطة إلى عهده، يضاف إلى ذلك أن هذه الزيادة فيها شيء من الاضطراب والتصحيف جعلت النص غامضًا في بعض جوانبه.

ويُفْهَمُ من النصِّ أن التغريب لم يقع على جميع النَّصارى المعاهدين في غرناطة، بل وقع على الفئة التي خانت الأمانة ونقضت العهد واشتركت في مؤامرة استدعاء ألفونسو الأول إلى غرناطة وبلاد الأندلس، وبقيت فئةٌ أخرى لم يمسسهم سوء وظلوا في غرناطة، وعاشوا في أمان، وتمتعوا بالحماية في ظل المرابطين باعتراف المؤرخين الإسبان أنفسهم.

- A. H. Miranda: *Historia Musulmana de Valencia y su Región*, Vol. 3. p. 63-64.
- Claudio Sánchez-Albornoz: *La España Musulmana según los autores islamitas y cristianos medievales*, p.231.

وقد أثبتت المصادرُ التاريخية وجود جماعات منهم في غرناطة وقرطبة وغيرهما من القواعد الأندلسية بعد تاريخ التغريب. انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٧٧. ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١١٤.

[بِنَاءُ سُورِ مَرَّاكُش وَالنَّظَرُ فِي أَسْوارِ مُدُنِ الأَنْدَلُسِ حَسْبَ مَشُورَة ابْنِ رُشْدٍ]:

(1)"وَنَبَّهَ القَاضِي عَلَى بِنَاءِ الأَسْوَارِ، فَشَرَعَ الأَمِيرُ عَلِيُّ بْنُ يُوسُف فِي بِنَاءِ سُورِ مُحْدِقٍ بِمَرَّاكُش فِي هَذِهِ السَّنَةِ، فَكَمُلَ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ وَأَعْجَلَهُ، وَوَرَدَ كِتَابُ الأَمِيرِ عَلِيِّ بْنِ يُوسُف إِلَى الأَنْدَلُسِ بِالنَّظَرِ فِي الأَسْوَارِ بِجَمِيعِ البِلاَدِ، فَتَلَوَّمَ ذَلِكَ النَّظَر فِيهِ حَتَّى صُرِفَ الأَمِيرُ أَبُو الطَّاهِرِ عَنْ غَرْنَاطَة وَقُرْطُبَة فِي رَمَضَانَ وَنَهَضَ إِلَى مَرَّاكُش، وَقَدَّمَ أَبَا عُمَرَ يَنَّالُه عَلَى غَرْنَاطَةَ، وَقَدَّمَ أَبَا حَفْصٍ عُمَرَ بْنَ سَيْرٍ(2) عَلَى قُرْطُبَة، وَخَرَجَ يَنَّالُه مِنْ غَرْنَاطَةَ بِالجَيْشِ مُتَحَمِّلاً مِيرَةَ أُقْلِيش، فَلَمَّا احْتَلَّ [....](3)، [اعْتَرَضَتْهُ](4) جُمْلَةٌ وَافِرَةٌ مِنَ الرُّومِ، وَوَقَعَ الضَّرْبُ بَيْنَهُمْ، وَثَبَتَ المُسْلِمُونَ، فَهَزَمَ اللهُ الكَفَرَةَ، وَأَوْرَدَ يَنَّالُه المِيرَةَ وَصَدَرَ ظَافِرًا، وَلَمَّا اسْتَقَرَّ يَنَّالُه بِغَرْنَاطَة بَعْدَ انْفِصَالِ المِيرَةِ، وَقَدْ تَهَيَّبَ أَمْرُهُ، وَانْتُهِجَ أَمْرُ

---

(1) وجود هذا النص وما يليه بين نصين نقلهما ابن عذاري عن ابن الصَّيْرَفِيِّ يشير إلى أن ابن عذاري يواصل النقل عن ابن الصَّيْرَفِيِّ، خاصة وأن موضوع هذه النصوص المتوالية واحدٌ تقريبًا، وتتوافق في الصياغة والألفاظ إلى حدٌ كبير.

(2) أبو حفص عمر بن سَيْر أحد قادة المرابطين وولاتهم البارزين في الأندلس، ورغم ذلك فالمعلومات عنه قليلة، وأول ذكر له في المصادر عندما تولى قرطبة بعد حملة ألفونسو الأول (المحارب) على الأندلس سنة ٥١٩ هـ/ ١١٢٥ م عندما قرر أمير المسلمين عليّ بن يوسف عزل أخيه أبي الطاهر تميم عن الأندلس بإشارة الفقيه ابن رشد الجدّ، وفي سنة ٥٢٢ هـ/ ١١٢٨ م كان واليًا على إشبيلية بعد عزل أبي بكر بن عليّ بن يوسف عنها، لكن لم تدم ولايته عليها كثيرًا؛ إذ عُزل عنها بعد خمسة أشهر فقط من لايته عليها، ولم يتردد اسمه في المصادر بعد هذا التاريخ. انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٧٣، ٧٧، ١٠٦.

(3) ما بين الحاصرتين بياض في البيان المغرب، (٤/ ٧٣) بمقدار كلمة، لعلها: "بها"، فالسياق يقتضيها.

(4) ما بين الحاصرتين تقتضيها الصياغة والسياق، بينما جاءت في البيان المغرب، ٤/ ٧٣: "اعترضه"، وربما أصابها تصحيف.

السُّورِ، ثُمَّ أَغْزَى الأَمِيرُ أَبُو [......] [1] بْنُ يُوسُفَ بْنِ تَاشُفِينَ أَرْضَ طُلَيْطِلَةَ [2] فِي جَيْشِهِ وَجَيْشِ قُرْطُبَةَ، فَغَنِمَهَا، وَصَدَرَ مِنْهَا غَانِمًا ظَافِرًا إِلَى غَرْنَاطَةَ" [3].

[ذِكْرُ التَّعْتِيبِ بِالأَنْدَلُسِ وَبِنَاءِ الأَسْوَارِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ]:

"فَلَمَّا صَدَرَ حَدٌّ فِي تَعْتِيبِ الْبَلَدِ، وَقُلِّدَ ذَلِكَ مَنْ وَقَعَ الاتِّفَاقُ عَلَيْهِ مِنْ قَاضِي الْقُطْرِ [4] أَبِي الْقَاسِمِ ابْنِ وَرْدٍ [5]، وَصَاحِبِ الْمُسْتَخْلَصِ أَبِي عَلِيٍّ ابْنِ هَدِيَّةَ [6]، وَقُدِّمَ لِقَبْضِ الْمُعَتَّبِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي نَجَبَةَ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْحَزَمَةِ وَلاَ مِنَ الْخَدَمَةِ، فَمَزَّقَ الْمَالَ كُلَّ مُمَزَّقٍ، وَعَاثَ فِيهِ كُلَّ مُمَخْرِقٍ، وَذَمَّ يَنَالُه جَمِيعَ الْبَنَّائِينَ، وَشَدَّ عَلَى النَّاسِ فِي دَفْعِ الْمَالِ،

---

(١) ما بين الحاصرتين بياض في البيان المغرب، (٤/ ٧٣) بمقدار كلمة أو كلمتين، ولعل هذا القائد هو: (أبو الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين).

(٢) طليطلة (Toledo): مدينة أندلسية عريقة في القدم تقع على بعد ٧٥ كلم من العاصمة الإسبانية مدريد (Madrid)، وتقع على مرتفع منيع تحيط به أودية وأجراف عميقة، تتدفق فيها مياه نهر تاجُه (Tajo)، ويحيط وادي تاجُه بطليطلة من ثلاث جهات مساهمًا بذلك في حصانتها ومنعتها، واسم طليطلة تعريب للاسم اللاتيني "توليدوث" (Tholedoth)، وكان العرب يسمونها (مدينة الأملاك)؛ لأنها كانت دار مملكة القوط ومقر ملوكهم، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس، وقلَّ ما يُرى مثلها إتقانًا وشماخة بُنيان، وكانت أول المدن الأندلسية سقوطًا في أيدي النصارى، حيث أخذوها سنة ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م، على يد ألفونسو السادس (Alfonso VI) ملك قشتالة. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤/ ٣٩-٤٠. ذكر بلاد الأندلس لمؤلف مجهول، ص ٤٧-٤٨. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٥١-٥٥٢. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٣٠-١٣٥.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٧٣.

(٤) يُقصد بالقطر هنا مدينة غرناطة، وكان أبو القاسم ابن ورد قد تولى قضاءها سنة ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦ م، فعدل وأحسن السيرة. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٧٠. لذا نراه في النص أعلاه قد تولى الإشراف على بناء أسوارها مع صاحب المستخلص أبي عليّ ابن هدية.

(٥) هو أحمد بن محمد بن عمر التميمي، يُعْرف بابن ورد، من أهل المرية، يُكنى أبا القاسم، كان فقيهًا حافظًا علمًا متفننًا، استُقْضي بغير موضع من المدن الكبار، وتوفي ببلده في ١٢ من رمضان المعظم سنة ٥٤٠ هـ/ ١١٤٥ م. انظر: ابن بشكوال: الصلة (تحقيق: بشار عواد معروف)، ١/ ١٣١-١٣٢، الترجمة رقم ١٧٧. ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ص٣١-٣٣، الترجمة رقم ١٧. ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٦٩-١٧١.

(٦) سبق لابن الصَّيْرَفِيّ الكلام عنه والثناء عليه.

فَكَانَتِ الآلاَتُ مُتَمَكِّنَةً وَالمَوْرِدَةُ مُتَّصِلَةً، وَتُهُيِّبَ بَنَّالُه، فَكَانَ النَّاسُ يَخَافُونَهُ لِضَغْطِهِ وَشِدَّتِهِ، وَكَمُلَ السُّورُ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ، وَكَانَ حَاطِبَ لَيْلٍ، وَبَعْضُ الْبَنَّائِينَ غُثَاءَ سَيْلٍ، لاَ وَفَّوْا التَّأْسِيسَ، وَلاَ قَوَّمُوا التَّرْصِيصَ، وَلأَقْرَبِ مُدَّةٍ وَهَي وَسَقَطَ كَثِيرٌ مِنْهُ عَلَى الْمُجَاوِرَةِ بِجِهَةِ بَابِ الرَّمْلَةِ[1] وَبَابِ إِلْبِيرَةَ[2]، فَأَهْلَكَ جُمْلَةً لاَ تُحْصَى، وَكَثُرَ الدُّعَاءُ عَلَى بَانِيهِ وَمُمَوِّنِيهِ"[3].

"وَتَوَلَّى النَّظَرَ فِي أَسْوَارِ الْمَرِيَّةِ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُعْرَفُ بِابْنِ الْعَجَمِيِّ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ مَيْمُونٍ[4]، فَأَخَذَ بِالْحَزْمِ، وَاسْتَكْثَرَ بِالسِّيَاسَةِ وَالْعَزْمِ، وَلَمْ يُنْفِقْ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ إِلَّا فِي

---

(١) باب الرَّمْلَة (Bibrambla): يقع بوسط غرناطة، وعنده وقعت أبشع جرائم التاريخ، حيث أصدرت إيزابيلا الأولى ملكة قشتالة قرارها بحرق الكتب الإسلامية الأندلسية في الثاني عشر من أكتوبر عام ١٥٠٢ م، وكان من بينها الكثير من المصاحف البديعة وألاف الكتب الأدبية والعلمية، وتُسمى هذه الساحة اليوم الكورال ديل كاربون (El Corral del Carbón). انظر: أ. عنان: الآثار الأندلسية الباقية، ص ١٦٤، ١٧٠.

(٢) باب إلبيرة (La Puerta de Elvira): يقع في غرب غرناطة، وعنده كانت تقع مقبرة باب إلبيرة الشهيرة في العصر الإسلامي، وكانت تُعرف أيضًا بمقبرة غرناطة، ولا يزال الباب قائمًا حتى اليوم، ويُعرَف باسمه العربيّ. انظر: الحمير: الروض المعطار، ص ٤٥. ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٢٧١. أ. عنان: الآثار الأندلسية الباقية، ص ١٧٤.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٧٣-٧٤.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن ميمون، أبرز أفراد أسرة بني ميمون قادة الأسطول المرابطي ورؤساء جزيرة قادس والمرية، وقد برز من هذه الأسرة في عهد الدولة المرابطية ثلاثُ شخصيات كبيرة في قيادة الأسطول المرابطي، وأسهموا إسهامًا واضحًا في تقوية هذا الأسطول وتطويره حتى أضحى أقوى أسطول في البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، ونجح في صد اعتداءات الروم عن السواحل المرابطية في المغرب والأندلس، وأول هذه الشخصيات: عيسى بن ميمون أمير البحر في أواخر أيام يوسف بن تاشفين في شنتمرية الغرب، يليه ابنه: عليّ بن عيسى بن ميمون في جزيرة قادس، ثم كان آخرهم وأشهرهم المذكور معنا في النص أعلاه: أبو عبد الله محمد بن ميمون الذي استقر في المرية، فكان صاحب البحر في أواخر عصر المرابطين وبداية دولة الموحدين، وتولى قيادة الأسطول المرابطي في عهد عليّ بن يوسف بن تاشفين، فذاعت شهرته وكثرت انتصاراته، وكان شديد الولاء للمرابطين، متمسكًا بدعوتهم، مخلصًا لهم حتى نهاية دولتهم. انظر: المراكشي: المعجب (تحقيق: محمد سعيد العريان)، ص ٢٧٩. ابن عذاري: البيان

مَوْضِعِهِ، وَلاَ اسْتَعَانَ إِلَّا بِمَنْ جَدَّ فِي نُصْحِهِ، وَرَأَى النَّاسُ ذَلِكَ فَتَسَاهَلُوا فِي الأَدَاءِ، وَتَوَاصَلُوا حَمْلَ الأَعْبَاءِ، فَكَمُلَ السُّورُ عَلَى وَاجِبِهِ مِنَ التَّحْصِينِ وَالتَّحْسِينِ، بِيَسِيرٍ مِنَ المُؤْنَةِ دُونَ ضَرْبٍ وَلاَ سَجْنٍ، وَتَوَلَّى أَهْلُ قُرْطُبَةَ رَمَّ أَسْوَارِهَا عَلَى سَالِفِ عَادَتِهِمْ، فَعَزَمَ أَهْلُ كُلِّ مَسْجِدٍ إِقَامَةَ مَا يَلِيهِمْ، فَكَمُلَ الأَمْرُ دُونَ تَشْعِيبٍ وَلاَ تَعْتِيبٍ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ إِشْبِيلِيَّةَ بِوَسَطِ الحَالِ دُونَ إِسْرَافٍ وَلاَ إِجْحَافٍ"[1].

[وَفَاةُ الْفَقِيهِ أَبِي الْوَلِيدِ ابْنِ رُشْدٍ الجَدِّ رَحِمَهُ اللهُ سَنَةَ ٥١٩ هـ/ ١١٢٥م][2]:

"وَفِي لَيْلَةِ الأَحَدِ الحَادِي عَشَرَ لِذِي الْقِعْدَةِ تُوُفِّيَ الْفَقِيهُ الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ ابْنِ رُشْدٍ رَحِمَهُ اللهُ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ رُشْدٍ، وَلَهُ شَرْحُ الْمُسْتَخْرَجَةِ، تَأْلِيفٌ لَمْ يَسْبِقْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى مِثْلِهِ، يُنَيِّفُ عَلَى المِائَةِ جُزْءٍ[3]، هَكَذَا ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ الأَنْوَارِ الجَلِيَّةِ[4] فِي مَحَاسِنِ الدَّوْلَةِ المُرَابِطِيَّةِ"[5].

المغرب، ٤/ ٦٢، ٦٦-٦٧. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثاني، ص ٢٥٦. أحمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية، ج٢ ق٢، ص ٢٤١.

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٧٤.

(٢) جعل ابن عذاري- نقلاً عن ابن الصَّيْرَفِيّ- وفاة ابن رشد الجدّ سنة ٥١٩ هـ/ ١١٢٥ م، وبعد أسطر قليلة، وفي أحداث سنة ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦ م قال: "وذكروا أنه في هذه السنة كان وصول ابن رشد إلى مراكش ووفاته بقرطبة، والله أعلم". انظر: البيان المغرب، ٤/ ٧٥. والصحيح أن وفاة ابن رشد الجدّ كانت ليلة الأحد الحادي عشر من ذي القعدة سنة ٥٢٠ هـ/ ٢٨ من نوفمبر سنة ١١٢٦ م وليس سنة ٥١٩ هـ/ ١١٢٥ م كما جاء في المتن أعلاه. انظر: ابن بشكوال: الصلة، ٢/ ٥٧٦-٥٧٧، الترجمة رقم ١٢٧. الضبي: بغية الملتمس، ص ٥١، الترجمة رقم ٢٤. القاضي عياض: الغنية، ص ٥٤، الترجمة رقم ٤. ابن فرحون: الديباج المذهب، ٢/ ٢٤٨-٢٥٠.

(٣) (كتاب المُسْتَخْرَجَة) أحد مؤلفات الفقه المالكيّ، وقد سُمِّيت بهذا الاسم؛ لأنّ مؤلفها استخرجها من الأسمعة التي رُويت عن الإمام مالك بواسطة تلاميذه، ويُسمّى أيضًا العُتْبِيَّة نسبةً لمؤلفها محمد العُتْبِيّ بن أحمد بن عبد العزيز الأمويّ القرطبيّ (ت ٢٥٥ هـ/ ٨٦٨ م)، وقد قام بشرحها ابنُ رشد الجدّ في مُصنَّفه المشهور: "البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المُسْتَخْرَجَة"، واشْتُهِرَ باسم: (شرح المُسْتَخْرَجَة)، وقد طبعته دار الغرب الإسلاميّ في عشرين جزءًا بتحقيق: د. محمد حجي- الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

(٤) وردت في نص البيان المغرب، ٤/ ٧٤: "الجليلة"، وهو تصحيف ظاهر، والعنوان المعروف هو (الأنوار الجليَّة)، وهذه هي المرة الوحيدة التي ذكر فيها ابن عذاري عنوان الكتاب كاملاً.

(٥) البيان المغرب، ٤/ ٧٤.

[الشَّاعِرُ أَبُو عَبْدِ الله مُحَمَّدُ بْنُ خَلَصَةَ الْبَلَنْسِيُّ]:

"أَبُو عَبْدِ الله مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْن أَحْمَدَ بْن فَتْح بْن قَاسِم بْن سُلَيْمَان بْن سُوَيْد بْن خَلَصَةَ – بِفَتْحِ الخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَاللَّامِ وَالصَّادِ – اللَّخْمِيّ، مِنْ أَهْلِ بَلَنْسِيَةَ، كَانَ أُسْتَاذًا فِي عِلْمِ اللِّسَانِ وَالأَدَبِ، فَصِيحًا مُفَوَّهًا، حَافِظًا لِلُّغَاتِ، أَقْرَأَ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ بِدَانِيَةَ وَبَلَنْسِيَة، وَلَهُ يَدٌ فِي النَّثْرِ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْمَرِيَّةِ، وَفِيهَا تُوُفِّيَ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ، حَكَى ذَلِكَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ فِي تَارِيخِهِ"[1].

[إِجْرَاءُ بَعْضِ التَّغْيِيرَاتِ الإِدَارِيَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ سَنَةَ ٥٢٢ هـ/ ١١٢٨ م]:

[2]"وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَلَّى أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ عَلِيُّ بْنُ يُوسُف وَلَدَهُ عُمَرَ[3] فِي مَدِينَةِ غَرْنَاطَة، وَاحْتَلَّهَا فِي شَهْرِ جُمَادَى الأُولَى، وَكَانَ فِي جُمْلَتِهِ رَجُلٌ زِيُّهُ التَّلَثُّمُ، نَشَأَ بِمَدِينَةِ طَنْجَة[4]، وَتَأَدَّبَ بِإِشْبِيلِيَة، يُعْرَفُ بِمُوسَى بْنِ مَفْرُوحٍ، لَهُ خَطٌّ

(١) ابن الأبار: تحفة القادم، ص ٧، الترجمة رقم ١.

(٢) اعتدنا من ابن عذاري أنه ينقل عدة صفحات عن العديد من المؤرخين دون أن يذكر مصدره إلا في نهاية النقل، ثم ينتقل إلى النقل عن مؤرخ آخر ويذكره أيضًا في نهاية نقله عنه، وقد صار هذا المنهج من الأمور المألوفة والمعتادة في كتابه، والنصوص الواردة في المتن أعلاه لا شك أنه نقلها عن مؤرخنا ابن الصَّيْرَفِيّ، فقد جاءت بين نقلين عن ابن الصَّيْرَفِيّ دون أن يتخللها نقلٌ عن مؤرخ آخر.

(٣) هو أبو حفص عمر بن عليّ بن يوسف، أحد أبناء أمير المسلمين عليّ بن يوسف بن تاشفين، ولي حكم غرناطة خلفًا لابن عمه أبي عمر ينّالُه، وكان أول ما قام به هو إطلاق سراح فقهاء جيان الذين قبض عليهم سلفه عامل غرناطة، وكان من أهم ما قام به أثناء عمله هو الاشتراك مع أخيه الأكبر أبي بكر بن عليّ بن يوسف في مهاجمة النصارى الذين كانوا قد استولوا على أحد حصون المسلمين، فاستنقذ الأميران الحصن، واستعرضا معًا جنودهما في غرناطة، ولكن حكمه لغرناطة لم يستمر إلا أربعة أشهر (من جمادى الأولى حتى رمضان من سنة ٥٢٢ هـ/ ١١٢٨ م)، وبعدها عُزل عن غرناطة، وانتقل إلى المغرب، ثم عُهد إليه بحكم فاس سنة ٥٢٣ هـ/ ١١٢٨–١١٢٩ م، ولكنه جار في ولايته فعُزل. انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٧٥–٧٧، ٩٧، ٩٩. ابن القطان: نظم الجمان، ص ١٥٥، ٢١٦.

(٤) طنجة (Tangér): مدينة قديمة بالمغرب الأقصى، تقع عند الطرف الغربي لمضيق جبل طارق (Gibraltar)، بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، ولا يفصلها عن الشاطئ الإسباني المقابل

بَارِعٌ، وَأَدَبٌ صَالِحٌ، وَنُفُوذٌ فِي الحِسَابِ، وَكَانَتْ لَهُ نَفْسٌ ذَكِيَّةٌ، وَهِمَّةٌ عَالِيَةٌ، أَلْقَى إِلَيْهِ الأَمِيرُ أَبُو حَفْصٍ جَمِيعَ الأَعْمَالِ، وَأَوْطَأَهُ عَقِبَ الرِّجَالِ، فَاسْتَبَدَّ بِالأَمْرِ وَاسْتَقَلَّ [......](1)، فَدَسَّ إِلَيْهِ يَهُودِيٌّ يَنْتَحِلُ الطِّبَّ، سَقَاهُ يَوْمَ أَرْبِعَاءٍ، وَدُفِنَ يَوْمَ جُمُعَةٍ(2).

وَلَحِقَ الأَمِيرُ أَبُو بَكْرٍ(3) وَالِي إِشْبِيلِيَّةَ بِغَرْنَاطَةَ مُتَوَجِّهًا إِلَى شَرْقِ الأَنْدَلُسِ، فَسَارَ إِلَيْهِ الأَمِيرُ أَبُو حَفْصٍ أَخُوهُ، فَدَخَلُوا المَدِينَةَ فِي أَجْمَلِ هَيْئَةٍ وَأَتْقَنِ زِينَةٍ [......](1)،

سوى ١٨ كلم، وقد عُرفت في القديم أيام الفينيقيين والرومان باسم تنجي (Tingi)، ومعناه بالبربرية: البحيرة، ولما فتح المسلمون بلاد المغرب كانت طنجة قاعدة المجاز الكبرى إلى بلاد الأندلس، ثم خضعت للأدارسة، ثم للعلويين بفاس والأمويين بالأندلس، ثم سيطر عليها حكام دولة برغواطة بتامسنا (Tamisna)، وجعلوا منها ومن سبتة (Ceuta) أهم قاعدتين بحريتين لأعمال القرصنة ضد السفن التجارية المارة في مضيق جبل طارق، ثم استطاع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين أن يقضي على هذه الدولة البرغواطية ويحتل سبتة وطنجة، وأصبحت طنجة من أهم موانئ المغرب الإسلامي طوال العصور الإسلامية. انظر: البكري: المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، ص ١٠٨-١٠٩. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤/ ٤٣. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٢٩. الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول، ص ١٣٨-١٣٩. ابن الخطيب: أعمال الأعلام-القسم الثالث، ص ٢٠٣، حاشية رقم ١.

(١) ما بين الحاصرتين سقط في البيان المغرب، (٤/ ٧٧) لا ندري ما مقداره.

(٢) البيان المغرب، ٤/ ٧٦-٧٧.

(٣) هو أبو بكر بن عليّ بن يوسف بن تاشفين، أكبر أبناء أمير المسلمين عليّ بن يوسف، ولد سنة ٤٩٣ هـ/ ١٠٩٩ م، وكان يلقب بـ (بكور)- صيغة تصغير لأبي بكر- وكذلك (بكو) بدون الراء، نشأ بالأندلس كما جرت عادة عليّ بن يوسف في تنشئة أبنائه، فدرج في إشبيلية وقام على رعايته وتأديبه الطبيب الأندلسي المشهور أبو مروان ابن زهر، ولكنه لم يكن منصرفًا إلى التحصيل، بل كان كثير التشغيب والتضريب، ويبدو أن أول منصب رسمي عُهد به إليه كان حكم إشبيلية في ذي الحجة سنة ٥١٧ هـ/ ١١٢٣ م وإن كان لم يضطلع به بالفعل إلا في شهر المحرم من سنة ٥١٨ هـ/ ١١٢٤ م، وكان مما قام به أثناء حكومته لإشبيلية تعقبه لألفونسو الأول (المحارب) عندما شن حملته الطويلة على الأندلس سنة ٥١٩ هـ/ ١١٢٥ م، وقد أسند إليه أبوه بعد ذلك قيادة جيوش الأندلس في ٢٧ من صفر سنة ٥٢٠ هـ/ ٢٤ من مارس سنة ١١٢٦ م، سنة ٥٢٢ هـ/ ١١٢٨ م، وكانت له غزوة إلى كولبة في السنة نفسها، ثم عُزل عن إشبيلية في رجب من هذه السنة أيضًا بسبب تصريحه بالتذمر والضيق من تعيين أخيه سير وليًّا للعهد؛ إذ كان يرى نفسه أحق بذلك؛ لأنه أكبر إخوته، فنفي إلى صحراء المغرب، ثم رضي عنه أبوه بعد ذلك؛ إذ نراه يعهد إليه بقيادة بعض جيوش المرابطين لقتال الموحدين، وفي سنة ٥٣٣

فَاجْتَمَعَ بِأَخِيهِ، وَأَقْبَلاَ مُقْتَرِنَيْنِ وَالْجُيُوشُ تَحُفُّهُمَا، وَكَانَ [مَضْرِبُ][2] مَحَلَّةِ الأَمِيرِ أَبِي بَكْرٍ بِالْمُصَلَّى، فَتَلَوَّمَ أَيَامًا ثُمَّ تَحَرَّكَ إِلَى وِجْهَتِهِ، فَقَصَدَ حِصْنًا كَانَ [الرُّومُ][3] قَدْ تَمَلَّكُوهُ غَدْرًا، فَنَصَبَ عَلَيْهِ الْحَرْبَ، وَدَخَلَهُ عَنْوَةً، وَامْتَلأَتْ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ بِكَثِيرٍ مِنَ الأَسْلِحَةِ وَالآلاَتِ وَالزِّيِّ وَالْمَتَاعِ، وَثَقَّفَ الأَمِيرُ أَبُو بَكْرٍ الْحِصْنَ بِالرِّجَالِ وَالرُّمَاةِ، وَصَدَرَ فَبُرِّزَ لَهُ بِغَرْنَاطَةَ أَحْفَل تَبْرِيزٍ، ثُمَّ أَغَذَّ السَّيْرَ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ[4].

وَقَدْ نَفَذَ كِتَابُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى وَلَدِهِ صَاحِبِ غَرْنَاطَةَ بِوُصُولِهِ إِلَيْهِ، وَأَقَامَ وَاجِدِي[5] بْنُ سَيْرٍ مَعَ أَخِيهِ عُمَرَ[6] وَالِي إِشْبِيلِيَّةَ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ[1] وَالِي

هـ/ ١١٣٨ م توفي سير بن عليّ ولي العهد، فعهد عليّ بن يوسف بالأمر من بعده لولده تاشفين، فيعود أبو بكر إلى الاحتجاج والسخط، فضاق به أبوه فأمر بإخراجه من مراكش، وحمله إلى الجزيرة الخضراء ليسجن بها، لكنه وصل إليها مريضًا، ولم تطل مدة محبسه إلى أن هلك. انظر: د. محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص ١٣٠-١٣٩. د. حسين مؤنس: سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس، ص ١٩-٢١. ابن عذاري: البيان المغرب- قسم الموحدين، ص ٣٠. الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ٧٤.

(١) ما بين الحاصرتين سقط في البيان المغرب، (٤/ ٧٧) لا ندري ما مقداره.

(٢) ما بين الحاصرتين يقتضيها السياق، بينما جاءت في البيان المغرب، ٤/ ٧٧: "مضطرب"، وهو تصحيفٌ ظاهر.

(٣) ما بين الحاصرتين يقتضيه المعنى والسياق، بينما جاء في البيان المغرب، ٤/ ٧٧: "للرُّومِ"، وهو خطأ ظاهر.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٧٧.

(٥) جاء هذا الاسم في نظم الجمان، ص ١٤٩: (أجداي)، وقال المحقق الأستاذ الدكتور محمود علي مكي- رحمه الله: "لسنا نعرف على وجه التحقيق من (أجداي) هذا، وقد ذكر أويثي (ميراندا) في مقاله عن عليّ بن يوسف أنه هو المسمى بعبد الله بن أبي بكر سير اللمتوني، ثم ذكر مرة أخرى في نفس المقال أنه عبد الله بن عمر بن سير اللمتوني، والذي نعرفه من القائمة التي أوردها ابن عذاري لولاة إشبيلية في البيان المغرب (٤/ ١٠٦) أن الذي خلف أبا بكر بن عليّ بن يوسف على حكم إشبيلية هو عمر بن سير، وظل عليها ما بين شعبان وذي الحجة سنة ٥٢٢ هـ (أغسطس- ديسمبر ١١٢٨ م)، ويرى ميراندا أن حكم أجداي للمدينة ربما كان بصفة مؤقتة قبل ولاية عمر بن سير المذكور. انظر: نظم الجمان، ص ١٤٩، حاشية رقم ٣ للمحقق.

(٦) هو أبو حفص عمر بن سَيْر، وقد سبقت الترجمة له حسب المتاح من المعلومات عنه.

قُرْطُبَة، وَصَدَرَ أَبو عُمَرَ يَنَّالُه عَنِ الشَّرْقِ إِلَى غَرْنَاطَة، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى الْجَزِيرَةِ، وَجَاوَزَ الْبَحْرَ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى حَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ عَلِيِّ بْنِ يُوسُف أَشَارَ بِذِكْرِهِ إِلَيْهِ مُعَاهَدَةُ غَرْنَاطَة، فَأَمَرَ بِمَحْضَرِهِ مَعَهُمْ فِي مَجْلِسِ نَظَرِهِ، فَأَدْلَوْا بِحُجَجٍ فِي ظُلْمِهِ فَسَجَنَهُ لَهُمْ حَتَّى أَنصَفَهُمْ مِنْ ظُلاَمَتِهِمْ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَصَابَهُ طَاعُونٌ كَانَ سَبَبَ حَتْفِهِ، وَكَانَ هَذَا يَنَّالُه إِذَا عَاقَبَ الْجَانِي اعْتَدَى عَلَيْهِ، وَإِذَا أُتِيَ بِالْبَرِيءِ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ، وَكَانَ لَهُ كَاتِبٌ يَهُودِيُّ الأَعْرَاقِ وَالأَخْلاَقِ، يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ، أَشْأَمَ قِسْمَةً عَلَى نَفْسِهِ وَرَئِيسِهِ وَمَنِ اتَّصَلَ بِهِ، فَبَدَا بِشُؤْمِهِ أَمِيرَهُ يَنَّالُه، فَجَرَّ إِلَيْهِ الْعَزْلَ وَأَوْرَدَهُ السِّجْنَ وَأَدَّاهُ إِلَى الْهَلَكَةِ، وَغَدَا شُؤْمُهُ عَلَيْهِ فَاسْتُؤْصِلَ مَالُهُ، وَنُهِبَتْ دَارُهُ، وَطُلِبَ لِيُوقَعَ بِهِ فَفَرَّ وَهَلَكَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَكَانَ أَشْقَرَ أَزْرَقَ، دَمِيمَ الْخَلْقِ، فِي وَجْهِهِ خَالٌ[٢].

وَفِي رَمَضَانَ الْمُعَظَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ صُرِفَ الأَمِيرُ أَبو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ عَلِيِّ بْنِ يُوسُف عَنْ غَرْنَاطَة، وَكَانَتْ وِلاَيَتُهُ بِهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَوَلِيَهَا عَبْدُ الله بْنُ أَبِي بَكْرٍ اللَّمْتُونِيُّ[٣]، وَكَانَ فِي شَرْقِ الأَنْدَلُسِ بِجَيْشِ الْعُدْوَةِ، فَلَمَّا وَصَلَتْهُ الْوِلاَيَةُ أَوْرَدَ كِتَابًا عَلَى أَبِي يَحْيَى ابْنِ رَوَّادَة يَسْتَنِيبُهُ فِي الأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ، فَتَوَلَّى ذَلِكَ[٤].

---

(١) لم نقف على معلومات عنه سوى أنه كان واليًا على قرطبة في السنة المذكورة (٥٢٢ هـ/ ١١٢٨ م).

(٢) الخَالُ: الكِبْرُ، يقال: رجل خَالٌ: ذو خُيَلاءَ مُعْجَبٌ بنفسه، وقيل: الخَالُ: شامةٌ أو نكتةٌ سوداءُ في البَدن، وغالبًا ما تكون في الوجه، ولعل المعنى الثاني هو المقصود هنا. وقد أورد ابنُ دحية في كتابه: (المطرب) اثني عشر معنى لكلمة (الخال). انظر: المطرب من أشعار أهل المغرب- تحقيق: أ. إبراهيم الإبياري ود. حامد عبد المجيد ود. أحمد أحمد بدوي-دار العلم للجميع- بيروت- د.ت، ص ١٨٣.

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين، وهو ابن أخي علي بن يوسف كما ذكر صاحب نظم الجمان، وكان يُعرَف بابن قنونة، أو ابن جنونة كما سماه صاحب مفاخر البربر، وقنونة اسم أمه، وقد ولي غرناطة في السنة المذكورة، ثم ولي قرطبة سنة ٥٢٥ هـ/ وعُزل عنها في السنة التالية لشكايات ترددت منه. انظر: ابن القطان: نظم الجمان، ص ٢٢٢، والحاشية رقم ٢ من الصفحة نفسها. مفاخر البربر لمؤلف مجهول (تحقيق: د. عبد القادر بوباية)، ص ١٩٠. ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٨٤.

(٤) البيان المغرب، ٤/ ٧٧-٧٨.

[عَلِيُّ بْنُ يُوسُف يَأْخُذُ الْبَيْعَةَ لابْنِهِ سَيْرٍ سَنَةَ ٥٢٢ هـ/ ١١٢٨ م]:

"وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَمَرَّتْ عَزْمَةُ عَلِيِّ بْنِ يُوسُف اقْتِدَاءً بِأَبِيهِ فِي إِشَارَتِهِمْ إِلَى مَنْ يَقُومُ بِالأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ، فَاسْتَدْعَى مِنْ نُوَّابِ الْقَبَائِلِ مَنْ وَثِقَ بِدِينِهِ وَنَظَرِهِ، وَفَاوَضَهُمْ فِي مَذْهَبِهِ، فَكُلُّ شَيْخٍ وَرَدَ عَلَى تَهَمُّمِهِ، وَأَشَارَ بِالأَمِيرِ أَبِي مُحَمَّد سَيْرٍ[1]، فَأَمَرَ كَتَبَتَهُ بِإِنْشَاءِ الْبَيْعَةِ لَهُ، فَنَزَعَ كُلٌّ سَهْمَهُ إِلَى غَرَضِ طَبْعِهِ وَعِلْمِهِ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ أَعْرَضَ عَنْهُ، وَأَمَرَ بِنَقْلِ الْبَيْعَةِ الْمُتَعَهَّدَةِ فِي قُرْطُبَةَ بِاسْمِهِ، فَأَلْزَمَ نَفْسَهُ مَا الْتَزَمَ، وَقَلَّدَهُ مَا تَقَلَّدَ، وَأَنْفَذَ الْكُتُبَ إِلَى عُمَّالِهِ وَقُضَاتِهِ بِالأَنْدَلُسِ، حَتَّى أَخَذَ الْبَيْعَةَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ، فَانْعَقَدَتْ فِي كُلِّ قَاعِدَةٍ بَيْعَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الرَّابِعَ عَشَرَ مِن جُمَادَى الأُولَى [......][2] أمير أَبِي حَفْصٍ، ثُمَّ دَنَا بِهِمَا، وَاسْتَدْعَى الزُّعَمَاءَ وَالأَعْيَانَ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِ غَرْنَاطَة، فَلَمَّا [......][3] فِيهَا أَنْفَذَ إِلَى أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ بِهَا، وَتَسَاجَلَ فِي هَذَا الشَّأْنِ أَهْلُ الْبِلَادِ، هَكَذَا ذَكَرَ [ابْنُ][4] الصَّيْرَفِيُّ فِي كِتَابِهِ"[5].

---

(١) هو أبو محمد سير بن عليّ بن يوسف، أحد أبناء السلطان المرابطي عليّ بن يوسف بن تاشفين، وقد عقد له أبوه بولاية العهد- كما يذكر ابن الصيرفي في النص الوارد أعلاه- في يوم الجمعة ١٤ من جادى الأولى سنة ٥٢٢ هـ/ ١٥ من يونيو سنة ١١٢٨ م، وعهد عليّ بن يوسف في الوقت نفسه لابنه تاشفين بحكم الأندلس، فكبر ذلك على سير، وفاوض أباه في عزله لما اشتعل في نفسه من حسد لأخيه بسبب ثناء الناس عليه، فلم يسع أباه إلا أن عزل تاشفين عن الأندلس وأمره بالرجوع إلى مراكش في أواسط سنة ٥٣١ هـ/ ١١٣٦ م، فصار في جملة من يتصرف بأمر أخيه سير ويقف ببابه كأحد حجابه، وقد بقي سير وليًّا للعهد منذ سنة ٥٢٢ هـ/ ١١٢٨ م حتى وفاته سنة ٥٣٣ هـ/ ١١٣٨ م. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٤٦- ٤٤٧. ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٧٨-٧٩. د. محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص ١٣٢-١٣٣، والمراجع المذكورة هناك.

(٢) ما بين الحاصرتين في البيان المغرب سقط لا ندري ما مقداره.

(٣) ما بين الحاصرتين في البيان المغرب سقط بمقدار كلمة أو كلمتين

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من عندي لتصحيح لقب مؤرخنا، فهو (ابن الصَّيْرَفِيّ) وليس (الصَّيْرَفِيّ) فقط.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ٤/ ٧٨. وانظر: ابن القطان: نظم الجمان، ص ١٤٨.

[ذِكْرُ وِلاَيَةِ تَاشُفِين بْنِ عَلِيٍّ لِمَدِينَةِ غَرْنَاطَة سَنَةَ ٥٢٣ هـ/ ١١٢٩ م]:

"قَالَ أَبُو بَكْرٍ الأَنْصَارِيُّ[١]: وَلِيَ غَرْنَاطَةَ[٢] الأَمِيرُ تَاشُفِينُ، فَوَافَاهَا فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ[٣] لِذِي حِجَّةٍ سَنَةَ ثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ، فَقَوَّى الْحُصُونَ، وَسَدَّ الثُّغُورَ، وَأَذْكَى الْعُيُونَ عَلَى الْعَدُوِّ[٤]، وَآثَرَ الْجُنْدَ، وَلَمْ يَكُنْ[٥] إِلَّا الْجِدَّ، وَلَمْ تَنَلْ عِنْدَهُ الْحُظْوَةُ إِلَّا بِالْغَنَاءِ وَالنَّجْدَةِ، وَلِذَلِكَ حَمَلَ[٦] عَلَى الْخَيْلِ، وَقَلَّدَ الأَسْلِحَةَ، وَوَسَّعَ[٧] الأَرْزَاقَ، وَاسْتَكْثَرَ مِنَ الرُّمَاةِ وَأَرْكَبَهُمْ وَأَقَامَ هِمَمَهُمْ[٨]، وَعُنِيَ بِالْغَزْوِ[٩] وَمُبَاشَرَةِ الْحَرْبِ، فَهَزَمَ الْجُيُوشَ، وَفَتَحَ الْحُصُونَ[١٠]، وَتَهَيَّبَهُ الْعَدُوُّ[١١]، وَلَمْ يَنْهَضْ إِلَّا ظَاهِرًا، وَلاَ صَدَرَ إِلَّا ظَافِرًا، وَمَهَّدَ الْمُلْكَ بِالْحَزْمِ[١٢]، وَتَمَلَّكَ قُلُوبَ الرَّعِيَّةِ بِالْمَعْدَلَةِ[١٣]، وَقُلُوبَ الْجُنْدِ بِالنَّصَفَةِ، قَالَ[١٤]:

(١) هكذا يورد ابن عذاري اسم مؤرخنا أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيّ مختصرًا في بعض الأحيان. انظر: البيان المغرب، ٤/ ٨٠.

(٢) جاءت صيغتها في البيان المغرب، (٤/ ٨٠) بالألف المهموزة المكسورة في أولها (إِغْرَنَاطة)، وهي صيغة ثانية صحيحة في كتابة هذا الاسم كما ذكر ابن الخطيب وغيره، لكننا آثرنا الاسم المشهور وهو (غَرْنَاطة) بدون الألف المهموزة المكسورة في أوله.

(٣) في الإحاطة لابن الخطيب (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٤٩: "في السابع عشر".

(٤) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٤٨: "وأذكى على العدو العيون".

(٥) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، نفس الجزء والصفحة: "ولم يكن منه".

(٦) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، نفس الجزء والصفحة: "وبذلك حمل"، وفي الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم، ٣/ ٨٠: "فحمل".

(٧) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، نفس الجزء والصفحة: "وأوسع".

(٨) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، نفس الجزء والصفحة: "همتهم".

(٩) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، نفس الجزء والصفحة: "للاعتناء بالثغور".

(١٠) في الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم، ٣/ ٨٠: "وافتتح الحصون"، وفي الإحاطة، نفس الجزء والصفحة: "ففتح الحصون وهزم الجيوش".

(١١) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، نفس الجزء والصفحة: "وهابه".

(١٢) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، نفس الجزء والصفحة: "وملك الملك ومهد بالحزم"، ويظهر ما في هذه العبارة من اضطراب. وفي الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم، ٣/ ٨٠: "ومهد أحوالها بالحزم".

(١٣) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، نفس الجزء والصفحة: "وتملك نفوس الرعية بالعدل".

(١٤) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، نفس الجزء والصفحة: "ثم قال".

"وَلَوْلاَ الاخْتِصَارُ [الَّذِي اشْتَرَطْنَاهُ](1)، لأَوْرَدْنَا مِنْ خِلاَلِهِ السَّنِيَّةِ(2) مَا يَضِيقُ عَنْهُ الرَّحْبُ وَلاَ يَسَعُهُ الْكُتُبُ"(3).

[غَزَوَاتُ الْمُرَابِطِينَ سَنَةَ ثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَالَّتِي تَلِيهَا]:

(4)"وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَهِيَ سَنَةُ ثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ، أَغْزَى وَاجِدِي بْنُ عُمَرَ بْنِ سَيْرٍ اللَّمْتُونِيُّ عَلَى طَلَبِيرَةَ(5) بِجَيْشِ إِشْبِيلِيَّةَ، فَاكْتَسَحَ مَا بِهَا، وَبَالَغَ فِي النِّكَايَةِ، وَصَدَرَ بِالسَّيِّقَةِ(6)، فَتَبِعَهُ زُهَاءُ خَمْسِينَ فَارِسًا لِلْعَدُوِّ، فَحُضَّ عَلَى صَرْفِ عَدَدٍ يُصِيبُ مِنْهُمْ أَوْ يُشَرِّدُهُمْ، فَتَهَاوَنَ بِهِمْ، فَلَحِقَهُ عَدَدٌ آخَرُ، فَقِيلَ لَهُ: بَدِّدْهُمْ قَبْلَ تَجَمُّعِهِمْ، فَأَعْرَضَ عَنْ ذَلِكَ حَتَّى تَكَامَلَ لِلْعَدُوِّ زُهَاءُ ثَلاَثِمِائَةِ فَارِسٍ، حَمَلَ عَلَى جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ، فَانْهَزَمَ لَهُمْ، وَأَصَابُوا مِنَ الْمُرَابِطِينَ جُمْلَةً وَافِرَةً وَأَسَرُوا عِدَّةً، وَرُفِعَ الأَمْرُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ يُوسُفَ، فَأَلْزَمَ وَاجِدِي فِدْيَةَ مَنْ أُسِرَ، وَأَنْفَذَ عَزْلَتَهُ وَوِلاَيَةَ الأَمِيرِ أَبِي زَكَرِيَّاءَ يَحْيَى بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَاجِّ

---

(1) ما بين الحاصرتين زيادة من الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، 1/ 449.

(2) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، نفس الجزء والصفحة: "من سنيّ خلاله".

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، 4/ 80.

(4) انحصار هذا النص وما يليه بين نصين نقلهما ابن عذاري عن ابن الصَّيْرَفِيِّ يشير إلى أن ابن عذاري نقل عن ابن الصَّيْرَفِيِّ عدة صفحات متوالية، بالإضافة إلى أن هذه النصوص تتقارب كثيرًا في الصياغة والأسلوب والروح، مما يدفع إلى الظن بأنها كلها لمؤرخ واحد هو مؤرخنا أبو بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ.

(5) طلبيرة (Talavera): مدينة أندلسية كبيرة، تقع في مقاطعة طليطلة (Toledo) من منطقة كاستيا لا منتشا (Castilla-La Mancha) على ضفة نهر تاجه (Tajo)، وهي أكبر مدن مقاطعة طليطلة ومن أهم أعمالها، وتبعد عنها مسافة 150 كلم إلى الغرب، كما تبعد 175 كلم إلى الجنوب الغربي من مدريد (Madrid)، وهي أقصى ثغور المسلمين، وباب من الأبواب التي يُدخل منها إلى أرض المشركين، وتتميز بقلعتها الحصينة، ومنافعها الكثيرة، وأسواقها الحسنة، وديارها الواسعة، ومزارعها الزاكية، وقد سقطت في أيدي الإسبان في فترة مبكرة، حيث استولوا عليها سنة 475 هـ/ 1082 م. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، 4/ 37-38. الإدريسي: نزهة المشتاق، 2/ 551. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص 127-128.

(6) السَّيِّقَة: ما يُساقُ من الدوابّ، وقيل: ما استاقَهُ العدوُّ من الدوابّ.

[ابنِ مجوّز][1]، وَكَانَتْ وِلَايَةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ تينغمر[2] مَدِينَةَ قُرْطُبَةَ فِي السَّنَةِ الْفَارِطَةِ عَنْ هَذِهِ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ عَلِيِّ بْنِ يُوسُفَ"[3].

"وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةِ اسْتَصْرَخَ صَاحِبُ قُرْطُبَةَ الأَمِيرَ تَاشُفِينَ، وَالْعَدُوُّ مُصَمِّمٌ نَحْوَهَا، فَبَادَرَ إِلَيْهَا، فَارْتَدَعَ الْعَدُوُّ عَنْهَا وَرَجَعَ عَوْدَهُ عَلَى بَدْئِهِ، فَلَمْ تَكُنْ لَهُ نِكَايَةٌ، فَثَنَى الأَمِيرُ تَاشُفِينُ أَعِنَّتَهُ إِلَى مَدِينَةِ جَيَّانِ، وَأَقَامَ يَسْتَطْلِعُ الأَنْبَاءَ، ثُمَّ صَدَرَ إِلَى غَرْنَاطَةَ"[4].

---

(١) ما بين الحاصرتين هو اللقب المشهور والمتعارف عليه لهذه الأسرة، أو (مجوز) بدون ابن، وقد يُكتب (مقوز) أو (ابن مقوز) بالقاف في وسطه بدلاً من الجيم، بينما أورده ابن عذاري بصيغة (ومجوز) بالزاي في آخره (البيان المغرب، ٤/ ٨٠)، وكرره مرة ثانية بالصيغة نفسها لكن بالراء في آخره (البيان المغرب، ٤/ ٨٢)، وهو خطأ، كما ذكره أيضًا ابن القطان في نظم الجمان، ص ١٥٣، بـ(ابن مجوز)، أو (ابن مقوز) في ص ٢٢٧، وكذلك أورده صاحب مفاخر البربر (تحقيق: د. عبد القادر بوباية)، ص ١٩١، بينما أورده ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة- بقية السفر الرابع، ص ٦١ بصيغة: (مقور)، بالراء في آخرها بدلاً من (مقوز) المشهورة، ولعل تصحيفًا أصابها، ويرى أويثي ميراندا أن اسم "مجوز" أو "مكوز" أو "مقوز" ليست إلا صيغًا بربرية لكلمة "حاج" العربية، وقد عاد ابن عذاري فذكر اسم القائد أبي زكرياء يحيى واسم أخيه عمر بلقب (ابن مقوز) بالقاف في وسطه بدلاً من الجيم (البيان المغرب، ٤/ ١٠٧)، أما القائد أبو زكرياء يحيى المذكور معنا في هذا النص، فهو أحد قواد المرابطين الكبار، ومن أسرة بني الحاج المشهورة التي أنجبت عددًا من أعظم القواد المرابطين، وقد أسند إلى أبي زكرياء حكم إشبيلية سنة ٥٢٣ هـ/ ١١٢٨ م، واشترك في هذه السنة في الوقعة التي انتهت بهزيمة قليرة (Cullera)، وكان من نتائج هذه الهزيمة أن عُزل عن حكم إشبيلية، وخلفه على ولايتها أخوه عمر بن عليّ سنة ٥٢٤ هـ/ ١١٢٩ م. انظر: ابن القطان: نظم الجمان، ص ١٥٣، الحاشية رقم ١. ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٨٠، حاشية رقم ٢، و٤/ ٨٢، حاشية رقم ٢ أيضًا، و٤/ ١٠٧.

(٢) لم نهتد لترجمته، ولم نتوصل إلى شيء عنه سوى ما ورد في النص أعلاه من أنه ابن أخت عليّ بن يوسف بن تاشفين.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٨٠.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٨٠-٨١.

[وَفَاةُ صَاحِبِ بَلَنْسِيَة مُحَمَّد بْنِ يُوسُف يَدرّ وَانْتِصَارُ المُرَابِطِينَ عَلَى الرُّوم]:

"وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ [أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ][1]، تُوُفِّيَ صَاحِبُ بَلَنْسِيَة مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُف يَدرّ، وَتَوَلَّاهَا يَنْتَانُ بْنُ عَلِيِّ اللَّمْتُونِيُّ[2]، فَقَرَنَ اللهُ بِذَلِكَ [........][3]، وَظَهَرَ بِالرُّومِ، وَسِيقَ رَأْسُ زَعِيمِهِمْ غَشْتُون[4] إِلَى غَرْنَاطَةَ فِي شَهْرِ جُمَادَى الآخِرَةِ، فَنُصِبَ عَلَى ذِرْوَةِ رُمْحٍ، وَطِيفَ بِهِ الأَسْوَاقَ وَالسِّكَكَ، وَشُهِرَ بِضَرْبِ الطُّبُولِ، وَأَغَذَّ بِهِ الْبَشِيرُ إِلَى أَمِيرِ المُسْلِمِينَ عَلِيِّ بْنِ يُوسُف وَهُوَ بِمَرَّاكُش، فَأَنْشَدَ الأَمِيرَ تَاشُفِينَ أَبُو بَكْرٍ [يَحْيَى بْنُ][5] مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُف شِعْرًا ارْتِجَالاً[6]: [بحر الطويل]

بِسَعْدِكَ شَبَّتْ فِي الأَعَادِي لَظَى الْحَرْبِ ... فَجَاءَكَ مَا تَهْوَى مِنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ

وَقَدْ كُنْتَ بَشَّرْتَ الأَمِيرَ بِأَنَّهَا ... بَعِيدُ مَسَرَّاتٍ تَجِيءُ عَلَى قُرْبِ

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة للتوضيح.

(٢) هو أبو يعقوب، وقيل: أبو عبد الله ينتان (ينتيان) بن عليّ بن يوسف بن تاشفين، أصغر أبناء عليّ بن يوسف حسب ما جاء عند ابن عذاري (البيان المغرب- قسم الموحدين، ص ٣٠)، وكان ينتان (ينتيان) هذا قد ولي عمل بلنسية سنة ٥٢٤ هـ/ ١١٣٠ م خلفًا لمحمد بن يوسف المعروف باسم يدرّ الذي توفي في هذه السنة نفسها كما هو مذكور في المتن أعلاه، وفي سنة ٥٢٧ هـ/ ١١٣٣ م نقل إلى إشبيلية، فحكمها سنة وستة أشهر، من شوال سنة ٥٢٧ هـ/ أغسطس سنة ١١٣٣ م إلى صفر سنة ٥٢٩ هـ/ نوفمبر- ديسمبر سنة ١١٣٤ م، واشترك أثناء حكمه لإشبيلية في الحملة التي قادها أخوه تاشفين إلى عقبة البقر، ثم كانت غزوته المذكورة أعلاه إلى أراضي النصارى، وانتصر فيها انتصارًا كبيرًا، وقُتل فيها زعيمُ النصارى غشتون وحُمل رأسه إلى غرناطة ومنها إلى مراكش، وقد ذكر اسمه صاحب كتاب مفاخر البربر في قائمة ولاة مرسية وبلنسية في عهد المرابطين. انظر: البيان المغرب، ٤/ ٨١، ١٠٧. مفاخر البربر لمؤلف مجهول- تحقيق: د. عبد القادر بوباية، ص ١٩٢.

(٣) بياض في البيان المغرب، (٤/ ٨٠)، يشير إلى سقوط بقية الحدث المذكور من الأصل، بينما جاء في نظم الجمان لابن القطان: "وفيها غزا الحشمي ينتان بن عليّ القومس غشتون زعيم النصارى، فَقُتِلَ الزعيمُ، وحُمل رأسه إلى مَرَّاكُش فَطِيفَ به". انظر: نظم الجمان، ص ٢١٥.

(٤) تذكره المراجع المسحية باسم الكونت جستون دي بيارني (Gastón de Bearne).

(٥) ما بين الحاصرتين زيادة من عندي للتوضيح، وليكتمل اسم مؤرخنا أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيّ، وفي أحايين كثيرة يرد اسمه عند ابن عذاري فيه كثير من الاضطراب والتقديم والتأخير أو السقط.

(٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٨١.

فَقَدْ أَنْجَزَ الرَّحْمَنُ بِالنَّصْرِ وَعْدَهُ ... وَسَهَّلَ أَمْرًا كَانَ فِي غَايَةِ الصَّعْبِ

فَخَيْلُكَ قَدْ أَلْقَتْ بِإِيلَانَ بَرْكَهَا ... وَأَمْضَتْ عَلَى غَشْتُونَ بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ

وَجَاءَكَ مِنْهَا رَأْسُ غَشْتُونَ مُخْبِرًا ... عَلَى جَسَدٍ لِلرُّمْحِ كَفًّا عَلَى [......][1]

صوتًا احر المسى فِي لِسَانِهِ [......][2] ... وَلَكِنَّهُ فِي الْحَالِ مِنْ أَفْصَحِ الْعُرْبِ

وَمَا هَذِهِ مِنْ تِلْكَ أَعْظَمُ نِعْمَةً ... وَلَكِنَّهُ تِرْبٌ أُضِيفَ إِلَى تِرْبِ

[.............................][3] ... [.......][4] عَلَى الْبرى وَقُرْب إِلَى الْحُبّ

[ثَنَاءُ ابْنِ الصَّيْرَفِيِّ عَلَى الأَمِيرِ تَاشُفِين بْنِ عَلِيٍّ]:

قَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ: "وَكَانَ بَطَلاً شُجَاعًا، أَحَبَّهُ النَّاسُ، خَوَاصُّهُمْ وَعَوَامُّهُمْ، وَحَسُنَتْ سِيَاسَتُهُ فِيهِمْ..."[5].

[أَحْوَالُ الأَمِيرِ تَاشُفِين بْنِ عَلِيٍّ]:

"قَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ: وَلَمَّا قَدِمَ غَرْنَاطَةَ أَقْبَلَ عَلَى صِيَامِ النَّهَارِ، وَقِيَامِ اللَّيْلِ، وَتِلاوَةِ الْقُرْآنِ، وَإِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ، وَإِنْشَاءِ الْعَدْلِ، وَإِيثَارِ الْحَقِّ"[6].

[ثَنَاءُ ابْنِ الصَّيْرَفِيِّ عَلَى الزُّبَيْرِ بْنِ عُمَرَ اللَّمْتُونِيِّ]:

قَالَ أَبُو بَكْرٍ [ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ][7]: "وَقَرَنَ اللهُ بِهِ[1]- مِمَّنْ وَرَدَ مَعَهُ- الزُّبَيْرَ بْنَ عُمَرَ اللَّمْتُونِيَّ[2]، نُدْرَةَ الزَّمَانِ كَرَمًا وَبَسَالَةً، وَحَزْمًا وَأَصَالَةً، فَكَانَ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ

---

(١) ما بين الحاصرتين كلمة ناقصة من هذا الشطر لم نستطع الوصول إليها.

(٢) ما بين الحاصرتين كلمة ناقصة من هذا الشطر لم نتوصل إليها، والشطر كله يكتنفه الغموض ولم نتوصل إلى معناه.

(٣) ما بين الحاصرتين بيت ساقط من البيان المغرب، ٤/ ٨١.

(٤) ما بين الحاصرتين كلمة ساقطة من هذا الشطر لم نستطع الوصول إليها.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٤٨، ويؤيد هذا ما قاله ابن عذاري من إشادة بسياسته فقال: "وساس أهل الأندلس سياسة طار بها ذكره من الاستقامة واتباع لأمور الشريعة". انظر: البيان المغرب، ٤/ ٧٩.

(٦) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٤٩.

(٧) ما بين الحاصرتين زيادة من عندي للتوضيح، والنص في إحاطة ابن الخطيب (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥٠.

رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَأَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا، جَعَلَ اللهُ لَهُ بِطَانَةَ خَيْرٍ، وَجَعَلَ لَهُ وَزِيرًا صَالِحًا، إِنْ نَسِيَ شَيْئًا ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَهُ أَعَانَهُ)"[٣].

[خُرُوجُ الأَمِيرِ تَاشُفِينَ لِصَدِّ اعْتِدَاءِ الرُّومِ عَلَى قُرْطُبَةَ سَنَةَ ٥٢٦ هـ/ ١١٣١ م]:

[٤] "وَفِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ عَامِ سِتَّةٍ وَعِشْرِينَ [وَخَمْسِمِائَةٍ][١]، تَعَرَّفَ خُرُوجُ عَدُوِّ طُلَيْطِلَةَ إِلَى قُرْطُبَةَ، فَبَادَرَ الأَمِيرُ تَاشُفِينُ إِلَى قُرْطُبَةَ، ثُمَّ نَهَدَ[٢] إِلَى الْعَدُوِّ فِي خَفٍّ، وَتَرَكَ

---

(١) أي بالأمير تاشفين بن عليّ

(٢) هو الرئيس أبو محمد الزبير بن عمر اللمتوني، كان من أعظم قواد المرابطين في الأندلس، وكان وزيرًا لتاشفين بن عليّ أثناء ولايته على الأندلس، ووصفه ابن الصيرفي كما يظهر في النص أعلاه بأنه ندرة الزمان كرمًا وبسالة، وحزمًا وأصالة، وقد اشترك في موقعة إفراغة التي انتصر فيها المرابطون على جيوش ألفونسو الأول (المحارب) سنة ٥٢٨ هـ/ ١١٣٣ م، وعندما استدعى عليّ بن يوسف ابنه تاشفين من الأندلس ليوليه عهده، خلفه الزبير على عمل إشبيلية سنة ٥٣٣ هـ/ ١١٣٨ م، ثم ضم إليه عمل قرطبة، وظل عليها حتى استشهد سنة ٥٣٨ هـ/ ١١٤٣ م في المعركة التي دارت بينه وبين مونيو ألونسو (Muño Alonso) قائد طليطلة المسيحي، وكان الزبير عاملاً على قرطبة سنة ٥٣٦ هـ/ ١١٤١ م بشهادتي ابن الأبار وابن عبد الملك المراكشي؛ إذ يذكران أنه شهد جنازة الكاتب ابن المرخيّ المتوفى في قرطبة في ١٧ من ذي الحجة من هذه السنة، بل يذكر ابن سعيد الأندلسي صراحة في كتابه المُغرب أنه صاحب قرطبة، وتسميه المراجع المسيحية (Azuelo)، وكان في قرطبة منية مشهورة تُنْسب إليه تُعْرَف بمنية الزبير. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥٠. ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ص ١٤٣. ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة- السفر السادس، ص ٤٠٥. ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلى المغرب، ٢/ ١٢٧. المقري: نفح الطيب، ١/ ٤٧١-٤٧٢، ٥٨٤. ليفي بروفنسال: نبذ تاريخية في أخبار البربر، ص ٨٢. د. حسين مؤنس: سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس، ص ٢٥.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥٠.

(٤) ورد هذا النص في الإحاطة لابن الخطيب -(تحقيق: أ. عنان، ١/ ٤٥١)- دون أن يذكر مصدره، وهو يتفق في معظم ألفاظه مع نص البيان المغرب لابن عذاري (٤/ ٨٥-٨٦)، ولم يذكر ابن عذاري مصدره أيضًا، وقد فَصَّل ابنُ الخطيب بداية النصّ بينما اختصرها ابنُ عذاري، ثم اختصر ابنُ الخطيب نهاية النصّ بينما فَصَّلَها ابنُ عذاري، ومن هنا فإن اتفاق النصين في معظم ألفاظهما يشي بأنهما ينقلان عن مصدر واحد، بالإضافة إلى إيراد ابن عذاري لشعر ابن الصَّيْرَفيّ

السَّبْقَةَ وَالثِّقْلَ بِأَرْجُونَة[3]، وَقَدِ اكْتَسَحَ الْعَدُوُّ شَنْتِ إِشْطِيبَن[4] وَالْوَادِي الأَحْمَر[5]، وَأَسْرَى اللَّيْلَ[6]، وَوَاصَلَ الرَّكْضَ، وَتَلاحَقَ بِالْعَدُوِّ بِقَرْيَةِ بَرَاشَة[7]، فَتَرَاءَى الْجَمْعَانِ صُبْحًا، وَافْتُضِحَ الْجَيْشُ، وَنُشِرَتِ الرِّمَاحُ وَالرَّايَاتُ، وَهَدَرَتِ الطُّبُولُ، وَضَاقَتِ الْمَسَافَةُ، وَانْتَبَذَ الْعَدُوُّ عَنِ الْغَنِيمَةِ[8]، وَالْتَفَّ الْجَمْعُ، فَتَقَصَّرَتِ الرِّمَاحُ، وَوَقَعَتِ الْمُسَابَقَةُ، وَدَارَتِ الْحَرْبُ عَلَى الْعَدُوِّ، وَأَخَذَ السَّيْفُ مَأْخَذَهُ [مِنْهُمْ][9]، فَأَتَى الْقَتْلُ عَلَى أَخِرِهِمْ[10]، [وَقُبِضَ عَلَى قَائِدِهِمْ، وَعَلَى عِشْرِينَ مِنْ زُعَمَائِهِمْ، وَامْتَلأَتْ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَسْلِحَتِهِمْ وَزِيِّهِمْ وَدَوَابِّهِمْ، فَأَمَرَ الأَمِيرُ تَاشُفِينُ بِثِقَافِ الأَسْرَى وَالْغَنَائِمِ،

في نهاية النصّ، بما يعني أن ابنَ الصَّيْرَفِيِّ كان ممن شهدوا هذه الغزوة مع الأمير تاشفين، وبالتالي فإن كل هذه المعطيات تجعلنا نرجح أن النص الوارد أعلاه هو لمؤرخنا أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ.

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من عندي للتوضيح.

(٢) نَهَدَ لعَدُوِّه أو إلى عدوِّه نَهْدًا ونَهَدًا: صَمَد له وشَرَعَ في قِتَالِهِ، أو: بَرَزَ لَهُ.

(٣) أرجونة (Arjona): بلدة تقع في ولاية جيان (Jaén)، وتُعد حصنًا من حصون قرطبة (Córdoba)، وهي إلى الشمال الغربي من جيان، وتُشتهر بخصوبة التربة ووفرة الغلال، وقد سقطت في أيدي النصارى سنة ٦٤٢ هـ/ ١٢٤٥ م أو السنة التي بعدها. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ١٤٤. ابن الخطيب: الإحاطة، ٢/ ٩٢-٩٣، ٩٩. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢.

(٤) جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥١: "بشنت إشطيبن" بدخول حرف الجر (الباء) عليها، وأظنه تصحيفًا، وشنت إشطيبن (إشتيبن): هي بالإسبانية (San Esteban)، وهي قاعدة حصينة من قواعد ولاية جيان. انظر: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥١، الحاشية رقم ٧.

(٥) الوادي الأحمر (Guadalimar): أحد روافد الوادي الكبير، ويبلغ طوله ١٤٤ كلم.

(٦) أَسْرَى اللَّيلَ أو أَسْرَى باللَّيل: سَرَى، أي: سار فيه أو قطعه بالسَّيْر.

(٧) لم أهتد إلى موقع هذه القرية، لكن يبدو من السياق أنها قريبة من حصن شنت إشتيبن (San Esteban) سالف الذكر والتابع لولاية جيان.

(٨) انْتَبَذَ الْعَدُوُّ عَنِ الْغَنِيمَةِ: تنحّى عنها وتركها.

(٩) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٨٥.

(١٠) اختصر ابن عذاري كل ما سبق واكتفى بقوله: "وفي سنة ست وعشرين وخمسمائة اتصل الخبر بالأمير تاشفين بن علي بن يوسف أن العدو خرج من طليطلة إلى جهة قرطبة، فاستمدَّ الأمداد، واستعدَّ غاية الاستعداد، وخرج إلى الجهاد، فدارت الحرب على الروم، وأخذ السيف مأخذه منهم". انظر: البيان المغرب، ٤/ ٨٥.

وَنَهَضَ بِهِمْ إِلَى قَلْعَةِ رَبَاحٍ(١)؛ لِقُرْبِهَا مِنَ الْمُعْتَرَكِ، فَأَلْفَى أَحْوَالَهُمْ مُخْتَلَّةً، وَأُمُورَهُمْ مُعْتَلَّةً، فَأَصْلَحَ مَا فَسَدَ، وَسَدَّ مَا اخْتَلَّ، وَتَرَكَ الأَسْرَى عِنْدَهُمْ لِيُفَادُوا بِهَا مَنْ فِي دَارِ الْحَرْبِ مِنْ أَسْرَاهُمْ، وَصَدَرَ إِلَى غَرْنَاطَةَ ظَاهِرًا وَظَافِرًا، فَأَنْشَدَهُ(٢)(٣)[ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ مِنْ شِعْرِهِ قَوْلَهُ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ](٤): [بحر الخفيف]

رَكِبَتْ خَيْلَهَا(٥) جُيُوشُ الضَّلاَلِ ... وَسَرَتْ مِنْ رِمَاحِهَا بِذُبَالِ(٦)

مُلْقِيَاتٍ دُرُوعَهَا لاَ لِوَقْتٍ ... فِيهِ تَنْضُو(٧) الْجُلُودَ رُقْشُ الصِّلاَلِ(١)

---

(١) سبقت الإشارة إليها.

(٢) هذا الشعر أورد منه ابن عذاري في البيان المغرب أبيات متفرقات بلغت ثمانية أبيات دون أن يذكر لنا اسم صاحب القصيدة، واكتفى بقوله عن الأمير تاشفين: "وصدر إلى غرناطة ظاهرًا وظافرًا، فأنشده الشعراء، فمن ذلك ما قيل فيه من قصيدة: ....". انظر: البيان المغرب، ٤/ ٨٦. ولكن من حسن الحظ أن أورد لنا ابنُ الخطيب في الإحاطة سبعةً وعشرين بيتًا من هذه القصيدة، وذكر لنا صراحة أنها لابن الصَّيْرَفِيِّ وهو يترجم له ويورد بعض قصائده، وعند إيراده لهذه القصيدة قال: "وأنشد أيضًا من شعره قوله رحمة الله عليه: ....". انظر: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١٠.

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٨٥-٨٦.

(٤) ما بين الحاصرتين من كلام ابن الخطيب باستثناء اسم المؤرخ، وضعناها لاتصال السياق. انظر: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١٠-٤١١.

(٥) في البيان المغرب، ٤/ ٨٦: "رَدْعَهَا"، ولها وجه؛ إذ الرَّدْعُ: كل ما أصابَ الأرضَ من الصَّريع حين يهوي إليها، فما مسَّ منه الأرضَ أوّلاً فهو الرَّدْعُ، ويقال: ركب رَدْعَه: خرَّ لوجهه على الأرض، وقيل: رَكِبَ فلان رَدْعَ المَنِيَّةِ إذا كانت في ذلك مَنِيَّتُه، ويقال للقتيل ركب رَدْعه إذا خَرّ لوجهه على دَمِه، وطَعَنَه فَرَكِبَ رَدْعَه أي مقادِيمَه وعلى ما سالَ من دمه، وقيل ركب ردعه أي خرَّ صَرِيعًا لوجهه على دمه وعلى رأسه وإن لم يَمُت بعد غير أنه كلما هَمَّ بالنُّهوض ركب مَقادِيمه فخرّ لوجهه، وقيل: ركب رَدْعَه أي لم يَرْدَعه شيء فيمنعه عن وجهه ولكنه ركب ذلك فمضى لوجهه.

(٦) ذُبَال: مفردها ذُبالةٌ، وهي الفَتِيلة التي تُسْرَج، وقيل: الذي يوضع في مِشكاة الزُّجاجة التي يُسْتَصْبَح بها.

(٧) تَنْضُو من الفعل نَضَا، يقال: نضَا الثُّعبانُ جلدَه: خلعه وألقاه.

حَثَّ فِي إِثْرِهَا الأَمِيرُ بِعُقْبَا ... نِ جِيَادٍ هَوَتْ بِأُسْدِ رِجَالِ

فِي صَقِيلِ الْبَرِيكِ تُحْدِثُ لِلشَّمْـ ... ـسِ بِعَكْسِ الشُّعَاعِ حُمَّى اشْتِعَالِ

لاثَ بِالرِّيحِ عِمَّةً مِنْ غُبَارٍ ... وَمَشَى لِلْحَدِيدِ فِي أَذْيَالِ

كُلَّمَا جَرَّهَا عَلَى الصَّلْدِ أَبْقَتْ ... كَخُطُوطِ الصِّلالِ فَوْقَ الرِّمَالِ

لَبِسَتْ أَمْرَهَا عَلَى الرُّومِ حَتَّى ... فَجَنَتْهَا كَعَادَةِ الآجَالِ

أَبْدَلَتْ هَامَهَا قِصَارَ قُدُودٍ ... بِطِوَالٍ مِنَ الرِّمَاحِ الطِّوَالِ

وَالَّذِي فَرَّ عَنْ سُيُوفِكَ أُودِيَ ... بِقَنَا الرُّغْبِ فِي ثَنَايَا الْجِبَالِ

كُنْتَ فِيهَا وَأَنْتَ فِي كُلِّ حَرْبٍ ... مُغْمَدَ النَّصْلِ فِي طُلَى[2] الأَبْطَالِ

يَطْلُعُ الْبَدْرُ مِنْكَ حَاجِبَ شَمْسٍ ... وَيَرَى اللَّيْثَ فِي إِهَابِ هِلالِ

يَا لَصَنْهَاجَةٍ وَحَوْلَكَ مِنْهُمْ ... خَيْرُ جَيْشٍ عَلَيْهِمُ خَيْرُ وَالِ

مَلِكٌ لَيْسَ يَرْكَبُ الدَّهْرَ إِلا ... كُلُّ عَالِي الرِّكَابِ عَالِي الْقَذَالِ[3]

مَا عَرَى الْجَدْبُ أَوْ عَلا الْخَطْبُ [إِلا][4] ... سَالَ غَيْثًا وَلاحَ بَدْرَ كَمَالِ

وَخَفِيفٌ عَلَى أُمُورٍ خِفَافٍ ... وَثَقِيلٌ عَلَى أُمُورٍ ثِقَالِ

لأَعَبَّ الْمُعْطَفَيْنِ بِالْحَمْدِ زَهْوًا ... شِيمَةُ الرُّمْحِ هِزَّةٌ فِي اعْتِدَالِ

مُسْتَرِقُّ النُّفُوسِ خَوْفًا وَحُسْنًا ... إِنَّمَا السَّيْفُ هَيْبَةٌ فِي جَمَالِ

شِيَمٌ كَالْغَمَامِ [يَنْثُرُ][5] فِي الرَّوْ ... ضِ [بِأَنْدَائِهِ][1] صِغَارَ اللآلِ

---

(١) الصِّلالُ جمع صِلّ بالكسر: ضربٌ من الحيات صغير أسود لا نجاة من لدغته، والرُّقش: جمع رَقْشاء، وهي التي فيها نقط سوداء في بياض، والحية الرَّقْشاء من أشد الحيات إيذاء. وقد ورد هذا الشطر في البيان المغرب، ٤/ ٨٦: (فيه تقض.... الجلود وغشي الصلال).

(٢) طُلًى: أعناق أو رقاب، مفردها طُلْيَة بمعنى عنق أو رقبة.

(٣) القَذَالُ: جِماعُ مؤخَّر الرَّأس من الإنسان والفَرَس فوقَ القفا، والقَذَالانِ: ما اكتنفا القفا عن اليمين وعن الشِّمال، وقَذَالُ الفَرَس: مَعْقِدُ سَيْرَيِ اللِّجام خلفَ النَّاصية، ويقال: مَعْقد العِذار من رأس الفرس خلف الناصية، والجمع: قُذُل، وأَقْذِلَة.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة يقتضيها وزن البيت، وكذلك المعنى والسياق.

(٥) ما بين الحاصرتين يقتضيها المعنى والسياق، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١١: "ينشر"، وقد دخلها التصحيف.

وَسَجَايَا تَفَتَّحَتْ زَهَرَاتٍ ... وَخِلاَلٌ تَسُدُّ كُلَّ اخْتِلاَلِ
أَنْتَ يَا تَاشُفِينُ واللهُ وَاقٍ[2] ... لَكَ شَخْصُ الْعُلاَ وَنَفْسُ الْكَمَالِ
لَيْسَ آمَالُ مَنْ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ ... أَنْ تَرَى أَنْتَ[3] غَايَةَ الآمَالِ
وَهَنِيًّا بِأَنْ نَهِضْتَ وَأَقْبَلْـ ... ـتَ عَزِيزَ النُّهُوضِ وَالإِقْبَالِ
وَعَلَى الْكُفْرِ مِنْكَ حَرُّ مُجِيرٍ ... وَعَلَى الدِّينِ مِنْكَ بَرْدُ ظِلاَلِ
يَا فَتَى وَالزَّمَانُ نُعْمَى وَبُؤْسِي[4] ... شَرُّ حَالٍ أَفْضَتْ إِلَى خَيْرِ حَالِ
([رُبَّمَا][5] تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الأَمْـ ... ـرِ لَهُ فَرْجَةٌ[6] كَحَلِّ الْعِقَالِ)
رُبَّ أَشْيَاءَ لَيْسَ يَبْلُغُ مِنْهَا ... كُنْهَ مَا فِي النُّفُوسِ بِالأَقْوَالِ
غَيْرَ أَنَّ الْكَلاَمَ إِنْ جَلَّ قَدْرًا ... وَعَلاَ كُنْتَ فَوْقَهُ فِي الْفِعَالِ[7]

"وَلَمَّا وَرَدَتْ رُسُلُ الرُّومِ رَاغِبَةً فِي السِّلْمِ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ، وَصَرَفَهُمْ إِلَى مَلِكِهِمْ، وَأَمَرَ بِتَشْيِيعِهِمْ إِلَى مَأْمَنِهِمْ، ثُمَّ أَخَذَ فِي الْحَزْمِ وَالْعَزْمِ، وَنَظَرَ فِي حَسْمِ الْعِلَلِ، وَحَدَّ لَهُمُ التَّأَهُّبَ، وَأَمَرَ الأَدِلَّةَ بِالْفَحْصِ عَنِ الأَنْبَاءِ، وَأَخْذِ الأَلْسِنَةِ"[8].

---

(١) ما بين الحاصرتين يقتضيها المعنى والسياق؛ إذ (أنداء): جمع نَدَى، والنَّدى: الجُود والسخاءُ والخير والفَضْل، بينما تصحفت في الإحاطة، ٤/ ٤١١، فجاءت: "بأندابه"، ولا يستقيم بها المعنى.
(٢) تصحفت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١١، فجاءت بالفاء، والصحيح ما أثبتناه.
(٣) جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١١: "وأنتَ"، فحذفنا الواو لئلا ينكسر وزن البيت.
(٤) جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١١: "بوسٌ"، وما أثبتناه أنسب للمعنى والسياق.
(٥) ما بين الحاصرتين هو الصحيح، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١١: "وبما"، وهو تصحيف ظاهر، فالبيت من الشواهد المعروفة في التراث العربي؛ لذا وضعناه بين قوسين، وقد نُسب لكثيرين؛ منهم: أمية بن أبي الصلت وهو الأرجح، وقيل: هو لأبي قياس اليهوديّ، وقيل: لابن هَرْمة الأنصاري، وقيل: لحنيف بن عمير، وقيل: لنهار ابن أخت مُسيلمة الكذاب.
(٦) الفَرْجَة بالفتح من الفَرَجِ والانْفِراج وهو المقصود في البيت، أما الفُرْجَة بالضم فهي الفتحة تكون في الحائط ونحوه.
(٧) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١٠-٤١١.
(٨) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٨٢.

[مُهَاجَمَةُ النَّصَارَى لِقُرَى مَدِينَةِ إِشْبِيلِيَّةَ سَنَةَ ٥٢٦ هـ/ ١١٣١ م]:

(١) "وَبِإِثْرِ ذَلِكَ وَرَدَ النَّبَأُ الصَّادِقُ أَنَّ الْقُمْطَ(٢) احْتَفَلَ فِي الْحَشْدِ(٣) وَخَرَجَ إِلَى الإِسْلَامِ، وَعَزَمَ الأَمِيرُ تَاشُفِينُ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى طَرَفِ نَظَرِهِ، فَتَوَاتَرَتِ الأَنْبَاءُ بِتَعْرِيجِ الْعَدُوِّ إِلَى طَرِيقِ إِشْبِيلِيَّةَ يَوْمَ النِّصْفِ مِنْ رَجَبٍ، وَكَانَ وَالِيهَا أَبُو حَفْص عُمَرُ بْنُ [عَلِيِّ بْنِ](٤) الْحَاجِّ اللَّمْتُونِيُّ الْمُلَقَّبُ [مُجُوَّز](٥)، فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَالْخَيْلُ جَائِلَةٌ بِالشَّرَفِ(٦)،

---

(١) هذا النص أورده ابن عذاري - (في البيان المغرب، ٤/ ٨٢-٨٣)- من أحداث سنة ٥٢٤ هـ/ ١١٢٩ م، بينما ذكره كلٌّ من ابن الخطيب في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥١-٤٥٢، وابن القطان في نظم الجمان (تحقيق: د. مكي)، ص ٢٢٦-٢٢٧، وابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة- بقية السفر الرابع، ص ٦٠-٦١ من أحداث سنة ٥٢٦ هـ/ ١١٣١ م، وهذا هو الأرجح والصحيح، ولذا وضعناه في سياقه التاريخي الأرجح، ويتفق ابنُ الخطيب وابنُ عذاري في إيراد هذا النص بألفاظه مع اختلاف بسيط وإن كان ابن الخطيب قد اختصره كثيرًا، بينما أورده ابن عذاري مفصلاً، ولذا اعتمدنا على نص ابن عذاري لأنه الأكمل والأكثر تفصيلاً، بالإضافة إلى ذلك فقد أورد ابن الخطيب هذا النص بين عدة نصوص كلها لابن الصَّيْرَفِيِّ، وكذلك أورده ابن عذاري بعد عدة نُقُول عن ابن الصَّيْرَفِيِّ وأشعار له أيضًا دون أن يتخلل هذه النُّقول نقلٌ عن مؤرخ آخر، مما يرجِّح أن هذا النص هو لمؤرخنا أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ، فابن عذاري وابن الخطيب من أكثر المؤرخين نقلاً عنه.

(٢) جاءت هذه الكلمة في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥١: "للنمط"، وهو تصحيف ظاهر وخطأ بيّن، وقد بدأ ابن الخطيب هذا النص بقوله: "وفي آخر هذا العام (يعني عام ٥٢٦ هـ/ ١١٣١ م) خرج العدو (للنمط)- والصحيح: (القمط)- وقد احتفل في جيشه- إلى بلاد الإسلام"، والقمط أو الكونت (Conde) رتبة عسكرية في الجيوش النصرانية، وهو في هذه المعركة رودريجو جونثالث (Rodrigo Gonzalez) الذي كان مكلفًا بقتال المسلمين في غرب الأندلس، وتسمى هذه المعركة في الروايات النصرانية (Azareda). انظر: ابن القطان: نظم الجمان، ص ٢٢٧، حاشية رقم ٢.

(٣) جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥١: "وقد احتفل في جيشه"، وعبارة البيان المغرب الواردة في المتن أعلاه أنسب للسياق.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥٢.

(٥) ما بين الحاصرتين هو اللقب المشهور والمتعارف عليه لهذه الأسرة، أو (ابن مجوز)، وقد يُكتب (مقوز) أو (ابن مقوز) بالقاف في وسطه بدلاً من الجيم، وقد سبقت الإشارة إليه.

(٦) إقليم الشرف (Aljarafe): هو المرتفعات الواقعة إلى غرب إشبيلية، وتسمى اليوم جبال أنديفالو (Sierra de Andévalo)، وهي جزء من جبال سييراامورينا (Sierra Morena) التي كان العرب يسمونها جبال المعدن، وسمي إقليم الشرف بهذا الاسم؛ لأنه مشرف على مدينة

فَخَرَجَ بِمَنْ كَانَ مَعَهُ فَوَقَفَ عَلَى ضَفَّةِ الْوَادِي بِبَعْضِ خَيْلِهِ وَرَجْلِهِ، وَأَجَازَ الْبَعْضَ لِيَكُفَّ عَادِيَةَ الْخَيْلِ الْغَادِيَةِ عَلَيْهِمْ، فَظَفِرُوا بِبَعْضِ الرُّومِ وَكَرُّوا بِهِمْ إِلَى الأَمِيرِ عُمَرَ، فَاسْتَخْبَرَهُمْ وَأَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ، وَمَنْ بِالضَّفَّةِ الأُخْرَى مِنْ خَيْلِ الرُّومِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ، فَاحْتَلَّتْهُمُ الْحَمِيَّةُ، وَاقْتَحَمُوا النَّهْرَ، فَحَاصَ الْمُسْلِمُونَ حَيْصَةً[1] أَجْلَتْ عَنِ الأَمِيرِ عُمَرَ صَاحِبِ إِشْبِيلِيَّةَ قُرْبَ الْمُسْلِمِينَ كرم [......][2] بِشَهَادَةٍ، فَقِيلَ: إِنَّ حَجَرًا كَانَ يُلْقَى عَلَى الظَّهْرِ، فَلَمَّا أَهَبَّ الْفَرَسَ بِالْجَرْيِ سَقَطَ، وَأَثْقَلَهُ عَنِ الْقِيَامِ الدِّرْعُ، فَدَاسَتْهُ الْخَيْلُ، وَبُطَّتْ بَطْنُهُ بِالطَّعْنِ[3]، وَفِي صَبِيحَةِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ اضْطَرَبَ الرُّومُ بِالْمَحَلَّةِ[4] عَلَى فَرْسَخَيْنِ مِنْ مَدِينَةِ إِشْبِيلِيَّةَ[5]، فَقَتَلُوا عَظِيمًا وَسَبَوْا عَظِيمًا[6] بِمَرْأَى عَيْنٍ وَمَسْمَعِ أُذُنٍ، وَاسْتَاقُوا مِنَ الأَسْرَى وَالْمَوَاشِي وَالآرَابِ مَا لاَ يُحْصِيهِ عَدٌّ وَلاَ يَحْصُرُهُ

إشبيلية، وكثيرًا ما كان يطلق عليه اسم جبل الشرف، ويمتد أربعين ميلاً في مثلها من الجنوب إلى الشمال، ويقع بين إقليمي شذونة شمالاً والكنبانية جنوبًا وغربًا، وتحده إشبيلية شرقًا ولبلة والمحيط الأطلسي غربًا، وتجاوره مدينتي موررور وشريش جنوبًا، وهو جبل شريف البقعة، كريم التربة، دائم الخضرة، لا تكاد الشمس تنفذ فيه لالتفاف أشجاره، واشتباك غصونها، وتكثر أشجار الزيتون في هذا الإقليم الخصب ذي التراب الأحمر، فالسائر فيه لا يمشي إلا في ظل أشجار الزيتون التي تكوّن المورد الرئيسي لسكانه. انظر: العذري: نصوص عن الأندلس، ص ١٠٩. البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص ١٠٨، حاشية رقم ١. ابن الأبار: الحلة السيراء، ٢/ ٢٠٤، حاشية رقم ٢. المقري، نفح الطيب: ١/ ١٥٩، ٢٠٨.

(١) حاص القومُ: جالوا جولةً يطلبون الفرارَ والمهربَ، أو: نكصوا على أعقابهم.

(٢) سقط في نص البيان المغرب (٤/ ٨٢)، أدى إلى اضطراب النص وغموضه، لكنه يشير إلى التحام المسلمين مع النصارى في معركة حامية الوطيس أسفرت عن استشهاد الأمير أبي حفص عمر بن علي بن الحاج ومَن معه من المسلمين. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥٢. ابن القطان: نظم الجمان (تحقيق: د. محمود علي مكي)، ص ٢٢٧.

(٣) النص هنا فيه سقطٌ أدى إلى اضطرابه وعدم وضوحه، وقد اختصره ابن الخطيب فقال: "وبرز إليهم الأمير أبو حفص عمر بن عليّ بن الحاج، فكانت به الدبرة (الهزيمة) في نفر من المسلمين استشهد جميعُهم". الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥٢.

(٤) جاء في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥٢: "ونزل العدو".

(٥) جاء في الإحاطة -(تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥٢- بعد هذه الجملة: "فَجَلَّلَهَا نَهْبًا وَغَارَةً".

(٦) جاء في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥٢: "فقتل عظيمًا وسبى عظيمًا".

حفْص فَلَمْ [.....][1] عَنْ إِحْرَاقِ الزَّرْعِ وَقَطْعِ الشَّجَرِ، وَأَسْرَعُوا فِي الصَّدَرِ، وَلَمَّا عَلِمَ تَاشُفِينُ بِأَخْذِ الْعَدُوِّ إِلَى جِهَةِ إِشْبِيلِيَّةَ خَرَجَ بِالْجَيْشِ إِلَى سَمْتِ قُرْطُبَةَ، فَتَلَقَّاهُ كِتَابُ الْقَاضِي بِهَا مُحَمَّدِ بْنِ أَصْبَغَ[2] مُعْلِمًا لَهُ بِاكْتِسَاحِ الْعَدُوِّ مَدِينَةَ إِشْبِيلِيَّةَ، وَعَرَّفَهُ بِاسْتِشْهَادِ صَاحِبِهَا[3]، فَجَدَّ السَّيْرَ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهَا، وَقَدْ قُتِلَ رَئِيسُهَا وَفُضَّ جَمْعُهَا [.....][4] مِنْ أَهْلِ الْحَاضِرِ الْمُتَصَرِّفِينَ أَسْعَارَهَا، وَكَثُرَ [.....][5] وَالتَّأَدُّب مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ وَأَمَرَ بِتَنْكِيلِهِ وَسَوْقِهِ إِلَى جَزِيرَةِ [.....][6]"[7].

---

(١) سقط في نص البيان المغرب (٤/ ٨٣) يشير إلى التخريب الذي فعله النصارى في بادية إشبيلية وأحوازها، وقد أشار إليه ابن الخطيب بقوله: "واستؤصلت باديتها وكثر بها التأديب والتنكيل". انظر: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥٢.

(٢) هو محمد بن أصبغ بن محمد بن محمد بن أصبغ الأزدي، يُكنى أبا عبد الله، ويُعرف بابن المناصف، قاضي الجماعة بقرطبة، وصاحب صلاة الفريضة بجامعها الأعظم، وخاتمة الأعيان النبهاء بحضرتها، وكان قد تولى خطة أحكام المظالم بقرطبة قديمًا مع شيخه قاضي الجماعة أبي الوليد ابن رشد، وكان يستحضره عنده مع مشيخة الشورى في وقته لمكانه ومنصبه، وصُرف عن ذلك بصرف شيخه، ثم تقلد قضاء الجماعة بقرطبة سنة ٥٢٢ هـ/ ١١٢٨ م، وتولاه مدة طويلة، ثم عُزل عنه سنة ٥٢٨ هـ/ ١١٣٣ م، فأقبل على التدريس وإسماع الحديث وإمامة الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة، واستمر على ذلك إلى أن توفي سنة ٥٣٦ هـ/ ١١٤١ م وهو ابن ستين سنة. انظر: ابن بشكوال: الصلة (تحقيق: د. بشار عواد معروف)، ٢/ ٢٢٢-٢٢٣، الترجمة رقم ١٢٨٨. ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ص ١٣٨-١٣٩، الترجمة رقم ١١٨. ابن القطان: نظم الجمان، ص ١٥٠، ٢٣٤.

(٣) إذا كان نص البيان المغرب (٤/ ٨٣) كما ورد في المتن أعلاه يشير إلى أن قاضي قرطبة أبا عبد الله محمد بن أصبغ هو الذي كتب إلى أمير المسلمين علي بن يوسف يخبره باكتساح العدو لمدينة إشبيلية واستشهاد أميرها أبي حفص عمر بن عليّ بن الحاجّ اللمتونيّ، فإن ابن عبد الملك المراكشي يشير إلى أن أبا أيوب سليمان بن جعفر بن سليمان بن أبي أمية الحضرميّ هو الذي خاطب أمير المسلمين عليّ بن يوسف بن تاشفين عن أهل إشبيلية يُعلمه باستشهاد أميرها عمر بن مقور بقتل الروم إياه في رجب سنة ٥٢٦ هـ/ ١١٣١ م، ومستصرخًا بعليّ بن يوسف. انظر: الذيل والتكملة- بقية السفر الرابع، ص ٦٠-٦١، الترجمة رقم ١٤٧.

(٤) سقط في نص البيان المغرب (٤/ ٨٣).

(٥) سقط في نص البيان المغرب (٤/ ٨٣).

(٦) سقط في نص البيان المغرب (٤/ ٨٣) لا ندري ما مقداره، ولم نهتد إلى اسم الجزيرة المشار إليها.

(٧) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٨٢-٨٣.

[غَزْوَةُ الأَمِيرِ تَاشُفِين بْنِ عَلِيٍّ بِأَحْوَازِ بَطَلْيَوْس سَنَةَ ٥٢٧ هـ/ ١١٣٢ م]:

قَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ: "فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ [وَخَمْسِمِائَةٍ](١) اتَّصَلَ بِالأَمِيرِ تَاشُفِين أَنَّ عُظَمَاءَ الرُّومِ [وَزُعَمَاءَهُمْ تَأَلَّفَ لَهُمْ جَيْشٌ يَحْتَوِي عَلَى الآلافِ مِنْ زُعَمَائِهِمْ وَمَشْهُورِي أَبْطَالِهِمْ وَ] قَصَدُوا نَاحِيَةَ بَطَلْيَوْس(٢)، وَبَاجَةَ(٣)، وَيَابُرَةَ(٤) [وَمَا بِذَلِكَ الصُّقْعِ

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من عندي للتوضيح، والنص في: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط- القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام للوزير الغرناطي لسان الدين ابن الخطيب- تحقيق وتعليق: د. أحمد مختار العبادي و أ. محمد إبراهيم الكتاني- نشر وتوزيع دار الكتاب- الدار البيضاء، ١٩٦٤ م، ص ٢٥٧-٢٥٨، بينما جعل ابن عذاري هذا الحدث من أحداث سنة ٥٢٨ هـ/ ١١٣٣ م، ويتفق ما ذكره ابن عذاري في أغلب ألفاظه مع ما ذكره ابن الخطيب هنا، لكن ابن عذاري لم يذكره مصدره، وكذلك ورد النص- متفقًا في أغلب ألفاظه مع نص ابن الخطيب- في الحلل الموشية دون أن يذكر مصدره وجعله أيضًا من أحداث سنة ٥٢٨ هـ/ ١١٣٣ م؛ لذا فقد اعتمدنا نص ابن الخطيب؛ لأنه ذكر- صراحة- أنه ينقله عن ابن الصَّيْرَفِيِّ.

(٢) بطليوس (Badajoz): مدينة جليلة في بسيط من الأرض، ولها ربض كبير، تقع على الضفة اليمنى لنهر وادي يانه (Guadiana) في غرب الأندلس غربي قرطبة (Córdoba)، ومنها إلى مدينة قرطبة ٦ مراحل، ومنها إلى مدينة ماردة (Mérida) على نهر يانه شرقًا ٣٠ ميلاً، وقد سقطت نهائيًا في أيدي النصارى سنة ٦٢٧ هـ/ ١٢٢٩ م على يد ألفونسو التاسع (Alfonso IX) ملك قشتالة (Rey de Castilla)، وهي اليوم إحدى المراكز الرئيسة في غرب إسبانيا على الحدود البرتغالية في المنطقة المعروفة باسم (اكسترامادورا) (Extramadura). انظر: ذكر بلاد الأندلس لمؤلف مجهول، ص ٥٥. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٤٥. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٤٤٧. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ٤٦.

(٣) باجة (Beja): بلد يقع اليوم في جنوب البرتغال، وتسمى أيضًا (باجة الأندلس)؛ تمييزًا لها عن المدن التي تسمى بالاسم نفسه مثل باجة (أو باجة القمح) في إفريقية، وباجة (أو باجة الزيت) في إفريقية أيضًا، وباجة الصين، وهي كلمة تعني: السلم أو الصلح، وتُعَدُّ من أقدم مدن الأندلس، وتقع غرب قرطبة (Córdoba)، وتبعد عنها بنحو مائة فرسخ، كما تبعد نحو ١٤٠ كلم إلى الجنوب الشرقي من لشبونة (Lisboa)، في منتصف الطريق بين يابره (Évora) والفارو (Faro)، وهي إحدى أهم كور غرب الأندلس وتتصل بكورة ماردة (Mérida)، وأرضها أرض زرع وضرع، وتُشتهر بدباغة الجلود وصناعة الكتان، ويكثر بأرضها معدن الفضة، وقد فُتحت سنة ٩٣ هـ/ ٧١٢ م على يد موسى بن نصير أو على يد ابنه عبد العزيز، وتعرضت كثيرًا لغارات النورمان (المجوس)، وقامت بها ثورات عديدة ضد بني أمية، كما تعرضت كثيرًا للغزو النصراني في عهود ملوك الطوائف والمرابطين والموحدين، ثم استولى عليها النصارى سنة ٥٨٦

مِن بِلاَدِ الإِسْلاَمِ، فَشَنُّوا الْغَارَةَ عَلَيْهَا، وَاسْتَحْوَذُوا جَمِيعَ مَا أَلْفَوْا بِهَا، وَانْتَهَوْا إِلَى مَوَاضِعَ كَانَتْ لاَ تُرَوَّعُ بِعَدُوٍّ؛ لِبُعْدِهَا وَمَنَعَتِهَا وَتَعَذُّرِ الْوُصُولِ إِلَيْهَا][2]، فَجَاسُوا خِلاَلَهَا، [وَدَوَّخُوا أَرْضَهَا، وَاخْتَرَقُوا طُولَهَا وَعَرْضَهَا، وَاجْتَمَعَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضِعْفُ شِيعَةِ الْعَدُوِّ الْمُجْحِفِ بِإِشْبِيلِيَّةَ][3]، وَانْثَنَوْا عَلَى مَهَلِ [الثِّقَلِ][4] السَّيِّقَةِ[5]، [وَثِقَتِهِمْ بِبُعْدِ الصَّارِخِ مِنْهُمْ]، فَثَنَى الأَمِيرُ تَاشُفِينَ الأَعِنَّةَ، وَأَمَرَ الأَدِلاَّءَ[6] أَنْ يَتَجَشَّمُوا بِهِ كُلَّ ذِرْوَةٍ وَثَنِيَّةٍ[7]؛ رَجَاءً فِي لِحَاقِهِمْ، فَجَدَّ السَّيْرَ وَالسِّبَاقَ إِلَى فَلاَةٍ بِقُرْبِ الزَّلاَّقَةِ، مَوْضِعِ الْوَقِيعَةِ

هـ/ ١١٩٠ م بقيادة ملك البرتغال شانجة الأول، ونجح يعقوب المنصور الموحدي في استردادها في السنة التالية (٥٨٧ هـ/ ١١٩١ م). انظر: الحميري: الروض المعطار، ص ٧٥-٧٦. صفة جزيرة الأندلس، ص ٣٦. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٣١٤-٣١٦. العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٩٧-١٠٠.

(١) يابرة (Évora): بلدٌ في غربي الأندلس، وتقع في جنوب دولة البرتغال حاليًا، كما تقع إلى الجنوب الشرقي من العاصمة لشبونة (Lisboa)، وتبعد عنها بنحو ١٤٠ كلم، وتقع أيضًا إلى الشمال من باجة (Beja)، وكانت تُعد أحيانًا تابعة لكورة باجة، وأحيانًا أخرى ضمن أراضي بطليوس (Badajoz)، وتمثل الآن قاعدة مديرية الميتيجو (Almetejio) في جنوبي دولة البرتغال الحالية. انظر: الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٧. أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ١٧٣. أ. عنان: الآثار الأندلسية الباقية، ص ٤١١. ابن الأبار: الحلة السيراء، ٢/ ٩٧، حاشية رقم ٣.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٨٨، بينما جاء في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٥٧: "والصقع الغربي، ودوخوا بلادًا كانت لا تراع".

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٨٨.

(٤) ما بين الحاصرتين جاءت في البيان المغرب، ٤/ ٨٨، بينما جاءت في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٥٧: "لشغل"، وما ورد في البيان المغرب أقرب إلى المعنى وأصوب، وقد ذكر محققا أعمال الأعلام- القسم الثالث، (ص ٢٥٧، حاشية رقم ٤) أن هذه الكلمة وردت في إحدى مخطوطتي الكتاب (لثقل)، وذكرا أنها ربما كانت الأصوب. والمعنى المقصود أن الجيوش النصرانية تسير على مهل بسبب ما وضعوه في الساقة من أموال وأسلاب وأثقال استولت عليها من المدن الإسلامية التي اخترقوها وهاجموها.

(٥) السَّيِّقة: ما يُساقُ من الدوابِّ، وقيل: ما استاقَهُ العدوُّ من الدوابِّ.

(٦) في البيان المغرب، ٤/ ٨٨: "الأدلة".

(٧) الثنية: الطريق في الجبل.

المُتَقَدِّمَةِ، وَلاَ مَحِيدَ لِلْعَدُوِّ عَنْهُ(1)، [وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا كَلَّا وَلاَ، حَتَّى](2) أَقْبَلَتِ الطَّلاَئِعُ مُنْذِرَةً بِاقْتِرَابِ(3) الْعَدُوِّ، [وَالْغَنِيمَةُ فِي يَدِهِ قَدْ مَلأَتِ الأَرْضَ](4)، فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ، [اضْطَرَبَتِ الْمَحَلَّتَانِ، وَتَرَتَّبَتِ الْمَوَاكِبُ، فَأَخَذَتْ مَصَافَّهَا](5)، وَأُقِيمَتِ الرِّجَالُ فَلَزِمَتْ مَرَاكِزَهَا(6)، فَكَانَ فِي الْقَلْبِ مَعَ الأَمِيرِ تَاشُفِينَ وُجُوهُ الْمُرَابِطِينَ(7) وَأَصْحَابُ الطَّاعَاتِ وَ[عَلَيْهِ](8) الْبُنُودُ الْبِيضُ الْبَاسِقَاتُ(9)، مُكْتَتَبَةً(10) بِالآيَاتِ، وَفِي الْجَانِبَيْنِ الْكُفَاةُ وَالْحُمَاةُ مِنْ أَبْطَالِ الأَنْدَلُسِيِّينَ(11)، [وَكِبَار](1) الْمُجَاهِدِينَ، عَلَيْهِمْ حُمْرُ الرَّايَاتِ(2) بِالصُّوَرِ

---

(1) جاء في البيان المغرب، ٤/ ٨٨: "فأفضى الإغذاذ به إلى فدان بقرب زلاقة موضع المعترك الذي أوقع فيه جده بالطاغية أذفونش بن فرذلند أخزاه الله"، وجاء في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥٢: "وأفضى به الإعداد إلى فلاة بقرب الزلاقة، وهو المهيع الذي يضطر العدو إليه".

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥٢، وكذلك البيان المغرب، ٤/ ٨٨.

(٣) في الإحاطة، ١/ ٤٥٢: "بإقبال"، وفي البيان المغرب، ٤/ ٨٨: "منذرة بهم".

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥٢.

(٥) ما بين الحاصرتين من البيان المغرب، ٤/ ٨٩. وفي أعمال الأعلام – القسم الثالث، ص ٢٥٨: "وَتَبَتِ الْمَرَاكِبُ وَأَخَذَتْ مَصَافَّهَا". وفي الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥٢: "واضطربت المحلات، ورتبت المراكب، فأخذت مصافها"، وفي الحلل الموشية، ص ١٢٢: "وتراكبت المراكب فاتخذت مصافها".

(٦) في الإحاطة، ١/ ٤٥٢: "ولزمت الرجال مراكبها"، وفي البيان المغرب، ٤/ ٨٩: "ولزمت الرجال مراكزها"، ووافق صاحبُ الحلل الموشية، (ص ١٢٢) البيانَ المغرب في العبارة نفسها.

(٧) هذه العبارة جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، (١/ ٤٥٢) مضطربة، وصيغتها: "فكان القلب مع الأمير ووجوه المرابطين".

(٨) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، ٤/ ٨٩. والإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥٢، وجاء في الحلل الموشية، ص ١٢٢: "تقدمهم البنود".

(٩) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥٢: "وعليه البنود الباسقات".

(١٠) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥٢: "مُكَتَّبَة"، وكذلك في البيان المغرب، ٤/ ٨٩. بينما جاءت في الحلل الموشية، ص ١٢٢: "مكتوبة".

(١١) جاءت في البيان المغرب، ٤/ ٨٩: "وفي الجانبين كفاة الدولة وحماة الدعوة من أبطال الأندلس"، وكذلك في الحلل الموشية، ص ١٢٢، بينما جاءت العبارة في الإحاطة (تحقيق: أ.

الهائلاتِ[3]، وَفِي الجَنَاحَيْنِ أَهْلُ الثَّغْرِ وَذَوُو الجَلاَدَةِ وَالصَّبْرِ[4]، [عَلَيْهِمُ الرَّايَاتُ المُرَفَّعَاتُ بِالعَذَبَاتِ المُجَزَّعَاتِ][5]، وَفِي المُقَدِّمَةِ مَشَاهِيرُ زَنَاتَةَ وَلَفِيفُ الحَشَمِ [أَهْلِ العَزَائِمِ المَاضِيَةِ وَالبَصَائِرِ الثَّابِتَةِ][6]، بِالرَّايَاتِ [المُطِيفَةِ][7] وَالأَعْلاَمِ المُنِيفَةِ[8]، [وَالْتَقَى الجَمْعَانِ، وَنَزَلَ الصَّبْرُ، وَحَمِيَتِ النُّفُوسُ، وَاشْتَدَّ الضَّرْبُ وَالضِّرَابُ، وَكَثُرَتِ الحَمَلاَتُ، فَهَزَمَ اللهُ الكَافِرِينَ، وَأَعْطَوْا رِقَابَهُمْ مُدْبِرِينَ، فَوَقَعَ القَتْلُ، وَاسْتَلْحَمَ العَدُوَّ السَّيْفُ، وَاسْتَأْصَلَهُ الهَلاَكُ وَالأَسَارُ، وَكَانَ فَتْحًا جَلِيلاً لاَ كِفَاءَ لَهُ، وَصَدَرَ الأَمِيرُ تَاشُفِينُ ظَافِرًا إِلَى بَلَدِهِ فِي جُمَادَى الأُولَى مِنْ هَذَا العَامِ، وَلَوْ ذَهَبْنَا لاسْتِقْصَاءِ حَرَكَاتِ الأَمِيرِ تَاشُفِينَ وَظُهُورِهِ لاسْتَدْعَى ذَلِكَ طُولاً كَثِيرًا][9].

عنان)، (1/ 452) مضطربة وغير واضحة، وصيغتها: "وفي المجنبين كبار الدولة من أبطال الأندلس".

(1) ما بين الحاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق وتناسبه، وقد جاءت في نص أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص 258: "وادمار"، وهي كلمة غير واضحة.

(2) جاءت في البيان المغرب/ 4/ 89: "عليهم الرايات"، وفي الحلل الموشية، ص 122: "تقدمهم الرايات".

(3) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، 1/ 452: "بالصور الهائلة".

(4) في الحلل الموشية، ص 122: "وفي الجناحين أهل الثغور...". وفي البيان المغرب، 4/ 89: "وفي الجناحين من أهل الثغر وذوي الجلادة والصبر"، وفي الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، 1/ 452: "وفي الجناحين أهل الثغر والأوشاب من أهل الجلادة".

(5) ما بين الحاصرتين زيادة من الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، 1/ 452.

(6) ما بين الحاصرتين زيادة من البيان المغرب، 4/ 89، وكذلك الحلل الموشية، ص 122.

(7) ما بين الحاصرتين جاءت في الحلل الموشية، (ص 122) وهي أنسب للسياق وسجع الكلام، بينما جاءت في نص أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص 258: "المصبغة"، وجاءت في البيان المغرب، 4/ 89: "المصنفة".

(8) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، 1/ 453: "بالرايات المصبَّغات المنبَّقات".

(9) ما بين الحاصرتين زيادة من الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، 1/ 453. بينما اكتفى ابن الخطيب في نص أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص 258 بقوله: "فهزم الروم واستنقذ الأسرى وصدر إلى غرناطة في جمادى الأولى سنة ثمانٍ وعشرين وخمسمائة". وجاء في الحلل الموشية، ص 122: "فالتقى الجمعان، واشتد الضرب والطعان، فولى الكفرة الأدبار، وأمعنوا في الفرار، فتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، وصدر تاشفين إلى قرطبة عزيزًا ظافرًا، وكان ذلك سنة ثمانٍ وعشرين وخمسمائة". بينما ورد في البيان المغرب، 4/ 89: "فأنقذ الأسرى من أيدي الطاغية،

[فَأَنْشَدَهُ الشُّعَرَاءُ مُهَنِّئَةً بِقُدُومِهِ مِنْ غَزْوِهِ وَوَصَفَتْ هَزِيمَتَهُ لِلرُّومِ](1)، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ كَاتِبُهُ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الصَّيْرَفِيّ(2): [بحر الكامل]

أَمَّا وَبِيضُ الْهِنْدِ عَنْكَ خُصُومُ ... فَالرُّومُ تَبْذُلُ مَا ظُبَاكَ تَرُومُ

تَمْضِي سُيُوفُكَ فِي الْعِدَا وَيَرُدُّهَا ... عَنْ نَفْسِهِ حَيْثُ الْكَلَامُ رَجِيمُ(3)

دَارٌ جَعَلْتَ بُيُوتَهَا قُطْبًا لَهَا ... أَبَدًا عَلَى قِمَمِ الْمُلُوكِ تَحُومُ

وَكَأَنَّمَا الْفُرْسَانُ قَدْ عَرِقَتْ بِهَا ... فَطَفَتْ وَغَاصَتْ أَرْؤُسٌ وَجُسُومُ

جَاسَتْ خِلَالَ دِيَارِهِمْ وَحُمَاتُهَا ... فِي كُلِّ وَادٍ بِالْفِرَارِ تَهِيمُ

لِلَّهِ يَا يَوْمَ الْعُرُوبَةِ إِنَّهُ ... يَوْمٌ عَلَى الدِّينِ الْكَرِيمِ كَرِيمُ

فَتْحٌ عَظِيمُ الْقَدْرِ يُمْنٌ بِشْرُهُ ... فَتْحٌ يَقِلُّ لِقَدْرِهِ التَّعْظِيمُ

يَسْتَفْتِحُ الْبُلْدَانَ سَعْدُكَ طَالِعًا ... مِنْ بَعْدِ إِقْلِيمٍ عَنَا إِقْلِيمُ

خَضَعَتْ مُلُوكُ الرُّومِ فِي بُلْدَانِهَا(4) ... لِأَغَرَّ قَامَ بِتَاجِهِ التَّعْمِيمُ(5)

[.......] الْكَتَائِبِ بَعْدَ سَيْرٍ وَالَّتِي ... فَنِيَتْ بِصَارِمٍ تَاشُفِينَ الرُّومُ

هَذِي سَمَاءُ الْمُلْكِ الجمه ... [...........النفاق......]

وَأَنْتَ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ [...........] ... [.......................................](6)

وأخذ الغنيمة، وقتل جملة كبيرة، وصدر إلى قرطبة ثم إلى غرناطة، وذلك في جمادى الأولى من سنة ثمانٍ وعشرين....".

(١) ما بين الحاصرتين من البيان المغرب، ٤/ ٨٩.

(٢) الأبيات التسعة الأولى من هذه القصيدة وردت في جيش التوشيح، ص ٢٥٥.

(٣) في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٥٣: "وخيم"، وقد اقتصر ابن الخطيب من هذه القصيدة على هذين البيتين، ولم يفطن الأستاذ عنان إلى ناظم هذه القصيدة، فقال عن ابن الخطيب في كتابه: دولة الإسلام في الأندلس-العصر الثالث- القسم الأول (عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية)، ص ١٣٨، حاشية رقم ١: "ولم يذكر لنا ناظم هذه القصيدة".

(٤) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٥٨: "في تيجانها".

(٥) في جيش التوشيح، ص ٢٥٥: "التصميم".

(٦) هذه الأبيات أوردها ابن عذاري في البيان المغرب، ٤/ ٨٩، وفي نهايتها قال: "وفي هذا الشعر طولٌ اقتصرتُ منه على هذا، وقد ورد في كتاب "الأنباء في سياسة الرؤساء"، وإنما هذه نبذ مقتصرٌ عليها، وهذا الكتاب المشار إليه هو أحد كتب مؤرخنا ابن الصَّيْرَفِيّ، وعنوانه: "تقضّي

[غَزْوَةُ الْبَكَّارِ شَمَالِيّ قُرْطُبَةَ بِقِيَادَةِ الأَمِيرِ تَاشُفِين سَنَةَ ٥٢٨ هـ/ ١١٣٣ م]:

"قَالَ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ الأَنْصَارِيّ: خَرَجَ الأَمِيرُ تَاشُفِينُ فِي إِثْرِ عِيدِ النَّحْرِ بِجَيْشِ غَرْنَاطَةَ وَقُرْطُبَة، وَلَفِيفٍ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ خَيْلاً وَرَجْلاً؛ لِيَقْطَعَ بِالْعَدُوِّ الْمَغْزُوِّ وَقَدِ اكْتَسَحَ مَا بِتِلْكَ الْجِهَةِ، وَأَوْعَزَ تَاشُفِينُ إِلَى أَبِي يَعْقُوب يِنْتَان بْنِ عَلِيٍّ، فَخَرَجَ بِجَيْشِ تِلْكَ الْجِهَةِ، أَعْنِي إِشْبِيلِيَّةَ، فَاجْتَمَعَ بِهِ بِفَحْصِ الرَّيْحَانَةِ فِي شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ، فَنَهَضَتِ الْحَمْلَتَانِ إِلَى مَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِالْبَكَّارِ(١)، طَرِيقِ الْعَدُوِّ الَّتِي لاَ مَحِيصَ لَهُ عَنْهَا، فَلَمَّا اشْتَدُّوا فِي طَلَبِهِ، تَمَكَّنَ الْعَدُوُّ مِنْ رُؤْيَتِهِمْ، وَاسْتَشْعَرَ أَنَّ الأَمِيرَ تَاشُفِين فِي طَلَبِهِ، فَخَامَرَهُمُ الْجَزَعُ، فَصَدَرَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْبَكَّارِ، فَاضْطَرَبَتِ الْمَحَلَّةُ، وَانْبَثَّتِ الأَدِلَّةُ، وَلَمَّا تَحَقَّقَ الْعَدُوُّ صَدْرَ الأَمِيرِ تَاشُفِين إِلَى الْبَكَّارِ، حَمَلُوا الْحَمْلَةَ فِي انْتِهَازِ الْفُرْصَةِ، فَانْتَدَبَ مِنْ أَنْجَادِهِمْ أَلْفَانِ، وَأَرْدَفُوا عَدَدَهُمْ مِنَ الرَّجْلَةِ، وَصَمَدُوا صَمْدَ الْمَحَلَّةِ، وَقَدْ تَهَوَّرَ اللَّيْلُ(٢) وَضِيعَ الْحَزْمُ، فَاقْتَحَمُوهَا مِنْ فُرَجٍ كَثِيرَةٍ، فَثَارَ الصِّيَاحُ، وَعَلاَ الصَّهِيلُ، وَاخْتَلَطَتِ

الأنباء في سياسة الرؤساء"، وقد تكلمنا عنه في القسم الأول الخاص بالدراسة بما يغني عن إعادته هنا، ويبدو من النص أنه أورد فيه القصيدة المذكورة بصورة أكمل مما أورده هنا. بينما اقتصر ابن الخطيب في أعمال الأعلام- القسم الثالث، (ص ٢٥٨) على بيتين آخرين يتفق أولهما مع ما جاء في الإحاطة، ويختلف الثاني، والبيتان هما:

أَمَا وَبِيضِ الْهِنْدِ عَنْكَ خُصُومُ ... فَالرُّومُ تَبْذُلُ مَا طَبَاكَ تَرُومُ

خَضَعَتْ مُلُوكُ الرُّومِ فِي تِيجَانِهَا ... لأَغَرَّ قَامَ بِتَاجِهِ التَّعْمِيمُ

(١) ذكره ابن الخطيب في أعمال الأعلام- القسم الثالث، (ص ٢٥٩) باسم: "فحص البكار"، والبكار، أو فحص البكار، هو الموضع الذي يسمى الآن: (Albacar)، ويقع على بُعْد ٢٠ كلم إلى الشمال من قرطبة (انظر: نظم الجمان- تحقيق: د. محمود علي مكي، ص ٢٤١، حاشية رقم ٥). بينما قال محققا أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٥٩: "فحص البكار: لعله عقبة البقر الذي يُسَمَّى الآن: Castillo del Vacar، ويقع في شمال قرطبة في منطقة فحص البلوط، وهي بدروش Pedroches حاليًا، وكان هذا الحصن يحتل موقعًا استراتيجيًا ممتازًا؛ لأنه يتحكم في طريق وادى آنه المؤدي إلى بطليوس. ولعله أيضًا فخ ابن لقيط المعروف في الإسبانية باسم: Castillo del Bacar، وهي مدينة بالقرب من إشبيلية. انظر: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٥٩، حاشية رقم ١ والمراجع الواردة هناك.

(٢) تَهَوَّرَ اللَّيْلُ: ذَهَبَ أَكْثَرُهُ وَانْكَسَرَ ظَلاَمُهُ.

الأَصْوَاتُ، وَنَفَرَتِ الدَّوَابُّ وَقَطَعَتْ مَقَاوِدَهَا وَقُيُودَهَا، فَوَقَعَتْ عَلَى الأَخْبِيَةِ، فَوَقَعَ النَّهْبُ، وَفَرَّ النَّاسُ، وَتُسُلِّمَتِ المَحَلَّةُ، وَقَصَدَ الْعَدُوُّ مَضْرِبَ خِبَاءِ الأَمِيرِ تَاشُفِينَ وَقَدْ قُرِّبَ فَرَسُهُ لِيَنْجُوَ عَلَيْهِ، [فَانْتَهَر سَائِسَهُ][1] وَنَجَا[2] مِنْ حَظِّهِ، وَقَالَ: لاَ أَسْلَمُ وأُسْلِمُ الأُمَّةَ، وَلاَ أَبْرَحُ أَوْ تَنْجَلِي عَمَّا انجَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْكَرَّةُ[3]، فَأَحْدَقَ بِهِ [عَبِيدُهُ وَ][4] رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ وَأَفْذَاذٌ مِنَ المُرَابِطِينَ، لَمْ يَلْتَئِمِ[5] الْجَمْعُ أَرْبَعِينَ، فَاعْتَرَضُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرُّومِ، فَوَقَعَ الضَّرْبُ، وَاشْتَدَّتِ الحَرْبُ، وَعَظُمَ الخَطْبُ، وَالأَمِيرُ تَاشُفِينُ فِي دِرْعِهِ مُتَّشِحًا بِسَيْفِهِ[6]، وَدَرَقَتُهُ بِيَدِهِ[7]، يَشُدُّ حَمْلَتَهُ، وَيُبْدِي صَفْحَتَهُ، فَلَمْ يُرَ أَرْبَطَ جَأْشًا، وَلاَ أَشْهَمَ نَفْسًا [مِنْهُ][8]، وَلاَ تُحُدِّثَ عَنْ أَحَدٍ قَبْلَهُ بِمَا ظَهَرَ مِنْهُ فِي مَطْلَعِ ذَلِكَ الهَوْلِ، وَتَفَاقَمَ الأَمْرُ وَقَدْ هُتِكَتْ خِبَاؤُهُ[9] بِالطَّعْنِ، وَجُذَّتْ أَوَاخِيهَا[10] بِالضَّرْبِ، وَعَانَقَتِ الأَرْضَ، وَبِأُخَرَةٍ[11] طَعَنَ أَحَدُ الْعَبِيدِ قَوْمَسَ الرُّومِ، فَأَخْرَجَ الرُّمْحَ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، [وَأَسْقَطَهُ عَنْ سَرْجِهِ][12]، فَكَانَتِ المُحَاجَزَةُ، وَانْصَدَعَ الْفَجْرُ، فَانْجَلَتِ الظُّلْمَةُ، وَالحَرْبُ عَلَى

---

(١) ما بين الحاصرتين وردت في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٥٩، بينما وردت في البيان المغرب، ٤/ ٩٠: "فانتهز الفرصة"، وما أثبتناه في المتن أنسب للسياق.

(٢) ورد في أعمال الأعلام- القسم الثالث، (ص ٢٥٩) في هذا الموضع كلمة أخرى غير مقروءة ولا مفهومة، وربما كان معنى جملة: (ونجا من حظه) أي خرج من حظ نفسه، فلم يفكر في خلاصه ونجاته بنفسه، وقدَّم مصلحة الأمة على حياته الشخصية.

(٣) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٥٩: "ولا أبرح أو تنجلي عما انجلت هذه الغمرة".

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٥٩.

(٥) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٥٩: "لم يتمَّ".

(٦) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٥٩: "والأمير تاشفين قائم بسيفه".

(٧) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٥٩: "ودرقته بين يديه".

(٨) ما بين الحاصرتين زيادة من أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٥٩.

(٩) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٥٩: "وقد هُتكت خيوله".

(١٠) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٥٩: "وحدت أواصيها".

(١١) وبِأُخَرَةٍ (بهمزة مضمومة) أو بأَخَرَةٍ (بهمزة مفتوحة) بمعنى: وأخيرًا.

(١٢) ما بين الحاصرتين زيادة من أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٥٩، لكن جاء في الأصل: "وأسقطه على سرجه"، فاستبدلنا حرف الجر (عن) بحرف الجر (على)؛ لأنه أنسب للمعنى.

أَفْذَاذٍ قَتْلَى وَأَعْدَادٍ جَرْحَى [......][1]، مَبْطُوحَة، وَدِمَاء مَسْفُوحَة، وَلَوْلاَ قَدَرُ الله السَّابِقُ بِثُبُوتِ الأَمِيرِ الأَجَلِّ تَاشُفِين، لَحَلَّتِ الْفَضِيحَةُ، والأَزِفَةُ الَّتِي لَيْسَ لَهَا [كَاشِفَةٌ][2]، وَرَجَعَ الْعَدُوُّ فِي أُخْرَيَاتِ اللَّيْلِ إِلَى مَضْرِبِ مَحَلَّتِهِ، فَأَقَامَ إِلَى الضُّحَى مَعَ أَخْذِ آلِ بَلَدِهِ، وَرَكِبَ الأَمِيرُ تَاشُفِيْن في الصبح إِلَى قشرش[3] [......][4] طَبْله، وَكَرَّ إِلَى حِصْنِ قَشْرَش بِالْمَحَلَّةِ، ثُمَّ رَحَلَ صَدِرًا إِلَى قُرْطُبَةَ...."[5].

[ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ يَمْدَحُ الأَمِيرَ تَاشُفِينَ شِعْرًا وَيَصِفُ ثَبَاتَهُ يَوْمَ الْبَكَارِ]:

[وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الأَمِيرُ تَاشُفِيْن بِقُرْطُبَةَ أَنْشَدَهُ الشُّعَرَاءُ، فَقَالَ الْفَقِيهُ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ [مُحَمَّد بْنِ][6] يُوسُف الأَنْصَارِيُّ[7] مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ يَمْدَحُهُ وَيُعَظِّمُهُ، وَيَذْكُرُ بَلاَءَهُ فِي الْحُرُوبِ][1]، وَيَنْظِمُ لَهُ سِيَاسَتَهَا وَيُحَذِّرُهُ مِنْ حِيَلِهَا، فَيَقُولُ:[بحر الكامل]

---

(١) ما بين الحاصرتين سَقَطٌ في الأصل لا ندري ما مقداره.

(٢) ما بين الحاصرتين وردت في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٥٩، بينما وردت في البيان المغرب، ٤/ ٩١: "كاذبة". وما أثبتناه في المتن أَوْلَى وأنسب.

(٣) حصن قشرش أو قصرش أو قاصرش وبالإسبانية Cáceres: حصن يقع جنوبي نهر التاجه، وشمال شرقي بطليوس، وغربي تُرجالُه. انظر: أ. عنان: دولة الإسلام في الأندلس- العصر الثالث- القسم الأول: عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية، ص ١٤٠.

(٤) ما بين الحاصرتين سَقَطٌ في الأصل لا ندري ما مقداره.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ٤/ ٩٠-٩١.

(٦) ما بين الحاصرتين زيادة يقتضيها إتمام اسم مؤرخنا أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيّ.

(٧) قدَّم ابن الخطيب في أعمال الأعلام- القسم الثالث، (ص ٢٦٠) لهذه القصيدة بقوله: "وفي ذلك يقول أبو بكر الصَّيْرَفِيُّ كاتبه يمدحه وينظم له سياسة الحروب ويحذره من حيلها، ويعتب القبائل التي أسلمت تاشفين ليلتئذٍ". بينما قدَّم لها صاحب الحلل الموشية، (ص ١٢٤) بقوله: "وعند احتدام القتال هنأه الفقيه الكاتب أبو زكرياء ابن الصَّيْرَفِيّ بالسلامة في القصيدة المسطرة بعد، وحذره من خدع الحرب، ونبهه على أحكامها، وما ينبغي أن يفعل فيها، ورأيت أن أضعها في هذا الكتاب لما تحتوي عليه من سياسة الحروب ولمناسبتها لهذا الموضع..."، ونلاحظ أنه كنى ابن الصَّيْرَفِيّ بكنية (أبي زكرياء)، وهي كنية مخالفة لما ورد في مصادر ترجمة ابن الصَّيْرَفِيّ، وقد أجمعت هذه المصادر على تكنيته بكنية (أبي بكر)، وقد سبق أن تكلمنا عن هذا باستفاضة في القسم الأول من هذا الكتاب، وهو القسم الخاص بالدراسة. بينما قدَّم ابن خلدون لهذه القصيدة - وهو يتكلم في مقدمته (تحقيق: د. علي عبد الواحد وافي- طبعة دار نهضة مصر للنشر- ط ٧، ٢٠١٤ م، ٢/ ٦٨٣-٦٨٥) عن سياسة الحروب - بقوله: "وقد أشار إلى كثير من ذلك أبو بكر

يَـا أيُّهَـا [المَـلأُ](2) الَّـذِي يَتَقَنَّـعُ ... مَـنْ مِـنْكُمُ البَطَـلُ(3) الهُمَـامُ الأرْوَعُ(4)

وَمَـنِ الَّـذِي غَـدَرَ العَـدُوُّ بِـهِ دُجَـى ... فَانْفَـضَّ كُـلٌّ وَهْـوَ لا يَتَزَعْـزَعُ

تَمْضِـي الفَـوَارِسُ وَالطِّعَـانُ يَصُدُّهَـا ... عَنْـهُ وَيَزْجُـرُهَا(5) الوَفَـاءُ فَتَرْجِـعُ

وَاللَّيْـلُ مِـنْ وَضَـحِ التَّرَائِـكِ(6) وَالظُّبَـا(7) ... صُـبْحٌ عَلَـى هَـامِ الكُمَـاةِ(8) مُشَعْشَعُ

الصَّيْرَفِيُّ شاعر لمتونة وأهل الأندلس في كلمة يمدح بها تاشفين بن علي بن يوسف، ويصف ثباته في حرب شهدها، ويذكّره بأمور الحرب في وصايا وتحذيرات تنبهك على معرفة كثير من سياسة الحرب، يقول فيها....".

(1) ما بين الحاصرتين من كلام ابن عذاري في البيان المغرب، (4/ 91) رأيته مناسبًا لإيراد القصيدة التالية، وهذه القصيدة أورد منها ابن الخطيب في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، (4/ 411-415) خمسة وسبعين بيتًا، بينما أورد منها في كتابه أعمال الأعلام- القسم الثالث، (ص 260-263) اثنين وخمسين بيتًا، وأورد منها في كتابه جيش التوشيح، (252-255) ستة وخمسين بيتًا، كما أورد منها صاحب الحلل الموشية، (ص 124-129) ستة وخمسين بيتًا أيضًا، وأورد منها ابن خلدون في مقدمته واحدًا وعشرين بيتًا متفرقة، وبناءً على هذا فإننا سنعتمد على إحاطة ابن الخطيب في إيراد هذه القصيدة؛ إذ هي الأكمل، ونضع في الحواشي الفروق الواردة في المصادر الأخرى.

(2) ما بين الحاصرتين جاء في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص 260، وجاء في الحلل الموشية، ص 124، وجاء في مقدمة ابن خلدون، 2/ 683، وهي أنسب للمعنى والسياق، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، 4/ 411: "الملك".

(3) في مقدمة ابن خلدون- تحقيق: د. علي عبد الواحد وافي- طبعة دار نهضة مصر للنشر، 2/ 683: "الملك".

(4) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص 260: "الأَوْرَعُ".

(5) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص 260: "ويدعوها"، وكذلك في الحلل الموشية، ص 124، بينما جاءت في مقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. وافي)، 2/ 683: "وَيُذِيرُهَا".

(6) الترائك: جمع تريكة، وهي بيضة الحديد (أو الخوذة ناصعة البياض) تُلْبَس في الحرب.

(7) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص 261: "بينهم"، وفي مقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. وافي)، 2/ 683: "إنه"، وجاء الشطر كله في الحلل الموشية، ص 125: "والليل من وقع السنابك بينهم"، والظُّبَا: الظبة: حد السيف والسنان والنصل والخنجر وما أشبه ذلك.

(8) في مقدمة ابن خلدون، 2/ 683: "الجيوش".

مِنْ أَرْبَعِينَ لَبِسْتَ أَعْيُنَهَا دُجَى ... أَلْفَانِ أَلْفٌ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ

لَوْلَا رِجَالٌ كَالْجِبَالِ تَعَرَّضَتْ ... مَا كَانَ ذَاكَ السَّيْلُ مِمَّا يُرْدَعُ(2)

يَتَقَحَّمُونَ عَلَى الرِّمَاحِ كَأَنَّهُمْ ... إِبِلٌ عِطَاشٌ وَالأَسِنَّةُ كُرَّعُ(3)

وَمِنَ الدُّجَى [لِمَمٌ](4) عَلَى قِمَمِ الرُّبَى ... وَذَوَائِبٌ بَيْنَ الظُّبَا تَتَقَطَّعُ

نَصَرَتْ ظَلَامَ الْكُفْرِ ظُلْمَةُ لَيْلَةٍ ... لَمْ يَدْرِ فِيهَا الْفَجْرُ أَيْنَ الْمَطْلَعُ

لَوْلَا ثُبُوتُكَ نَاشِئِينَ لَغَادَرَتْ ... أُخْرَى اللَّيَالِي وَهْيَةً لَا تُرْقَعُ

ثَبَتٌ(5) وَالأَقْدَامُ تَزْلَقُ وَالرَّدَى ... حَوْلَ السُّرَادِقِ وَالأَسِنَّةُ تَقْرَعُ

لَا تَعْظُمَنَّ(6) عَلَى الأَمِيرِ فَإِنَّهَا ... خِدَعُ الْحُرُوبِ وَكُلُّ حَرْبٍ تَخْدَعُ

وَلِكُلِّ(7) يَوْمٍ حُنْكَةٌ وَتَمَرُّسٌ ... وَالتَّجَارِبُ فِي مِثْلِ نَفْسِكَ تَنْجَعُ

يَا أَشْجَعَ الشُّجْعَانِ(8) لَيْلَةَ أَمْسِهِ ... الْيَوْمَ(9) أَنْتَ عَلَى(10) التَّجَارِبِ أَشْجَعُ

[مَا أَنْتَ مِنْ مَلِكٍ عَلَى صِغَرٍ لَهُ ... نَظَرٌ صَحِيحٌ وَالْقَنَا تَتَصَدَّعُ](11)

أُغْنِيكَ مِنْ أَدَبِ الْوَغَى حِكَمًا بِهَا ... كَانَتْ مُلُوكُ الْحَرْبِ مِثْلَكَ تُولَعُ(12)

---

(1) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦١: "مُلَثَّمٌ"، وكذلك في الحلل الموشية، ص ١٢٥، بينما جاءت في مقدمة ابن خلدون، ٢/ ٦٨٣: "يلمع".

(2) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦١: "مَن لا يُودَعُ".

(3) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦١: "مَكْرَعُ"، وكذلك في الحلل الموشية، ص ١٢٥.

(4) ما بين الحاصرتين جاءت في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦١. وكذلك في الحلل الموشية، ص ١٢٥، وهي أنسب للسياق، واللِّمَمُ جمع لِمَّة بكسر اللام وهو شعر الرأس المجاوز شَحْمَةَ الأُذُن. بينما جاءت في الإحاطة، ٤/ ٤١٢: "قِمَمٌ".

(5) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦١: "يُثَبِّتُ".

(6) في الحلل الموشية، ص ١٢٥: "لا يَعْظُمَنَّ".

(7) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦١: "وبكلِّ".

(8) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦١: "الأبطال"، وكذلك في الحلل الموشية، ص ١٢٥.

(9) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦١: "واليوم".

(10) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦١: "مع"، وكذلك في الحلل الموشية، ص ١٢٥.

(11) ما بين الحاصرتين زيادة من الحلل الموشية، ص ١٢٦.

(12) في مقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. وافي)، (٢/ ٦٨٤) ورد بيت آخر بالمعنى نفسه، فقال:

لاَ أَنَّنِــي أَدْرِي بِهَــا لَكِنَّهَــا ... ذِكْـرَى تَخُـصُّ[1] الْمُؤْمِنِيــنَ وَتَنْفَــعُ

اخْتَـرْ[2] مِـنَ [الْحِلَـقِ][3] الْمُضَـاعَفَةِ الَّتِـي ... وَصَّـى بِهَـا صَـنْعُ السَّوَابِـغِ[4] تُبَّـعُ

وَالْهِنْــدُوَانِيَّ[5] الرَّقِيــقَ[6] فَإِنَّــهُ ... أَمْضَـى عَلَـى حِلَـقٍ[7] الـدِّلاَصِ[8] وَأَقْطَـعُ

وَمِــنَ الرَّوَاجِــلِ مَــا إِذَا زَعْزَعْتَــهُ ... أَعْطَــاكَ هِــزَّةَ مِعْطَفَيْــهِ الأَشْجَــعُ

وَمِــنَ الْجِيَــادِ الْجُــرْدِ كُــلَّ مُضَمَّــرٍ ... تُشْـجَى بِأَرْبَعِــهِ الرِّيَــاحُ الأَرْبَــعُ

وَالصِّمَّــةَ[9] الْبَطَــلَ الَّــذِي لاَ يَلْتَــوِي ... مِنْــهُ الصَّلِيبُ وَلاَ يَلِيــنُ الأَخْــدَعُ[10]

وَكَــذَاكَ قَــدْرٌ فِــي الْعَــدُوِّ جِزَامَــةً ... فَالنَّبْــعُ بِالنَّبْــعِ الْمُثَقَّــفِ يَقْــرَعُ

خَنْـدِقْ عَلَيْـكَ إِذَا [ضَـرَبْتَ][1] مَحَلَّـةً ... سِــيَّانَ تَتْبَــعُ ظَافِــرًا أَوْ تُتْبَــعُ[2]

أَهْــدِيكَ مِــنْ أَدَبِ السِّيَاسَــةِ مَــا بِــهِ ... كَانَـتْ مُلُــوكُ الْفُــرْسِ قَبْلَــكَ تُولَــعُ

(١) في مقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. وافي)، ٢/ ٦٨٤: "تَخُصُّ".

(٢) في مقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. وافي)، ٢/ ٦٨٤: "والبَسْ".

(٣) ما بين الحاصرتين من مقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. وافي)، ٢/ ٦٨٤. وجاءت في الإحاطة، ٤/ ٤١٢: "والخلق" بالخاء، ولا معنى لها في السياق هنا، وما جاء في المقدمة أنسب للمعنى، والحِلَقُ بكسر الحاء أو الحَلَق بفتح الحاء: جمع حَلْقة وهي السلاح عامةً أو الدرع خاصةً.

(٤) في مقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. وافي)، ٢/ ٦٨٤: "صِنْع الصنائع"، وصَنِعُ السَّوَابغ: الصَّنِعُ: الماهر الحاذق، والسَّوابغ هي الدروع.

(٥) الهِنْدُوانيُّ (بكسر الهاء أو ضمها): المُهَنَّدُ، وهو سيف مصنوع من حديد الهند، وكان خير الحديد، وفي التهذيب: والأصل في التَّهْنِيد عَمَلُ الهِنْدِ يقال: سيف مُهَنَّدٌ وهِنْدِيّ وهُنْدُوَانِيٌّ إذا عُمِل ببلاد الهند.

(٦) في مقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. وافي)، ٢/ ٦٨٤: "الرقيق".

(٧) في مقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. وافي)، ٢/ ٦٨٤: "حدّ".

(٨) الحِلَقُ: الدروع، والدِّلاص: اللينة الملساء... دِرْعٌ دلاَصٌ ككِتَابٍ: مَلْسَاءُ لَيِّنَةٌ بَرَّاقَةٌ.

(٩) الصِّمَّةُ: الشُّجاعُ، يقال: رَجُلٌ صِمَّةٌ: أي شُجَاعٌ.

(١٠) الأَخْدَعُ عِرْق في موضع المِحْجَمتين وهما أخدعان، والأَخْدَعانِ عِرْقان خَفِيَّانِ في موضع الحِجامة من العُنق، ويقال: رجل شديد الأَخْدَع مُمتنِع أَبِيّ، ولَيِّنُ الأَخْدَعِ بخلاف ذلك.

واجْعَلْ بِبَابِكَ فِي الثِّقَاتِ وَمَنْ لَهُ	قَلْبٌ عَلَى هَوْلِ الْحُرُوبِ مُشَيَّعُ[3]
وتَوَقَّ مِنْ كَذِبِ الطَّلائِعِ إِنَّهُ[4]	لاَ رَأْيَ [لِلْكَذَّابِ فِيمَا][5] يَصْنَعُ
وإِذَا احْتَرَسْتَ بِذَاكَ لَمْ يَكُ لِلْعِدَا	فِي فُرْصَةٍ أَوْ فِي انْتِهَازٍ مَطْمَعُ
حَارِبْ بِمَنْ يَخْشَى عِقَابَكَ [لاَ الَّذِي	تَخْشَى][6] وَمَنْ فِي[7] جُودِ كَفِّكَ يَطْمَعُ
قَبْلَ التَّنَاوُشِ[8] عَبِّ جَيْشَكَ مُفْحِصًا[9]	حَيْثُ التَّمَكُّنُ وَالْمَجَالُ الأَوْسَعُ

---

(١) ما بين الحاصرتين من أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦١، والحلل الموشية، ص ١٢٦، ومقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. وافي)، ٢/ ٦٨٤. بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١٢: "اضطربت"، ولعله تصحيف، وما جاء في المصادر الأخرى أنسب للسياق.

(٢) جاء الشطر الثاني لهذا البيت في مقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. وافي)، ٢/ ٦٨٤: "حصنًا حصينًا ليس فيه مَدْفَعُ".

(٣) قلبٌ مُشَيَّعٌ: جريءٌ قويٌّ.

(٤) جاء هذا الشطر في مقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. وافي)، ٢/ ٦٨٥: "لا تَسْمَعِ الْكَذَّابَ جاءكَ مُرْجِفًا".

(٥) ما بين الحاصرتين من الحلل الموشية ص ١٢٦، وهو أنسب للمعنى والسياق، بينما جاءت في الإحاطة، ٤/ ٤١٣" للمكذوب فيها"، وفي أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦١: "للمكذوب فيها".

(٦) ما بين الحاصرتين من الحلل الموشية، ص ١٢٦، وهو أنسب للمعنى والسياق، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١٣: "بالذي يخشى"، وكذلك في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦١.

(٧) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦١: "وهو في"، وهي لا تناسب وزن البيت.

(٨) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦١: "التهارش"، والتناوش: هو التقاتل من بعيد، يقال: تناوش القوم: تقاتلوا دون أن يقترب بعضُهم من بعض كثيرًا، أو تناول بعضُهم بعضًا بالرِّماح ولم يتدانَوْا كلَّ التَّداني، وفي التنزيل العزيز: (وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ)، وكذلك التهارش: التقاتل، يقال: تهارش القوم: تقاتلوا.

(٩) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦١: "مُفْسِحًا"، وكذلك في الحلل الموشية، ص ١٢٦. لكن كلمة "مُفْحِصًا" هنا لها وجه؛ يقول ياقوت الحموي: "مواضع عدة من أرض الأندلس تسمى الفحص، وسألتُ بعض أهل الأندلس: ما تعنون به؟ فقال: كل موضع يُسْكَن سهلاً كان أو جبلاً بشرط أن يُزْرَع نسميه فحصًا، ثم صار علمًا لعدة مواضع. انظر: معجم البلدان، ٤/ ٢٣٦. ومن هذه المواضع: فحص البلوط، وفحص السرادق، وفحص شقندة (أو صحراء الربض)، ومن الفحصين الأخيرين اعتاد خلفاء الأندلس أن يبرزوا منها قبل التوجه للغزو،

إِيَّـاكَ تَعْبِئَـةَ الْجُيُـوشِ مُضَيِّقًـا ... وَالْخَيْـلُ تَفْحَـصُ(١) بِالرِّجَالِ [وَتَمْـزَعُ](٢)

حَصِّـنْ حَوَاشِيَهَـا وَكُـنْ فِـي قَلْبِهَـا ... وَاجْعَـلْ أَمَامَـكَ مِنْهُـمُ مَـنْ يَشْجُـعُ

وَالْـبَسْ لَبُوسًـا(٣) لاَ يَكُـونُ مُشَهَّـرًا ... فَيَكُـونُ نَحْـوَكَ لِلْعَـدُوِّ تَطَلُّـعُ

وَاخْتَـلْ لِتُوقِـعَ(٤) فِـي مُضَايَقَةِ الْـوَغَى ... خِـدَعًا [تُوَرِّيهَـا](٥) وَأَنْـتَ مُوَسِّـعُ

وَاحْـذَرْ كَمِيـنَ الـرُّومِ عِنْـدَ لِقَائِهَـا ... [وَاخْفَـظْ](٦) كَمِينَـكَ خَلْفَهَـا إِذْ تَدْفَـعُ

لاَ تُبْقِـيَنَّ النَّهْـرَ خَلْفَـكَ عِنْدَمَـا ... تَلْـقَى الْعَـدُوَّ فَأَمْـرُهُ(٧) مُتَوَقَّـعُ

[وَالْـوَادِ لاَ تَعْبُـرْهُ وَانْـزِلْ عِنْـدَهُ ... بَـيْنَ الْعَدُوِّ وَبَـيْنَ جَيْشِـكَ يَقْطَـعُ](١)

والبروز بمعنى استعراض الجيوش والقوات العسكرية قبل خروجها للغزو. والمعنى المقصود أن على القائد أن يعبأ جيشه ويستعرض قواته في مكان واسع فسيح؛ ليكون أنسب لاختبار المهارات العسكرية واستعراض الفنون القتالية لدى الجنود والتأكد من استعدادهم التام لخوض المعارك الحربية.

(١) تفحص: تضرب بأرجلها، وقيل: الفحص: شدة الطلب.

(٢) ما بين الحاصرتين من أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦١، وكذلك في الحلل الموشية، ص ١٢٦. بينما ورد في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١٣: "وتَمَرَّعُ" بالراء. وما جاء في المصدرين الأولين أنسب للمعنى والسياق؛ إذ المَزْعُ: شدّةُ السير، مَزَعَ الفرسُ ونحوُه في عَدْوِهِ مَزَعَ مَزْعًا: عدا سريعًا أو في خفَّة، وتَمَزَّع: تمرُّ مرًّا سريعًا، وقيل: المَزْعُ: العَدْو الخفيف، وقيل: هو أوّل العدْو وآخر المشي.

(٣) اللبوس هي الدروع، ومنها قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ﴾، سورة الأنبياء، من الآية ٨٠.

(٤) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦١: "واخل التوقع".

(٥) ما بين الحاصرتين من الحلل الموشية، ص ١٢٦، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١٣: "تُرَوِّيها"، وفي أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦١: "توقَّ بها". وما ورد في الحلل الموشية أنسب للمعنى والسياق؛ إذ معنى (تُوَرِّيها) أي تُخفيها، ومعروف أن الخدع في الحروب شيء خفي غير معلن يظهر فجأة لإرباك العدو. وقد يكون ما جاء في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦١: "توقَّ بها" مناسب أيضًا للمعنى والسياق.

(٦) ما بين الحاصرتين من الحلل الموشية، ص ١٢٧، وهو أنسب للمعنى والسياق، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١٣: "واقض"، وفي أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦٢: "وامض".

(٧) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦٢: "فَشَرُّهُ".

وَاجْعَلْ مُنَاجَزَةَ الْعَدُوِّ[2] عَشِيَّةً	[وَوَرَاءَكَ][3] الصَّدَفُ[4] الَّذِي هُوَ أَمْنَعُ
وَاصْدِمْهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ لاَ تَرْتَدِعْ[5]	بَعْدَ التَّقَدُّمِ[6] فَالنُّكُولُ[7] يُضَعْضِعُ[8]
وَإِذَا تَكَاثَفَتِ[9] الرِّجَالُ[10] بِمَعْرَكٍ[11]	ضَنْكٍ[12] فَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ تُوَسِّعُ
حَتَّى إِذَا اسْتَعْصَتْ[13] عَلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ	إِلَّا شِمَاسٌ[1] دَائِمٌ وَتَمَنُّعُ

---

(١) البيت الوارد بين الحاصرتين زيادة من مقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. وافي)، ٢/ ٦٨٥.

(٢) في مقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. وافي)، ٢/ ٦٨٥: "الجيوش".

(٣) ما بين الحاصرتين من أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦٢، وكذلك في الحلل الموشية، ص ١٢٧، وهي أنسب لوزن البيت، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١٣: "ووراء" وهي لا تناسب وزن البيت.

(٤) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦٢: "الهَدَف"، وما ورد في الإحاطة أعم وأشمل؛ إذ الصَّدَفُ: كلُّ شيءٍ مرتفع عظيم كالهدَفِ والحائط والجَبَل، والصَّدَفُ: الناحية والجانبُ، وصَدَفا الجبل: جانباه المتحاذيان، ومعنى البيت: لا تناجز العدو إلا ووراءك ما يحمي ظهرك من جبل ونحوه، ويرى الدكتور علي عبد الواحد وافي أن هذه الكلمة ربما كانت محرفة عن (الصَّفّ)، فيكون المعنى: لِتُنَاجِزِ الأعداء ووراءك صَفٌّ منيع من الجيش يحمي ظهرك. انظر: مقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. وافي)، ٢/ ٦٨٥، حاشية رقم ٨٨٣.

(٥) في مقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. وافي)، ٢/ ٦٨٥: "لا تكترث".

(٦) في مقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. وافي)، ٢/ ٦٨٥: "شيئًا فإظهار النكول".

(٧) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦٢: "فالنكوص"، وكذلك في الحلل الموشية، ص ١٢٧. والنكول هو النكوص، يقال: نكَل عن العدوّ يَنْكِل نكولاً: نكَص؛ تراجع وجَبُن.

(٨) في الحلل الموشية، ص ١٢٧: "تُضَعْضِعُ" بتاء المضارعة في أوله.

(٩) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦٢: "تكنَّفَهُ"، وفي الحلل الموشية، ص ١٢٧: "تكاثفت"، وما ورد في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، (٤/ ٤١٣) أفضل وأنسب للمعنى والسياق.

(١٠) في مقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. وافي)، ٢/ ٦٨٥: "وإذا تضايقت الجيوشُ".

(١١) بِمَعْرَكٍ أي بِمُعْتَرَكٍ، وهو ساحة المعركة.

(١٢) ضنك: ضَيِّق.

(١٣) في الحلل الموشية، ص ١٢٧: "صَعُبَتْ".

وَرَأَيْتَ نَارَ الْحَرْبِ تُضْرَمُ بِالظُّبَا(٢) ... وَدُخَانُهَا فَوْقَ الأَسِنَّةِ يَسْطَعُ(٣)

وَمَضَتْ تُؤْذِنُ بِالصَّهِيلِ جِيَادُهَا ... وَالْهَامُ تَسْجُدُ وَالصَّوَارِمُ تَرْكَعُ

وَالرُّمْحُ يَثْنِي مِعْطَفَيْهِ كَأَنَّهُ ... فِي الرَّاحِ لاَ عِلْقُ الْفَوَارِسِ يَكْرَعُ

وَالرِّيحُ تَنْشَأُ سَجْسَجًا خَفَّاقَةً(٤) ... وَهِيَ السَّكِينَةُ عَنْ يَمِينِكَ تُوضَعُ

[أَقِمِ](٥) الْكَمِينَ عَلَى الْعَدُوِّ فَإِنَّهُ ... يُعْطِيكَ مِنْ أَكْتَافِهِ مَا يَمْنَعُ

وَإِذَا هَزَمْتَ عِدَاكَ فَاحْذَرْ كَرَّهَا ... وَاضْرِبْ وُجُوهَ كُمَاتِهَا إِذْ تَرْجِعُ

وَهِيَ الْحُرُوبُ قُوَى النُّفُوسِ وَحَزْمُهَا ... مِنْ قُوَّةِ الأَبْدَانِ فِيهَا أَنْفَعُ(٦)

ثُمَّ انْتَهِضْ بِجَمِيعِ مَنْ أَحْمَدْتَهُ(٧) ... حَتَّى يَكُونَ لَكَ الْمَحَلُّ الأَرْفَعُ

مِنْ مَعْشَرٍ إِعْرَاضُ وَجْهِكَ عَنْهُمُ ... كَانَتْ [تُرْجَى لِلْوَغَى](٨) وَتُرْفَعُ(٩)

---

(١) شِمَاسٌ: عِنَادٌ ممتنعٌ. يقال: شَمَسَ الفَرَسُ يَشْمُسُ شُمُوسًا بالضَّمِّ وشِمَاسًا بالكَسْرِ: شَرَدَ وجَمَحَ ومَنَعَ ظَهْرَهُ عن الرُّكُوبِ لِشِدَّةِ شَغْبِهِ وحِدَّتِهِ فهو لا يَسْتَقِرُّ فهو شامِسٌ وشَمُوسٌ كصَبُورٍ مِنْ خَيْلٍ شُمْسٍ بالضَّمِّ، وشُمُسٍ بضمَّتين، وقد تُوصَفُ به النَّاقَةُ.

(٢) الظُّبَا: الظُّبة: حدّ السيف والسِّنان والنصل والخنجر وما أشبه ذلك، وقيل: أسنة الرماح.

(٣) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦٢: "فَوْقَ الدُّجُنَّةِ يَطْلُعُ"، والدُّجُنَّة: الدُّجْنَةُ، وهي الظُّلْمَة أو السواد، وسَطَعَ الغُبَارُ أو الدخان: إنْتَشَرَ، وارْتَفَعَ.

(٤) رِيحٌ سَجْسَجٌ: لَيِّنَةُ الهواءِ مُعتدِلةٌ. وريحٌ خَفَّاقَةٌ: طَيِّبَةٌ ساكِنَةٌ، وقيل: سَرِيعَةُ المُرُورِ في هُبُوبِها.

(٥) ما بين الحاصرتين من عندنا للمعنى والسياق ووزن البيت، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١٤: "أقصر"، وبها ينكسر وزن البيت، ولعل ما وضعناه يكون أقرب للمعنى والسياق، وقد تكون أيضًا: "أقصِ".

(٦) الأبيات الستة السابقة تنفرد بها الإحاطة دون بقية المصادر الأخرى.

(٧) جاء هذا الشطر في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦٢: "ثم اتئد بجميع مَن أحلته"، وكذلك في جيش التوشيح، ص ٢٥٤، بينما جاء في الحلل الموشية، ص ١٢٧: "ثم اتئد فجميع مَن أحلته"، وما ورد في الإحاطة أنسب للمعنى والسياق.

(٨) ما بين الحاصرتين من الحلل الموشية، ص ١٢٧، وهي أنسب للمعنى والسياق، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١٤: "ترفه الوغى" ولا معنى لها، وجاءت في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦٢: "تُرَفَّعُ للدعاء"، وكذلك في جيش التوشيح، ص ٢٥٤.

[وَهُمُ الكِرَامُ فَأَيْنَ يَذْهَبُ عَنْهُمُ][2]	[أَنْكَى عِقَابٍ فِي القُلُوبِ وَأَوْجَعُ][3]
يَكْبُو الجَوَادُ[4] وَكُلُّ حَبْرٍ[5] عَالِمٍ	فِعْلُ الجَمِيلِ وَسُخْطُكَ المُتَوَقَّعُ
ـلَى [قَرَعْتُمْ][6] يَا بَنِي صُنْهَاجَةٍ	يَهْفُو وَتَنْبُو المُرْهَفَاتُ القُطَّعُ
ـا أَنْتُمُ إِلاَّ أُسُودُ[7] [خَفِيَّةٍ][8]	وَإِلَيْكُمُ فِي الرَّوْعِ كَانَ المَفْزَعُ؟
ـا نَالَ سَيِّدُكُمْ تَوَرُّطُ لَمْ يَكُنْ[9]	حِمْلٌ بِكُلِّ عَظِيمَةٍ[10] [مُتَطَلِّعُ][11]

(١) معنى البيت: لا تعجب إن تخاذلت عصبة من الجند أو القادة كنتَ تظنهم عدة الحرب وأبطالها، ولذا كانوا يحتلون مناصب رفيعة في القيادة والجيش، ثم جاءت المواقف الحاسمة فكشفت حقيقتهم وأظهرت جبنهم وتخاذلهم في اللحظات الحرجة.

(٢) ما بين الحاصرتين لم يرد في الإحاطة، بينما ورد في كل المصادر الأخرى، وهو مناسب- في المعنى- لما ورد في الشطر الثاني.

(٣) ما بين الحاصرتين ورد في كل المصادر السابقة، وهو مناسب في المعنى لما جاء في الشطر الأول، بينما جاء في الإحاطة، ٤/ ٤١٤: "فعلُ الجميل وسخطك المتوقع"، وهذا الشطر- بإجماع المصادر- هو الشطر الثاني لبيت آخر لم يرد في الإحاطة.

(٤) في أعمال الأعمال- القسم الثالث، ص ٢٦٢: "تَكْبُو الجياد"، وكذلك في الحلل الموشية، ص ١٢٧، وفي جيش التوشيح، ٢٥٤.

(٥) في أعمال الأعمال- القسم الثالث، ص ٢٦٢: "حُرٍّ"، وكذلك في جيش التوشيح، ٢٥٤.

(٦) ما بين الحاصرتين من الحلل الموشية، ص ١٢٨، وكذلك من مقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. واقي)، ٢/ ٦٨٣، وهي أنسب للمعنى والسياق، وجاءت في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦٢، وفي جيش التوشيح، ص ٢٥٤: "تَزَعَّمْتُمْ"، والمعنى بينهما قريب، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١٤: "قَرَعْتُم"، ولم أجد لها وجهًا.

(٧) في الحلل الموشية، ص ١٢٨: "أساود".

(٨) ما بين الحاصرتين من مقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. واقي)، ٢/ ٦٨٤، والخَفِيَّةُ: الغَيْضَةُ المُلْتَفَّة، والجمع: خفايا. بينما جاءت في الإحاطة، ٤/ ٤١٤: "حَفِيَّة" بالحاء المهملة، ولا معنى لها، وجاءت في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦٢: "حقيقة"، وكذلك في جيش التوشيح، ص ٢٥٤، ولعلها أقرب للسياق، وجاءت في الحلل الموشية، ص ١٢٨: "خيفة"، ولم أجد لها وجهًا مناسبًا.

(٩) هذا الشطر جاء في الحلل الموشية، ص ١٢٨: "لو نال سيدكم بظلم لم يكن".

(١٠) في الحلل الموشية، ص ١٢٨: "لكل عظيمة"، وفي مقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. واقي)، ٢/ ٦٨٤: "لكل كريهة"

(١١) ما بين الحاصرتين من الحلل الموشية، ص ١٢٨، ومن مقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة بتحقيق: د. واقي)، ٢/ ٦٨٤. وهي أنسب للمعنى والسياق، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق:

إِنْسَانُ عَيْنٍ[1] لَمْ [يَصُنْهُ][2] مِنْكُمُ ... لَكُمُ الْتِفَاتٌ نَحْوَهُ وَتَجَمُّعُ؟

تِلْكَ الَّتِي جَرَتْ عَلَيْكُمْ خُطَّةً ... شَنْعَاءَ وَهْيَ عَلَى رِجَالٍ أَشْنَعُ

أَوَ مَا لِيُوسُفَ جَدِّهِ[3] مِنَنٌ[4] عَلَى ... كُلٍّ وَفَضْلٌ سَابِقٌ لاَ [يُدْفَعُ][5]؟

أَوَ مَا لِوَالِدِهِ عَلِيٍّ[6] نِعْمَةٌ ... وَبِكُلِّ جِيدٍ رِبْقَةٌ لاَ تُخْلَعُ؟

وَلَكُمْ بِمَجْلِسِ تَاشُفِينَ كَرَامَةٌ ... وَشَفِيعُكُمْ فِيمَا يَشَاءُ مُشَفَّعُ

أَلَا رَعَيْتُمْ ذَاكَ وَأَحْسَابَكُمْ ... وَأَنِفْتُمُ مِنْ قَالَةٍ تُسْتَشْنَعُ[7]

أَبَطَأْتُمُ عَنْ تَاشُفِينَ وَلَمْ يَزَلْ ... إِحْسَانُهُ لِجَمِيعِكُمْ يَتَسَرَّعُ

رُدَّتْ مَكَارِمُهُ لَكُمْ وَتَوَطَّأَتْ ... أَكْنَافُهُ إِنَّ الْكَرِيمَ سَمَيْدَعُ[1]

عنان)، ٤/ ٤١٤: "تُسْتَطْلَعُ"، وفي أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦٢، وفي جيش التوشيح، ص ٢٥٤: "يَتَطَلَّعُ".

(١) إنسان العين: ناظرها أو سوادها، وأشرف ما في العين إنسانها، لأن حسن النظر إنما هو به، وهذا التعبير كناية عن شرف الأمير تاشفين ومكانته العالية وأهميته، فكما أن أشرف ما في العيون سوادها، فكذلك الأمير تاشفين بالنسبة لمَن حوله، فابن الصيرفي في هذا البيت يشبه الأمير تاشفين ببؤبؤ العين أو سوادها وبقية الجيش من حوله بالجفون التي تحمي العين وتحفظها مما يضر بها، كما شبهه في الشطر الثاني بالقلب الذي تحميه الضلوع، لكن الجفون-كما عبر الشاعر- لم تَصُن العين، وكذلك الضلوع أسلمت القلب ولم تَحْمِهِ.

(٢) ما بين الحاصرتين ورد في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦٣، وفي جيش التوشيح، ص ٢٥٤، وفي الحلل الموشية، ص ١٢٨، وهو أنسب للمعنى والسياق كما جاء في الحاشية السابقة، بينما جاء في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١٤: "يُصِبْهُ"، وكذلك في مقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. وافي)، ٢/ ٦٨٣.

(٣) يقصد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مؤسس الدولة المرابطية.

(٤) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦٣: "مَنٌّ" وكذلك في جيش التوشيح، ص ٢٥٤، وفي الحلل الموشية، ص ١٢٨.

(٥) ما بين الحاصرتين ورد في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦٣، وفي جيش التوشيح، ص ٢٥٤، وفي الحلل الموشية، ص ١٢٨، وهو أنسب للمعنى والسياق، بينما جاء في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١٤: "يُرْفَعُ".

(٦) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦٣: "عَلَيْكُم" وكذلك في جيش التوشيح، ص ٢٥٤، و"عَلِيٌّ" هنا هو أمير المسلمين عليّ بن يوسف بن تاشفين.

(٧) هذا البيت والذي قبله تنفرد بهما الإحاطة، ولم يردا في المصادر الأخرى.

خَافَ الْعِدَا - لَكِنْ عَلَيْكُمْ - مُشْفِقًا(٢)   فَهَجَعْتُمُ(٣) وَجُفُونُهُ لاَ تَهْجَعُ

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُ مَعَ(٤) بِنِّهِ   أَدْرَى [وَأَشْهَمُ](٥) فِي الْخُطُوبِ(٦) وَأَضْلَعُ

وَلَقَدْ عَفَا وَالْعَفْوُ(٧) مِنْهُ سَجِيَّةٌ   وَلِسَطْوَةٍ لَوْ شَاءَ فِيكُمْ مَوْضِعُ(٨)

يَا تَاشُفِينُ أَقِمْ لِجَيْشِكَ عُذْرَهُ(٩)   [بِاللَّيْلِ](١٠) وَالْقَدَرِ(١١) الَّذِي لاَ يُدْفَعُ

هَجَمَ الْعَدُوُّ دُجًى فَرَوَّعَ مُقْبِلاً   وَمَضَى [يُهَيْنِمُ](١٢) وَهْوَ مِنْكَ مُرَوَّعُ

---

(١) هذا البيت تنفرد به الإحاطة دون بقية المصادر الأخرى، والسَّمَيْدَعُ: بالفتح: الكريم، السَّيِّدُ، الجميل، الجسيم، المُوَطَّأُ الأكناف، والأكنافُ النواحي، وقيل: هو الشُّجاعُ، وقيل: الرئيس، ولا تقل السُّمَيْدَعُ، بضم السين، وإن كان البعض يضمها على ندرة، ويقال للرجل الخفيف السريع في حوائجه سَمَيْدَعٌ، والجمع: سَمادِع، وسمادِعَة.

(٢) في الحلل الموشية، ص ١٢٨: "مشفق".

(٣) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦٣، وفي جيش التوشيح، ص ٢٥٤: "بحقوقكم".

(٤) في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦٣، وفي جيش التوشيح، ص ٢٥٤: "مِنْ".

(٥) ما بين الحاصرتين جاء في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦٣، وفي جيش التوشيح، ص ٢٥٤، وفي الحلل الموشية، ص ١٢٩، وهي أوفق للمعنى والسياق، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١٤: "وأشهر"، وهي جائزة أيضًا.

(٦) في الحلل الموشية، ص ١٢٩: "في الحروب".

(٧) في الحلل الموشية، ص ١٢٩: "وكان العفو"، لكنها لا تستقيم مع وزن البيت، وما ورد في المصادر الأخرى بدون (كان) أصح وأولى.

(٨) الشطر الثاني من هذا البيت يتوافق مع بيت آخر أورده ابن خلدون في مقدمته (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. وافي)، (٢/ ٦٨٣)، يقول فيه ابن الصيرفي:

وَصَدَدْتُمُ عَنْ تَاشُفِينَ وَإِنَّهُ   لِعِقَابِهِ لَوْ شَاءَ فِيكُمْ مَوْضِعُ

(٩) جاء هذا الشطر في أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦٣، وفي جيش التوشيح، ص ٢٥٥: "يا تاشفين لهم بجيشك غدرة".

(١٠) ما بين الحاصرتين من أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦٣، وجيش التوشيح، ص ٢٥٤، والحلل الموشية، ص ١٢٩، ومقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. وافي)، ٢/ ٦٨٤، وهو أنسب للمعنى والسياق، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١٤: "فالليل".

(١١) في مقدمة ابن خلدون (طبعة دار نهضة مصر بتحقيق: د. وافي)، ٢/ ٦٨٤: "والعذر".

(١٢) ما بين الحاصرتين من أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٦٣، وجيش التوشيح، ص ٢٥٥، ومعنى يُهَيْنِمُ: تكلَّم وأخفى كلامَه، وجاءت في الحلل الموشية، ص ١٢٩: "يُهَمْهِمُ"، وهي بنفس

لاَ يَزْدَهِي[1] إِلَّا سِوَاكَ بِهَا وَلاَ ... إِلَّا لِغَيْرِكَ بِالشِّنَانِ[2] يُقَعْقَعُ

لَمَّا سَدَدتَ لَهُ الثَّنِيَّةَ[3] لَمْ يَكُنْ ... إِلَّا عَلَى ظَهْرِ الْمَنِيَّةِ مَهْيَعُ[4]

[وَكَذَاكُمُ][5] لِلْعِيرِ إِقْدَامٌ عَلَى ... أُسْدِ الْعَرِينِ الْوُرْدِ مِمَّا يَجْزَعُ

وَلَقَدْ تَقَفَّاهَا الزُّبَيْرُ[6] وَقَدْ نَجَتْ ... إِلَّا فُلُولاً [نَالَ مِنْهَا][7] الْمَصْرَعُ

وَغَدَا يُعَاقِبُ وَالنُّفُوسُ حَمِيَّةٌ ... وَالسُّمْرُ[8] هِيمٌ وَالصَّوَارِمُ[9] جُوَّعُ

أَعْطِشْ سِلاَحَكَ ثُمَّ أَوْرِدْهَا الْوَغَى ... كَيْمَا يَلَذُّ لَهَا وَيَصْفُو الْمَشْرَعُ[10]

المعنى تقريبًا؛ يقال هَمْهَمَ الرَّجُلُ: أي تَكَلَّمَ كَلاَمًا خَفِيًّا يُسْمَعُ وَلا يُفْهَمُ مَغْزَاهُ، والهَمْهَمة: صوت الصَّدْر من الهمّ والحَزَن. بينما جاءت في الإحاطة، ٤/ ٤١٥: "يَهِيمُ"، ولا يستقيم هذا الفعل مع وزن البيت.

(١) اِزْدَهَى بِهِ: اِسْتَخَفَّ.

(٢) جاءت في الإحاطة، ٤/ ٤١٥: "السنان"، وهي تصحيف ظاهر، فقد جاء في المثل المشهور: فلانٌ لا يُقَعْقَعُ له بالشِّنَانِ: القَعْقَعَة: تحريك الشيء اليابِسِ الصُّلْب مع صوتٍ مثل السلاَح وغيره، والشِّنَان: جمع شَنٍّ، وهو القِرْبَة البالية، وهم يحركونها إذا أرادوا حَثَّ الإبل على السير لتَفْزَعَ فتُسْرِعَ، وهو مثل يُضرب للرجل الشرس الصعب لا يُهدَّد ولا يفزع، وقيل: أي لا يُذَلُّ ولا يُخدَعُ ولا يُخَوَّفُ، وقالوا رَجُلٌ لاَ يُقَعْقَعُ لَهُ بِالشِّنَانِ: لاَ يُخْدَعُ وَلاَ يُرَوَّعُ.

(٣) الثَّنِيَّة: جمع ثَنِيَّات وثَنَايا، ومن معانيها: الطريق في الجبل.

(٤) المَهْيَعُ: الطَّرِيقُ البَيِّنُ الواسع المنبسط.

(٥) ما بين الحاصرتين يقتضيها وزن البيت، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١٥: "وكذاكَ"، وبها ينكسر وزن البيت، والعِيرُ: ما جُلِبَ عليه الطَّعامُ من قوافل الإبل والبغالِ والحميرِ.

(٦) الزبير: هو القائد المرابطي المعروف أبو محمد الزبير بن عمر اللمتوني الملقب بالرئيس، وقد سبقت ترجمته.

(٧) ما بين الحاصرتين يقتضيها السياق والمعنى، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١٥: "وإنَّ منه"، وهي لا تستقيم مع وزن البيت ولا تركيبه ولا معناه.

(٨) السُّمْرُ جمع الأَسْمَرُ: وهي الرِّمَاحُ.

(٩) الصوارم: السيوف الماضية أو القاطعة.

(١٠) مشرع الماء أو مَشْرَعةُ الماء: مَوْرِدُ الشاربةِ التي يَشْرَعُها الناس فيشربون منها ويَسْتَقُونَ، يقال: شَرَعَ الوارِدُ: تناول الماءَ بِفِيه، وشَرَعَتِ الدوابُّ في الماء: أي دخلت، والشَّرِيعةُ والشِّراعُ والمَشْرَعةُ: المواضعُ التي يُنْحَدر إلى الماء منها.

كَمْ وَقْعَةٍ لَكَ فِي دِيَارِهِمُ انْثَنَتْ ... عَنْهَا أَعِزَّتُهَا تَذِلُّ وَتَخْضَعُ!

نِعْمَةُ الْعُظْمَى سَلاَمَتُكَ الَّتِي ... فِيهَا مِنَ الظَّفَرِ الرِّضَا وَالْمَقْنَعُ

كَلَّا أَهْنَى لاَ أَخُصُّ بِصُنْعِهِ[1] ... فَإِذَا بِهِ حَرٌّ[2] الْجَوَانِحِ يَنْقَعُ

سَادَتْ تَكُونُ وَلَوْ إِذَا لَتَزَلْزَلَتْ ... [مِنْهَا][3] الْبَسِيطَةُ وَالْجِبَالُ الْخُشَّعُ

سَوَتْ بِأَنْدَلُسٍ عِقَابٌ لَمْ تَدَعْ ... فِيهَا لِذِكْرِ اللهِ [صَوْتًا][4] يُرْفَعُ][5]

لا ضَيَّعَ الرَّحْمَنُ سَعْيَكَ إِنَّهُ ... سَعْيٌ بِهِ الإِسْلاَمُ لَيْسَ يُضَيَّعُ

نَسْتَخْفِظُ[6] الرَّحْمَنَ مِنْكَ وَدِيعَةً ... فَهُوَ الْحَفِيظُ لِكُلِّ مَا يُسْتَوْدَعُ

[الْقَائِدُ يَحْيَى بْنُ عَلِيِّ بْنُ غَانِيَةٍ وَأَعْمَالُهُ فِي شَرْقِ الأَنْدَلُسِ]:

"قَالَ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الأَنْصَارِيُّ: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ (٥٢٨ هـ/ ١١٣٣ م) خَرَجَ يَحْيَى بْنُ عَلِيِّ بْنُ غَانِيَةَ[7] عَامِلُ بَلَنْسِيَةَ وَمُرْسِيَةَ إِلَى حِمَايَةِ الزَّرْعِ بِالثَّغْرِ وَبَثَّ

---

(١) في الحلل الموشية، ص ١٢٩: "بنعمة".

(٢) في الحلل الموشية، ص ١٢٩: "غل".

(٣) ما بين الحاصرتين من الحلل الموشية، ص ١٢٩، وهي أقرب للمعنى والسياق، بينما جاءت في جيش التوشيح، ص ٢٥٥: "عنها".

(٤) ما بين الحاصرتين من الحلل الموشية، ص ١٢٩، بينما جاءت في جيش التوشيح، ص ٢٥٥: "صوت"، وهي لا تستقيم مع الموقع الإعرابي للكلمة.

(٥) هذا البيت والبيتان السابقان زيادة من جيش التوشيح، ص ٢٥٥، والحلل الموشية، ص ١٢٩.

(٦) في الحلل الموشية، ص ١٢٩: "نستودع".

(٧) هو أبو زكريا يحيي بن علي بن غانية المسوفي الصحراوي، وغانية اسم أمه، وقد تزوج عامل قرطبة أبو عبد الله محمد بن الحاج من أمه غانية هذه بعد موت أبيه وكفله، فنشأ يحيي في كنفه وولاه مدينة إستجة، فكانت أول ولاية له، ثم رغب يدرّ بن ورقاء صاحب بلنسية إلى أمير المسلمين عليّ بن يوسف في توجيه يحيي إليه ليستعين به على العدو لما اشتهر من بسالته وغنائه فأجيب إلى ذلك، ووصل يحيي إلى بلنسية وأقام بها، ويبدو أن يدرّ بن ورقاء أسند إليه عمل مرسية من قبله في سنة ٥١١ هـ/ ١١١٧ م، فلما توفي يدرّ بن ورقاء في سنة ٥٢٤ هـ/ ١١٢٩ م ضم عليّ بن يوسف عمل بلنسية مع عمل مرسية إلى يحيي بن علي بن غانية، وبذلك أصبح شرق الأندلس كله تحت نظره، فظهر غناؤه وذاع صيته، خاصة بعد هزيمته لابن رذمير (ألفونسو الأول/ المحارب) في إفراغة سنة ٥٢٨ هـ/ ١١٣٣ م كما مرَّ معنا، كذلك كان له بلاء عظيم في مدافعة النصارى عن مدينة الأشبونة (لشبونة) بغرب الأندلس، ثم ولاه الأمير تاشفين بن عليّ ولاية قرطبة سنة ٥٣٨ هـ/ ١١٤٣ م، فاستقامت أحوال الأندلس بحسن سيرته حتى

الطَّلَائِعِ أَثْنَاءَ ذَلِكَ، فَانْتَهَى إِلَيْهِ تَقَدُّمُ الْعَدُوِّ يَرُومُ الضَّرْبَ عَلَى بِلَادِ الإِسْلَامِ، فَأَخَذَ فِي أَثَرِهِمْ حَتَّى لَحِقَهُمْ، فَاسْتَأْصَلَهُمُ اللهُ، وَاسْتَنْقَذَ الأَسْرَى، وَصَرَفَ السَّيِّقَةَ(١)..."(٢).

[شِعْرُ ابْنِ الصَّيْرَفِيِّ فِي هَلَاكِ ابْنِ رُدْمِيرِ (أَلْفُونْسُو الأَوَّل/ المُحَارِب)]:

[وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ (٥٢٨ هـ/ ١١٣٤ م) خَرَجَ الْعَدُوُّ ابْنُ رُدْمِيرِ بِشَرْقِ الأَنْدَلُسِ فَكَسَرَهُ جَيْشُ ابْنِ غَانِيَةَ صَاحِبِ مُرْسِيَةَ، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ إِلَّا بَشَرٌ يَسِيرٌ، وَصَدَرَ ابْنُ غَانِيَةَ ظَافِرًا بِالْغَنَائِمِ، وَأَمَّا الطَّاغِيَةُ فَبَقِيَ أَيَّامًا، وَمَاتَ مِنْ مَرَضٍ أَصَابَهُ](٣).

قَالَ [ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ](٤): أَنْشَدْتُ الأَمِيرَ تَاشُفِينَ فِي هَلَاكِ ابْنِ رُدْمِيرِ(٥):[بحر البسيط]

أَشْكُو الْغَلِيلَ بِحَيْثُ الْمَشْرَبُ الْخَضِرُ ... حَسْبِي وَإِلَّا فَوِرْدٌ مَا لَهُ صَدَرُ
تَجَهَّمَتْ لِي وُجُوهُ الصَّبْرِ مُنْكِرَةً ... وَلَاحَظَتْنِي عُيُونٌ حَشْوُهَا حَذَرُ
إِنِّي لأَجْزَعُ مِنْ ذَاكَ الْوَعِيدِ وَفِي ... مَلْقَى الأَسِنَّةِ مِنَّا مَعْشَرٌ صُبُرُ
فَلْتَ سِلَاحِي اللَّيَالِي أَيُّ ظَالِمَةٍ ... وَلَوْ أَعَادَتْ شَبَابِي كُنْتُ أَنْتَصِرُ

صفر من عام ٥٣٩ هـ/ ١١٤٤ م حينما قامت ثورة ابن قسيّ بغرب الأندلس ضد المرابطين، ثم ثورة ابن حمدين بقرطبة، وكان يحيي قد توجه إلى لبلة لإخماد ثورة ابن قسيّ حينما بلغته أنباء ثورة ابن حمدين بقرطبة، فكرَّ راجعًا إلى إشبيلية ، فثار به أهلها وناصبوه الحرب، فلجأ إلى حصن برجانة، ثم تحرك إلى حرب ابن حمدين، وانتصر عليه واستولى على قرطبة من يده في شعبان سنة ٥٤٠ هـ/ ١١٤٥ م، ولكن ابن حمدين استغاث بملك قشتالة وأطمعه في دخول قرطبة، وأبلى ابن غانية في دفاع النصارى أعظم البلاء، ورغم ذلك فقد نجح الملك القشتالي في دخول قرطبة، لكن عندما بلغته أنباء استفحال أمر الموحدين بالعدوة المغربية، رأى أن من حسن الرأي والسياسة أن يهادن ابن غانية حتى يكون سدًا بينه وبين الموحدين، واستقر يحيي بقرطبة، وتنقل بعدها بين شتى قواعد الأندلس حتى لجأ أخيرًا إلى غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس، فأقام بها شهرين ثم توفي في ١٤ من شعبان سنة ٥٤٣ هـ/ ديسمبر سنة ١١٤٨ م. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٣٤٤-٣٤٧. ابن القطان: نظم الجمان، ص ٢٤٥، حاشية رقم ٤.

(١) السَّيِّقَة: ما يُساقُ من الدوابّ، وقيل: ما استاقَهُ العدوُّ من الدوابّ.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ٤/ ٩١.

(٣) ما بين الحاصرتين من البيان المغرب، ٤/ ٩٣.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة للتوضيح.

(٥) انظر: الإحاطة لابن الخطيب (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤٠٧-٤١٠.

مُشَيِّعًا كُنتُ مَا اسْتَصْحَبْتُ مِنْ أَمَلٍ كَمَا يُشَيِّعُ سَهْمَ النَّازِعِ الْوَتَرُ
فَهَا أَنَا وَعَزِيزٌ فِيَّ نَامِسَةٍ تَسْوَدُّ فِي عَيْنِهِ الأَوْضَاحُ وَالْغُرَرُ
يَا حَيِّ عُذْرَةَ فُتْيَاكُمْ بِنَازِلَةٍ لَمْ تَنْفَصِلْ يَمَنٌ عَنْهَا وَلاَ مُضَرُ
مَا الْحُكْمُ عِنْدَكُمُ إِذْ نَحْنُ فِي حَرَمٍ عَلَى جِنَايَةِ رَامٍ سَهْمُهُ النَّظَرُ
أَرْعَانِيَ الشُّهْبَ فِي أَحْشَاءِ لَيْلَتِهَا حَمْلٌ مِنَ الصُّبْحِ أَرْجُوهُ وَأَنْتَظِرُ
يَفْتَرُّ عَنْ بَرَدٍ مِنْ حَوْلِهِ لَهَبٌ أَوْ عَنْ نَبَاتِ أَقَاحٍ[1] أَرْضُهُ سَقَرُ
وَبَيْنَ أَجْفَانِهِ [نَهْفٌ][2] الأَمِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ تَاشُفِينَ أَوْ هُوَ الْقَدَرُ
سَيْفٌ بِهِ ثُلَّ عَرْشُ الرُّومِ وَاطَّادَتْ[3] قَوَاعِدُ الْمُلْكِ وَاسْتَوْلَى بِهِ الظَّفَرُ
وَأَدْرَكَ الدِّينَ بِالثَّأْرِ الْمُنِيمِ[4] عَلَى رُغْمٍ وَجَاءَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَعْتَذِرُ
مُنًى تُنَالُ وَأَيَّامٌ مُفَضَّضَةٌ مُذَهَّبَاتُ الْعَشَايَا لَيْلُهَا سَحَرُ
وَفِي الذُّؤَابَةِ مِنْ صَنْهَاجَةٍ مَلِكٌ أَغَرُّ أَبْلَجُ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ
مُؤَيَّدٌ مِنْ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ لَهُ هَوًى وَرَأْيٌ وَمِنْ سِيرٍ لَهُ سِيَرُ
أَنْحَى عَلَى الْجَوْرِ يَمْحُو رَسْمَ أَحْرُفِهِ حَتَّى اسْتَجَارَ بِأَحْدَاقِ الْمَهَا الْحَوَرُ
يَا تَاشُفِينُ أَمَا تَنْفَكُّ بَادِرَةٌ مِنْ رَاحَتَيْكَ الْمَنَايَا الْحُمْرُ تَبْتَدِرُ
وَكَمْ تَرَنَّحَ فِي رَوْضٍ جَدَاوِلُهُ بِيضُ السُّيُوفِ وَمُلْتَفُّ [الْقَنَا][5] شَجَرُ
هِيَ التَّرَائِكُ[1] فَوْقَ الْهَامِ لاَ حَبَبٌ وَالسَّابِغَاتُ[2] عَلَى الأَعْطَافِ لاَ الْقُدُرُ

---

(١) أقاح: واحدها أقحوانة، وهو نبات له زهر أبيض في وسطه كتلة صغيرة صفراء، يَنْبُتُ بَرِّيًّا وَيَكْثُرُ فِي المُرُوجِ.

(٢) ما بين الحاصرتين تقتضيها اللغة والسياق، إذ جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤٠٨: "نهيف"، وهو مصدر غير صحيح، فالفعل: (نَهَفَ) مصدره: (نَهْفًا) لا (نهيفًا)، والنَّهْفُ: هو التَّحَيُّرُ.

(٣) اطَّادَت: توطدت.

(٤) الثَّأْرُ المُنِيمُ: الذي إذا أصابه الطالبُ رضيَ به فهدأ ونام بعده، أو الذي إذا أدركه الرجلُ شفاه وأقنعه فنامَ، وقيل: هو الذي يكونُ كُفُؤًا لِدَمِ وَلِيِّك. ويقال: أدركَ فلانٌ ثأرًا مُنِيمًا إذا قتلَ نَبِيلاً فيه وفاءٌ لِطِلْبَتِه.

(٥) ما بين الحاصرتين يقتضيها وزن البيت والسياق أيضًا، إذ جاءت في الإحاطة، ٤/ ٤٠٨: "للقنا" وبها ينكسر وزن البيت.

لَكَ الكَتَائِبُ مِلْءُ البِيدِ غَازِيَةً ... إذَا أتَتْ زُمَرٌ مِنْهَا مَضَتْ زُمَرُ

عَلَى [سَنَابِكِهَا](3) لِلنَّقْعِ أرْدِيَةٌ ... مِنْ تَحْتِهَا حِلَقٌ مِنْ تَحْتِهَا زُبَرُ

تَدُبُّ مِنْهَا إلَى الأعْدَاءِ سَابِلَةٌ ... عَقَارِبٌ مَا لَهَا إلَّا القَنَا إبَرُ

بَعَثْتَهَا أُسُداً شَتَّى إذَا مَرَجَتْ ... جِنُّ الوَغَى انْقَضَّ مِنْهَا أنْجُمٌ زُهُرُ

يَا أيُّهَا المَلِكُ الأعْلَى الَّذِي سَجَدَتْ ... لِسَيْفِهِ الهَامُ فِي الهَيْجَاءِ وَالقَصَرُ

أعِزْ حِرَارَ ضُلُوعِي بَرْدَ مَا نَهَلَتْ ... خَيْلُ الزُّبَيْرِ وَنَارُ الحَرْبِ تَسْتَعِرُ

حَيْثُ الغُبَارُ دُخَانٌ وَالظُّبَا لَهَبٌ ... [وَلِلأسِنَّةِ](4) فِي هَامِ العِدَا شَرَرُ

وَالنَّقْعُ يَطْفُو وَبِيضُ الهِنْدِ رَاسِبَةٌ ... إنَّ الصَّوَاعِقَ يَوْمَ الغَيْمِ تَنْكَدِرُ

أعْطَى الزُّبَيْرُ فَتَى العَلْيَاءِ صَارِمَهُ ... لَكِنْ بِسَعْدِكَ مَا لَمْ يُعْطِهِ عُمَرُ

وَلَّتْهُ أظْهُرَهَا الأبْطَالُ خَاضِعَةً ... تَكْبُو وَتَصْفَعُهَا الهِنْدِيَّةُ البُتُرُ

بَحْرٌ مِنَ [الحَلَقِ](5) المَسْرُودِ مُلْتَطِمٌ ... يَسِيلُ مِنْ كُلِّ سَيْفٍ نَحْوَهُ [نَهَرُ](1)

---

(1) الترائك: جمع تريكة، وهي بيضة الحديد (أو الخوذة ناصعة البياض) تُلْبَس في الحرب.

(2) السابغات: هي التوامُّ الكوامل من الدروع التي تُلْبَس في الحرب، وقيل: الدروع الواسعة الطويلة الواقية، ومنها قول الله تعالى: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾.

(3) ما بين الحاصرتين رجحه الأستاذ محمد بن تاويت، وهو ما يقتضيه السياق والمعنى، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤٠٨: "ساكبها"، ولا معنى لها هنا. انظر: محمد بن تاويت: كتاب الإحاطة لابن الخطيب (القسم الأخير)- مجلة المناهل- العدد ٢٦- السنة العاشرة، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م، ص ١١٨.

(4) ما بين الحاصرتين يستقيم بها وزن البيت، وكذلك المعنى، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤٠٩: "والأسنة"، وبها ينكسر وزن البيت ولا يستقيم المعنى.

(5) ما بين الحاصرتين تقتضيها اللغة والسياق، إذ جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤٠٩: "الخلق" بالخاء المعجمة، وهو تصحيف ظاهر، إذ لا تتناسب مع الوصف (المسرود) الآتي بعدُ، فالمسرود وصف للحَلَقِ وهي الدروع، وسَرَد الدِّرعَ: نسجها فشكَّ طرَفَيْ كلِّ حلقتين وسمَّرهما، ومنه قوله تعالى: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾، والسَّرْد: نَسْجُ الدِّرْعِ وهو تَداخُلُ الحلقِ بعضها في بعض. والسَّرْد: اسمٌ جامعٌ للدُّروع وسائِرِ الحَلَق وما أشبهَها، وسُمِّيَ سَرْداً لأنه يُسْرَد فيُثْقَب طَرَفا كُلِّ حَلْقَة بالمِسْمَار فذلك الحَلَق المُسَرَّدُ. والمِسْرَدُ هو المِثْقَب وهو السِّرَاد بالكسر. وقوله عز وجل: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ قيل: هو ألاَّ يَجْعَل المِسْمَارَ غليظاً والثُّقْبَ دَقِيقًا

أَمْ [الزُّبَيْرُ](2) ابْنُ رُذْمِيرٍ بِدَاهِيَةٍ ... عَضَّتْ وَمَسَّكَ مِنْ أَظْفَارِهِ ظُفُرُ(3)

لَقَدْ نَفَخْتَ مِنَ التِّيجَانِ فِي محمٍ(4) ... وَأَيْنَ مِنْ فَتَكَاتِ الضَّيْغَمِ(5) النَّمِرُ؟!

لَقَدْ نَجَوْتَ طَلِيقَ الرَّكْضِ فِي وَهَنٍ ... مِنَ الأَسِنَّةِ حَتَّى جَاءَكَ الْقَدَرُ

خَلَعْتَ دِرْعًا وَاعْتَضْتَ الظَّلَامَ بِهَا ... وَخَاضَ بَحْرَ الْوَغَى مَرْكُوبُكَ الْخَطِرُ

ومنها(6):

مَا بَالُ إِنْجِيلِكَ الْمَتْرُوكِ مَا ذَمَرَتْ(7) ... نُفُوسَ قَوْمِكَ مِنْهُ الآيُ وَالسُّوَرُ؟!

أَهْدَيْتَهَا غَيْرَ مَشْكُورٍ مُضَمَّرَةً ... مِلْءَ الأَعِنَّةِ مِنْهَا الزَّهْوُ وَالأَشَرُ

وَظَلَّ طِفْلٌ مِنَ الْبُولَادِ دَانِيَةً(8) ... سُمْرًا تُرَضِّعُهُ اللَّبَّاتُ وَالثُّغَرُ

وَعَابِسٌ [لِلْمَنَايَا](9) وَهْيَ ضَاحِكَةٌ ... مِنْ خَدِّهِ بِثُغُورٍ زَانَهَا أَشَرُ

وَكُلُّ حَارِسَةٍ فِي الرَّوْعِ لَابِسُهَا ... مَنْسُوجَةٌ مِنْ عُيُونٍ مَا لَهَا نَظَرُ

فيفْصِمَ الحَلَق ولا يَجْعَل المسمارَ دَقيقًا والثقبَ واسِعًا فيتَقَلْقَل أو يَنْخَلِع أو يَتَقَصَّف اجعَلْه على القَصْد وقَدْرِ الحاجة.

(1) ما بين الحاصرتين يقتضيها السياق، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، 4/ 409: "نَصْرُ".

(2) ما بين الحاصرتين يقتضيها السياق ووزن البيت؛ فالقائد المرابطي المعروف الذي يمدحه ابنُ الصيرفي هنا هو الزبير بن عمر اللمتوني الذي سبقت لنا ترجمته، ولا نعرف له ابنًا قائدًا في زمن المرابطين، بالإضافة إلى أن وزن البيت ينكسر مع وجود لفظة (ابن).

(3) الظُّفْرُ: بضم الظاء وسكون الفاء ضَرْبٌ من العِطْرِ أَسْوَدُ مُقْتَلَفٌ من أصلِه على شَكْلِ ظُفُر الإنسانِ يُوضَعُ في الدُّخْنَةِ والجمعُ أَظْفَارٌ وأَظَافِيرُ، وقيل: أَظْفَارُ الطِّيب أقطاعٌ تُشْبِه الأَظْفَارَ عَطِرَةُ الرَّائحةِ، وظَفَّرَ به ثَوبَهُ تَظْفِيرًا: طَيَّبَهُ بالظُّفْرِ.

(4) كلمة "محم": لم نقف على أصلها ولا معناها، ولعل تصحيفًا أصابها.

(5) الضَّيْغَم: جمع الضَّيَاغِمُ والضَّيَاغِمَة: أسدٌ واسع الشِّدق شديد العَضِّ.

(6) يبدو من سياق الأبيات أن الكلام في هذا الجزء من القصيدة موجهٌ لابن رذمير (ألفونسو الأول/ المحارب).

(7) ذمَرَ يَذْمُرُ ذَمْرًا: لامَ وحَضَّ وحَثَّ وشجَّع، والمعنى: لماذا لم تقم الآيات والسور في إنجيلك بدورها في تقوية نفوس قومك وحضِّها وتشجيعها على الصبر في الحروب.

(8) لم نتوصل إلى معنى هذا الشطر.

(9) ما بين الحاصرتين يقتضيها وزن البيت، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، 4/ 409: "المنايا" وبها ينكسر الوزن.

أَعَدْتَ لِلْحَرْبِ إِنْذَارًا سَخَوْتَ بِهَا ... عَلَى الرِّجَالِ الَّتِي مِنْهَا لَهَا وَزَرُ

قَضَتْكَ مِنْ حِمْيَرٍ صِيدٌ[1] غَطَارِفَةٌ[2] ... فَضُّ الزُّجَاجَةِ عوص الدَّهْرِ يَنْحَبِرُ[3]

مُلَثَّمُونَ حَيَاءً كُلَّمَا سَفَرَتْ ... لَهُمْ وُجُوهُ الْمَنَايَا فِي الْوَغَى سَفَرُوا

جَادُوا بِطَعْنٍ كَأَشْمَاعِ الْمَحَاصِ[4] إِلَى ... ضَرْبٍ كَمَا فَغَرَتْ أَفْوَاهَهَا الْحُمُرُ

وَحُذْتَ عَنْهَا مُحَيًّا مُرَوَّعَةٍ ... [قَضَتْ][5] بِمَا مجَّ فِي أَحْشَائِكَ الذُّعُرُ

فَرَّتْ إِلَى حَتْفِهَا مِنْ حَتْفِهَا فَمَضَتْ ... وَالْمَوْتُ يَطْرُدُهَا وَالْمَوْتُ يَنْتَظِرُ

قَالُوا نَجَا [بِذَمَاءِ][6] النَّفْسِ مِنْكَ فَمَا ... نَجَا وَقَدْ بَقَرَتْهُ الْحَيَّةُ الذَّكَرُ

تَوَزَّعَتْ نَفْسًا عَلَى حَشِيَّتِهَا ... [مَنْ][7] لِلْوَسَاوِسِ يَحْدُو جَيْشَهَا السَّهَرُ؟

نَصْرٌ عَزِيزٌ وَفَتْحٌ لَيْسَ يَعْدِلُهُ ... فَتْحٌ وَللهِ فِيهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ

فَاهْنَأْ بِهِ ابْنَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَدُمْ ... لِلْمُلْكِ مَا قَامَتِ الآصَالُ وَالْبُكَرُ

---

(١) صِيد بكسر الصاد: جمع أَصْيَدُ، وهو الماهر في الصيد.

(٢) الغطارفة: جمع غِطْرِيف، والغطريف هو السيد الشريف أي صاحب الشأن الرفيع، ويطلق الغطريف على الرجل السخي الكثير الخير، وعليه فالغطارفة هم السادة الكرام ذوو المقام السامي والشأن الرفيع.

(٣) لم نتوصل إلى معنى هذا البيت.

(٤) لم نهتد إلى معناها، ولعل تصحيفًا أصابها.

(٥) ما بين الحاصرتين أنسب للسياق، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤٠٩: "فضت" بالفاء، وهو تصحيف ظاهر؛ إذ لا معنى لها بوجود الفاء.

(٦) ما بين الحاصرتين تقتضيها صحة الكلمة، وكذا وزن البيت؛ فالذَّماءُ بفتح الذال: بقيَّةُ النَّفْسِ، أو بقيَّةُ الرُّوحِ في المَذْبوح، وقيل: الذَّماءُ قوَّةُ القلبِ، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١٠: "بذما" بدون همزة المدّ، ولا تصحُّ، وبها ينكسر وزن البيت.

(٧) ما بين الحاصرتين أضافها د. يوسف علي طويل في تحقيقه للإحاطة (٤/ ٣٥١)؛ ليستقيم وزن البيت، بينما جاءت في الإحاطة، (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١٠: "طنبًا"، وبها ينكسر وزن البيت، ولم نقف على معناها، والبيت كله يكتنفه الغموض.

وَاهْنَأْ بِعِيدِكَ [وَانْحَرْ][1] شَانِئِيكَ بِهِ ... فَإِنَّهَا نُسُكُ الأَسْيَافِ لاَ الْجُزُرُ
جَاوَزْتُ بَحْرَكَ تَغْشَانِي مَوَاهِبُهُ ... [فَمِنْهُ ذَاكَ][2] وَنَظْمِي هَذِهِ الدُّرَرُ

[مَقْتَلُ قَاضِي قُرْطُبَةَ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ خَلَفٍ التُّجِيبِيِّ سَنَةَ ٥٢٩ هـ/ ١١٣٤م]:

[وَفِي سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ][3]، قَالَ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الأَنْصَارِيُّ: "وَقُتِلَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَاضِي قُرْطُبَةَ [مُحَمَّدُ بْنُ][4] أَحْمَدَ بْنِ خَلَفٍ التُّجِيبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، أَكَبَّ رَجُلٌ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، وَهُوَ فِي السَّجْدَةِ الأُولَى مِنْ رَكْعَتَيِ الْجُمُعَةِ، فَضَرَبَهُ بِخِنْجَرٍ، فَصَرَخَ، وَقُطِعَتِ الصَّلاَةُ، وَبُطِشَ بِالضَّارِبِ، وَحُزَّ رَأْسُهُ، فَرُفِعَ فِي عَصًا، وَشَهَرَ رَجُلٌ آخَرُ سَيْفًا فَقُتِلَ بِهِ، وَأُلْحِقَ بِصَاحِبِهِ، وَهَرَجَ النَّاسُ فِي الْجَامِعِ، لاَ يَعْلَمُ أَكْثَرُهُمْ مَا حَدَثَ فِيهِ، ثُمَّ انْزَعَجُوا إِلَى الْمَقْصُورَةِ، فَسُدَّتْ أَبْوَابُهَا وَمُنِعُوا مِنْهَا، وَشَهَرَ الْمُرَابِطُونَ أَسْلِحَتَهُمْ، وَأَخْرَجُوا أَمِيرَهُمْ تَاشُفِينَ عَلَى بَابِ السَّابَاطِ[5]، وَحُمِلَ الْقَاضِي فِي

---

(١) ما بين الحاصرتين يقتضيها المعنى والسياق، ويعززها ما جاء في الشطر الثاني من البيت من مثل كلمة (نسك- والأسياف- والجزر)، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١٠: "وافخر"، ولعل تصحيفًا أصابها.

(٢) ما بين الحاصرتين يقتضيها المعنى والسياق، بينما جاءت في الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ٤/ ٤١٠: "فَمَن بِذَاكَ".

(٣) ما بين الحاصرتين من كلام ابن عذاري أبقيتُ عليه للتوضيح. انظر: البيان المغرب، ٤/ ٩٣.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من عندي لتصحيح اسم القاضي، فقد أجمعت المصادر على أنه: محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم بن لُبّ بن بَيْطَير التجيبي، قاضي الجماعة، الشهيد أبو عبد الله، المعروف بابن الحاج، قُتل ظلمًا بالمسجد الجامع بقرطبة يوم الجمعة وهو ساجد لخمس بقين من صفر سنة تسع وعشرين وخمسمائة، وحُمل إلى داره في نعش، وتوفي أول وقت العصر، ودُفن عشي يوم السبت بمقبرة أم سلمة، وصلى عليه ابنه أبو القاسم، وشهده جمع عظيم من الناس، وأتبعوه ثناءً حسنًا. انظر: فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص ٢٧٠. ابن بشكوال: الصلة (تحقيق: بشار عواد)، ٢/ ٢١٦-٢١٧، الترجمة رقم ١٢٧٨. الضبي: بغية الملتمس، ص ٧٥، الترجمة رقم ٢٥. ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ص ١٢٣-١٢٤/ الترجمة رقم ١٠٢.

(٥) باب الساباط: أحد أبواب المسجد الجامع بقرطبة، ويسمى أيضًا باب الجامع، ويَفتح على ساباط (ممر مسقوف أو سَقيفة بين حائطين أو بين دارين، ومن تحتها طريق نافذ. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سبط) يصل الجامع بقصر الخلافة. قال عنه ابن بشكوال: وهو باب قد

نَعْشٍ، فَقَضَى عِنْدَ الْعَصْرِ، وَالْتَطَخَتْ قُرْطُبَةُ بِمَا لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَيْهِ دِيوَانٌ، وَلاَ بَدَرَ فِي زَمَانٍ، مِنِ اغْتِيَالِ قَاضٍ عَدْلٍ فَقِيهٍ خَيِّرٍ جَامِعٍ لأَعْمَالِ الْبِرِّ، قُتِلَ مَظْلُومًا سَاجِدًا فِي صَلاَةِ الْجُمُعَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مَا كَانَ مِنْ تَحْذِيرِ الْوَالِي خَشْيَتَهُ عَلَى ابْنِ رُشْدٍ، فَكَانَ الأَمْرُ الَّذِي أُصِيبَ هَذَا بِهِ"[1].

[ثَوْرَةُ الْعَامَّةِ بِقُرْطُبَةَ عَلَى الْيَهُودِ سنة ٥٢٩ هـ/ ١١٣٤ م]:

"وَثَارَتِ الْعَامَّةُ أَيْضًا بِقُرْطُبَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ [تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ][2] فِي رَجَبٍ عَلَى الْيَهُودِ – لَعَنَهُمُ اللهُ – بِسَبَبِ قَتْلٍ وُجِدَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَفُتِحَتْ مَنَازِلُهُمْ، وَانْتُهِبَتْ أَمْوَالُهُمْ، وَقُتِلَ نَفَرٌ مِنْهُمْ"[3].

[ثَوْرَةُ السَّفْلَةِ بِإِشْبِيلِيَّةَ عَلَى الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ ابْنِ الْعَرَبِيِّ]:

"وَثَارَتِ السَّفْلَةُ أَيْضًا بِإِشْبِيلِيَّةَ عَلَى قَاضِيهِمْ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ الْعَرَبِيِّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ فِي عِقَابِ الْجُنَاةِ اخْتِرَاعَاتٌ مُهْلِكَاتٌ وَمُضْحِكَاتٌ[4]، فَانْتَدَبَ أَنْفُسًا جَمَّةً صَلْبًا وَضَرْبًا، وَسِيقَ إِلَيْهِ أَحَدُ الزَّمِرَةِ، فَأَمَرَ بِضَرْبِ يَدَيْهِ وَثَقْبِ شِدْقَيْهِ، فَانْبَطَلَتِ الْحِكْمَةُ

كان يدخل منه الخلفاء يوم الجمعة إلى المسجد الجامع على الساباط. انظر: المقري: نفح الطيب، ١/ ٤٦٥.

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ٤/ ٩٣.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة للتوضيح.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٩٣.

(٤) وهذا يؤيده قول ابن بشكوال عنه: "وكانت له في الظالمين سَوْرةٌ مرهوبة...". ابن بشكوال: الصلة (تحقيق: د. بشار عواد معروف)، ٢/ ٢٢٨. وانظر: ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ١/ ٢٦١. وأيضًا قول البُنَّاهي: "وكان من أهل الصرامة في الحق، والشدة والقوة على الظالمين". البُنَّاهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص ١٠٦. وانظر: المقري: نفح الطيب، ٢/ ٢٩. وكذلك قول أبي جعفر ابن الزبير: "والتزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى أوذي في ذلك بذهاب كتبه وماله، فأحسن الصبر على ذلك كله". ورد هذا القول في: تاريخ قضاة الأندلس للبُنَّاهي، ص ١٠٦. وانظر: المقري: نفح الطيب، ٢/ ٢٩-٣٠.

عَلَيْهِ[1]، وَعَثَرَ أَعْوَانُهُ عَلَى حَامِلِ خَمْرٍ لَمْ تُتَمَّ عَلَيْهِ، فَبَاغَتَهُ وَتَحَفَّى بِسُؤَالِهِ وَتَلَمَّسَ طَرِيقًا يُخْرِجُهُ إِلَى ثِقَاتِهِ، فَطَمَسَ ذَلِكَ الرَّجُلُ وَأَبْهَمَ الأَمْرَ، وَقَالَ: عِنْدِي خَادِمٌ رُومِيَّةٌ [.....][2] وَالْخَمْرُ قِوَامُ شَرْعِهَا، فَابْتَعْتُهَا [وَحَمَلْتُهَا][3] لَهَا، ثُمَّ عَثَرَ عَلَيَّ هَؤُلاَءِ[4]، فَأَطْرَقَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ[5] [مَلِيًّا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ][6]، وَقَالَ: (لَعَنَ اللهُ بَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَعَاصِرَهَا وَحَامِلَهَا)[7] [......][8] اللَّعْنَ عَلَيْهَا، فَأَمَرَ بِلَعْنِهِ وَعَرْضِهِ عَلَى الْحَامِلِ، ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ، فَانْطَلَقَ عَلَيْهِ اللَّعْنُ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَمِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ، وَلاَ [......][9] ذَلِكَ أَمَرَّ مِنَ الْعِقَابِ وَأَشَدَّ مِنَ الْعَذَابِ، فَلَمَّا طَالَ عَلَى الرَّجُلِ الأَمْرُ انْتَقَلَ عَنِ الْبَلَدِ[10]، وَظَلَّ ابْنُ الْعَرَبِيِّ يُوَالِي التَّشَدُّدَ وَالتَّسَلُّطَ حَتَّى ثَقُلَ عَلَى الْفُسَّاقِ وَالأَشْرَارِ فَهَاجُوا"[11].

---

(١) جاء في فتاوى البرزلي، ٦/ ٣٤٤: "وكانت له أحكام شديدة، منها أنه أُتِيَ بزامر فنقب أشداقه حتى أفسد أمره". وانظر: المقري: نفح الطيب، ٢/ ٢٩.

(٢) ما بين الحاصرتين جاء في البيان المغرب، (٤/ ٩٤) بياض بمقدار كلمة، وجاء في فتاوى البرزلي، ٦/ ٣٤٤: "جارية نصرانية".

(٣) ما بين الحاصرتين أولى وأنسب للسياق وتتوافق مع المعطوف عليه، بينما جاء في البيان المغرب، ٤/ ٩٤: "وَحَمَلْتُهُ".

(٤) جاء في فتاوى البرزلي، ٦/ ٣٤٤: قال البرزلي: "وأحفظ لابن الصَّيْرَفِيِّ عن ابن العربي أنه كان له شُرَطٌ يطلبون ذلك (أي: يطلبون شارب الخمر)، فأُتِيَ له يومًا برجل بيده كأس بها خمر، فسأله عنها، فألهمه بعض الوزعة إلى أن يقول: إن عنده جارية نصرانية اشتراه لها".

(٥) جاء في فتاوى البرزلي، ٦/ ٣٤٤: "فأطرق القاضي".

(٦) ما بين الحاصرتين زيادة من فتاوى البرزلي، ٦/ ٣٤٤.

(٧) جاء في فتاوى البرزلي، ٦/ ٣٤٤: "وقال: لعن النبي ﷺ في الخمر عشرة: عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري والمشترى له".

(٨) بياض في البيان المغرب، (٤/ ٩٤) بمقدار كلمة، ربما كانت: "فأوجب".

(٩) بياض في البيان المغرب، (٤/ ٩٤) بمقدار كلمة أو أكثر.

(١٠) جاء في فتاوى البرزلي، ٦/ ٣٤٤: "فلعنه القاضي وأمر مَن بحضرته بلعنه، فاستمرت عليه اللعنة في نواحي إشبيلية حتى كانت سبب نفيه منها".

(١١) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٩٣-٩٤. هذا النص يُثْبِتُ- بما لا يدع مجالاً للشك- أن ابن عذاري ينقل كثيرًا عن ابن الصَّيْرَفِيِّ دون أن يذكر مصدره، وأحيانًا كثيرة ينقل صفحات متواليات دون أدنى إشارة للمصدر الذي نقل عنه، ولولا عثورنا على نصٍّ في فتاوى أبي القاسم البرزليّ (ت ٨٤١ هـ/ ١٤٣٨ م) يتفق في معظم ألفاظه مع هذا النص الوارد عند ابن عذاري ما عرفنا أن هذا النص- الوارد عند ابن عذاري- هو لمؤرخنا أبي بكر ابن الصَّيْرَفِيِّ.

قَالَ [ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ][1]: "وَلَهُ مَسَائِلُ فِي الأُضْحِيَةِ، فَأَدَّتْهُ شِدَّتُهُ إِلَى أَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْعَامَّةُ وَنَهَبَتْ دَارَهُ، وَقَالَ: لَوْلاَ أَنِّي تَسَتَّرْتُ بِحَرِيمِي لَكِدتُ أَنْ أَكُونَ كَشَهِيدِ الدَّارِ، يَعْنِي عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ"[2].

[غَزْوَةُ جَبَلِ الْقَصْرِ لِلأَمِيرِ تَاشُفِينَ بْنِ عَلِيٍّ سَنَةَ ٥٣٠ هـ/ ١١٣٥ م][3]:

[4] وَفِي سَنَةِ ثَلاَثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ أَغْزَى تَاشُفِينُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ يُوسُفَ الرُّومَ فِي شَعْبَانَ الْمُكَرَّمِ بَعْدَمَا اسْتَحْضَرَ زُعَمَاءَ الْمُرَابِطِينَ وَنَظَرَ مَا عِنْدَهُمْ فِي لِقَاءِ عَدُوِّهِمْ، فَقَالُوا: الدَّوْلَةُ لَنَا فَإِمَّا تَرْكُهَا أَوْ حِمَايَتُهَا لاَ يَتَقَدَّمُنَا[5] أَحَدٌ إِلَى لِقَاءِ عَدُوِّنَا، فَإِذَا[6] اسْتُشْهِدْنَا فَالأَمْرُ لِمَنْ شَاءَ اللهُ بَعْدَنَا[7]، ثُمَّ دَعَا[8] الْعَرَبَ، فَقَالُوا[9]: اِزِمِ الْعَدُوَّ بِنَا وَلاَ تُشْرِكْ أَحَدًا مَعَنَا،

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من عندي للتوضيح.

(٢) فتاوى البرزلي، ٦/ ٣٤٤. وجاء في العواصم من القواصم لابن العربي قوله: "ولقد حكمتُ بين الناس فألزمتهم الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يكن يُرَى في الأرض منكر، واشتد الخطبُ على أهل الغصب، وعظم على الفسقة الكربُ، فتألّبوا وألّبوا، وثاروا إليَّ، واستسلمتُ لأمر الله، وأمرتُ كلَّ مَن حولي ألا يدفعوا عن داري، وخرجتُ على السطوح بنفسي، فعاثوا عليَّ، وأمسيتُ سليب الدار، ولولا ما سبق من حسن المقدار لكنتُ قتيل الدار...". ابن العربي: العواصم من القواصم (النص الكامل)- تحقيق: د. عمار الطالبي-مكتبة دار التراث- القاهرة، ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م، ص ٢٩٧.

(٣) البيان المغرب، ٤/ ٩٤-٩٥.

(٤) ورد هذا النص في البيان المغرب، (٤/ ٩٤-٩٥)، ويتفق تمامًا – باستثناء بعض الألفاظ القليلة – مع ما أورده صاحب الحلل الموشية، (ص ١٢٢-١٢٣)، وهو من بين النصوص التي نقلها صاحب الحلل الموشية عن الأنوار الجليَّة لابن الصَّيْرَفِيِّ دون أن يذكر مصدره، لكن هذه النصوص تتفق مع نصوص وردت في الإحاطة لابن الخطيب مع ذكر المصدر وهو ابن الصَّيْرَفِيِّ، وكذلك في البيان المغرب لابن عذاري، مما يثبت أن هذا النص من نصوص كتاب الأنوار الجليَّة لابن الصَّيْرَفِيِّ.

(٥) في الحلل الموشية، ص ١٢٣: "لا يتعذر منا".

(٦) في الحلل الموشية، ص ١٢٣: "فإذا نحن".

(٧) في الحلل الموشية، ص ١٢٣: "بعدُ".

(٨) في الحلل الموشية، ص ١٢٣: "استدعى".

(٩) في الحلل الموشية، ص ١٢٣: "فقالوا له".

وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَنَا، ثُمَّ اسْتَدْعَى زَنَاتَةَ وَالْحَشَمَ، فَقَالُوا: لاَ جَوَابَ إِلَّا [بِالْفِعْلِ](1)، وَشَرْطُنَا أَنْ تَعُولَ أَيْتَامَنَا، فَجَزَى كُلًّا خَيْرًا(2)، وَأَجَابَهُمْ بِمَا أَطَابَ أَنْفُسَهُمْ وَقَوَّى عَزْمَهُمْ(3)، [وَخَرَجَ بِالْجَمِيعِ إِلَى الْجِهَادِ](4)، وَكَرَّ إِلَى الأَمِيرِ تَاشُفِينَ(5) مَنْ أَعْلَمَهُ أَنَّ الرُّومَ مَالَتْ إِلَى التَّحَصُّنِ فِي جَبَلِ الْقَصْرِ، فَأَخَذَ إِلَى الْجَبَلِ، فَتَعَلَّقَتْ الْخَيْلُ بِهِ تُرْهِقُهُ وَتُصِيبُ مِنْهُ، وَقَدْ شَرَعَ الْقَتْلُ فِي الرُّومِ، فَهَالَهُمُ الأَمْرُ، وَتَرَدَّوْا أَخْذًا(6) فِي غَيْرِ طَرِيقٍ، وَأَخَذَ الرُّومَ(7) [الطَّعْنُ وَ](8) الضَّرْبُ إِلَى عِدَّةِ أَمْيَالٍ، فَأَتَى عَلَى جُلِّهِمُ الْقَتْلُ، وَأَفْلَتَ النَّزْرُ، وَامْتَلأَتْ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ دَوَابِّهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ، وَفُكَّتْ أَغْلاَلُ الأُسَارَى(9)، وَصُرِفَتِ الأَغْنَامُ إِلَى الْبِلاَدِ النَّازِحَةِ وَالأَقْطَارِ الشَّاسِعَةِ(10)، وَكَادَ(11) هَذَا [الْفَتْحُ](12) عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ نُظَرَائِهِ لاسْتِئْصَالِ هَذِهِ الشَّوْكَةِ الْمُؤَلَّفَةِ وَالْحَيَّةِ الْقَاتِلَةِ(13)، وَصَدَرَ تَاشُفِينُ(14) إِلَى قُرْطُبَةَ وَقَدْ صَنَعَ اللهُ لَهُ كَأَفْضَلِ مَا عَوَّدَهُ(15)، وَأَقْبَلَ عِيدُ الْفِطْرِ فَأَنْشَدَتْهُ الشُّعَرَاءُ، فَقَالَ الْفَقِيهُ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُف مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ: [بحر البسيط]

---

(1) ما بين الحاصرتين من الحلل الموشية، ص ١٢٣، وهي أنسب للصياغة والسياق، بينما جاءت في البيان المغرب، ٤/ ٩٤: "الفعل".
(2) في الحلل الموشية، ص ١٢٣: "جزاك الله خيرًا".
(3) في الحلل الموشية، ص ١٢٣: "بما أطاب به نفوسهم وقوّى به عزمهم".
(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من الحلل الموشية، ص ١٢٣.
(5) في الحلل الموشية، ص ١٢٣: "فكرَّ إليه".
(6) في الحلل الموشية، ص ١٢٣: "آخذين".
(7) في الحلل الموشية، ص ١٢٣: "فأخذهم".
(8) ما بين الحاصرتين زيادة من الحلل الموشية، ص ١٢٣.
(9) في الحلل الموشية، ص ١٢٣: "وفُكّت الأغلال عن الأسارى".
(10) في الحلل الموشية، ص ١٢٣: "وصُرفت المواشي إلى بلادها".
(11) في الحلل الموشية، ص ١٢٣: "وكان".
(12) ما بين الحاصرتين زيادة من الحلل الموشية، ص ١٢٣.
(13) في الحلل الموشية، ص ١٢٣: "لاستئصال شوكتهم".
(14) في الحلل الموشية، ص ١٢٣: "ووصل الأمير تاشفين".
(15) في الحلل الموشية، ص ١٢٣: "وقد صنع الله له بفضله ما غاظ به عدوه".

عَرَفْتُ واللَّيْلُ مُزْوَرٌّ عَلَى الأُفُقِ خَفِيٌّ مَسْرَاكَ فِي الظَّلْمَاءِ وَالْغَسَقِ
يَا بَانَةً كُلَّمَا افْتَرَّ الصَّبَاحُ لَنَا أَلْقَى النَّسِيمُ عَلَيْهَا نَفَسَ مُعْتَبِقِ

ومنها:

لاَ تَعْدِلَنَّ تَاشُفِين [........] ملكًا طِعَانُهُ وَعَطَايَاهُ عَلَى نَسَقِ

ومنها:

يَا أَكْرَمَ النَّاسِ عَفْوًا عِنْدَ مَقْدِرَةٍ وَأَجْمَلَ النَّاسِ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقِ
قَدْ نَافِسَ الْعِيدُ أَعْيَادًا لَكَ اطَّرَدَتْ عَلَى الْفُتُوحِ اطِّرَادَ الْخَيْلِ فِي الطَّلَقِ
فَاهْنَأْ بِعِيدِكَ مِنْ أَعْيَادِ ذِي ظَفَرٍ لَهُ نَظَائِرُ تَأْتِي بَعْدُ فِي نَسَقِ
لاَ زَالَ مُلْكُكَ يَعْلُو كَعْبُهُ أَبَدًا هَامَ الْمُلُوكِ كَمَا تَعْلُو عَلَى السُّوَقِ[1]

[حَرَكَةُ الأَمِيرِ تَاشُفِينَ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى مَرَّاكُش سَنَةَ ٥٣١ هـ/ ١١٣٦ م]:

"وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلاثِينَ [وَخَمْسِمِائَةٍ][2]، أَخَذَ الأَمِيرُ تَاشُفِينُ فِي الحَرَكَةِ عَنِ الأَنْدَلُسِ إِلَى حَضْرَةِ أَبِيهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا وَصَلَهُ خِطَابُ وَالِدِهِ مُسْتَأْذِنًا لَهُ فِي تَجْدِيدِ العَهْدِ بِهِ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ يُوسُفَ اعْتَلَّ فِي السَّنَةِ الْفَارِطَةِ، وَارْتَبَكَ فِي مَرَضِهِ حَتَّى أُرْجِفَ بِهِ، فَسَاءَتِ الظُّنُونُ، وَتَمَكَّنَ الجَزَعُ بِبِلادِ الأَنْدَلُسِ، فَلَمَّا وَصَلَهُ الخِطَابُ المَذْكُورُ تَلَقَّى ذَلِكَ بِالقَبُولِ، وَنَزَعَ فِي القُفُولِ إِلَى مَرَّاكُش، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا يُذْكَرُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، هَكَذَا ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ [يَحْيَى][3] بْنُ مُحَمَّدٍ..."[4].

(١) انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/ ٩٥. وقد أورد ابنُ الخطيب أيضًا هذه الأبيات في جيش التوشيح، ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من عندي للتوضيح. وجعل ابن الخطيب رحيله عن الأندلس في أواسط السنة المذكورة، قال" فرحل عن الأندلس في أواسط سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، ووصل إلى مراكش". انظر: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ٤٤٦. بينما ذكر ابن القطان أن تاشفين أجاز البحر في صدر جمادى الأولى سنة ٥٣٢ هـ/ ١١٣٧ م، ودخل مراكش في أول رجب من هذه السنة. انظر: نظم الجمان (تحقيق: د. محمود علي مكي)، ص ٢٥٦، وحاشية رقم ٢ من الصفحة نفسها.

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة للتوضيح.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ٤/ ٩٦.

[فَتْوَى أَبِي الْقَاسِمِ ابْنِ رُشْدٍ وَفُقَهَاءِ قُرْطُبَةَ فِيمَا بَاعَهُ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ وَبَنُو عَبَّادٍ لِبَعْضِ الرَّعِيَّةِ لِصَالِحِ بَيْتِ الْمَالِ][1]:

ذَكَرَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ فِي "تَارِيخِ لَمْتُونَةَ" أَنَّ ابْنَ رُشْدٍ[2]، وَغَيْرَهُ أَفْتَى بِمَا وُجِدَ كَذَلِكَ يَرْجِعُ لِبَيْتِ الْمَالِ، وَأَنَّ الْمَسَائِلَ الْمَالِكِيَّةَ اقْتَضَتْ ذَلِكَ، حَتَّى قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْعَامَّةُ[3]، وَهَمُّوا بِهِمْ وَبِأَمْوَالِهِمْ لَوْلاَ أَنَّ ابْنَ حَمْدِينَ هُوَ الَّذِي رَدَّهُمْ عَنْهُمْ[4].

---

(١) هذا هو آخر النصوص التي عثرنا عليها من كتاب الأنوار الجلية لابن الصَّيْرَفِيِّ، والنص مؤرخ بسنة ٥٣٤ هـ/ ١١٣٩ م، وهذا التاريخ يذكرنا بما أورده مَن ترجموا لمؤرخنا من أنه "ألف في تاريخ الأندلس كتابًا سماه: الأنوار الجليَّة في أخبار الدولة المرابطيَّة، ضمنه العجاب إلى سنة ثلاثين وخمسمائة، ثم وصله إلى قرب وفاته"، وها نحن نصل إلى سنة ٥٣٤ هـ/ ١١٣٩ م، بما يعني أن ابن الصَّيْرَفِيِّ أكمل كتابه إلى قرب وفاته كما ذكر مترجموه، أي إلى سنة ٥٥٧ هـ/ ١١٦١ م، وهو التاريخ الذي رجحناه لوفاة مؤرخنا، ومعنى ذلك أن هناك نصوصًا أخرى للكتاب لم نعثر عليها، ولعل الزمن ودأب الباحثين يكشفان عن نصوص وخبايا أخرى تتعلق بهذا الكتاب التاريخي المهم.

(٢) ابن رشد هنا هو أبو القاسم أحمد بن أبي الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد، من أسرة بني رشد المشهورة في قرطبة، وقاضي الجماعة بها، توفي سنة ٥٦٣ هـ/ ١١٦٧ م. انظر عنه: ابن بشكوال: الصلة (تحقيق: د. بشار عواد معروف)، ١/ ١٣٤، الترجمة رقم ١٨١. الضبي: بغية الملتمس، ص ٢١٢، الترجمة رقم ٣٧٠. ابن الأبار: المعجم، ص ٥١، الترجمة رقم ٣٢. تولى قضاء قرطبة سنة ٥٣٢ هـ/ ١١٣٧ م بعد صرف القاضي أبي جعفر حمدين بن محمد بن حمدين التغلبيّ، فلما قامت الثورة ضد ابن رشد سنة ٥٣٤ هـ/ ١١٣٩ م، خرج ابن حمدين لردع العامة وتسكين ثائرتهم، وفرَّ ابن رشد مستعفيًا عن القضاء فأُعْفِيَ، فاضطر أمير قرطبة أبو عمر ينالُه اللمتوني إلى تعطيل الأحكام بها أزيد من سنة؛ تأديبًا لأهلها وسخطًا عليهم، ثم أذن لهم في اختيار قاضٍ لهم، فأجمعوا على اختيار ابن حمدين سنة ٥٣٦ هـ/ ١١٤١ م، فأعيد إلى القضاء مرة ثانية، وعندما قامت الثورة ضد المرابطين سنة ٥٣٩ هـ/ ١١٤٤ م صُرفت إليه الرئاسة ودُعِيَ له بالإمارة في الخامس من رمضان من السنة المذكورة، وتسمى بأمير المسلمين وناصر الدين، وقيل: المنصور بالله، وسكن قصر الخلافة، ورغم كل هذا فلم تدم ولايته أكثر من أحد عشر شهرًا، وقيل: أربعة عشر شهرًا، ثم وقع فريسة الدسائس والمكائد، ونزلت به المحنُ إلى أن توفي بمالقة سنة ٥٤٦ هـ/ ١١٥١ م، وقيل: سنة ٥٤٧ هـ/ ١١٥٢ م. انظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثاني، ص ٢٥٢-٢٥٤. البناهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص ١٠٣-١٠٤. د. السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، ١/ ١٤٥.

(٣) ثورة العامة في قرطبة ضد القاضي أبي القاسم ابن رشد كانت سنة ٥٣٤ هـ/ ١١٣٩ م، كما فصلنا في الحاشية السابقة، ولم تفصح المصادر عن أسبابها سوى ما ذكره ابن الخطيب فقال: "ثارت العامة بقرطبة واستطالت الأيدي لضعف قاضيها إذ ذاك أحمد بن رشد". انظر: أعمال

[الْقَاضِي الْفَقِيهُ ابْنُ الْفَرَسِ الْغَرْنَاطِيّ]:

"أَبو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُنْعِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ أَحْمَدَ الْخَزْرَجِيّ الْقَاضِي الْمَعْرُوف بِابْنِ الْفَرَسِ الْمَالِكِيّ، مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَة وَبُيُوتَاتِهَا الأَصِيلَةِ؛ وَحَكَى ابْنُ الصَّيْرَفِيّ أَنَّ جَدَّهُ أَبَا الْقَاسِمِ سَمِعَ بِغَرْنَاطَة أَوَّلَ الدَّوْلَةِ الْمُرَابِطِيَّةِ عَلَى الْقَاضِي أَبِي الأَصْبَغ ابْنِ سَهْلٍ، وَحَكَى أَيْضًا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ ابْنَ جَعْفَر الْقُلَيْعِيّ وَلَّاهُ قَضَاءَ الْمُنَكَّبِ فَتَقَبَّلَهُ كَارِهًا، وَكَانَ فَقِيهًا حَافِظًا مُبَرِّزًا، وَإِلَيْهِ كَانَتِ الرِّحْلَةُ فِي وَقْتِهِ؛ وَذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ عِلْمٍ وَجَلَالَةٍ بِغَرْنَاطَة"(٢).

الأعلام- القسم الثاني، ص ٢٥٢. وهو سبب غير كافٍ وغير مقنع لهذه الثورة الخطيرة، ولولا ما أورده ابنُ الصَّيْرَفِيّ في تاريخه كما ورد في النص أعلاه عن سبب ثورة العامة ضد القاضي أبي القاسم ابن رشد ونقله عنه البرزلي في فتاواه- ونقلنا عنه تفاصيله في الحاشية التالية- لظللنا نجهل أسباب هذه الثورة.

(١) فتاوى البرزلي، ٥/ ١١٤. وقال البرزلي في موضع آخر من الفتاوى: "لعل هذه المسالة التي أشار إليها العقيلي وابن الصَّيْرَفِيّ حين عرفا بابن رشد وغيره من العصريين الذين معه حين أفتوا أمير المسلمين بأشياء يقتضيها مذهب مالك وأصحابه من أموال ابن أبي عامر [في المعيار المعرب، ٦/ ٩٨: "من أموال بني عامر"] وبني عباد [في المعيار المعرب، ٦/ ٩٨: "وبني صمادح"]، وخالفهم ابنُ حمدين وقال: هذا البحث يؤدي [في المعيار المعرب، ٦/ ٩٨: "يقتضي ويؤدي"] إلى تضييع كثير من أموال الرعية والتعرض إليهم، فأدى الأمر إلى قيام العامة على ابن رشد ومَن وافقه في هذه الفتوى، وصرفهم ابنُ حمدين عنهم، وتعرض لهم أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، ثم بعد ذلك ظهرت براءتهم في خبر طويل". انظر: فتاوى البرزلي، ٣/ ٥٢-٥٣. وانظر أيضًا: المعيار المعرب للونشريسي، ٦/ ٩٨.

(٢) ابن الأبار: تحفة القادم، ص ١١٤. ثم قال ابن الأبار بعد هذا: "قُلْتُ: غَابَ عَنِ الصَّيْرَفِيّ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ بِشَارِقَةِ الأَشْرَافِ مِنْ عَمَلِ بَلَنْسِيَةَ".

[أُسْرَةُ بَنِي مَسْعَدة فِي الأَنْدَلُسِ]:

قَالَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ فِي تَارِيخِهِ الصَّغِيرِ[١]: "مَنْزِلُ بَنِي مَسْعَدة مَوْضِعُ كَرَمٍ وَمَحْمَدَةٍ، يَنْتَسِبُونَ فِي عَامِرٍ[٢]، وَهُمْ أَعْيَانٌ عِلْيَةٌ، فُرْسَانٌ أَكَابِر، وَحُجَّابٌ وَكُتَّابٌ وَوُزَرَاءُ، وَلَهُمْ سَابِقَاتٌ وَمَفَاخِرُ، وَأَوَائِلُ وَأَوَاخِرُ، وَمِنْهُمْ عَلَى الْقِدَمِ جَلِيلٌ وَنَبِيهٌ، وَمِنْهُمْ كَانَ وَضِيعُ بْنُ جَرَّاحٍ الْفَقِيهُ[٣]، لَمْ يُدْخِلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي الْفِتْنَةِ يَدًا، وَلاَ تَأَذَّى بِهِمْ مُسْلِمٌ وَلاَ مُعَاهِدٌ[٤] عَلَى قُدْرَتِهِمْ عَلَى ذَلِكَ، وَكَفَى بِهِ فَخْرًا لاَ يَنْقَطِعُ أَبَدًا، وَدَخَلَ جَدُّهُمُ الأَنْدَلُسَ بِعَقْدِ بَنِي مَرْوَان لَهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، [وَيَأْتِي مِنْ ذِكْرِ أَعْلاَمِهِمْ مَا يَدُلُّ عَلَى شَرَفِ بَيْتِهِمْ وَأَصَالَتِهِ، وَعُلُوِّهِ وَجَلاَلَتِهِ][٥]"[٦].

***

[انْتَهَى بِعَوْنِ اللهِ مَا وَقَفْنَا عَلَيْهِ مُتَفَرِّقًا مِن كِتَابِ: "الأَنْوَار الْجَلِيَّةِ فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ الْمُرَابِطِيَّةِ" لِمُؤَلِّفِهِ الْفَقِيهِ وَالْكَاتِبِ وَالشَّاعِرِ وَالْمُؤَرِّخِ أَبِي بَكْرٍ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّد بْنِ يُوسُف الأَنْصَارِيِّ الْغَرْنَاطِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ].

---

(١) هذه هي الإشارة الوحيدة في كل المصادر التي ترجمت لمؤرخنا ابن الصَّيْرَفِيِّ تشير إلى وصف تاريخه بالصَّغير أوردها ابنُ الخطيب هنا، وإذا كان ابنُ الخطيب يعتمد اعتمادًا أساسيًا على كتاب (الأنوار الجليَّة)، فإنه من المرجَّح أن يكون هو نفسه الكتاب الموصوف بالتاريخ الصَّغير لابن الصَّيْرَفِيِّ كما ورد في هذا النصّ.

(٢) قال ابنُ الخطيب: "وعامرُ الذي ينتسبون إليه، عامرُ بن صَعْصعة بن هَوازن بن منصور بن عِكْرمة بن حفصة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نَزَار بن مَعدّ بن عدنان". انظر: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٦٢.

(٣) لم نهتد إلى شخصية هذا الفقيه من بني مسعدة.

(٤) وردت هذه الجملة في نص ابن الخطيب: "ولا تأذى مُسلمًا ولا معاهدًا"، وذكر في الحاشية أنه جاء في المخطوطة الملكية: "ولا تأذى به مسلمٌ ولا معاهدٌ"، وكلتا الجملتين لا تناسب السياق، بيد أن ما ورد في المخطوطة الملكية يرجح ما ذكرناه في المتن أعلاه، فهو أنسب للصياغة والسياق.

(٥) ما بين الحاصرتين ربما كان من كلام ابن الخطيب، وربما كان من كلام مؤرخنا ابن الصَّيْرَفِيِّ، وإن كنا نرجح أنه من كلام ابن الخطيب، ولذا وضعناه بين حاصرتين.

(٦) ابن الخطيب: الإحاطة (تحقيق: أ. عنان)، ١/ ١٦٣. قال ابن سعيد عن بني مسعدة: "بيت رفيع في غرناطة". انظر: المغرب في حلى المغرب، ٢/ ١١٢.



قائمة المصَادر والمرَاجع المستخدَمَة في الدِّراسَة والتَّحقِيق

أولاً: المصادر:

*- ابن الأبَّار (أبو بكر محمد بن عبد الله، ت ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠م):

- التكملة لكتاب الصلة- تحقيق: د. عبد السلام الهراس- دار الفكر للطباعة- لبنان- بيروت، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م.

- الحلة السيراء - (جزءان بتحقيق : د. حسين مؤنس) - دار المعارف - القاهرة - ط٢ - ١٩٨٥ م.

- المعجم في أصحاب القاضي الصدفي- تحقيق: أ. إبراهيم الإبياري- دار الكتاب المصري بالقاهرة ودار الكتاب اللبناني ببيروت- ط ١، ١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩م.

- تحفة القادم- أعاد بناءه وعلق عليه: د. إحسان عباس- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط ١، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

*- ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم، ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م):

- الكامل في التاريخ - دار صادر- بيروت- ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

*- ابن الأحمر وآخرون (أبو الوليد إسماعيل بن يوسف، ت ٨٠٧ هـ/ ١٤٠٤م):

- بيوتات فاس الكبرى- دار المنصور للطباعة والوراقة، ١٩٧٢ م.

*- ابن إسحاق (محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي، ت ١٥١ هـ/ ٧٦٨م):

- السيرة النبوية- حققه وعلق عليه وخرَّج أحاديثه: أحمد فريد المزيدي- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط ١، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤ م.

*- ابن أبي أصيبعة (أبو العباس أحمد بن القاسم، ت ٦٦٨ هـ/ ١٢٦٩ م):

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء- شرح وتحقيق: د. نزار رضا- منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت- د. ت.

*- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد، ق ٦ هـ/ ١٢ م):

-نزهة المشتاق في اختراق الآفاق-مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢ م.

*- البرزلي (أبو القاسم بن أحمد بن محمد القيرواني، ت ٨٤١ هـ/ ١٤٣٨م):

- فتاوى البرزلي (جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام)- تقديم وتحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة - دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط ١، ٢٠٠٢م.

*- ابن بسَّام (أبو الحسن على بن بسام، ت ٥٤٢ هـ/ ١١٤٧ م):

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة- تحقيق: د. إحسان عباس- دار الثقافة-بيروت، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.

*- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك، ت ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢ م):

- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم- حققه وضبط نصه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف- دار الغرب الإسلامي- تونس-ط ١، ٢٠١٠ م.

*- البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م):

- جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك- تحقيق: د. عبد الرحمن علي الحجي- دار الإرشاد- بيروت، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٨ م.

*- البغدادي (إسماعيل محمد أمين البغدادي):

- هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان، ١٩٥٥ م.

- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان- د.ت

*- ابن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف، ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٧٠ م):

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٥ م.

*- حاجّي خليفة (مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، ت ١٠٦٧ هـ/ ١٦٠٦م):

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان- د.ت.

*- ابن حزم الظاهري (أبو محمد علي بن أحمد، ت ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣ م):

- جمهرة أنساب العرب- تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون- دار المعارف- القاهرة- ط ٥- د.ت.

*- الحموي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨ م):

- معجم البلدان -دار إحياء التراث العربي -بيروت، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

*- الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، ت ٩٠٠ هـ/ ١٤٩٤م):

- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب: الروض المعطار في خبر الأقطار- نشر وتعليق: إ. ليفي بروفنسال- دار الجيل- بيروت- ط ٢، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.

- الروض المعطار في خبر الأقطار- تحقيق: د. إحسان عباس- مكتبة لبنان- بيروت- ط٢، ١٩٨٤ م.

*- ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله، ت ٥٢٩ هـ/ ١١٣٤م):

- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان - حققه وعلق عليه: د. حسين يوسف خريوش- مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع- الأردن - ط ١، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م.

- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس- دراسة وتحقيق: محمد علي شوابكة- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط ١، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.

*- ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ت ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤م):

- الإحاطة في أخبار غرناطة - تحقيق: أ. محمد عبد الله عنان - مكتبة الخانجي - القاهرة.

- المجلد الأول - ط٢ - ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م.

- المجلد الثاني - ط١ - ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م.

- المجلد الثالث - ط١ - ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م.

- المجلد الرابع - ط ١ - ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م.

-أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام- القسم الثاني- تحقيق: ليفي بروفنسال-دار المكشوف- بيروت، ١٩٥٦ م.

-تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط- القسم الثالث من كتاب "أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام- تحقيق وتعليق: د. أحمد مختار العبادي وأ. محمد إبراهيم الكتاني- نشر وتوزيع دار الكتاب- الدار البيضاء- الرباط، ١٩٦٤ م.

- جيش التوشيح- حققه وقدم له وترجم لوشاحيه: هلال ناجى- وأعدَّ أصلاً من أصليه: محمد ماضور-مطبعة المنار-تونس ١٩٦٧ م.

- اللمحة البدرية في الدولة النصرية- دراسة وتحقيق: د. محمد مسعود جبران- دار المدار الإسلامي- بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠٠٩ م.

- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار- تحقيق ودراسة: د. محمد كمال شبانة- مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م.

*- ابن خَلْدُون (عبد الرحمن بن محمد، ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م):

- المقدمة- تحقيق وتعليق: د. على عبد الواحد واف - طبعة دار نهضة مصر للنشر- القاهرة- ط ٧ مزيدة ومنقحة، مارس ٢٠١٤ م.

- تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر - تحقيق: أ. خليل شحادة- مراجعة: د. سهيل زكار- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م.

- رحلة ابن خلدون- عارضها بأصولها وعلق حواشيها: محمد بن تاويت الطنجي- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط ١، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م.

*- ابن خَلِّكَان (أبو العباس أحمد بن محمد، ت ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢ م):

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - تحقيق: د. إحسان عباس - دار صادر - بيروت - د.ت.

*- ابن دحية (أبو الخطاب عمر بن حسن، ت ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٥ م):

- المطرب من أشعار أهل المغرب - تحقيق: أ. إبراهيم الإبياري ود. حامد عبد المجيد ود. أحمد أحمد بدوي- راجعه: د. طه حسين-دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان- د.ت.

*- الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، ت ٧٤٨ هـ/ ١٣٧٤م):

- سير أعلام النبلاء- أشرف على تحقيقه وخرَّج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط:

- ج ٢٠- حققه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي- مؤسسة الرسالة- بيروت - ط ١١، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م.

- المستملح من كتاب التكملة- حققه وضبط نصه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف- دار الغرب الإسلامي- تونس- ط ١، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م.

*- الرشاطي (أبو محمد عبد الله بن علي، ت ٥٤٢ هـ/ ١١٤٧ م) وابن الخراط الإشبيلي (أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن، ت ٥٨١ هـ/ ١١٨٦ م):

- الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار- تقديم وتحقيق: إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا- المجلس الأعلى للأبحاث العلمية (معهد التعاون مع العالم العربي)- سلسلة المصادر الأندلسية ٧- مدريد، ١٩٩٠ م.

*- ابن رشد الجدّ (أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، ت ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦ م):

- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة - تحقيق: د. محمد حجي - دار الغرب الإسلامي - بيروت- ط ٢، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م.

*- ابن الزبير (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم، ت ٧٠٨ هـ/ ١٣٠٨ م):

- صلة الصلة (القسم الثالث) - تحقيق: د. عبد السلام الهراس والشيخ سعيد أعراب - منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - المغرب، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م.

- صلة الصلة (القسم الأخير)- تحقيق: ليفي بروفنسال- باريس، ١٩٣٨م.

- صلة الصلة (ضمن كتاب الصلة لابن بشكوال ومعه كتاب صلة الصلة لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي)- تحقيق: شريف أبو العلا العدوي- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- ط ١، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م.

*- ابن أبي زرع (أبو الحسن على بن أبي زرع الفاسي):

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس - دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط، ١٩٧٢ م.

*- السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، ت ٩٠٢ هـ/ ١٤٩٧ م):

- الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ أهل التاريخ- تحقيق: فرانز روزنثال- ترجمة: د. صالح أحمد العلي-مؤسسة الرسالة- بيروت- ط ١، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦ م.

*- ابن سعيد الأندلسي (أبو الحسن على بن موسى، ت ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦م):

- المغرب في حلى المغرب- تحقيق: د. شوقي ضيف- دار المعارف- القاهرة -سلسلة ذخائر العرب (١٠)- طبعة ثالثة منقحة- د.ت.

*- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م):

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر - بيروت - ط٢ - ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

*- الضبي (أحمد بن يحيى، ت ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٢ م):

- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس - دار الكاتب العربي (الهيئة المصرية العامة للكتاب حاليًا) - القاهرة - سلسلة المكتبة الأندلسية (٦)، ١٩٦٧م.

*- ابن عاصم الغرناطي (أبو يحيى محمد بن عاصم، ت ٨٥٧ هـ/ ١٤٥٣م):

- جنة الرضا في التسليم لما قدَّر الله وقضى - تحقيق: د. صلاح جرار - دار البشير للنشر والتوزيع - عمان - الأردن، ١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م.

*- عبد الله بن بُلُكِّين (عبد الله بن بُلُكِّين بن باديس، ت. بعد ٤٨٣ هـ/ ١٠٩٠ م):

- مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة المسماة بكتاب التبيان - نشر وتحقيق: ليفي بروفنسال - دار المعارف بمصر، ١٩٥٥ م.

*- ابن عبد الملك المَرَّاكُشِي (أبو عبد الله محمد بن عبد الملك، ت ٧٠٣ هـ/ ١٣٠٤ م):

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة - السفر السادس - تحقيق: د. إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - ١٩٧٣ م.

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة - بقية السفر الرابع - تحقيق: د. إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - د.ت.

*- عبد الواحد المَرَّاكُشِي (محي الدين عبد الواحد بن علي، ت ٦٤٧ هـ/ ١٢٤٩ م):

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب - تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي - دار الكتاب - الدار البيضاء - ط٧، ١٩٧٨ م.

*- ابن عِذَارى المَرَّاكُشِي (أبو عبد الله محمد بن محمد، كان حيًا سنة ٧١٢ هـ/ ١٣١٢ م):

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب:

- الأجزاء الأول والثاني والثالث - تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان و أ. ليفي بروفنسال - الدار العربية للكتاب - بيروت - ط٣، ١٩٨٣م.

- الجزء الرابع - تحقيق ومراجعة: د. إحسان عباس - الدار العربية للكتاب - بيروت، د. ت.

- الجزء الخامس- قسم الموحدين- تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط ١، ١٤٠٦ هـ/ 1985 م.

*- العذري (أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس، ت ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م):

- نصوص عن الأندلس (قطعة من: ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك)- تحقيق: د. عبد العزيز الأهواني- مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، ١٩٦٥ م.

*- ابن العربي (أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي، ت ٥٤٣ هـ/ ١١٤٩ م):

- قانون التأويل- دراسة وتحقيق: محمد السليماني- منشورات دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة، ومؤسسة علوم القرآن ببيروت- ط١، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

- العواصم من القواصم (النص الكامل)- تحقيق: د. عمار الطالبي- مكتبة دار التراث- القاهرة، ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م.

*- ابن عسكر وابن خميس (أبو عبد الله وأبو بكر):

- أعلام مالقة – تقديم وتخريج وتعليق: د. عبد الله المرابط الترغي- دار الغرب الإسلامي – بيروت- ط١، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩ م.

*- ابن عطية المحاربي (أبو محمد عبد الحق بن عطية، ت نحو سنة ٥٤١ هـ/ ١١٤٦ م):

- فهرس ابن عطية - تحقيق: محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط١، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

*- ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي، ت ١٠٧٩ هـ/ ١٦٧٨ م):

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب- دار إحياء التراث العربي- بيروت - د.ت.

*- القاضي عياض (أبو الفضل عياض بن موسى، ت ٥٤٤ هـ/ ١١٤٩ م):

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك- تحقيق: عبد القادر الصحراوي-منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالرباط -ط ٢، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.

- الغنية (فهرست شيوخ القاضي عياض)- تحقيق: ماهر زهير جرار- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط١، ١٤٠٢ هـ/.١٩٨٢ م.

*- ابن غالب الغرناطي (محمد بن أيوب، ت ٥٧١ هـ/ ١١٧٥ م):

- فرحة الأنفس في أخبار أهل الأندلس (مختصر منه بعنوان: تعليق منتقى من فرحة الأنفس في أخبار الأندلس- تحقيق: د. لطفي عبد البديع- مجلة معهد المخطوطات العربية (جامعة الدول العربية)-القاهرة- المجلد الأول- الجزء الثاني، ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥ م.

*- ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم بن علي، ت ٧٩٩ هـ/ ١٣٩٦ م):

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب- تحقيق وتعليق: د. محمد الأحمدي أبو النور- دار التراث للطبع والنشر-القاهرة، د.ت.

*- ابن القاضي (أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي، ت بفاس ١٠٢٥ هـ/ ١٦١٦ م):

- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس- دار المنصور للطباعة والوراقة - الرباط، ١٩٧٣ م.

*- القلقشندي (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي، ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨م):

- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب- تحقيق: إبراهيم الإبياري- دار الكتاب اللبناني- بيروت- ط ٢، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

*- ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك التوزري، عاش في النصف الثاني من ق ٦ هـ/ ١٢ م):

- تاريخ الأندلس (قطعة من كتاب: الاكتفاء في أخبار الخلفاء)- تحقيق: د. أحمد مختار العبادي- المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، ١٩٧١م.

*- مؤلف مجهول:

- الحلل المَوْشِيَّة في ذكر الأخبار المَرَّاكُشِيَّة - تحقيق: د. سهيل زكّار و أ. عبد القادر زمامة- نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة- الدار البيضاء - ط ١، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

- مفاخر البربر- دراسة وتحقيق: د. عبد القادر بوباية- دار أبي رقراق للطباعة والنشر- الرباط- ط ١، ٢٠٠٥ م.

- الاستبصار في عجائب الأمصار- نشر وتعليق: د. سعد زغلول عبد الحميد- طباعة ونشر دار الشئون الثقافية العامة- بغداد، د.ت.

- ذكر بلاد الأندلس (الجزء الأول)- تحقيق وترجمة: لويس مولينا- المجلس الأعلى للأبحاث العلمية- مدريد، ١٩٨٣ م.

- تاريخ الأندلس- دراسة وتحقيق: د. عبد القادر بوباية- دار الكتب العلمية- بيروت- ط١، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧ م.

*- ابن مخلوف (محمد بن محمد):

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية- المطبعة السلفية - القاهرة، ١٣٤٩ هـ/ ١٩٣٠ م.

*- المَقَّري (أبو العباس أحمد بن محمد، ت ١٠٤١ هـ/ ١٦٣٢ م):

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب - تحقيق: د. إحسان عباس - دار صادر - بيروت - ط١، ١٩٦٨ م.

*- الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد):

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى- تحقيق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري- دار الكتاب- الدار البيضاء- المغرب، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م.

*- الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيى، ت ٩١٤ هـ/ ١٥٠٨ م):

- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب- خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: د. محمد حجي- نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

- أسنى المتاجر في بيان أحكام مَن غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر- نشر وتحقيق: د. حسين مؤنس- صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد- المجلد الخامس- العدد ١-٢، ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٧ م.

***

ثانيًا: المراجع العربية والمترجمة:

*- آنخل جونثالث بالنثيا:

- تاريخ الفكر الأندلسى - ترجمة: د. حسين مؤنس- مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ١٩٥٥ م.

*- د. حسن أحمد محمود:

- قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى- دار الفكر العربي- القاهرة، ١٩٥٦ م.

*- د. حسن عثمان:

- منهج البحث التاريخي -دار المعارف- القاهرة- ط ٣، ١٩٧٥ م.

*- د. حسين مؤنس:

- الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين- مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م.

- فجر الأندلس: دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (٧١١-٧٥٦ م)- العصر الحديث للنشر والتوزيع ودار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان- ط ١، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م.

*- خير الدين الزركلي:

- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين - دار العلم للملايين - بيروت - ط ١٥، مايو ٢٠٠٠م.

*- رينهرت دوزي:

- المسلمون في الأندلس - ترجمة: د. حسن حبشي - الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤ م.

*- سعيد أعراب:

- مع القاضي أبي بكر ابن العربي - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط١، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

*- د. السيد عبد العزيز سالم:

- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس - مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية، ١٩٩٧ م.

*- شعبان بوغريسة:

- قاموس أمازيغي عربي - دار السعادة للطباعة والنشر والتوزيع - الجزائر - د.ت.

*- د. طاهر راغب حسين:

- التطور السياسي للمغرب من الفتح الإسلامي إلى آخر القرن العاشر الهجري- دار النصر للتوزيع والنشر بجامعة القاهرة، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٥م.

*- د. عبادة عبد الرحمن كحيلة:

- تاريخ النصارى في الأندلس- المطبعة الإسلامية الحديثة- القاهرة، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م.

*- العباس بن إبراهيم:

- الإعلام بمن حلَّ مرَّاكُش وأغمات من الأعلام - المطبعة الملكية- الرباط، ١٩٧٤ م.

*- عبد السلام بن عبد القادر بن سَوْدَة المري:

- دليل مؤرخ المغرب الأقصى- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- ط١، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م.

*- د. عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح:

- المسلمون في المغرب والأندلس: دراسة في المعالم السياسية والمنجزات الحضارية من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن التاسع

الهجري ٢٢-٨٩٧ هـ/ ٦٤٢-١٤٩٢ م- دار الهاني للطباعة والنشر- القاهرة- ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.

*- د. عبد الله كنون:

- النبوغ المغربي في الأدب العربي- دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر- مكتبة المدرسة- بيروت - ط ٢، ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١ م.

*- عمر رضا كحالة:

- معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية - مؤسسة الرسالة - بيروت- ط ١، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م.

*- فرانز روزنثال:

- علم التاريخ عند المسلمين - ترجمة: د. أحمد صالح العلي- مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٢، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.

*- كارل بروكلمان:

- تاريخ الأدب العربي (ج ٦) - نقله إلى العربية: د. السيد يعقوب بكر- راجع الترجمة: د. رمضان عبد التواب- دار المعارف- القاهرة، د.ت.

*- محمد عبد الله عنان:

- الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، دراسة تاريخية أثرية- مكتبة الخانجي- القاهرة- ط ٢، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.

- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (القسم الأول)- العصر الثالث من كتاب دولة الإسلام في الأندلس - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط٣، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.

- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (القسم الثاني)- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة- ط١، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م.

- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين- مكتبة الخانجي- القاهرة- ط٤، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.

*- د. محمد المنوني:

- المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث - مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر - الدار البيضاء - ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٣ م.

***

ثالثًا: الدوريات:

*- أويثي ميراندا:

- "علي بن يوسف وأعماله في الأندلس- مجلة تامودا- العدد السابع- تطوان، ١٩٥٩ م.

*- د. صباح إبراهيم الشيخلي:

- "بعض مصادر تأريخ المغرب في عصر الدولة المرابطية"- مجلة العصور (مجلة علمية نصف سنوية تُعنى بالدراسات التاريخية والآثارية والحضارية)- دار المريخ للنشر- الرياض- المجلد الرابع- الجزء الأول، يناير ١٩٨٩ م/ جمادى الأولى ١٤٠٩هـ.

*- د. محسن إسماعيل محمد:

- "أبو بكر ابن الصيرفي: الشاعر والمؤرخ" - مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد - المجلد الثامن والعشرون- مدريد ١٩٩٦ م.

*- د. محمد بن تاويت:

- "كتاب الإحاطة لابن الخطيب (القسم الأخير)"- مجلة المناهل- العدد ٢٦- السنة العاشرة، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.

*- د. مصطفى إبراهيم حسين:

- "مصادر لسان الدين ابن الخطيب في كتابه الإحاطة في أخبار غرناطة" - بحث ضمن ندوة: (الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات) - مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، ط١، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م.

***

رابعًا: المراجع الأجنبية:

* Burckhardt: Titus:

- *La Civilización hispano-árabe* - Madrid, 1977.

* Codera: Francisco:

- *Decadencia y Desaparición de los Almorávides en España* - Zaragoza, 1899.

- *Estudios críticos de la historia árabe española* - Zaragoza, 1917.

* Miranda: Ambrosio Huici:

- *Historia Politica del imperio almohade*, 2 Vols. - Instituto del General Franco - Tetuán, 1956-1957.

- *Historia Musulmana de Valencia y su Región, Novedades y Rectificaciones* - 3 Tomos - Ayuntamiento de Valencia, 1970.

- Ali b. Yusuf y sus empresas en Al-Andalus - en Tamuda - Núm. VII - Tetuán, 1958-1959, pp. 77-122.

❋ Remiro, Mariano Gaspar:

- *Historia de Murcia Musulmana* - Zaragoza, 1905.

❋ Sánchez-Albornoz: Claudio:

- *La España Musulmana según los autores islamitas y cristianos medievales* - 2 Tomos - Cuarta edición - Madrid, 1974.

❋ Palencia, Angel González:

- *Historia de la España Musulmana* - Barcelona 1932.

❋ Pons Boigues, Francisco:

- *Ensayo Bio-Bibliográfico sobre los Historiadores y Geógrafos Arábigo-Españoles* - Madrid, 1898.

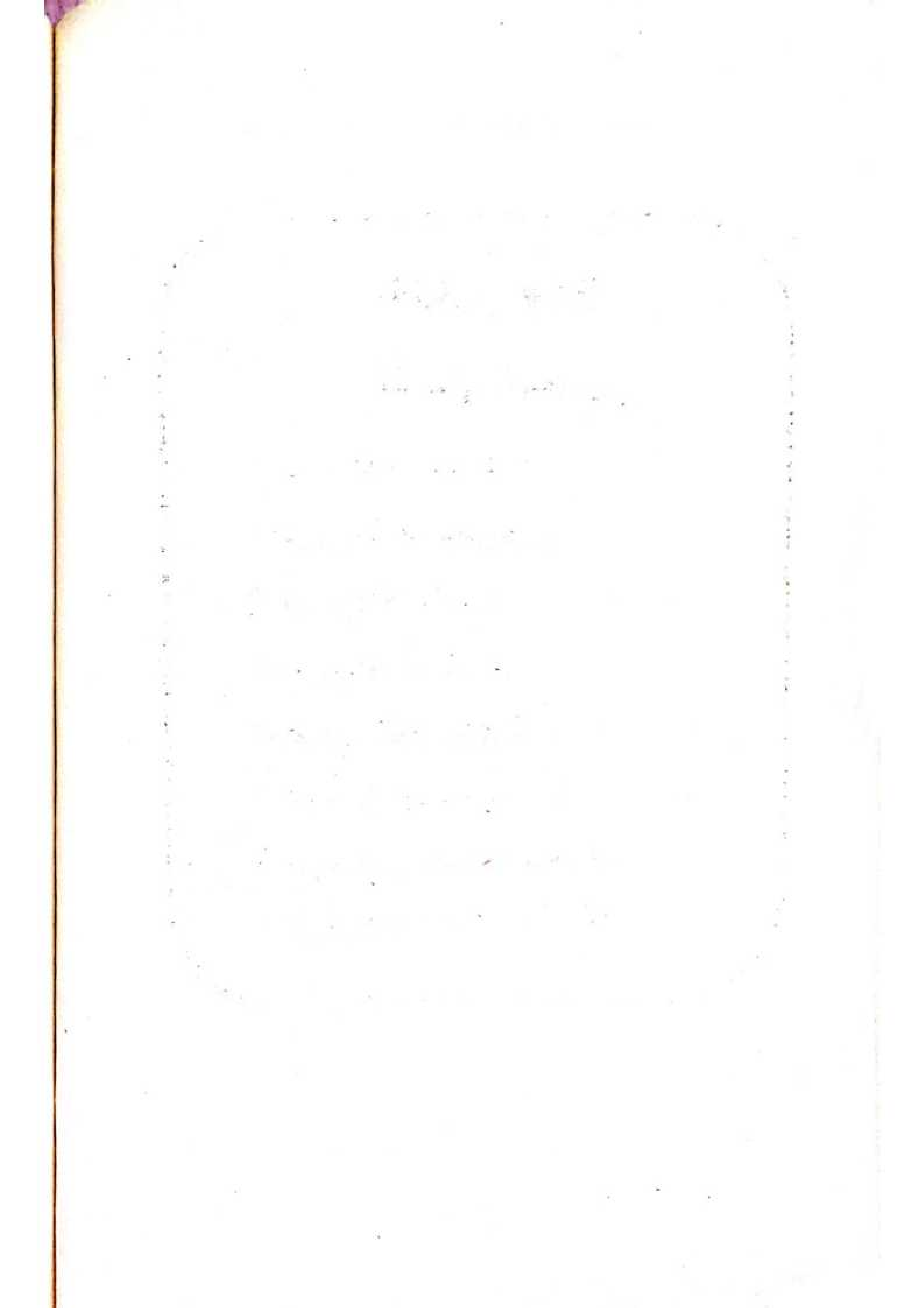
❋ Viguera Molins, María Jesús:

- *Fuentes de Al-Andalus (siglos XI y XII). I: crónicas y obras geográficas*- Madrid, 1998.

❋❋❋

الفهارسُ العامّة

لقِسمَي الكِتَاب



١- فهرس الآيات القرآنية

٢- فهرس الأحاديث النبوية

٣- فهرس الأعلام البشرية

٤- فهرس الأعلام الجغرافية

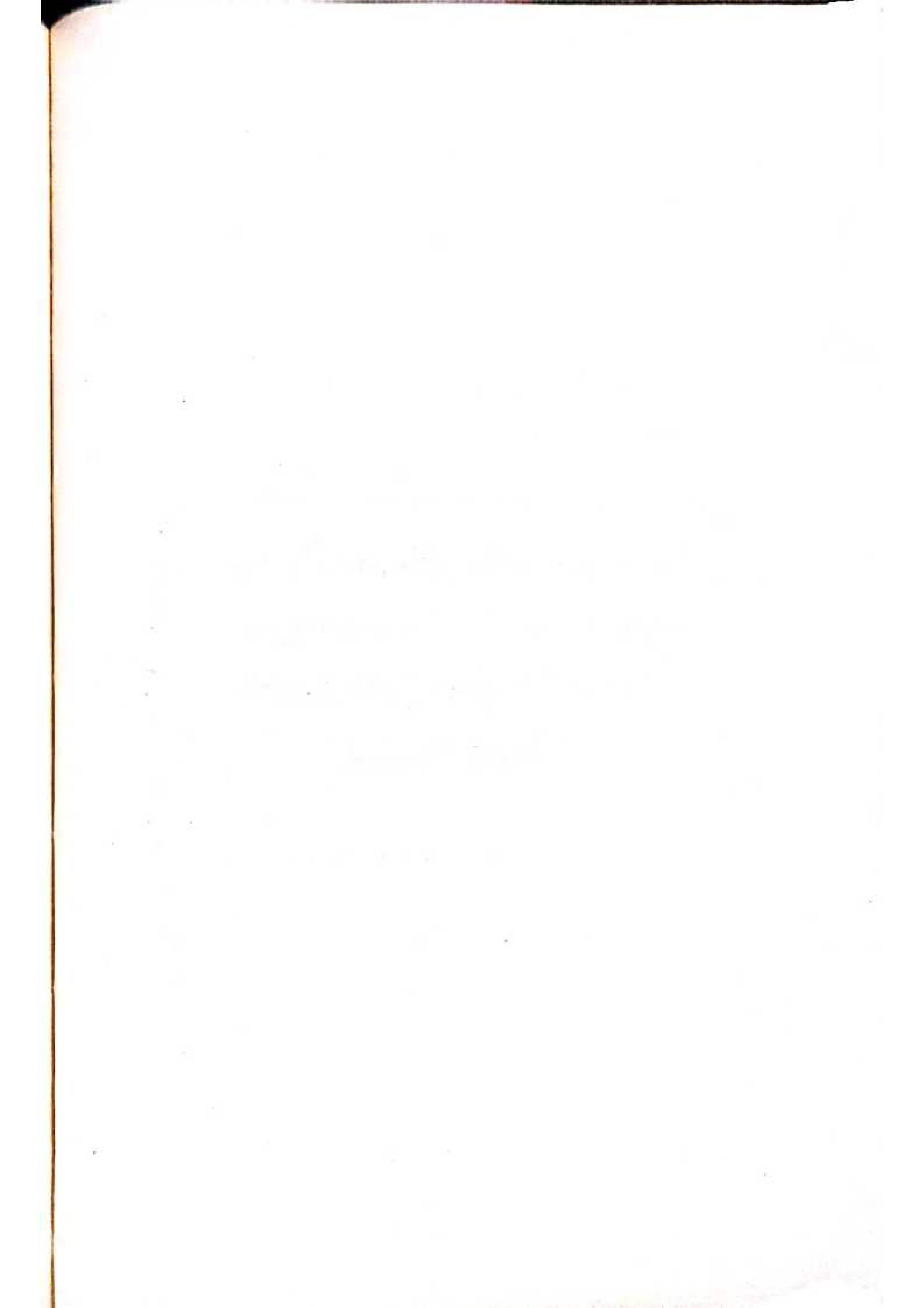
٥- فهرس الألفاظ الحضارية

٦- فهرس الأيام والوقائع والمعارك

٧- فهرس الدول والجماعات والطوائف

٨- فهرس الكتب الواردة بقسمي الكتاب

جدولٌ إحصائيٌّ بأهم المصادر التي حوتْ نُصُوصًا عن الأنوار الجَلِيَّة لابن الصَّيْرَفِيِّ مرتبةً ترتيبًا ألفبائيًّا



جدولٌ إحصائيٌّ بأهم المصادر التي حوتْ نُصُوصًا عن الأنوار الجَلِيَّة لابن الصَّيْرَفِيِّ مرتبةً ترتيبًا ألفبائيًّا

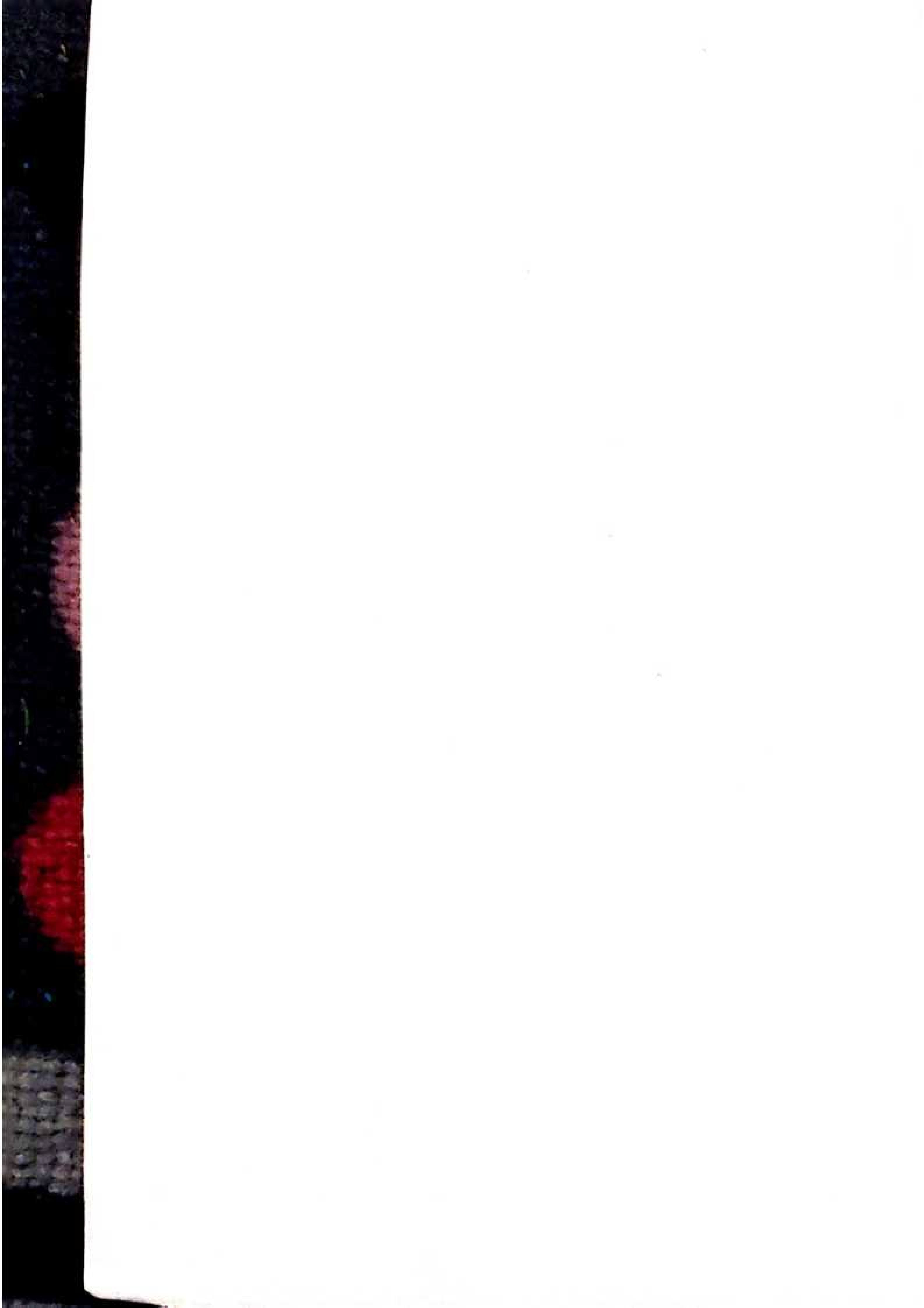
المصدر	مؤلفه	الجزء والصفحة
١. الإحاطة في أخبار غرناطة (تحقيق: أ. عنان)- مكتبة الخانجي- القاهرة.	لابن الخطيب	١/ ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣ ٢/ ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ٥١٧ ٣/ ٢٧٥، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٨٠، ٣٨١، ٤٦٣، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦ ٤/ ٣٤٩، ٣٥٠، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤٢٩، ٤٣٠
٢. أعلام مالقة - تقديم وتخريج وتعليق: د. عبد الله المرابط الترغي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط١، ١٤٢٠ هـ/	لابن عسكر وابن خميس	٢٩٣

١٩٩٩ م.		
٣. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام – المطبعة الملكية – الرباط، ١٩٧٤ م.	للعباس بن إبراهيم	١/ ١٤٨، ١٤٩ ٣/ ٨٠ ٤/ ٢١، ٢٢، ٢٦
٤. أعمال الأعلام – القسم الثاني – تحقيق: ليفي بروفنسال – دار المكشوف – بيروت، ١٩٥٦ م.	لابن الخطيب	١٥٧، ١٦٥، ١٨٩
٥. أعمال الأعلام – القسم الثالث – تحقيق وتعليق: د. أحمد مختار العبادي وأ. محمد إبراهيم الكتاني– نشر وتوزيع دار الكتاب– الدار البيضاء– الرباط، ١٩٦٤ م.	لابن الخطيب	٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣
٦. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب – الجزء الرابع – تحقيق ومراجعة: د. إحسان عباس – الدار العربية للكتاب – بيروت، د. ت.	لابن عذاري المراكشي	٤/ ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٦، ٤٩، ٥٠، ٦٠، ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦
٧. تحفة القادم – أعاد بناءه وعلق عليه: د. إحسان عباس– دار الغرب الإسلامي–	لابن الأبار	ص ٧، الترجمة رقم ١ ص ١١٤

بيروت- ط ١، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.		
٨. التكملة لكتاب الصلة - تحقيق: د. عبد السلام الهراس- دار الفكر للطباعة- لبنان- بيروت، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م.	لابن الأبار	١/ ٣٤٣، ت رقم ١٢١٦. ٣/ ١٥، ت رقم ٤١.
٩. جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى - تحقيق: د. صلاح جرار- دار البشير للنشر والتوزيع- عمان - الأردن، ١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩ م.	لابن عاصم الغرناطي	٢/ ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧
١٠. جيش التوشيح - حققه وقدم له وترجم لوشاحيه: هلال ناجي- وأعدَّ أصلاً من أصليه: محمد ماضور-مطبعة المنار- تونس ١٩٦٧ م.	لابن الخطيب	٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦
١١. الحلل الموشية في ذكر الأخبار المَرَّاكُشِيَّة- تحقيق: د. سهيل زكّار و أ. عبد القادر زمامة- نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة- الدار البيضاء - ط ١، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.	لمؤلف مجهول	٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩
١٢. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب- تحقيق وتعليق: د. محمد الأحمدي أبو النور- دار التراث للطبع والنشر-القاهرة، د.ت.	لابن فرحون	٢/ ٧٢
١٣. صلة الصلة (ضمن كتاب الصلة	لابن الزبير	٣/ ١٢٧، ١٢٨

لابن بشكوال)- تحقيق: شريف أبو العلا العدوي- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- ط ١، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م.		
١٤. فتاوى البرزلي (جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام)- تقديم وتحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة - دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط ١، ٢٠٠٢ م.		٣/ ٥٢، ٥٣ ٤/ ٢٢، ٢٣ ٥/ ١١٤ ٦/ ٣٤٤
١٥. المعجم في أصحاب القاضي الصدفي - تحقيق: أ. إبراهيم الإبياري - دار الكتاب المصري بالقاهرة ودار الكتاب اللبناني ببيروت - ط ١، ١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩ م.	لابن الأبار	٦٣
١٦. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب - خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: د. محمد حجي- نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.	للونشريشي	٦/ ٩٨
١٧. مقدمة ابن خلدون (تحقيق: د. على عبد الواحد والى - طبعة دار نهضة مصر للنشر- ط ٧، مارس ٢٠١٤ م.	لابن خلدون	٢/ ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥

الفهرس التفصيلي
لمحتويات الكتاب





هذا الكتاب

يُعَدُّ من عيون التُّراث الأندلُسيّ، والمصدرَ الأوّلَ والوحيدَ لتاريخ أسرة المُرابطين في المغرب والأندلُس، لكنّه في حُكم المفقود، وفقدنا بضياعه المصدرَ الأساسيّ الذي كنّا نأمل أن يضيء كثيرًا من الجوانب المجهولة في تاريخ دولة المُرابطين بالغرب الإسلاميّ، ونظرًا لأهميته ونُدرته واعتماد العديد من المؤرِّخين اللاحقين عليه فقد اجتهدنا في جمع نُصوصه المبثوثة في ثنايا المصادر المغربيّة والأندلُسيّة، سواء ما يتعلّق منها بالأحداث التّاريخيّة أو التّراجم أو الأشعار التي قالها المؤلفُ في أمراء المُرابطين، فقد كان مؤرِّخًا وشاعرًا في الوقت نفسه، ثم قُمنا بترتيب هذه النُّصوص ترتيبًا زمنيًا، وعزَجنا على تقويمها وترميمها وضبطها بالشَّكل حتى تُقرأ بطريقة سَهلة وصحيحة، كُل هَذا في محاولةِ للوصول الى نُسخة قريبة من الكتاب الأصليّ كما وضعه صاحبُه، وليتوفرَ لأول مَرّةٍ بين أيدي الباحثين المهتمين بتاريخ المغرب والأندلُس والمهتمين بتاريخ المُرابطين خُصوصًا كتاب الأنْوارِ الْجليّةِ في أخْبارِ الدّوْلةِ الْمُرابِطيّةِ لابن الصَّيْرَفيّ الغرْناطيّ.



